



جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم أصول الدين

منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه

وأثره في رواية الحديث

Prophet mohammad's companions methodology
in documenting hadeath and their ways of
dessimination and its influence on hadeath

إعداد

سامر عيسى عبد الله بدارنه

إشراف الأستاذ الدكتور

أمين محمد القضاة

الفصل الصيفي

١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م

(منهج الصحابة في تحمل الحديث وأدائه وأثره في الحديث)

إعداد الطالب

سامر عيسى عبد الله بدارنه

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص الحديث الشريف وعلومه في جامعة اليرموك ، اربد - الأردن .

وافق عليها

مشرفاً رئيساً

أمين محمد القضاة.....
أستاذ الحديث في كلية الشريعة — الجامعة الأردنية

عضواً

محمد علي العمري.....
أستاذ الحديث في كلية الشريعة — جامعة اليرموك

عضواً

شرف محمود القضاة.....
أستاذ الحديث في كلية الشريعة — الجامعة الأردنية

عضواً

محمد عبد الرحمن طوالبه.....
الأستاذ المشارك في الحديث في كلية الشريعة — جامعة اليرموك

عضواً

يحيى ضاحي شطناوي.....
الأستاذ المشارك في التفسير في كلية الشريعة — جامعة اليرموك

نوقشت بتاريخ

٢٠١٠/٨/٤ م

الإهداء

* إلى سيد الأولين والآخرين ..

* إلى الرحمة المهداة للعالمين ..

* إلى هادي البشرية ومعلمها الأول ..

..... محمد ﷺ ..

الباحث
سامر بدارنه

شكر وتقدير

من الواجب على الإنسان أن يعترف بالحق لأهله، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (لقمان: ١٢)، ولقوله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»^(١).

بعد حمد الله وشكره أرى لزاماً عليّ أن أعترف بالفضل لأهله، وأن أشكر كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد، مع اعترافي بالعجز عن تقديم الشكر الذي أكثفه في قلبي وضميري لهؤلاء من خلال هذه العبارات البسيطة التي لا توقيهم بعض حقهم.

ولابد لي وقد أنهيت هذا البحث أن أقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى فضيلة أستاذي الدكتور أمين القضاة - حفظه الله ورعاه - لكبير فضله عليّ وعميم إحسانه إليّ، والذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فلقد حظيت بنصحته وإرشاده وتوجيهاته العلمية التي أفادنتي طوال فترة إعدادها، ولقد فتح لي قلبه فاستقدت الكثير منه، فأنه أسأل أن يجزيه عني أحسن الجزاء، وأن يبارك في وقته وعلمه، ويجعله في خدمة طلبة العلم عامة والحديث النبوي الشريف خاصة.

فلا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل لكل أساتذتي الأفاضل الذي نهلت العلم منهم، الأستاذ الدكتور محمد العمري، والأستاذ الدكتور شحادة العمري، والأستاذ الدكتور عبد الله السوالمه، والأستاذ الدكتور ياسر الشمالي، والأستاذ الدكتور محمد عيد الصّاحب، والأستاذ الدكتور سلطان العكايلة، والدكتور محمد الطويلة الذي أمدني ببعض المراجع والأبحاث، والدكتور محمد الدقاسمة، والدكتور محمد الحوري اللذان أفاداني في مناقشة خطة الرسالة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور محمد العمري، والأستاذ الدكتور شرف القضاة، والدكتور محمد الطويلة، والدكتور يحيى الشطناوي، فلهم مني كل الشكر والتقدير، وعرفان الجميل، وعند الله أحسب أجرهم وثوابهم بخير ما يجزي عن القرآن وأهله.

وأخيراً أقدم عظيم شكري وفائق احترامي وتقديري لجميع الأخوة الذين ساعدوني وتعاونوا معي في إخراج هذه البحث إلى حيز الوجود، ولن أنسى - ما حييت - في هذا البلد الطيب بدأ مدت بخير أو فماً أعان على معروف أو علماً بثه رجال صالحون، ويغفر الله عمن أساء، فلهم ولجميع من ذكرت ومن لم أنكر - ممن ساعد بكلمة أو أجاب على سؤال أو دل على ضالة - عرفاني وامتناني.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله سبحانه في ميزان حسناتي إنه سميع مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الباحث

سامر بدارنه

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع المختصر والسنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف ب: جامع الترمذي، بيروت - لبنان بيت الأفكار الدولية، ط ٢٠٠٤، مكتاب البر والصلة، بلب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم ١٩٥٤، ص ٣٢٨، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	ج
شكر وتقدير.....	د
قائمة المحتويات.....	هـ
المأخذ على اللغة العربية.....	ي
المقدمة.....	ك
الفصل التمهيدي: التعريف بالصحبة وثمرة الخلاف فيها، وأصول الصحابة في تحمل الحديث	
آدابه وطرقه.....	١
المبحث الأول: التعريف بالصحبة، وكيفية معرفتها، وثمرة الخلاف فيها.....	٣
المطلب الأول: تعريف الصحبة لغة واصطلاحاً.....	٣
المطلب الثاني: كيفية معرفتها.....	٤
المطلب الثالث: أثر الخلاف في معنى الصحبة وثمرته.....	٤
المبحث الثاني: تحمل الصحابة للحديث وأدائه، أصوله، آدابه، طرقه.....	٦
المطلب الأول: المنهج النبوي: مفهومه، أهميته، ضرورياته.....	٧
المطلب الثاني: الرواية: مفهومها، أركانها، شروطها، أقسامها.....	٩
المطلب الثالث: أصول المنهج العلمي للرواية في القرآن الكريم والسنة الشريفة.....	١٠
المبحث الثالث: هدي النبي - ﷺ - في التعليم وآداب الصحابة - ﷺ - وأساليبهم في التعلم والتعليم.....	١٣
المطلب الأول: الهدى النبوي في التعليم.....	١٣
المطلب الثاني: أدب الصحابة - ﷺ - في التعلم والتعليم.....	٢٠
المطلب الثالث: أساليب الصحابة - ﷺ - في التربية والتعليم.....	٢٣
المبحث الرابع: كيفية تحمل الحديث وروايته.....	٢٦
المطلب الأول: أهلية التحمل والأداء والشروط الواجب توفرها فيهما.....	٢٦
المطلب الثاني: ألفاظ الرواية بالنسبة للصحابي في الرواية عن النبي - ﷺ - ومراتبها.....	٢٨
المطلب الثالث: طرق التحمل والأداء.....	٣٧
المبحث الخامس: طرق الصحابي في معرفة الشرع.....	٤٢
المطلب الأول: تحمل الصحابة للحديث مباشرة عن الرسول ﷺ.....	٤٢
المطلب الثاني: تحمل الصحابة بعضهم عن بعض.....	٤٣
المطلب الثالث: تحمل الصحابة - ﷺ - للحديث الشريف من التابعين.....	٤٦

الفصل الأول: سمات منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه	٥٠
المبحث الأول: التثبت والتحري عن الحديث الشريف عند الصحابة ﷺ	٥١
المطلب الأول: الحرص على سماع الحديث الشريف	٥١
المطلب الثاني: اشتراط الشاهد	٥٥
المطلب الثالث: اشتراط القسم	٥٩
المطلب الرابع: نقد الروايات ومعارضتها	٦٢
المطلب الخامس: السؤال عما لا يفهمون	٦٥
المبحث الثاني: الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها عند الصحابة ﷺ	٦٩
المطلب الأول: منهج الخلفاء الراشدين والصحابة في الإقلال من الرواية وتوجيه ذلك	٧٠
المطلب الثاني: الصحابة المكثرون وأسباب ذلك	٨٤
المطلب الثالث: الصحابة الذين لم تبلغ مروياتهم ألف حديث أي أصحاب المئات	٩٠
المطلب الرابع: الصحابة الذين رويوا عشرات من الأحاديث الشريفة	٩١
المطلب الخامس: الصحابة الذين روي عنهم الأحاد والأفراد من الأحاديث:	٩٢
المطلب السادس: أسباب تفاوت الصحابة - ﷺ - في رواية الحديث	٩٦
المبحث الثالث: مراعاة المستوى العلمي لطلاب الحديث وامتناعهم عن التحديث بما لا يفهمه العامة	١٠١
المطلب الأول: صيانة الحديث الشريف عن السفهاء	١٠١
المطلب الثاني: الإمتناع عن التحديث بما لا تفهمه العامة وعدم تتبع المنكر من الحديث والحث على التحديث بالمشهور	١٠٤
المطلب الثالث: الاعتدال والتنويع دفعاً للملل	١٠٧
المطلب الرابع: طلب الحديث الشريف بعد القرآن الكريم	١١٠
المبحث الرابع: نقد متن الحديث ونقد الرواة من جانب الضبط	١١٣
المطلب الأول: نقد متن الحديث الشريف	١١٣
المطلب الثاني: نقد الرواة من جانب الضبط	١١٥
المبحث الخامس: السؤال عن الإسناد والتفتيش عن عدالة الرواة	١١٧
المطلب الأول: تعريف السند والإسناد والمسند وعلم الإسناد	١١٧
المطلب الثاني: نشأة الإسناد	١١٩
المطلب الثالث: أهمية الإسناد بالنسبة للصحابة ﷺ	١٢٢
المطلب الرابع: التفتيش عن عدالة الرواة	١٢٤

الفصل الثاني : الوسائل التي استخدمها الصحابة في تطبيق منهجهم	١٣٠
المبحث الأول: كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه.....	١٣١
المطلب الأول: الفرق بين الكتابة والتدوين والتوثيق والتصنيف	١٣٣
المطلب الثاني: ما روي في كراهية كتابة الحديث النبوي الشريف	١٣٥
المطلب الثالث: ما روي من إباحة في كتابة الحديث النبوي الشريف	١٣٦
المطلب الرابع: الجمع والتوفيق بين أحاديث النهي والإباحة.....	١٣٨
المطلب الخامس: أشهر الصحف التي كتب فيها الحديث النبوي الشريف في عهد النبي ﷺ	١٤١
المطلب السادس: أسباب عدم تدوين الحديث النبوي الشريف في عهد النبي - ﷺ - وصحابته ﷺ	١٤٥
المطلب السابع: الآثار الدالة على كتابة الصحابة - ﷺ - بعضهم إلى بعض وحثهم لتلاميذهم على كتابة الحديث النبوي الشريف وتقييده.....	١٤٧
المطلب الثامن: أسباب كتابة الحديث النبوي الشريف.....	١٥٣
المبحث الثاني: الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف	١٥٥
المطلب الأول: مفهوم الرحلة.....	١٥٦
المطلب الثاني: مشروعية الرحلة وحكمها.....	١٥٦
المطلب الثالث: فوائد الرحلة.....	١٥٨
المطلب الرابع: الرحلة إلى النبي ﷺ	١٦٠
المطلب الخامس: أسباب الرحلة في عهد النبي ﷺ	١٦٣
المطلب السادس: رحلة الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ	١٦٦
المبحث الثالث: الدقة في رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ والمعنى.....	١٧٠
المطلب الأول: تعريف الرواية باللفظ والمعنى	١٧٢
المطلب الثاني: الصحابة القائلون بوجوب رواية الحديث باللفظ.....	١٧٣
المطلب الثالث: أدلة القائلين بجواز رواية الحديث باللفظ من الصحابة ﷺ	١٧٦
المطلب الرابع: أسباب اختلاف الصحابة - ﷺ - في ألفاظ الحديث	١٨٠
المطلب الخامس: الصحابة القائلون بجواز رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى.....	١٨٢
المطلب السادس: أدلة القائلين برواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى من الصحابة	١٨٤
المطلب السابع: بيان القول الراجح من هذه الأقوال	١٨٥
المبحث الرابع: المذاكرة والمزاورة والمدارس للحديث النبوي الشريف	١٨٨
المطلب الأول: مفهوم المذاكرة	١٨٩
المطلب الثاني: فضل المذاكرة.....	١٩٠
المطلب الثالث: المذاكرة في عهد النبي - ﷺ - وأهدافها.....	١٩١
المطلب الرابع: المذاكرة في عهد الصحابة - ﷺ - وأهدافها.....	١٩٤

المطلب الخامس: صور مذاكرة الحديث	١٩٦
المطلب السادس: أهمية المذاكرة	١٩٩
المطلب السابع: آثار المذاكرة	٢٠٠
المبحث الخامس: معايشة النبي - ﷺ - والتعلم منه وتبليغ ما عندهم من العلم وعدم الكتمان . ٢٠٣	٢٠٣
المطلب الأول: معايشة النبي - ﷺ - والمكث عنده	٢٠٣
المطلب الثاني: مكانة العلم والعلماء وفضل تعلمه وتبليغه	٢٠٥
المطلب الثالث: حرمة كتمان العلم	٢٠٨
المبحث السادس: ظهور مجالس ومدارس الحديث النبوي الشريف	٢١٣
المطلب الأول: مفهوم المجالس والمراكز والمدارس الحديثية	٢١٤
المطلب الثاني: أشهر المدارس الحديثية في عهد الصحابة رضي الله عنهم	٢٢٢
المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على انتشار السنة النبوية في الآفاق	٢٣٤
الفصل الثالث: الضبط والوهم عند الصحابة رضي الله عنهم	٢٤١
المبحث الأول: الضبط والوهم عند الصحابة رضي الله عنهم ومفهومه ونشأته وعوامل ظهوره	٢٤٢
المطلب الأول: مفهوم الضبط	٢٤٣
المطلب الثاني: مفهوم الوهم	٢٤٤
المطلب الثالث: مفهوم النقد	٢٤٦
المطلب الرابع: مفهوم الكذب وما يراد به عند الصحابة رضي الله عنهم	٢٤٨
المطلب الخامس: بداية النقد الحديثي ونشأته	٢٥١
المطلب السادس: الغاية من نقد ضبط الصحابة - رضي الله عنهم - بعضهم بعضاً	٢٥٦
المطلب السابع: عوامل ظهور علم النقد ودوافعه	٢٥٧
المطلب الثامن: أشهر المتكلمين من الصحابة في الرجال	٢٦٢
المبحث الثاني: حكم توهيم الصحابي، وكيفية ثبوته ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟	٢٦٧
المطلب الأول: حكم توهيم الصحابي	٢٦٧
المطلب الثاني: من الذي يحكم على الصحابي بالوهم؟	٢٦٩
المطلب الثالث: بما يثبت وهم الصحابي؟	٢٧١
المبحث الثالث: بعض مظاهر ووسائل تثبيت الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين	
من الصحابة رضي الله عنهم	٢٧٥
المطلب الأول: مظاهر ووسائل تثبيت الرسول ﷺ	٢٧٦
المطلب الثاني: تثبيت الصحابة - رضي الله عنهم - في سماعهم من الرسول ﷺ	٢٧٩
المطلب الثالث: تثبيت الصحابي من الصحابي	٢٨١

المطلب الرابع: تثبت الصحابي من التابعي	٢٨٤
المطلب الخامس: مظاهر تثبت التابعي من الصحابي	٢٨٦
المطلب السادس: تثبت الصحابة عند السماع	٢٩١
المطلب السابع: تثبت الصحابة في الأداء	٢٩٢
المبحث الرابع: الضبط أسبابه، ومقاييسه، وكيفية معرفته	٢٩٤
المطلب الأول: أسباب الوهم عند الصحابة - -	٢٩٥
المطلب الثاني: مقاييس الصحابة - - في نقد متن الحديث النبوي الشريف	٣٠٥
المطلب الثالث: أسباب اهتمام الصحابة - - بضبط الحديث النبوي الشريف	٣١٥
المطلب الرابع: كيفية معرفة ضبط الصحابي للحديث النبوي الشريف	٣٢٢
المطلب الخامس: أسباب تفوق الصحابة - - في حفظ الحديث	٣٣٨
الفصل الرابع: شبهات رواية المنافقين للحديث النبوي الشريف والرد عليها	٣٤٧
المبحث الأول: الشبهة المثارة حول مشاركة المنافقين في رواية الحديث النبوي الشريف وأثر ذلك على الرواية والرد عليها	٣٤٨
المطلب الأول: شبهة كثرة عدد المنافقين وتأثيرهم الكبير على مجتمع المدينة	٣٥٠
المطلب الثاني: شبهة اختلاط المنافقين بالصحابة - - اختلاطاً عظيماً بحيث لا يميز بين المنافق والصحابي وأثر ذلك على الرواية	٣٥٣
المطلب الثالث: شبهة وقوع بعض الصحابة بشيء من التفاسد وعدم ظهور ذلك لجملة الصحابة	٣٥٨
المطلب الرابع: شبهة المبالغة في تعديل جميع الصحابة مع أن فيهم المنافقين والفاسقين	٣٦٢
المطلب الخامس: شبهة أسلوب النبي في التعامل مع المنافقين وأثره على الرواية	٣٦٦
المطلب السادس: شبهة إخفاء حذيفة لأسماء المنافقين بعد وفاة النبي ﷺ وأثره السلبي على الرواية	٣٧٢
المطلب السابع: شبهة مشاركة بعض المنافقين في رواية الحديث النبوي	٣٧٦
الخاتمة	٣٨٣
التوصيات	٣٨٧
قائمة المصادر والمراجع	٣٨٨
الملخص باللغة الانجليزية	٤١٨

الملخص

بدراته، سامر عيسى عبد الله، منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه وأثره في الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، شعبة الحديث النبوي الشريف، ٢٠١٠م - ٢٠١١م، إشراف: الأستاذ الدكتور أمين القضاة حفظه الله ورعاه.

تأتي هذه الدراسة لبيان منهج الصحابة - ﷺ - في ضبط الحديث - عندهم - تحملاً وأداءً؛ وذلك ببيان أصول هذا المنهج وأدابه، ومعالمه الرئيسية. ومبيناً الوسائل التي استخدمها الصحابة في تحمل الحديث وأدائه.

وقد تتبع الباحث - لتحقيق هذه الأهداف - النصوص الواردة عن الصحابة أنفسهم إما بتصريحهم بمنهجهم في الرواية، وإما استنباطاً من تصرفهم العملي في الحديث.

وكشفت هذه الدراسة عن عظيم مقدار الضبط عندهم، وبينت أهداف، وأسباب اهتمامهم، وتفوقهم به، وذكرت بعض مظاهر ووسائل تثبت - النبي صلى الله عليه وسلم - والصحابة - رضي الله عنهم - عند السماع والأداء.

كما أنها بينت مفهوم الوهم وأسبابه، ووسائل ومقاييس كشفه، وحكم توهيم الصحابي، ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟، وكيفية ثبوت ذلك.

لذا تميز منهجهم في تحمل الحديث وأدائه بالتثبت والتحري والدقة مع مراعاة الشروط الواجب توافرها في المتحمل للحديث والمؤدي له.

ومن أهم ثمرات - هذه الدراسة - ونتائجها بيان مدى عناية الصحابة في حفظ الحديث وضبطه والدقة في أدائه بما لا يدع مجالاً لطاعن أو مغرض للنيل من سنة النبي - ﷺ - وصحابته ﷺ.

وانتهت هذه الدراسة بذكر أهم الشبهات التي ينشق بها بعض المارقين في عدالة الصحابة بحجة وجود المنافقين بينهم مشفوعة بالجواب عنها، ثم ختمت بأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: منهج الصحابة، تحمل الحديث، أداء الحديث، الضبط والوهم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - ﷺ -
وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فتعد السُّنَّة النَّبَوِيَّة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم،
فهي إما مؤيدة ومؤكدة له، أو مبينة أو ناسخة، أو زائدة في الأحكام عليه.

ولمَّا كان الصَّحَابَةُ الحلقة الأولى بعد النَّبِيِّ - ﷺ - كانت السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَةُ محسطة
اهتمامهم وعنايتهم ومن ثم جاء من بعدهم التابعون فكانوا خير خلف لخير سلف. لذا يعد
تحمل الحديث وأداؤه من أهم القضايا في ضبط النص، وإثبات صحته، إذ صحة التحمل والدقة
في أدائه دليل على أنَّ الحديث صحيح معتبر.

ثم إنَّ الناظر في منهج الصَّحَابَةِ في تحمل الحديث وأدائه يجد فيه دقة متناهية مؤسسة
على نور من القرآن والسُّنَّة، وكان لهذا المنهج أثره الواضح في التقعيد لقواعد التحمل والأداء
عند المحنِّين، بحيث صار مقياساً توزن به طرق التحمل والأداء بعد.

وهذا يدعو إلى إبراز منهج الصَّحَابَةِ في التحمل والأداء ليكون دليلاً على مدى عناية
الصَّحَابَةِ بحديث النَّبِيِّ - ﷺ - مما كان له الأثر الواضح في حفظ السُّنَّة المطهرة.

من هنا برز منهج الصَّحَابَةِ في تحمل الحديث وأدائه، وكانت لهم بصمات واضحة في
علم الحديث روايةً ودرايةً، وبرز منهم الجهابذة والنقاد في التفتيش والتثبت والتحري أمثال:
الصَّدِيق والفاروق، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس وأم المؤمنين
عائشة بنت الصديق وغيرهم كثير - ﷺ - أجمعين.

كما قعدوا القواعد وأسسوا الأسس لنقل حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
على الأسس التي رسمها القرآن الكريم واختطها السُّنَّة النَّبَوِيَّة المطهرة، فكانوا الصخرة
المنيعَة التي تحطمت عليها أقوال الطاعنين والمستشرقين والمستغربين من أبناء امتنا، ثم
كانوا اللبنة الأولى التي إتكأ، وبنى عليها كل من جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم من المحنِّين
، فأصبح منهجهم محط أنظار المعجبين، ومنازة للتائهين، فشهد لهم القاضي قبل الداني، والعدو
قبل الصَّدِيق .

لذلك عزمنا أن أجعل منهج الصَّحَابَةِ - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه موضوع
رسالتنا وبحثنا.

أهمية الدراسة

إنّ مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع - بعد إشارة من بعض أساتذتي - هو الرغبة الأكيدة في إبراز دور الصحابة - رضي الله عنهم - في تأسيس وتقعيد القواعد ، والأسس التي وضعوها في تحمل الحديث الشريف وأدائه.

والإسهام في سد الفراغ بالمكتبة الحديثية برفدها بدراسة مستقلة شاملة، وكافية، وواقعية حول منهجهم، ومن ثم رد الشبهات والطعون، وأخيراً تعظيم وإجلال عمل الصحابة في خدمة الحديث الشريف.

فكان من الواجب علينا إن تكون هنالك دراسة متخصصة عن منهج الصحابة في تحمل الحديث وأدائه باعتباره أرقى المناهج وأولاهم بالدراسة كيف لا وهو عمدة الأولين والآخرين.

تأتي أهمية هذه الدراسة من :

١. أصالتها وعدم سبق إليها بحسب ما تبين لي بعد الدراسة والبحث الدؤوب، بحيث أنها تعد الأولى التي تحاول إبراز منهج الصحابة في تحملهم للحديث وأدائه بشكل كامل وواف ، وكشف القواعد والمناهج العلمية التي ساروا عليها في حفظ الحديث النبوي الشريف.

٢. توضيح دقة الصحابة - رضي الله عنهم - في دراستهم النقدية واحتياطهم في توثيق السنة الشريفة وكذلك تكشف عن تفوق الصحابة - رضي الله عنهم - وتمكنهم من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحملاً وأداءً.

٣. بيان قصور منهج من لم يلتزم منهج الصحابة - رضي الله عنهم - لعدم اعتماده قواعد منضبطة في الحكم على الأحاديث وإثماً الأهواء المختلفة باختلاف أصحابها.

٤. تقعيد للمنهج المفترض في التعامل مع ما يستشكله القارئ أو السامع للنص النبوي الشريف.

٥. إبراز موضوعية الصحابة - رضي الله عنهم - في التعامل مع النصوص التي يروونها وإبراز مدى عنايتهم والتزامهم وتمسكهم بسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -.

٦. بيان عظمة ومكانة السنة النبوية الشريفة في التشريع الإسلامي وإبراز مسألة أن النقد للمتن أسبق للوجود من نقد السند.

٧. بيان أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا أصحاب فكر ومنهج ولم يكونوا عشوائيين.

٨. أنها تقدم دراسة نظرية عملية تطبيقية لمنهج الصحابة - رضي الله عنهم - في تحمل الحديث وأدائه.

٩. بيان أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم الذين أسسوا قواعد وقوانين علم الرواية والدراسة.

١٠. الرد على أحدث الشبهة والطعون الموجهة للصحابية باتهامهم بالنفاق ، وكذلك الشبهة الموجهة لرواية الحديث بحجة عدم تمييز الصحابي من المنافق ورواية الحديث.
١١. الإسهام في إثراء المكتبة العالمية عامة والإسلامية خاصة بمؤلف يكشف عن منهج الصحابة في تحمل الحديث الشريف وأدائه.

مشكلة الدراسة

- يمكن توضيح مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة والفرضيات الآتية:
١. هل كان هنالك منهج للصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه؟.
 ٢. ما منهج الصحابة في تحمل الحديث وأدائه؟.
 ٣. ما أهم سمات هذا المنهج؟.
 ٤. ما أهم وسائل تطبيق هذا المنهج؟.
 ٥. ما أثر منهجهم فيمن بعدهم؟.
 ٦. ما مدى وجود وهم عند الصحابة - ﷺ - وما مقداره ؟ وما أسبابه ومقاييس ووسائل كشفه؟ ومن الذي يحكم عليهم بالوهم؟ وبم يثبت؟ وما أسباب تفوقهم في الحفظ؟.
 ٧. هل عدالة الصحابة - ﷺ - توجب ضبطهم للحديث؟.
 ٨. هل شارك المنافقون في رواية الحديث الشريف؟ وما آلية التعامل معهم؟.
- كل تلك الأسئلة، والاستفسارات، والفرضيات وغيرها، أجابت عليها هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

حدود الدراسة

هذه الدراسة معنية بالوقوف على منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه منذ مبعثه - ﷺ - وحتى وفاة آخر صحابي وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي في حدود (ت ١١٠هـ).

أهداف الدراسة

- يمكن إجمال أهداف هذه الدراسة والبحث فيما يلي:
١. الدفاع عن صحابة رسول الله - ﷺ - بنفي الافتراءات التي قيلت في حقهم حول منهجهم في تحمل الحديث وأدائه.
 ٢. إبراز مدى الأثر الذي أحدثه منهج الصحابة - ﷺ - فيمن بعدهم.
 ٣. توضيح مدى دقة الصحابة في توثيق السنة الشريفة، ومدى دراستهم التقنية وأصول الرواية ومنهجها عندهم.
 ٤. بيان أن الصحابة - ﷺ - لم يكونوا زوامل أسفار أو عشوائيين كما يشاع هنا وهناك بل كانوا نقاداً جهابذة، أصحاب فكر ومنهج.

٥. التلليل على أن القُد الداخلي للحديث قد بدأ مبكرًا قبل القُد الخارجي، فهو أسبق إلى الوجود.

٦. إثبات أن الصحابة - ﷺ - هم الذين أسسوا قواعد وقوانين علم الرواية والدراسة، وأن كل من جاء بعدهم كان عالة عليهم في منهجهم.

٧. الإقرار بأن عدالة الصحابة - ﷺ - لا توجب ضبطهم للحديث النبوي الشريف.

٨. بيان أن أصول منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه كان مرتبطاً بمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٩. إظهار قصور منهج غير الصحابة - ﷺ - لعدم اعتماده قواعد منضبطة في الحكم على الأحاديث وإثما الأهواء المختلفة باختلاف أصحابها.

١٠. الإسهام في تبصرة الجاهلين والمشككين بأصول ومنهج الصحابة في تحمل الحديث وأدائه باعتبارهم النقاد الأوائل الذين أسسوا علم قوانين الرواية.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على المصادر والمراجع المختلفة ، وبعد سؤال المتخصصين من العلماء والمحدثين، وبعد النظر في أدلة الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية، في مراكز البحوث والدراسات الإسلامية، والجامعات ، لم أجد من بحث أو كتب دراسة علمية عن منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه ، ولم اكتف بذلك بل بحثت في الانترنت ولم أعر على شيء إطلاقاً. على أن هنالك بعض الرسائل والأبحاث - على ندرتها - أشارت بعض الاشارات إلى بعض الجزئيات، واليكم هي:

١. الوهم في روايات مختلفي الأمصار ، رسالة دكتوراه للدكتور عبد الكريم الوريكات. تحدث فيها عن تعريف الوهم وبشكل عام ولم يبحث أو يتحدث عن وهم الصحابة - رضي الله عنهم - وأسبابه، ووسائل الكشف عنه التي هي موضوع و صلب رسالتي.

٢. أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث لأستاذي الدكتور سلطان العكايلة ومحمد عيد الصّاحب ، بحث علمي تحدثنا فيه عن أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث ، وقد عزوا ضبطهم إلى أسباب ثلاثة هي: أسباب من جهة النبي - ﷺ - وأسباب خاصة بهم وأسباب عامة . وهذا مطلب صغير من دراستي ولكنهما لم يدرسا وهم الصحابة ولا منهجهم ولا أساليبهم، ولا شبهات رواية المنافيين للحديث الذي هو موضوع رسالتي.

٣. الراويات من الصحابييات ودورهن في تحمل وأداء الحديث، رسالة ماجستير للباحثة انتصار إبراهيم عبدالرحمن اقتصرت فيه على الصحابييات دون الصحابة، وكذلك لم تتعرض لمسألة الضبط والوهم عند الصحابة، ولم تتطرق أيضاً لرواية المنافيين التي هي من صلب رسالتي.

٤. جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، رسالة ماجستير للباحث مشعان علوان الخزرجي، تحدث فيها عن جهود الصحابة بشكل عام حيث إنه لم يتطرق إلى مسألة الضبط والوهم عند الصحابة ولا إلى الاساليب النبوية في التعلم والتعليم ولا إلى طرق التحمل والأداء ولا إلى ذكر المنافقين وشبهاتهم إلا في صفحتين فقط بكلام عام، ولا إلى وسائل الصحابة في الحفاظ على منهجهم التي هي من صلب رسالتي.

والجديد في دراستي أنها عملت على لم الشّتات المتناثر من الموضوع من خلال بيان سمات منهجهم في تحمل الحديث وأدائه، والوسائل التي استخدموها في تطبيق منهجهم، ومن ثم دراسة وإضافة موضوعات لم يسبق دراستها مثل: وهم الصحابة، حكمه، ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟، أسبابه، ووسائل كشفه، وكيفية ثبوته، ومعرفة ضبطهم من وهمهم، وغير ذلك من موضوعات الوهم والضبط. ثم أضافت فصلاً جديداً أيضاً يتعلق بصيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، وأنهم لم يكونوا مشاركين في رواية الحديث الشريف أبداً.

منهجية البحث

كان منهج الدراسة استقرائياً، استنباطياً، وصفيّاً نقديّاً، تحليلياً. استقرائياً: حيث سيقوم الباحث باستقراء ما كتب حول الموضوع - استقراء ناقصاً - من ناحية حديثة، فقهية، وبعض النواحي العلمية، إذ قرأت ما تيسر لي من كتب المتون، والعلل، والشروح، والتربية، وغيرها؛ أطلب ضالتي، وأنشد مقصدي فجمعت من المعلومات ما رأيته نافعا لقيام هذه الدراسة بعد كدّ وتعب، وجهد ونصب. واستنباطياً: باستنباط النتائج بعد الرجوع للأصول الشرعية المستند إليها في موضوع الدراسة وتحليلها ومناقشتها.

وصفيّاً نقديّاً: الذي يعتمد إلى بيان الآراء والمواقف، ثم العمل على دراستها دراسة نقدية ومناقشتها، وبيان ما لها وما عليها، بحيث أقوم بعرض كلامهم من خلال كتبهم، مع بيان مفهوم كلامهم ثم نقده، وفي كل ذلك أنقل عباراتهم كاملة دون احتراز ولا بتر؛ لئلا يفهم من كلامهم ما لم يقصدوه.

تحليلياً: وذلك باستخراج المعاني الواردة في الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، ثم عملت على تحليل طرف منها، واستنطاق بعضها للتعرف على معالمها في منهجية النقد زمن الصحابة رضي الله عنهم وتوجيهها وتوظيفها بما يخدم واقعنا المعاصر، مستعيناً بذلك بأقوال شراح الحديث الشريف، ثم عملت بعد ذلك على تحليل طرف منها، واستنطاق بعضها للتعرف على معالمها في منهجية النقد زمن الصحابة رضي الله عنهم..

وآلية تحقيق هذه المنهجية ما يلي:

١. اعتمدت المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم في استشهادي بالآيات القرآنية في هذه الرسالة.
٢. تخريج الأحاديث النبوية من كتب الأحاديث المعتمدة، مع بيان درجة صحتها ما أمكن، إن لم ترد عند البخاري ومسلم أو أحدهما، فإن وجود الحديث في مصنفيهما دليل تصحيح ورضى.
٣. الرجوع الى المعاجم اللغوية للتعريف بالمصطلحات التي تحتاج إلى التعريف، وذكر ذلك بالهامش.
٤. ترجمت لمن يُحتاج إلى ترجمة خدمة للبحث في المسألة بحيث تكون تلك الترجمة موجزة، وحسب الاحتياج إليها.
٥. ذكرت أسماء العلماء، مجردة من ألقاب النناء، والتبجيل : كلفظة الإمام، والحافظ، وشيخ الإسلام، وعبارة رحمه الله ، ونحو ذلك إلا ما اتصل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابه - رضي الله عنهم - فأني لزمته ذلك، ودرجت عليه، مع تقديري البالغ، وإجلالي لمقام الأشياخ.
٦. ذكرت سنة وفاة كل عالم بعد ذكر اسمه ، وكررت ذلك حيثما ذكر مع قوله إلا في القليل النادر؛ إذ كان السياق يقتضي الترك.
٧. إذا ذكرت أقوال العلماء في مسألة ما رتبت أقوالهم حسب تاريخ وفاتهم، ولا أعدل عن ذلك إلى غيره إلا لأمر يقتضي ذلك العدول: كاختصاص المقدم قوله بشأن تلك المسألة، وعنايته بها.
٨. حرصت على توثيق المادة العلمية، وعزوها إلى مواطنها من المصادر والمراجع، مراعيًا الأسبقية الزمنية للمصادر، فبدأت بها في إحالاتي ، ثم ما يليها.
٩. جمعت شتات ما تفرّق من المسائل والأمثلة في هذا الموضوع، ورتبتها ونسقتها، فجعلت المتماثل منها تحت عناوين رئيسة ليسهل الوصول إليها ومعرفتها.

خطة البحث

ستكون هذه الدراسة مكونة من مقدمة وستة فصول، مقسمة إلى مباحث، ومطالب مع خاتمة وتوصيات، كما هو مفصل في صفحة المحتويات.

الإهداء

شكر وتقدير

قائمة المحتويات

الملخص باللغة العربية

المقدمة

الفصل التمهيدي: التعريف بالصحبة وثمره الخلاف فيها، وأصول الصحابة في

تحمل الحديث آدابه وطرقه

المبحث الأول: التعريف بالصحبة، وكيفية معرفتها، وثمره الخلاف فيها

المطلب الأول: تعريف الصحبة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: كيفية معرفتها

المطلب الثالث: أثر الخلاف في معنى الصحبة وثمرته

المبحث الثاني: تحمل الصحابة للحديث وأدائه، أصوله، آدابه، طرقه

المطلب الأول: المنهج النبوي: مفهومه، أهميته، ضرورياته

المطلب الثاني: الرواية: مفهومها، أركانها، شروطها، أقسامها.

المطلب الثالث: أصول المنهج العلمي للرواية في القرآن الكريم والسنة الشريفة

المبحث الثالث: هدي النبي - ﷺ - في التعليم وآداب الصحابة - ﷺ - وأساليبهم في التعلم والتعليم

والتعليم

المطلب الأول: الهدي النبوي في التعليم

المطلب الثاني: أدب الصحابة - ﷺ - في التعلم والتعليم

المطلب الثالث: أساليب الصحابة - ﷺ - في التربية والتعليم

المبحث الرابع: كيفية تحمل الحديث وروايته

المطلب الأول: أهلية التحمل والأداء والشروط الواجب توفرها فيهما

المطلب الثاني: ألفاظ الرواية بالنسبة للصحابي في الرواية عن النبي - ﷺ - ومراتبه

المطلب الثالث: طرق التحمل والأداء

المبحث الخامس: طرق الصحابي في معرفة الشرع

المطلب الأول: تحمل الصحابة للحديث مباشرة عن الرسول ﷺ

المطلب الثاني: تحمل الصحابة بعضهم عن بعض

المطلب الثالث: تحمل الصحابة - ﷺ - للحديث الشريف من التابعين

الفصل الأول: سمات منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه

المبحث الأول: التثبت والتحري عن الحديث الشريف عند الصحابة ﷺ

المطلب الأول: الحرص على سماع الحديث الشريف

المطلب الثاني: اشتراط الشاهد

المطلب الثالث: اشتراط القسم

المطلب الرابع: نقد الروايات ومعارضتها

المطلب الخامس: السؤال عما لا يفهمون

المبحث الثاني: الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها عند الصحابة ﷺ

المطلب الأول: منهج الخلفاء الراشدين والصحابة في الإقلال من الرواية وتوجيه ذلك

المطلب الثاني: الصحابة المكثرون وأسباب ذلك

المطلب الثالث: الصحابة الذين لم تبلغ مروياتهم ألف حديث أي أصحاب المئات

المطلب الرابع: الصحابة الذين رروا عشرات من الأحاديث الشريفة

المطلب الخامس: الصحابة الذين رويت عنهم الآحاد والأفراد من الأحاديث:

المطلب السادس: أسباب تفاوت الصحابة - ﷺ - في رواية الحديث

المبحث الثالث: مراعاة المستوى العلمي لطلاب الحديث وامتناعهم عن التحديث بما لا يفهمه العامة

المطلب الأول: صيانة الحديث الشريف عن السفهاء

المطلب الثاني: الإمتناع عن التحديث بما لا تفهمه العامة وعدم تتبع المنكر من

الحديث والحث على التحديث بالمشهور

المطلب الثالث: الاعتدال والتنويع دفعاً للملل

المطلب الرابع: طلب الحديث الشريف بعد القرآن الكريم

المبحث الرابع: نقد متن الحديث ونقد الرواة من جانب الضبط

المطلب الأول: نقد متن الحديث الشريف

المطلب الثاني: نقد الرواة من جانب الضبط

المبحث الخامس: السؤال عن الإسناد والتفتيش عن عدالة الرواة

المطلب الأول: تعريف السُّنَد والإسناد والمسند وعلم الإسناد

المطلب الثاني: نشأة الإسناد

المطلب الثالث: أهمية الإسناد بالنسبة للصَّحابة ؓ

المطلب الرابع: التفتيش عن عدالة الرواة

الفصل الثاني: الوسائل التي استخدمها الصَّحابة في تطبيق منهجهم

المبحث الأول: كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه

المطلب الأول: الفرق بين الكتابة والتدوين والتوثيق والتصنيف

المطلب الثاني: ما روي في كراهية كتابة الحديث النبوي الشريف

المطلب الثالث: ما روي من إباحة في كتابة الحديث النبوي الشريف

المطلب الرابع: الجمع والتوفيق بين أحاديث النهي والإباحة

المطلب الخامس: أشهر الصَّحَف التي كتب فيها الحديث النبوي الشريف في عهد النبي

المطلب السادس: أسباب عدم تدوين الحديث النبوي الشريف في عهد النبي - ؓ - وصحابته ؓ

المطلب السابع: الآثار الدالة على كتابة الصَّحابة - ؓ - بعضهم إلى بعض وحثهم لتلاميذهم على كتابة الحديث النبوي الشريف وتقييده

المطلب الثامن: أسباب كتابة الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: الرِّحْلَة في طلب الحديث النبوي الشريف

المطلب الأول: مفهوم الرِّحْلَة

المطلب الثاني: مشروعية الرِّحْلَة وحكمها

المطلب الثالث: فوائد الرحلة

المطلب الرابع: الرِّحْلَة إلى النبي ﷺ

المطلب الخامس: أسباب الرِّحْلَة في عهد النبي ﷺ

المطلب السادس: رحلة الصَّحابة بعد وفاة النبي ﷺ

المبحث الثالث: الدقة في رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ والمعنى

المطلب الأول: تعريف الرواية باللفظ والمعنى

المطلب الثاني: الصحابة القائلون بجواب رواية الحديث باللفظ

المطلب الثالث: أدلة القائلين بجواز رواية الحديث باللفظ من الصحابة

المطلب الرابع: أسباب اختلاف الصحابة - في ألفاظ الحديث

المطلب الخامس: الصحابة القائلون بجواز رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى

المطلب السادس: أدلة القائلين برواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى من الصحابة

المطلب السابع: بيان القول الراجح من هذه الأقوال

المبحث الرابع: المذاكرة والمزاورة والمدارس للحديث النبوي الشريف

المطلب الأول: مفهوم المذاكرة

المطلب الثاني: فضل المذاكرة

المطلب الثالث: المذاكرة في عهد النبي - وأهدافها

المطلب الرابع: المذاكرة في عهد الصحابة - وأهدافها

المطلب الخامس: صور مذاكرة الحديث

المطلب السادس: أهمية المذاكرة

المطلب السابع: آثار المذاكرة

المبحث الخامس: معايشة النبي - والتعلم منه وتبليغ ما عندهم من العلم وعدم الكتمان

المطلب الأول: معايشة النبي - والمكث عنده

المطلب الثاني: مكانة العلم والعلماء وفضل تعلمه وتبليغه

المطلب الثالث: حرمة كتمان العلم

المبحث السادس: ظهور مجالس ومدارس الحديث النبوي الشريف

المطلب الأول: مفهوم المجالس والمراكز والمدارس الحديثية

المطلب الثاني: أشهر المدارس الحديثية في عهد الصحابة

المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على انتشار السنة النبوية في الآفاق

الفصل الثالث: الضبط والوهم عند الصحابة ؓ

المبحث الأول: الضبط والوهم عند الصحابة ؓ مفهومه ونشأته وعوامل ظهوره

المطلب الأول: مفهوم الضبط

المطلب الثاني: مفهوم الوهم

المطلب الثالث: مفهوم النقد

المطلب الرابع: مفهوم الكذب وما يراد به عند الصحابة ؓ

المطلب الخامس: بداية النقد الحديثي ونشأته

المطلب السادس: الغاية من نقد ضبط الصحابة - ؓ - بعضهم بعضاً

المطلب السابع: عوامل ظهور علم النقد ودوافعه

المطلب الثامن: أشهر المتكلمين من الصحابة في الرجال

المبحث الثاني: حكم توهيم الصحابي، وكيفية ثبوته ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟

المطلب الأول: حكم توهيم الصحابي

المطلب الثاني: من الذي يحكم على الصحابي بالوهم؟

المطلب الثالث: بما يثبت وهم الصحابي؟

المبحث الثالث: بعض مظاهر ووسائل تثبت الرسول - ﷺ - والصحابة - ؓ - والتابعين من الصحابة ؓ

المطلب الأول: مظاهر ووسائل تثبت الرسول ﷺ

المطلب الثاني: تثبت الصحابة - ؓ - في سماعهم من الرسول ﷺ

المطلب الثالث: تثبت الصحابي من الصحابي

المطلب الرابع: تثبت الصحابي من التابعي

المطلب الخامس: مظاهر تثبت التابعي من الصحابي

المطلب السادس: تثبت الصحابة عند السماع

المطلب السابع: تثبت الصحابة في الأداء

المبحث الرابع: الضبط أسبابه، ومقاييسه، وكيفية معرفته

المطلب الأول: أسباب الوهم عند الصحابة ؓ

المطلب الثاني: مقاييس الصحابة - ؓ - في نقد متن الحديث النبوي الشريف

المطلب الثالث: أسباب اهتمام الصحابة - ؓ - بضبط الحديث النبوي الشريف

المطلب الرابع: كيفية معرفة ضبط الصحابي للحديث النبوي الشريف

المطلب الخامس: أسباب تفوق الصحابة - ؓ - في حفظ الحديث

الفصل الرابع: شبهات رواية المنافقين للحديث النبوي الشريف والرد عليها
المبحث الأول: الشبه المثارة حول مشاركة المنافقين في رواية الحديث النبوي الشريف وأثر
ذلك على الرواية والرد عليها

المطلب الأول: شبهة كثرة عدد المنافقين وتأثيرهم الكبير على مجتمع المدينة
المطلب الثاني: شبهة اختلاط المنافقين بالصحابة - ﷺ - اختلاطاً عظيماً بحيث لا
يميز بين المنافق والصحابي وأثر ذلك على الرواية
المطلب الثالث: شبهة وقوع بعض الصحابة بشيء من النفاق وعدم ظهور ذلك لجملة
الصحابة

المطلب الرابع: شبهة المبالغة في تعديل جميع الصحابة مع أن فيهم المنافقين
والفاسقين
المطلب الخامس: شبهة أسلوب النبي في التعامل مع المنافقين وأثره على الرواية
المطلب السادس: شبهة إخفاء حذيفة لأسماء المنافقين بعد وفاة النبي ﷺ وأثره السلبي
على الرواية

المطلب السابع: شبهة مشاركة بعض المنافقين في رواية الحديث النبوي

الخاتمة

التوصيات

قائمة المصادر والمراجع

الملخص باللغة الانجليزية

والله أسأل التوفيق والسداد، فما كان من صواب فمن الله تعالى وله الحمد والفضل
والمنة، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وحسبي أني اجتهدت ولم أَلُ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل التمهيدي

التعريف بالصحبة وثمره الخلاف فيها، وأصول الصحابة في تحمل الحديث آدابه وطرقه

المبحث الأول: التعريف بالصحبة، وكيفية معرفتها، وثمره الخلاف فيها

المبحث الثاني: تحمل الصحابة للحديث وأدائه، أصوله، آدابه، طرقه

المبحث الثالث: هدي النبي - ﷺ - في التعليم وآداب الصحابة - ﷺ -

وأساليبهم في التعلم والتعليم

المبحث الرابع: كيفية تحمل الحديث وروايته

المبحث الخامس: طرق الصحابي في معرفة الشرع

الفصل التمهيدي

التعريف بالصحبة وثمره الخلاف فيها، وأصول الصحابة في تحمل الحديث آدابه وطرقه

تمهيد

السُّنَّة والحديث والأثر والخبر ألفاظ لمعنى واحد^(١)، أطلقها المحدثون على ما أضيف إلى النبي - ﷺ - من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف، أو الصحابي أو التابعي. خلافاً للأصوليين الذين جعلوا السنة خاصة بأعمال النبي - ﷺ - فلا يذكر الوصف؛ وذلك لأنهم يبحثون فيها كمصدر من مصادر التشريع، والتشريع يثبت بالقول أو الفعل أو التقرير^(٢)، وجعلوا الحديث عاماً يشمل قول النبي - ﷺ - وفعله، وقالوا إن الخبر: ما أضيف إلى غير النبي - ﷺ - والأثر ما روي عن غيره من الصحابة والتابعين.

وقالوا إن الحديث أعم من السنة؛ فالحديث عن حفر بئر زمزم يدخل في الحديث ولا يدخل في السنة؛ لأن السنة لا تعنى بأخبار ما قبل البعثة^(٣).

وعلى ضوء ذلك وضع العلماء الفرق الدقيقة بين السنة والحديث حيث قال عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٧) قوله: "سفيان الثوري إمام في الحديث وليس إماماً في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس إماماً في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعاً، وسئل ابن الصلاح في فتاويه عن معنى هذا الكلام فقال السنة ههنا ضد البدعة فقد يكون الإنسان عالماً في الحديث ولا يكون عالماً بالسنة"^(٤).

فيستفاد من هذه العبارة أن السنة مادة للأصوليين والفقهاء الذين يهتمهم أقواله - ﷺ - وأفعاله، وتقريراته، التي تؤخذ منها الأحكام الشرعية. أما الحديث فهو مادة المحدث الذي يثبت النصوص كما جاءت، وقد لا يعنيه ما تحتويه النصوص من أحكام دقيقة واستنباطات فقهية^(٥). على أن علي القاري يقول: إن السنة أعم من الحديث؛ وذلك أن الحديث خاص بقوله وفعله، والسنة تشمل الأقوال والأفعال والتقريرات والصفات والسكنات والحركات في اليقظة والنام والهم وعلى هذا فالسنة أعم من الحديث^(٦). قال محمد أديب صالح: "وأنت ترى ما ذهب إليه المحدثون من الترادف بين الألفاظ الثلاثة، هو الذي يتسق مع المعنى اللغوي؛ فإن

(١) القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٨٥. وانظر أيضاً: الندوي، تقي الدين، أعلام المحدثين ومآثرهم العلمية، نقله إلى العربية السيد جاويز أحمد للندوي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٢١.

(٢) عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر المعاصر، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٨.

(٣) سعيد، همام عبد الرحيم، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ١١ - ص ١٢.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، تكملة الزاوي شرح تقريب النواوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون [بدون طبعة وتاريخ نشر]، ج ١، ص ٣.

(٥) سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص ١٢.

(٦) الصديقي، ساجد الرحمن، المعجم الحديث في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١١.

النسب واضح بينهما. ولكن ما أراده الآخرون اصطلاحاً للتيسير وعدم الالتباس، ولا مشاحة في الاصطلاح^(١).

ثم دلل على ما ذهب إليه بقوله إن السيوطي قال: يقال: أثرت الحديث بمعنى: رويته، ويسمى المحدث أثرياً بالنسبة للأثر. ثم قال: ولعل هذا ما عناه أمثال الطحاوي الذي سمي كتاباً له "شرح معاني الآثار" كما أسمى كتابه الآخر "مشكل الآثار". والكتابان في الحديث، وأحاديثهما منها المرفوع إلى الرسول - ﷺ - ومنها الموقوف على الصحابي، والمقطوع الذي وقف به على التابعي^(٢).

قلت: أضف إليه كتاب ابن حجر وشرحه المسمى "تخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر"، ثم إن قرائن الرواية عن الرسول - ﷺ - والصحابة، والتابعين، تعين وتحدد المقصود والمراد من هذه المصطلحات، ومن هنا فالسنة، والحديث والأثر، والخبر ما سنه الرسول - ﷺ - وحدث به وأخبر به وأثر عنه وعن الصحابة والتابعين. فإذا اجتمعت هذه المصطلحات افتترقت في المعنى، وإذا افتترقت اجتمعت^(٣).

وبعد فقد درست هذا الفصل من خلال المباحث التالية: الصحبة مفهومها وكيفية معرفتها وثمرتها الخلاف فيها، أصول المنهج العلمي للرواية في الإسلام وقبله، وهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعليم وآداب وأساليب الصحابة في التعلم والتعليم، كيفية تحمل الحديث وروايته، وطرق الصحابي في معرفة الشرع.

المبحث الأول

التعريف بالصحبة، وكيفية معرفتها، وثمرتها الخلاف فيها

تمهيد

الصحابة قوة المسلمين بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - حملوا لواء العلم والجهاد، لذا فإن معرفة الصحابة علم كبير عظيم الفائدة يعرف به الحديث المتصل من المرسل، ويحكم لمن عُرف بأنه من الصحابة بالعدالة. لذلك درست هذا المبحث من خلال المطالب التالية: مفهوم الصحبة، وكيفية معرفتها، وثمرتها الخلاف فيها.

المطلب الأول: تعريف الصحبة لغة واصطلاحاً

أ. الصحبة لغة:

الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنته شيء ومقاربتة من ذلك الصاحب والجمع الصُحب ومن الباب أصحب فلان إذا انقاد وأصحب الرجل إذا بلغ ابنه^(٤)، والصحبة: مصدر صَحَبَ: يصحب، مُصاحبة، وأصل الصَّحبة والمصاحبة هي الملازمة،

(١) صالح، محمد أديب، لمحات في أصول الحديث، ط٢، ١٣٨٩هـ، ص٤٤.

(٢) صالح، لمحات في أصول الحديث، ص٤٤.

(٣) هاشم، الحسيني عبد المجيد، أصول الحديث النبوي علومه ومقاييسه، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٢٥.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٦١.

والصاحب: الملازم، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة. ولا يقال في العرف، إلا لمن كثرت ملازمته^(١).

قلت: مما سبق يظهر أن المعنى اللغوي للصحبة يدور حول الانقياد، والمرافقة، والملازمة مع ما يصحبها من تأثير كل طرف في الآخر سواء أكان سلباً أم إيجاباً.

ب. الصحبة اصطلاحاً:

يطلق لفظ الصحابي في اصطلاح العلماء على كل من حاز شرف العيش معه أو اكتسبت عيونه بالنظر إليه - ﷺ - وعلى ضوء ذلك يمكن تعريف الصحبة على الرأي الرائج بما يلي :

هوكل من لقي النبي - ﷺ - مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ردة في الأصح^(٢). وهو تعريف الحافظ ابن حجر.

المطلب الثاني: كيفية معرفتها

تعرف الصحبة بأمور:

الأول : التواتر الذي يقطع به لكثرة الناقلين أن فلاناً من الصحابة، كابي بكر وبقيّة العشرة المبشرين بالجنة .

الثاني: الشهرة والاستفاضة القاصرة عن التواتر، كضمام بن ثعلبة.

الثالث: أن يروى عن أحد الصحابة أنه صحابي.

الرابع: أن يخبر هو نفسه عن نفسه بعد ثبوت عدالته أنه صحابي.

قلت: مما تقدم تبين لنا أن طرق إثبات الصحبة: منها ما هو قطعي ثابت بطريق العلم، ثبتت صحبته بنص القرآن الكريم، أو الخبر المتواتر، ومنها ما هو ظني ثابت بطريق الظن، فهو من ثبتت صحته بالخبر المشهور، أو الأحاد، أو بقرينة من القرائن^(٣).

المطلب الثالث: أثر الخلاف في معنى الصحبة وثمرته

اختلف العلماء من محدثين، وفقهاء، وأصوليين في تحديد مفهوم الصحابي لكن هل الخلاف فيه خلاف لفظي فلا يترتب عليه أثر في الأحكام الشرعية أم أن الخلاف فيها خلاف معنوي فيترتب عليه أثر؟ خلاف بين العلماء على قولين:

القول الأول: ذهب إليه الأمدي وابن الحاجب وغيرهما وقالوا إن الخلاف فيه خلاف لفظي. قال الأمدي: "والخلاف في هذه المسألة آيل إلى النزاع في الإطلاق اللفظي"^(٤). وقال

(١) البستاني، بطرس، محيط المحيط: مطابع مؤسسة جواد، ١٩٨٣م، ص ٤٩٨.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي المسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، إطف: بدون، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٩.

(٣) الكبيسي، صحابة رسول الله - ﷺ - في الكتاب والسنة، ص ٩٨ - ص ٩٩.

(٤) العلاني، رسالتان في الصحابة، ص ٤٧.

ابن الحاجب: "والحق أن المسألة لفظية وإن ابتنى عليها ما تقدم من عدالة الصحابة"^(١). وقال: ابن الساعاتي: "والنزاع لفظي"^(٢).

القول الثاني: وذهب الزركشي والشوكاني، وابن الهمام، وأمير بادشاه البخاري وغيرهما من الأصوليين إلى أن الخلاف في هذه المسألة خلاف معنوي، يترتب عليه آثار عديدة، وأنه لا وجه لما قاله الأمدي وابن الحاجب في المسألة من أن الخلاف لفظي. قال ابن الهمام وأمير بادشاه البخاري، بعد أن بيّنّا ما ما يبنى على هذا الخلاف: "ولولا اختصاص الصحابي بحكم شرعي وهو عدالته، لأمكن جعل الخلاف في مجرد الاصطلاح، أي تسميته صحابياً، كما ذكره ابن الحاجب، ولا مشاحة فيه، أي في الاصطلاح المذكور، يفيد أنه معنوي"^(٣).

القول الرابع: أقول: والذي أميل إليه وأرجحه هو القول الثاني في هذه المسألة. وذلك؛ إن الخلاف خلاف في المعنى ترتب عليه آثار وأحكام شرعية كثيرة سنذكرها في ثمرة الخلاف وعلى رأسها عدالة الصحابة.

أما ثمرة الخلاف فقد ترتب عليها الخلاف في تحديد مفهوم الصحابي عند المحدثين، والفقهاء، والأصوليين ما يلي:

أولاً: شرف الصحبة: فعند الأصوليين: أنه لا يستحق اسم الصحبة وشرفها إلا من طالت صحبته للنبي - ﷺ -، وأما من قصرت صحبته فلا يستحق اسم الصحبة. وأما المحدثين: فيستحق اسم الصحبة وشرفها كل من رأى النبي - ﷺ -، وأمن به بالشروط التي ذكرت سابقاً، طالت صحبته أم قصرت^(٤).

ثانياً: عدالة الصحابة: فالصحابية كلهم عدول، طالت صحبته أم قصرت، ولا يسأل عن عدالتهم، ولا يحتاجون إلى تزكية، ولا يخضعون للجرح والتعديل.

قال محمد المحلاوي الحنفي: ويترتب على هذا الخلاف: أن من استحق إطلاق اسم الصحابي عليه لا يبحث عن عدالته لما علم أن الصحابة كلهم عدول، ومن شرط في الإطلاق شروطاً - كطول الصحبة - مثلاً لا يطلب التعديل مع وجود الشرط، ويطلبه مع عدمه^(٥).

قال ابن الهمام: ويبنى عليه بثوت عدالة غير الملازم وعدم ثبوتها، فلا يحتاج إلى التزكية، كما هو قول المحدثين وبعض الأصوليين، أو يحتاج إلى التزكية، كما هو قول

(١) خميس، أقوال الصحابة ومدى حجيتها عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، ص ٢١٦.

(٢) ابن تغلب، أحمد بن علي بن الساعاتي، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق سعد بن غريب مهدي السلمي، نشر جامعة أم القرى، [ط: بدون]، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ ج ١، ص ٣٦٧.

(٣) الحسيني، محمد أمين أمير بادشاه الحنفي الخراساني البخاري المالكي، تيسير التحرير شرح على كتاب التحرير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٣، ص ٦٧.

(٤) الكبيسي، عيادة أيوب، صحابة رسول الله - ﷺ - في الكتاب والسنة، ص ٧٦.

(٥) المالكي، رسالتان في الصحابة، ص ٤٧.

جمهور الأصوليين^(١). وسيأتي الحديث عن عدالة الصحابة - ﷺ - في فصل شبهات مشاركة المنافقين في رواية الحديث .

ثالثاً: الحكم على ما رواه عن الرسول - ﷺ - بكونه يعد مرسل صحابي أم لا؟ فالجمهور يرى قبول مراسيل الصحابة خلافاً لأبي إسحاق الأسفراييني وابن القطان. فإذا ثبت بمجرد الرؤية كونه صحابياً التحق مرسله بمثل ما روى ابن عباس والنعمان بن بشير وأمثالهما، وإن لم نعطه اسم الصحبة كان مرسل تابعي، فيعرف المتصل من المرسل.

رابعاً: إن الصحابي - ﷺ - إذا بلغ درجة الاجتهاد وصار مجتهداً، أو نقلت عنه فتاوى حكمية هل يلتحق ذلك بكونه قول صحابي حتى يكون حجة أم لا؟^(٢). قلت: ذلك عند من يرى حجيته.

هذه هي الآثار المترتبة على خلاف العلماء من محدثين، وفقهاء، وأصوليين في تعريف الصحابي، وقد أشارت ودلت بوضوح على أن الخلاف في هذه المسألة هو خلاف معنوي؛ لأن هذه الآثار قد تناولها علماء الأصول بالشرح والتفصيل وخصصوا لها مباحث مستقلة في هذا الفن^(٣)، قلت: وهذا هو القول الراجح في نظري لوضوح وقوة أدلته.

المبحث الثاني

تحميل الصحابة للحديث وأدائه، أصوله، آدابه، طرقه

تمهيد

الرؤية في الإسلام تعد موضع الأحكام الشرعية لمعرفة الحلال والحرام، والتساهل بشيء منها بالزيادة والنقصان يؤدي إلى الخلل والتحريف والتبديل والتغيير وهو الأمر الذي يرفضه المسلمون ويتفاداه رواة الإسلام وفي مقدمتهم وعلى رأسهم صحابة رسول الله - ﷺ - الذين نقلوا القرآن العظيم نقلاً متواتراً بحيث يفيد القطع واليقين في نسبته إلى الله تعالى، كما حرصوا أشد الحرص على حفظ حديث رسول الله - ﷺ - من خلال تحمله وأدائه إلى من بعدهم من التابعين بكل صدق وأمانة، وتشددوا في رواية الحديث ونقله إلى من بعدهم مما أدى إلى إيجاد الأصول والقوانين، والقواعد والشروط الدقيقة التي وضعوها لنقل حديث رسول الله - ﷺ - وتبليغه^(٤).

كما اهتم الصحابة - ﷺ - ومن بعدهم بتصحيح الأخبار والتثبت فيها ونقدها من جهة السند والمتن كما مر معنا. وامتازت الرواية في الإسلام بدقة الضبط والتحري من حيث صدقها ومطابقتها للواقع والحق المبين ومن حيث اتصالها بالسند المنقول بواسطة العدول

(١) الحسيني، تيسير التحرير شرح على كتاب التحرير، ج ٣، ص ٦٧.

(٢) الزركشي، بدر الثين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، قام بتحريره عمر سليمان الأشقر ولخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ج ٤، ص ٣٠٣.

(٣) خميس، أقوال الصحابة ومدى حجيتها عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، ص ٢١٨.

(٤) الأهدل، مصطلح الحديث ورجاله، ص ٣٣.

الضابطون من أوله إلى منتهاه، أي: حتى يصل به إلى رسول الله ﷺ، وكانت العناية بالإسناد ونقد الرواة كبيرة إذ به يعرف صحيح الحديث من سقيمه وبالتالي يعرف الحديث المقبول من المردود.

لذا فإني درست هذا المبحث من خلال المطالب التالية: مفهوم المنهج وأهميته وضرورياته، والرواية مفهومها وأركانها و شروطها وأقسامها وأهميتها، وأصول المنهج العلمي للرواية في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

المطلب الأول: المنهج النبوي: مفهومه، أهميته، ضرورياته

أ. المنهج اصطلاحاً:

يعرف المنهج بأنه: "خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر يتبعها للوصول إلى نتيجة"^(١).

والمنهاج النبوي: هو الطريق الواضح السهل الذي سلكه النبي - ﷺ - في تعليمه للصحابه. وهو صالح لكل زمان ومكان، لأنه منهج رباني المصدر والغاية. وعرقه الطيب برغوث: "بالكيفيات العملية المنظمة التي كان النبي - ﷺ - يعرض بها الإسلام على الناس، ويواجه مشكلات الواقع والدعوة، ويحرك بواسطتها الأحداث من حوله بما يضمن حماية المحتوى الرسالي لدعوته، ويحافظ على منجزاتها، ويحقق أهدافها في الخلق"^(٢).

ب. أهمية المنهج:

يعود سبب أهمية المنهج النبوي وضرورة وجوب العمل به إلى أسباب عديدة منها:

١. الاقتداء به - ﷺ - في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

٢. الإتيان للأمر، أي الأخذ بما جاء به - ﷺ - والانتفاء عما نهى عنه.

٣. طلب محبة الله جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وتسمى

هذه الآية آية المحبة، فكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

٤. العصمة من الضلال: قال رسول الله ﷺ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أُمَرَاءَ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ"^(٣).

٥. العصمة من الخطأ: مما لا شك فيه أن إتيان منهجه - ﷺ - الذي عصمه الله تعالى من الشرك والضلالة يعصم الداعية من الخطأ والنقص في العلم والفهم.

(١) مرعشي، نديم وآخرون، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، [ط: بدون]، ١٩٧٠م، ص ١٢٠٩.

(٢) خلف الله، سلمان، منهج النبي - ﷺ - في التعامل مع الناشئة، بيت الأفكار الدولية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ٢٩.

(٣) الأصحبي، الموطأ، ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم ٢٨٨٣، ج ٢، ص ٣٢٤.

٦. الشمول: فمنهاجه - ﷺ - منهاج شامل وكامل، لجميع مراحل العمر ونواحي الحياة^(١)، ولكل زمان ومكان، يستقصي جميع القضايا علماً وعملاً وفكراً وسلوكاً.

٧. منهج مسدد بالوحي في منطلقاته وأهدافه، وأصوله وثوابته، وفي أسسه ومرتكزاته.

٨. منهج يُعلم المسلم كيف يتعامل مع الواقع بالمعرفة الدقيقة والعميقة وبالفحص الدقيق لاستقراء المناط الحقيقي لينتزل عليه حكمه الصحيح لإصابة الحكم الشرعي المطالب به إزاء هذا الواقع.

ج. ضروريات المنهج:

من ضروريات هذا المنهج: أن يعلم أن النبي - ﷺ - كان يتلقى الوحي من ربه جلّ وعلا، ويسير في كل دعوته على منهج قنّره الله تعالى له، وهياً له سلوكه، وأحكم أسبابه، وفق حكم بالغة قد لا يستطيع بعضنا اكتشاف بعضها، فضلاً عن إدعاء موافقتها^(٢).

وقد ارتسم الصحابة - رضوان الله عليهم - تلك الخطى متابعين سيرها التدريجي المحكم، مراعين تغير وسائل وأدوات العصر من ناحية، ومع البعد عن التغير الحرفي المنحرف لمفهوم المرحلة من ناحية ثانية. فراحوا يرتسمون ويسندون ويقاربون وفق الأصول الكلية والقواعد التأصيلية التي تعلموها من معلمهم الأول محمد - ﷺ - معترفين على أنفسهم ومن هو على شاكلتهم بأنهم يحرصون كل الحرص على معرفة تعاليم السّنة^(٣)، من عقيدة وشريعة. كما يضبط السلوك ويحكم الحركة أثناء التعامل مع واقع الأمر وحقائق الأشياء.

ولقد بلغ من سمو السّنة وشمولها أنها جذبت أنظار أعداء الإسلام، فراحوا يراقبونها وما جاءت به، فهذا مشرك يعترف وينطق ويقر بشمول السنة لكل أمور الحياة، فعن سلمان: "أنه قيل له قد علمكم نبيكم - ﷺ - كل شيء حتى الخراء؟ قال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"^(٤).

قلت: وانظر إلى قوله: "لقد علمكم نبيكم كل شيء" تجد أنها تدل على تتبع هؤلاء لأمر السّنة واعترافهم بشمولها لكل أمور الحياة.

(١) خلف الله، منهج النبي - ﷺ - في التعامل مع الناشئة، ص ٢٩.

(٢) عبد الهادي، عبد المهدي بن عبد القادر، السّنة النبوية مكانتها وعوامل بقائها وتكوينها، دار الاعتصام، [ط: بدون]، [تاريخ النشر، بدون]، ص ٦٦ - ص ٦٧.

(٣) أمزون، محمد، منهج النبي - ﷺ - في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ١١ - ص ١٤.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم ٥٢٧، ص ١٤٣.

المطلب الثاني: الرواية: مفهومها، أركانها، شروطها، أقسامها.

- أ. الرواية في اصطلاح المحدثين: هي حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزي إليه^(١) بصيغة من صيغ الأداء كحدثنا وأخبرنا وسمعت وعن ونحوها^(٢).
قلت: والعلاقة بين المعنى الاصطلاحي عند المحدثين والمعنى اللغوي ظاهرة وبيّنة.
أما الراوي فهو: من حمل الحديث وأداه بصيغة من صيغ الأداء^(٣).
ب. أركان الرواية: اهتم علماء الحديث بالرواية والراوي والمروي عنه، ونظروا إلى أمرين هامين هما ركنا الرواية المتلازمين الذي لا يتحقق الرواية إلا به، وهذان الأمران هما تحمل الحديث وأدائه، ولهما طرق وشروط وسيأتي بيان وتوضيح ذلك تفصيلاً في مبحث طرق تحمل الصحابة للحديث وأدائه^(٤).
ج. شروط الرواية: وشرطها: تحمل راويها لما يرويه بطريق من طرق التحمل الثمانية المعتمدة عند أئمة النقل وهي: السماع، والعرض، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والأعلام، والوصية، والوجادة^(٥).

هـ. أقسامها: من حيث:

١. الاتصال والانقطاع:

- أ- المتصلة: أن يكون كل راوٍ سمع ممن فوقه مباشرة وروى عنه حتى يصل الرسول ﷺ.
ب- المنقطعة: ما فقدت حلقة أو أكثر من الإسناد.
والطريق لمعرفة الرواية كونها متصلة أم منقطعة هو معرفة علم تواريخ الرجال من حيث المولد والوفاة ومعرفة الرحلة، والمعاصرة ولقيا بعضهم بعضاً.

٢. الرواية باللفظ والمعنى:

- أ- الرواية باللفظ هو تأدية الراوي المروي على لفظه الذي سمعه من غير تحريف ولا تغيير.

- ب - الرواية بالمعنى: هو تأدية الراوي لمروياته بالفاظ من عنده كلاً أو بعضاً مع المحافظة على المعنى بحيث لا يزيد ولا ينقص منه شيئاً^(٦).

و. أهمية الرواية:

تظهر أهمية الرواية في الإسلام بما يلي:

(١) عتر، نور الدين، معجم المصطلحات الحديثية، ترجمة وصاغه إلى الفرنسية عبد اللطيف التيرازي الصباغ وداود عبد الله كريل، دمشق- سوريا، مطبعة جامعة دمشق، [ط: بدون]، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ٤٧.
(٢) أبو شعبة، محمد محمد، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٣٩.
(٣) علي، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، ص ٢٨٠.
(٤) صالح، محمد أنيب، لمحات في أصول الحديث، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ص ٣٤٠.
(٥) هاشم، أصول الحديث النبوي علومه ومقاييسه، ص ٩٩.
(٦) أبو شعبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ص ٤٠.

١. الرواية هي طريق الوصول إلى علم النبي - ﷺ - وأحواله وسننه وأيامه . أي: هي الطريق إلى معرفة الأحكام الشرعية.

٢. الرواية بالسند المتصل لرسول الله - ﷺ - خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية^(١).

وقد جاء عن الإمام مالك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

قال: قول الرجل حدثني أبي عن جدي، وقال الخطيب: طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها^(٢). ولأهمية الرواية، فقد تمناها كثير من الخلفاء، وغير المحدثين من العلماء. وكفى أهل الرواية قدراً أن اسمهم مقترن باسم رسول الله ﷺ، وأنهم وإن كانوا في سلسلة هم في آخرها، فإن في مقدمتهم رسول الله ﷺ^(٣).

المطلب الثالث: أصول المنهج العلمي للرواية في القرآن الكريم والسنة الشريفة

لقد قررت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أصولاً علمية كانت المنارة التي أضاعت للصحابه والتابعين من بعدهم الطريق القويم لصيانة الرواية وأداء الحديث على الوجه الصحيح المعتبر كما يُسمع من الرسول - ﷺ - وهذه الأصول ذات أهمية عظيمة وكبيرة لخطورة موقعها، ولما أن دلالة النصوص عليها ظاهرة وبيّنة، ومع شدة وضوحها وظهورها فقد غُفِلَ عنها وعن موقعها المهم في تأصيل قواعد الرواية والنقل الصحيحين^(٤). لذلك كان للمنهج العلمي في الرواية أصولاً في الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة نلخصها ونوردها فيما يأتي:

أ. تحريم الكذب ووجوب الصدق.

وهذا يعني فرض الأمانة العلمية، كما يعبر به اليوم، وتحريم الخيانة العلمية^(٥). ولخطورة الكذب في الرواية، جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ظاهرة في الزجر عنه وتغليظ حرمة^(٦)، حيث شدد القرآن الكريم والسنة الشريفة في النهي عن الكذب، حتى جعلته من أخلاق وصفات غير المسلمين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا

(١) علي، عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٨٠.

(٢) علي، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، ص ٢٨١.

(٣) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، شرف أصحاب الحديث، ضبط نصه وخرج لأحاديثه وأثاره أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٤) عتر، نور الدين، السنة المطهرة والتحديات، دار المكي، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ١٥ - ١٨، وانظر النعيمي: حمزة أبو الفتح بن حسين بن قاسم، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، دار النفائس - الأردن، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٧ - ٩. وانظر أيضاً بقاعي: علي نايف، مناهج المحدثين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، دار البشائر الإسلامية، بيروت: لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٤٨ - ٥٠.

(٥) عتر، السنة المطهرة والتحديات، ص ١٦.

(٦) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٧.

الله ﷻ (النحل: ١٠٥)، وأما السنة النبوية فقد جاء فيها قوله ﷺ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(١). فهذا الحديث حديث متواتر رواه بضعة وسبعون صحابياً^(٢).

ب. النهي عن نقل الكذب وتحريمه.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ومنه قوله ﷺ: "مَنْ حَدَّثَ عَلَيَّ حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَافِرِينَ"^(٣)، فهذا أصل يدل على مدى دقة الاحتياط الواجب في نقل الأخبار، وفيه تحذير شديد للهجة من مسؤولية الرواية، يوجب على كل من سمع حديثاً أن يتوقف ولا يرويه حتى يتبين ويتثبت، ويأخذ بالاحتياط، وهذا الأصل أيضاً يتناول تحريم نقل الأخبار التي تخشى أن تكون مختلقة ومصنوعة، وفي هذا وقاية عظيمة للمجتمع الإسلامي من الإشاعات المغرضة والهدامة، وذلك بقطع الطريق على الأعداء من أن يشيعوا الأكاذيب والأباطيل بين المسلمين، وأن يغسلوا أدمغة الناس، ويحشوها بالأفكار الهدامة والفسادة، وبالأقاويل والأباطيل^(٤).

ج. التوقف في خبر الفاسق وعدم الاعتماد عليه منفرداً^(٥).

وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِ مَا فَعَلْتُمْ تَرْدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦). فدللت الآية على وجوب التبين والكشف عن خبر الفاسق. وهنا نلاحظ أيضاً أن القرآن الكريم أوجب علينا التوقف في خبر الفاسق وعدم الاعتماد عليه منفرداً، حتى يتبين صحته من طرق أخرى، فتكون العمدة على تلك الطرق^(٦)، ونلاحظ أيضاً: أن هذه الآية تدل على أن الفاسق مردود الرواية؛ لأنه متهم لجراته على المعصية.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٦، ص ٣٣.

(٢) السيوطي، تكريب الراوي في شرح تقريب الثوابي، ج ٢، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المقنعة، باب من حدث عن رسول الله ﷺ - حديثاً وهو يرى أنه كذب، حديث رقم (٤١)، ص ٢٢، وقال الألباني، صحيح.

(٤) عتر، السنة والتحذيرات، ص ١٨.

(٥) بقاعي، مناهج المحققين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، ص ٤٩.

(٦) عتر، السنة المطهرة والتحذيرات، ص ١٦.

هـ . اشتراط العدالة في قبول الخبر^(١)

وهو من الأصول المقررة في الشريعة الإسلامية الغراء بلا خلاف^(٢)، وهذا يبينه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ﴾ (الطلاق: ٢). وفي هذا يقول مسلم بن الحجاج: "قل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة. والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة من بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيها"^(٣). ومنه قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، فهذا وإن كان في الظاهر بالأموال، فإنه يدل بطريق الأولى على اشتراط ذلك في الرواي للحديث الشريف، لأنه يشهد على الله تعالى وعلى رسوله - ﷺ - بما ينقل^(٤). قال أبو عيسى الترمذي: "لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال"^(٥)، وعن بهز بن أسد قال: "لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحدته لم يستطع أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول"^(٦). ومن هنا كان الحث على السماع والإسماع، والرواية عن العدول فقط فكان علم الإسناد.

قلت: لا بد من العدالة التي ثمرتها الصدق في الرواية وعدم الكذب.

و . النهي عن التكلم بالظن ووجوب التثبت.

فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنَّهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨)، ومن السنة: ما ورد عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "يَأْكُمُ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"^(٧). وكل هذا التحري وجميع هذه الأصول حصلت من قبل الصحابة - رضوا - خشية الوقوع في الخطأ في الرواية، وحرصاً على الضبط والإتقان حيث التحمل والأداء^(٨).

(١) بقاعي، مناهج المحدثين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، ص ٥٠.

(٢) عتر، السنة المطهرة والتحديثات، ص ١٧.

(٣) التشنيري، مقدمة مسلم، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، ص ٢١.

(٤) عتر، السنة المطهرة والتحديثات، ص ١٧.

(٥) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، شرح علل الترمذي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ١، ص ٣٤٨.

(٦) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، كتاب الجرح والتعديل، دار الفكر العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ج ١، ق ١، ص ١٦.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن الثخاسد والتدابير وقوله تعالى: ﴿وَرَيْنَ شَكْرًا حَاسِدًا إِذَا حَكَكَ﴾ سورة الفلق: آية (٢٥١)، حديث رقم ٦٠٦٤، ص ١٢١٧ - ١٢١٨.

(٨) الأهدل، مصطلح الحديث ورجاله، ص ٣٧.

المبحث الثالث

هدي النبي - ﷺ - في التعليم وآداب الصحابة - رضي الله عنهم - وأساليبهم في التعلم والتعليم

تمهيد

المعلم الأول هو نبينا محمد - ﷺ - ومع أنه كان أمياً، إلا أن الله علمه من لدنه علماً عظيماً ربانياً، فعلم أمته وهداها وربّاه، وخرّج من مدرسته نماذج رفيعة من القادة والمجاهدين والمربين، وصار قدوة لمن أراد أن يكون معلماً من بعده^(١). ومن الرائع هنا أن المعلم الأمي في هذه الأمة الأمية، كان أول من مجّد "القلم" وعمل على إشاعة القراءة والكتابة، ومحو الأمية بين أتباعه، بكل سبيل^(٢). ولعلنا نستطيع القول بنوع من التجاوز: أن أول مدرسة في الإسلام هي تلك المدرسة التي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة، ولما ضاقت دار الأرقم بالصحابة، انتقل بهم إلى المدينة المنورة، حيث أنشأ المدرسة داخل مسجده حيث علم وربى فيها الرسول - ﷺ - أصحابه تربية لم تتوافر في تاريخ البشرية، بالرغم من أنه ترك بعده المصدرين الأساسيين للدعوة والتربية، وهما كتاب الله وسنته - ﷺ - هذا بالإضافة إلى سيرته العطرة^(٣).

لذلك فإني درست هذا المبحث من خلال المطالب التالية: الهدى النبوي في التعليم، أدب الصحابة في التعلم والتعليم، وأساليب الصحابة في التربية والتعليم.

المطلب الأول: الهدى النبوي في التعليم

القرآن الكريم والحديث الشريف للرسول - ﷺ - كتابان أساسيان في التربية والتعليم يمكن للمرء أن يستخرج منهما أصولاً تربوية، ويستنبط حقائق النفس البشرية، ويصل إلى القواعد والأسس الأساسية لأساليب التعليم^(٤). فدار الأرقم بن أبي الأرقم ومسجده في المدينة المنورة هي المدرسة الأولى، والرسول - ﷺ - هو المعلم الأول للناس والبشرية جميعاً، على أمانة وبيئته الصحراوية^(٥). والصحابة - رضي الله عنهم - هم تلاميذها. أما مقرراتها الدراسية فهي كتاب الله تعالى وسنة رسول الله - ﷺ - وهدفها هو تخلص البشرية من الظلمات إلى النور.

(١) الخالدي، صلاح، أساليب المعلم الأول ووسائله في التربية والتعليم، رسالة المعلم، وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية، المجلد (٤٧)، العدد الثاني، ص ١٣.

(٢) القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٤٠.

(٣) محجوب، عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عالم الكتب الحديث، [ط: بدون]، ٢٠٠٧، ص ٨.

(٤) جلال، عبد الفتاح، من الأصول التربوية في الإسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، ١٩٧٧م، ص ٧.

(٥) أبو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٨.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) ومن الآية السابقة يتبين لنا أن المهمة والرسالة الأولى للنبي - ﷺ - هي التربية والتعليم، وحدد مهمته التربوية والتعليمية بأساليب ثلاثة:

١. تلاوة آيات القرآن الكريم عليهم، وهذه التلاوة تهيئهم، وتعدهم لتلقي مضمون هذه الآيات وحقائقها ومعانيها.

٢. تركيبتهم وتطهيرهم من الرذائل والنقائص، والمعاصي والذنوب، وتربيتهم على الفضائل، وتوجيههم إلى المعالي، وتعمق معاني الخير والعدل والحق والجمال، وتحولهم إلى أفراد فاعلين إيجابيين.

٣. تعليمهم الكتاب والحكمة، وهذه تأتي مرتبة بعد التلاوة والتهيئة، والتركيب والتربية، فيكون هذا التعليم مفيداً نافعاً، لأن الذي يتعلم هو الذي أعدّ وهبى وزكى وربى، وبهذا يتفاعل مع ما يتلقى من الحقائق والقيم التعليمية، المأخوذة من الكتاب الأول، كتاب الله تعالى الكتاب العلمي والتعليمي الأول^(١).

فالرسول - ﷺ - كان المعلم الأول الذي أرسله الله إلى البشرية ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها. وكان المطبق الأول لتعاليم السماء والمنهج الإلهي سائراً على الأرض^(٢). وقد أخبر الرسول - ﷺ - عن نفسه فقال: " إِنْ اللَّهَ لَمْ يَنْعَتْنِي مُعَلِّمًا وَلَا مُتَعَلِّمًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُسَرًّا"^(٣). ولهذا وصفه أحد الصحابة - ﷺ - بقوله: "ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه"^(٤). وقد كان من عادته ومنهجه - ﷺ - دائماً الترحاب بالمتعلم وتوثيق العلاقة معه، بحيث يكون له أكبر الأثر في إقبال المتعلم على ما يلقى معلمه من علم أو رغبة عنه وعدم إقبال عليه، وهذا ما كان ما يفعله الرسول ﷺ، وفي هذا يقول صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه: " أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ مُتَكَيِّ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ لَنَحْفَظَ الْمَلَائِكَةُ وَنُظْلَهُ بِأَجْنَحَتَيْهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ، فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟"^(٥).

(١) الخالدي، أساليب المعلم الأول ومثاله في التربية والتعليم، مجلد (٤٧)، المند الثاني، ص ١٣ - ١٤.

(٢) محجوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، ص ٨.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَقَلَّظَتْهَا غَلِيظٌ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، سورة التحريم، آية رقم ٤، حديث رقم ١٤٧٥، ص ٣٧٤.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم ٥٣٧، ص ١٣٠.

(٥) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، معجم الطبراني الكبير، [إدار النشر: بدون]، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ج ١، ص ٦٣ - ٦٤. وقال في المجمع، ج ١، ص ١٣، ورجاله رجال الصحيح.

ولقد خرج الرسول - ﷺ - جيلاً قرآنياً فريداً، وحول أمته الأمية من أميين لا علم عندهم ولا معرفة إلى معلمين مربين، أساتذة العالم في التربية والتعليم، وذلك في أقل من ربع قرن من الزمان، مما استحق به لقب "المعلم الأول" ﷺ^(١). وقد سلك الرسول - ﷺ - المنهج التطبيقي الذي يترجم فيه الواقع العملي، فقد ورد في قوله ﷺ: " وَلَكِنْ بَعَثْنِي مُعَلِّمًا مُبَسِّرًا"^(٢)، فهنا يشير إلى المربي الذي يحول الشروح النظرية إلى واقع تطبيقي عملي، فهو منهج شامل وكامل لجميع مراحل العمر ونواحي الحياة، وصالح لكل زمان ومكان^(٣)، وعلى هذا فلا بد من بيان أساليب المربي الأول والمعلم الرباني رسول الهدى - محمد ﷺ - ففي هدية منارة وبياناً لكل هادي^(٤). وهنا أشير إلى أهم أساليبه التعليمية الناجحة وهي:

أ. أسلوب المحاورة:

وهو: "أن يتبادل الحديث طرفان أو أكثر في موضوع واحد وهدف واحد للوصول إلى نتيجة واحدة". وفائدته: يفاظ العواطف مما يساعد على تربيتها وتوجيهها، وفيه إغراء للسامع والقارئ بالمتابعة للوصول إلى نتيجة معينة أو كشف حقيقة معينة، وفيه خلق لروح المنافسة والمناقشة مما يؤدي إلى التفكير الناقد وترسيخ المعلومة في الذهن^(٥). ومثاله: "أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا أَلَوْنَهَا قَالَ حُمْرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزَقٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَتَى ذَلِكَ قَالَ لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ قَالَ فَعَلَّ ابْنُكَ هَذَا نَزَعَهُ"^(٦).

قلت: يتضح ويتبين مما سبق أن الحوار أسلوب تربوي هدفه الوصول إلى الحقيقة.

ب. أسلوب إثارة السؤال:

السؤال أسلوب تربوي، وكثيراً ما كان يستخدمه الرسول - ﷺ - إيماناً منه بأهمية السؤال وقيّمته التعليمية لينثير اهتمام أصحابه وشوقهم إلى الجواب، وهم في غاية الاستعداد والانتباه، فالقاء السؤال من إحدى طرق التعلم والتعليم في تبادله بين المعلم والمتعلم^(٧). ومثاله: ما رواه مجاهد أنه قال: " صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا حَبِيثًا وَاحِدًا قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَتَانِي بِجُمَارٍ فَقَالَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مِثْلَهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ فَأَرَنْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ... الحديث"^(٨).

(١) الخالدي، أساليب المعلم الأول ووسائله في التربية والتعليم، المجلد (٤٧)، العدد الثاني، ص ١٤.

(٢) القيشري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخبرهن، وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَقَلَّظَتْ رَأْسًا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَخِزْيَلُ الْمَوْتِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ سورة التحريم، آية رقم ٤، حديث رقم ١٤٧٥، ص ٣٧٤.

(٣) خلف الله، منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، ص ٦٧.

(٤) المحبلي، بدر حمد، مقدمة في الفكر التربوي الإسلامي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٦١ - ٦٢.

(٥) خلف الله، منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، ص ٦٨.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، حديث رقم ٥٣٠٥، ص ٧٥٨.

(٧) بني عامر، محمد راشد، التربية الإسلامية أهدافها وأسسها الفكرية وأساليبها، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، ٢٠٠٨ م، ص ٩٥.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، حديث رقم ٧٢، ص ١٨.

ج. أسلوب ضرب المثل:

كان الرسول - ﷺ - يضرب الأمثلة لتقريب الفكرة إلى أذهان وعقول السامعين والمتعلمين، وهو أسلوب تربوي من الأساليب الإقناعية، التي هدفها إقامة الحجة والبرهان على من ضل عن الهدف الذي يرمي إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة وهو تحقيق العبودية لله^(١). قال ابن حجر: "وفي ضرب الأمثال والأشباه زيادة للإفهام، وتصوير للمعاني لترسخ في الذهن، ولتجديد الفكر في النظر في حكم الحادثة"^(٢).

مثاله: قول النبي ﷺ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْذَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بِدَنَّاكَ أَوْ تُؤَبِّكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً"^(٣).

د. أسلوب الموعظة:

قال ابن رجب الحنبلي عن الموعظة: سوط يضرب به القلب، فتؤثر فيه كتأثير السوط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده، لكن أثر التألم يبقى بعد الأثر بحسب قوته وضعفه، وكلما كان قوي الضرب قوي كانت مدة الألم أكثر. ولقد كان وعظة - ﷺ - على أرقى المستويات وأعلى الدرجات، فكان يأسر بوعظه قلوب السامعين، فإما من بعد وإما فداء وغاية الواعظ أن يصل بمن وعظه إلى كمال الخشية الحقيقية، التي تجتمع في وجل القلب، ودمع العين^(٤). ومثالها: ما جاء عن العرياض بن سارية قال: "صَلَّى يَنَّا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودَعٍ فَمَاذَا نَعْبُدُ إِلَيْنَا فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَأْتَهُ مِنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا... الحديث"^(٥).

ه. أسلوب القصة:

إنَّ للقصة تأثيراً بليغاً في نفس سامعها ومتلقيها لما فيها من تدرج في سرد الأخبار، وطرح للأفكار وتشويق في العرض، ممزوجة بعاطفة إنسانية. وقوامها الحوار والنقاش، وتصدر بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث بإطار يمنع العقل من التشتت وراء الأحداث، وتتدرج من موقف إلى آخر، بحيث تجذب السامع إلى التفاعل والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره، ثم

(١) جبار، سالم بن سعيد بن مسفر، الإقناع في التربية الإسلامية، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٩٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: في العطار وبيع المسك، حديث رقم ٢١٠١، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٤) فريد، أحمد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، الدار السلفية للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٥) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، ص ٥٠٤، وقال الألباني: صحيح.

يندمج فيما يسمع، فتصل به إلى الحبكة، ثم تتحل شيئاً فشيئاً، لذا استخدمه الرسول - ﷺ - لأنه
راه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف^(١).

مثالها: قصة الأبرص والأقرع والأعمى: فعن أبي هريرة - ﷺ - أنه سمع النبي -
ﷺ - يقول: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ... الْحَدِيث"^(٢).
و. أسلوب القدوة:

القدوة أسلوب تربوي وهي من أفضل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح^(٣)، والقدوة
لها تأثير كبير في الإنسان، لأن الطالب يقلد معلمه ومربيه، ومن هنا فعلى المربي إن أن
يتحلى بأفضل وأسمى الأخلاق، ليكون له تأثير في المتعلم، لذلك حرص الرسول - ﷺ - على
تربية أصحابه بالممارسة العملية، والتطبيق الفعلي، لذلك بعث الله محمداً - ﷺ - ليكون قدوة
للناس، قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"^(٤).

مثالها: ما رواه أبو هريرة - ﷺ - أنه قال: "قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ
الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَتَنَظَّرَ
إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ"^(٥).

ز. أسلوب الترغيب والترهيب:

الإنسان مفتور على الرغبة في الميزات والنعم، والرغبة من الآلام والحرمان،
فالترغيب هو: الحرص على الشيء والطمع فيه، وهو يعني التشويق والحث على فعل
الشيء^(٦)، والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة نتيجة اقتراف ذنب أو إثم^(٧). مثالها في الترغيب:
قوله ﷺ: "مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبَاسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَقْنَى شَبَابُهُ"^(٨). ومثالها في الترهيب:
قوله ﷺ: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"^(٩).

(١) مكاسب، عثمان قنري، التربية النبوية، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م من ص ١٤ - ١٥.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦٤، ص ٤٧٣.

(٣) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨٠.

(٤) بني عامر، التربية الإسلامية أهدافها - أسسها الفكرية - وأساليبها، ص ٥٩.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، حديث رقم ٥٩٩٧، ص ٨٣٨.

(٦) جبار، الإقناع في التربية الإسلامية، ص ١٢٤.

(٧) خلف الله، منهج النبي - ﷺ - في التعامل مع الناشئة، ص ٨١.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَكَ الْجَنَّةَ﴾

أَوْ يُشَوِّمُهَا بِمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ ﴿ سورة الأعراف، آية: ٤٣، حديث رقم ٢٨٣٦، ص ٧١٩.

(٩) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَكَ الْجَنَّةَ﴾

أَوْ يُشَوِّمُهَا بِمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ ﴿ سورة الأعراف، آية رقم ٤٣، حديث رقم ٢٨٤٢، ص ٧٢٠.

ح. أسلوب استخدام وسائل الإيضاح:

وهو أسلوب تربوي هدفه تقريب المعلومة إلى الأذهان بالوسائل المتاحة، وكلما أكثر المعلم من استخدام وسائل الإيضاح كان أكثر نجاحاً وأعم تأثيراً في عقول المتعلمين. ومن هذه الوسائل:

١. أسلوب الرسم على الأرض: ومثاله: ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "كنا جلوساً عند رسول الله - ﷺ - فخط بيده في الأرض خطاً أمامه، فقال: هذا سبيل الله عز وجل. ثم خط خطين عن يمينه^(١)، وخطين عن شماله، وقال: هذه سبل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط، وتلا قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فَأَتِيعُوا وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

٢. أسلوب الإشارة باليد: كان رسول الله - ﷺ - يجمع بين الكلام والإشارة باليد، فيسمع المتعلمون إلى كلامه والفاظه وينظرون إلى إشارات يده، فترسخ في عقولهم المعلومة. مثاله: ما رواه سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَقَالَ يَصْبِغُهُ السَّبَابَةُ وَالْوُسْطَى^(٢).

ط. أسلوب المحاكمة العقلية:

وهو أسلوب تربوي استخدمه الرسول - ﷺ - بحيث يحاور محدثه ويحدثه، ويتكلم معه بأناه وسعة صدر وحلم، ويخاطب قلبه، ويحاكم عقله، بحيث يوصله إلى النتيجة الحتمية، التي لا يمكن لعقله أو غيره أن يخالفها^(٣). ومثاله: ما رواه أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: "إِنَّ قَتْلَ شَابِئٍ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْتِنِي لِي يَالزُّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ائْتِنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أُنْحِيهِ لَأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ... الحديث^(٤).

ي. أسلوب التكرار والبطء:

وهو طريق من الطرق التي أخذ بها الرسول - ﷺ - في عدد وافر من الأحاديث الشريفة لحكم معينة وهي: لعدم وجود آلات تحفظ الصوت لتعيده فيما بعد، كما أن أدوات الكتابة لم تكن متوفرة أيضاً، وكذلك لعدم وجود مجلس محدد يعلم فيه الناس أمور دينهم،

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢٣، حديث رقم ١٥٧٧، ص ٤١٧، وقال محققه: حسن لغیره.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم ٥٣٠٤، ص ٧٥٨.

(٣) الخالدي، رسالة المعلم، ص ١٦.

(٤) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٦، حديث رقم ٢٢٢١١، قال المحقق: وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال صحيح.

ولمعرفته بالعرب الذين هم أغلبهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب فكيف يحفظون عن رسول الله - ﷺ - إلا بالتكرار^(١).

مثاله: ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: " رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَنْزَلَكَ وَالَّذِي عِنْدَ الْكَبِيرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ"^(٢).

ك. أسلوب الموعظة بالفعل أي: التطبيق العملي:

وكان من أساليبه - ﷺ - أن يتبع التطبيق العملي، أي النموذج الحي لزيادة الفهم^(٣).
مثاله: ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده "أن رجلاً أتى النبي - ﷺ - فقال يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ قَدْ عَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا... الحديث"^(٤).
ل. أسلوب القسم:

وهو من أشد أنواع التأكيد، وهو طريقة من طرائق الإقناع والوصول إلى إرضاء المخاطب والدخول إلى قلبه ونفسه، وإبعاد الشك عنه^(٥).

مثاله: ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصَيِّهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلْ عَلَيْهِ نَارًا فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - شِرَاكَ مِنْ نَارٍ أَوْ قَالَ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ"^(٦).

م. أسلوب التدرج:

من سنن الحياة الطبيعية في تناول الطعام مثلاً تناوله شيئاً فشيئاً حتى يسير العمل للجهاز الهضمي، فكذلك المعرفة فإنه لابد من أخذها بالتدرج حتى يستطيع العقل أن يستوعبها ويفهمها فهماً جيداً^(٧)، لذا استخدمه الرسول - ﷺ - في التعليم.

مثاله: ما رواه ابن عباس من "أن النبي - ﷺ - بَعَثَ مُعَاذًا - رضي الله عنه - إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اقْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ اقْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ"^(٨).

(١) مكاتبي، التربية النبوية، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخل الجنة، حديث رقم ٢٥٥١، ص ٦٥٣.

(٣) خلف الله، منهج النبي - ﷺ - في التعامل مع الناشئة، ص ٨٥ - ٨٦.

(٤) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، حديث رقم ١٣٥، ص ٣٨، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٥) مكاتبي، التربية النبوية، ص ١٥٠.

(٦) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في تعظيم الغلول، حديث رقم ٢٧١١، ص ٣٠٦، وقال الألباني: صحيح.

(٧) علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٩٥.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الإقضاء والحذر من دعوة المظلوم، حديث رقم ٤٤٨، ص ٣٢٤.

وهكذا نجد في شخصية الرسول - ﷺ - عربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي فذ^(١)، بحيث تبين لنا أهم خصائص وميزات منهجه في تعليم الصحابة، وكيف استطاع أن يحول به إيمانهم بالإسلام عملاً، وأن يصنع منهم رجالاً وجيلاً كانوا أكرم الناس، وأنبل الناس، وأرحم الناس...^(٢).

كما أن منهجه يقوم على أساليب متنوعة بحسب مناسبتها لتحقيق الغرض المطلوب منها، على أن هذه الأساليب تتكامل فيما بينها لتتناسب كل المواقف وتتكيف حسب الأغراض، وصدق الله حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). وفي ختام هذا المطلب أحيل الأستاذة والمربين والطلاب إلى الكتاب القيم والأصيل في هذا الباب، وهو "الرسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم" لعبد الفتاح أبو غدة.

المطلب الثاني: أدب الصحابة - ﷺ - في التعلم والتعليم

لقد سار الصحابة - ﷺ - على هدي الحبيب محمد - ﷺ - في تطبيقه وتجمله، طريقة جلسته وتحديثه، فكانوا غاية في الأدب وكانوا القدوة الحسنة لكل من جاء بعدهم في أدب التعلم والتعليم، فكانوا خير خلف لخير سلف، كيف لا ونبيهم - ﷺ - كان خلقه القرآن الكريم، ومن هنا فاني سأذكر بعض الآداب التي تحلوا بها في التعليم والتعلم، وإليكم بعضاً منها:

١. إصلاح النية في طلب الحديث: عن ابن مسعود ؓ: "لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهلهم سانوا به أهل زمانهم، ولكنه بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها"^(٣).

٢. الصمت والسكون في مجلس المحدث: فعن أسامة بن شريك - ؓ - قال: أتيت النبي - ﷺ - وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير^(٤).

٣. أدب الاستئذان في الدخول على المحدث: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لما قبض رسول الله - ﷺ - قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله - ﷺ -، فإنهم اليوم كثير، قال: واعجباً لك يا ابن عباس! أتري الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - من فيهم؟ قال: فترك ذلك، وأقبلت أنا أسأل

(١) النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر بدمشق، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٤.

(٢) امان، عاطف أحمد، منهج الرسول - ﷺ - في التعليم، دار الطباعة المحمديّة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٤٩.

(٣) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٧٦.

(٤) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب الرجل يتداوى، حديث رقم ٣٨٥٥، ص ١٥٥. وقال الالباني: حسن صحيح.

- أصحاب رسول الله - ﷺ - عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فأتى بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح عليّ من التراب... الحديث (١).
٤. احترام العلماء وتوقيرهم وإجلالهم: روى الشعبي أن ابن عباس - رضي الله عنهما - أمسك بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال زيد: أتمسك لي، وأنت ابن عم رسول الله - ﷺ - قال: هكذا نصنع بالعلماء (٢).
٥. الخشية والخوف من الله: فمن كان بالله أعرف كان لله أخوف، وفي هذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية" (٣).
٦. الشفقة على من يعظمهم والترحيب بوصية رسول الله ﷺ، فعن أبي هارون العبدى قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري - رضي الله عنه - فيقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، إن رسول الله - ﷺ - قال: "إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّ رَجَالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ يَنْفَقُهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا" (٤).
٧. أخذ العلم من أكابر بلده، والأعلى رتبة والأكثر شهرة: جاء عن الفاروق عمر وابن مسعود - رضي الله عنهما - أنهما قالوا: "ألا إن الناس لن يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم، ولا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا" (٥).
٨. التمهّل والتأنّي في قراءة الحديث: فمن آداب قراءة الحديث أن يتمهّل في قراءته، ويكره له سرده، فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: "كان رسول الله - ﷺ - لا يسرد الكلام كسرديكم، ولكن كان إذا تكلم، تكلم بكلام فصل، يحفظه من سمعه" (٦).
٩. إعداد طالب العلم والحرص على مواهبه: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: كان عمر يأنن لأهل بدر، ويأنن لي معهم، فقال بعضهم: أتأذن لهذا الفتى، ومن أبنائنا من هو مثله؟! فقال: إنه ممن قد علمتهم - يشير إلى مكانته من رسول الله ﷺ، نسباً وحظوة، يقول: فأذن لهم يوماً، وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

(١) الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العمل وفضله، ص ٨٤.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب في العلم، باب ما جاء في الاستيضاء بمن طلب العلم، حديث رقم ٢٦٥١، ص ٤٢٩، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون عن أبي سعيد، قال الألباني: ضعيف.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العمل وفضله، ج ١، ص ١٥٧.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَمِيزْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ سورة النصر، آية رقم (٣)، حديث رقم ٢٤٩٠، ص ٩٨٨.

وَأَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ (النصر: ١-٣). فقالوا: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام إذا فتح الله عليه، أن يستغفر وأن يتوب إليه، فقال لي: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك ولكنه أخبر نبيه بحضور أجله فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النصر: ١-٢). أي فعند ذلك علامة موتك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾ (النصر: ٣). قال: فقال لهم: كيف تلو مني عليه بعدما ترون؟^(١).

١٠. الحرص على تعلم اللغة وعدم اللحن: فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما، يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ.

١١. الدأب على طلب الحديث وعدم الاكتفاء بالقليل: عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضاه، وأما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان"^(٢). قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨). ثم قرأ للآخر: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٢﴾﴾ (علق: ٦-٧)، وعن ابن عباس -رضي الله

عنهما - أنه قال: "منهومان لا تنقضي نهيمتهما، طالب علم وطالب دنيا"^(٣).

١٢. عدم المماراة في العلم: عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أنه قال: "إذا أحببت أخاً فلا تماره ولا تشاره ولا تمازحه"^(٤).

١٣. عدم المزح وكثرة الضحك في مجلس الحديث: عن الأحنف بن قيس قال: قال لي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: يا أحنف من كثر ضحكك قلت هيبتك، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن مزح استخف به"^(٥).

١٤. النهي عن كثرة الكلام في الخطب: روى أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أن رجلاً خطب عند عمر فأكثر الكلام، فقال عمر: إن كثرة الكلام في الخطب من شقائق الشيطان"^(٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، حديث رقم ٤٩٧٠، ٩٣٩.

(٢) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٥٧.

(٣) الدرامي، سنن الدرامي، كتاب المقدمة، باب في فضل العلم والعالم، ج ١، ص ٩٦.

(٤) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٥٠ - ٥١.

(٥) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، [ط: بدون]، ١٩٥٥م، ج ٤، ص ٧٤.

(٦) سيف، أحمد محمد نور، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ١٥١.

١٥. النهي عن القيام لمن حضر في مجلس التحديث: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: ما كان على ظهر الأرض، أحد أحبَّ إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا لا يقومون له، لما يعرفون من كراهيته لذلك^(١).

١٦. التطبيق العملي لكل ما يأخذ بمجرد استظهاره وحفظه: عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: "إن أخوف ما أخاف إذ وقفت على الحساب أن يقال: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟"^(٢).

١٧. مخاطبة الناس على قدر عقولهم: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: "إن الرجل ليحدث بالحديث، فيسمعه من لا يبلغ عقله منهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة"^(٣).

١٨. التثبت في الأمر الواحد، وعدم الاكتفاء بمصدر واحد من مصادر العلم، للحصول على المعلومة والخبر، حتى تتضح معالمه وزواياه: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -"^(٤).

١٩. الصبر وتحمل المشاق والمتاعب في طلب العلم: فالعلم لا يأتي بسهولة، فلا بد من بذل الوسع والطاقة للحصول عليه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قلت لطالب العلم يتخذ نعلين من حديد"^(٥).

٢٠. التخوف من الفتوى وخطرها وغررها: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: "من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه^(٦).

٢١. الجواب عن المسائل الواقعة وعدم الجواب عن المسائل غير الواقعة: عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: "كان أبي إذا سئل عن شيء قال: هل وقع؟ فإن قالوا: لم يقع لم يخبرهم، وإن قالوا قد وقع أخبرهم".

٢٢. الحذر من الحياء والكبر في التعلم: عن عمر بن الخطاب وابنه - رضي الله عنهما - أنهما قالوا: "من رُقَّ وجهه، رُقَّ علمه"^(٧).

المطلب الثالث: أساليب الصحابة - رضي الله عنهم - في التربية والتعليم

لقد استخدم الصحابة - رضي الله عنهم - العديد من طرق التدريس بهدف مساعدة المتعلم على بلوغ الأهداف التربوية، ولقد أدركوا وعرفوا أهمية طريقة التدريس في العملية التعليمية،

(١) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، حديث رقم ٢٧٥٤، ص ٤٤٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح.

(٢) الأجري، أخلاق العلماء، ص ٦٧.

(٣) السمعاتي، أبو سعيد، أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٦٠.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٩.

(٦) ابن الصلاح، أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق عبد الله بن عبد القادر، المدينة المنورة - السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ٧٥.

(٧) التبريزي، الكافي في علوم الحديث، ص ٦٦٠، وانظر العرافي: التقييد والإيضاح شرح مقننة ابن الصلاح، ص ٢٥٢.

وطوروا طرقاً استوحوها من القرآن الكريم ومن هدي النبي ﷺ، تتناسب وطبيعة المواد الدراسية، وخصائص المتعلمين، والظروف البيئية المختلفة المحيطة بهم. ومن هنا فكان لابد من التعرف والعروج على أدب الصحابة في التعلم وأساليبهم التعليمية، والتي تعتبر من الركائز التربوية المهمة التي تقوم عليها التربية والتعليم في أي زمان ومكان ومنها^(١):

١- الدعوة إلى التأمل، والتفكير، والتدبر، وهذا ما كان يدعو إليه علي بن أبي طالب - عليه السلام - حيث قال: "ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم مكر الله ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر"^(٢).

٢- الترغيب في العلم والمواظبة عليه، وملازمة أهل العلم ومجالستهم، والتعلم من أخلاقهم، لأن التعلم لا يكون في حلقات التعليم فحسب، بل بالصحة والتحلي بأخلاق العلماء، وفي هذا يقول أبو الدرداء: "من فقه الرجل مشاه، ومدخله، ومخرجه، ومجلسه مع أهل العلم"^(٣)، وعنه أيضاً: "الناس ثلاثة: عالم ومتعلم، والثالث همج لا خير فيه"^(٤).

٣- عدم الإملال وتشويق السامع، وتخير الوقت المناسب للدرس خوفاً من السامة، وهذا يعود إلى لباقة المعلم في جذب الطلاب ودفع السامة عن نفوسهم، وفي هذا يقول أبو وائل: كنا جلوساً على باب عبد الله بن مسعود، ننتظره فخرج إلينا، فقال: ما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم والسامة عليكم "كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي النَّيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا"^(٥)، وعن ابن مسعود أيضاً: "أن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها"^(٦).

٤- الحث على مذاكرة العلم ومدارسه: فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة"^(٧)، وهكذا فإن على المعلم أن يحفز طلابه وتلاميذه، على مذاكرة ومدارسه الدرس، ومراجعته، وتكراره، حتى لا يندرس وينسوه.

٥- أسلوب السماع: وذلك "أن يسمع الأحاديث النبوية من المحدث فيحفظها"، ويوضح هذا سؤال أبي حصين لسعيد بن جبير: كل ما أسمعك تحدث عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فاحفظ"^(٨).

(١) مطالقة، أحلام محمود علي، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب - عليه السلام - رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، برنامج التربية في الإسلام، ١٤١٦هـ، ص ٧٩.

(٢) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٦٠.

(٣) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢١١.

(٤) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢١٢.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم ٦٨، ص ٢٥.

(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ٤١٦.

(٧) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تنكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ١، ص ٤١.

(٨) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٥٧.

- ٦- أسلوب الكتابة: لم يكن التلقي للعلم مقصوراً على الشكل الشفهي، بل اعتمد على الشكل الكتابي ... ولم نقض الكتابة على ملكة الحفظ التي استدعتها ونمتها الأمية، بل تمسك العلماء بعاداتهم الحفظية مفتخرين بمخزون حفظه معتمدين على آذانهم، وقد أصبحت محابر، وعلى قلوبهم وقد أصبحت دفاتر". قال: "كنت آتي ابن عباس، فأكتب عنه"، وكريب مولى ابن عباس قد اقتبس الكثير من علم أستاذه، ودونه في كتبه.
- ٧- تدريب الطلاب عملياً على التعليم، لتعويدهم على ذلك، وتصويب أخطائهم إذا غلطوا: فعن ابن عباس أنه قال لسعيد بن جبير "حدث، فقال: أحدث وأنت ها هنا؟ فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك" (١).
- ٨- عدم التخرج من قول لا أعلم أو لا أدري: عن أبي موسى الأشعري أنه قال: "من كان عنده علم فليعلمه الناس، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم فيكون من المتكلمين ويمرق من الدين". وعن نافع قال: "سئل ابن عمر عن أمر لا يعلمه فقال: لا أعلمه" (٢).
- ٩- التدرج في التعليم: ومن صور هذا الأسلوب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات" (٣).
- ١٠- التفكير والتدبر في المسائل المعروضة عليهم وعدم التسرع في الإجابة: فقد ورد أن رجلاً جاء إلى ابن عمر وسأله عن مسألة، فقال له: يرحمك الله، ما سمعت مسألتني؟ قال: بلى، ولكنكم ترون أن الله ليس سائلنا عما تسألونا عنه، أتركنا - يرحمك الله - حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به" (٤).
- وهكذا فقد رأينا كيف كان أدب الصحابة في التعليم، وطرائق التدريس عندهم، بما يتناسب ويتلائم وظروف المادة المتعلمة وأحوال المتعلمين والظروف البيئية المحيطة بهم بروح علمية ابتكارية متطورة، وهي أمور تشغل بال المربين اليوم ويعملون جاهدين على إيجادها، فعلياً جميعاً أن نتأسى ونقتدي بهم فهم خير خلف لخير البشرية وسيدها الأول محمد ﷺ.

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٦، ص ٢٥٧.

(٢) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٩٦.

(٣) مطالعة، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٨٢.

(٤) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٦٨.

المبحث الرابع

كيفية تحمل الحديث وروايته

تمهيد

لم تكن رواية الحديث الشريف ونقله أمراً تلقائياً، أو نقلاً عابثاً، أو مزاجياً حسب ميل الرواة وأهوائهم، بل كان جمع الحديث الشريف ونقله وفق أضبط قواعد البحث العلمي فما كان يقبل الحديث الشريف إلا إذا توافرت في حامله وراويهِ شروط دقيقة. لذلك سأتناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية: مفهوم التحمل والأداء وشروطهما، وألفاظ الرواية بالنسبة للصحابي في الرواية عن النبي ﷺ ومراتبه، وطرق التحمل والأداء، وإليك بيان ذلك كله:

المطلب الأول: أهلية التحمل والأداء والشروط الواجب توفرها فيهما

قبل بيان ألفاظ الرواية من غير الصحابي، وذكر طرق التحمل للحديث الشريف، يحسن إتماماً للفائدة أن أذكر مفهومي أهلية التحمل وأهلية الأداء، وما يتعلق بهما فأقول وبالله التوفيق والسداد.

التحمل: هو أخذ الحديث عن الشيخ بطريق من طرق التحمل^(١).

الأداء: هو رواية الحديث وتبليغه للناس^(٢).

صيغ الأداء: هي الألفاظ التي يؤدي بها المحدث الحديث في روايته وتبليغه للطلاب، مثل: سمعت، أو حدثني، أو نحو ذلك من العبارات^(٣). وعرفها علي البقاعي تحت مسمى أنوات الرواية بقوله: "هي الحروف والكلمات التي تنكر في السند بين أسماء الرواة، ويعبر بها الرواة عن طريق تحملهم للحديث، وبها يعرف الاتصال من الانقطاع بين الرواة"^(٤). ولقد اشترط العلماء للتحمل والأداء شروطاً عديدة، حتى تكون الرواية صحيحة مقبولة، وإليك بيان ذلك:

أولاً: أهلية التحمل وشروطها.

لقد اشترط العلماء للتحمل شرطان هما:

التمييز: هو السن الذي يستطيع الصغير فيها التمييز بين الأشياء.

الضبط: والمقصود به هو إتقان الراوي لما يرويه وحفظه له من وقت التحمل إلى وقت الأداء حفظاً جيداً، بحيث يكون متيقناً لما يروي غير مغفل، فاهماً إن حدث على المعنى^(٥). ولم يشترط العلماء في الراوي عند تحمله الإسلام، قال ابن الصلاح: "يصح التحمل

(١) اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٦٢، وانظر السيوطي: تكملة التكملة في شرح تقريب النواوي، ص ٢٣٧.

(٢) اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٦٢، وانظر السيوطي: تكملة التكملة في شرح تقريب النواوي، ص ٢٣٧.

(٣) للقطان، مباحث في علوم الحديث، ص ١٤٣.

(٤) بقاعي، المنهج الحديث في تسهيل علوم الحديث، ص ٥٨.

(٥) ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص ٩٣.

قبل وجود الأهلية فتقبل رواية من تحمل قبل الإسلام وروى بعده^(١). وقد استدل العلماء على جواز تحمل الكافر للرواية بأدلة كثيرة منها:

١. حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - حيث قال: "سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور؛ وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي"^(٢). وفي لفظ آخر "فكانما صدع قلبي حين سمعت القرآن"^(٣). وهنا نجد أن هذا الصحابي الجليل سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما كان كافراً، ثم أدى هذا الحديث بعد إسلامه وحمل عنه^(٤).

٢. وحديثه أيضاً "أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - واقفاً بعرفة قبل الهجرة"^(٥). حيث أنه حمل الحديث قبل إسلامه ثم أداه بعد إسلامه.

٣. حديث أبي سفيان - رضي الله عنه - في حديثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لهرقل التي كانت قبل إسلامه^(٦).
٤. وحديث التتوخي رسول هرقل أو قيصر^(٧).

ثانياً: أهلية الأداء وشروطها:

لما كان الغرض والهدف من الراوي إخبار الناس بما ذكره وقاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو فعله أو تقريره، ونحو ذلك، فلا بد وأن يكون ممن يوقع قوله عندنا، ميلاً من النفس إلى صدقه وإنما يكون ذلك بشروط^(٨). لذا أجمع جماهير أئمة العلم بالحديث، والفقه، والأصول، على أنه يشترط فيمن يروي الحديث حتى يحتج بحديثه - ذكرأ كان أو أنثى - الشروط الآتية:
أولاً: الإسلام:

هذا الشرط لم يذكره نقاد الحديث الأوائل، لأن البداهة تقتضيه، وهو من شروط الأداء لا التحمل، ولم ينص عليه أحد في القرون الأربعة الأولى^(٩) غير أبو جعفر الباقر.
ثانياً: العقل:

إن رواية المجنون لا تقبل لا في حال التحمل ولا الأداء؛ لأنه إذا ردت رواية الصغير المميز فمن باب أولى رد رواية المجنون^(١٠).

ثالثاً: البلوغ

إن البلوغ مناط التكليف، وتحمل المسؤولية، وفيه صلاحية الإنسان لصدور الأقوال والأعمال عنه، وصحة العبادة منه، والبلوغ شرط أساسي من شروط أداء الحديث، لا في

(١) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٦٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بديراً، حديث رقم ٤٠٢٣، ص ٧٩١.

(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٨٣ - ٨٥.

(٤) أسود، شروط الراوي والرواية عند أصحاب السنن دراسة تطبيقية، ص ٥٤.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ١٦٠٨، ج ٢، ص ١٥٢.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة، حديث رقم ٢٩٤١، ص ٥٨٦.

(٧) الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٨) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٥٥.

(٩) أسود، شروط الراوي والرواية عند أصحاب السنن دراسة تطبيقية، ص ٤٩.

(١٠) إسماعيل، دراسات في علوم الحديث، ص ١٧٠.

تحمله؛ وإن المعتوه لو كان بالغاً فهو كالصغير في حكمه لاشتراكهما في نقصان العقل^(١). قال الخطيب البغدادي: "وأما الأداء بالرؤية فلا يكون صحيحاً يلزم العمل به إلا بعد البلوغ"^(٢).

رابعاً: العدالة

والمقصود بالعدالة أن يكون الراوي سالماً من أسباب الفسق، وما ينافي المروءة، مستقيماً على الطريقة، أي: "ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه"^(٣).

خامساً: الضبط

إن من شروط الراوي حتى يقبل حديثه أن يكون ضابطاً عند التحمل والأداء معاً، فمن كثر سهوه لا تقبل الرواية عن قراءته من غير كتاب سواء كان هذا السهو مطلقاً، أو للحديث فقط، أو للأحاديث الطوال، أو للأسانيد^(٤). وقد عرقه البزدوي فقال: "سماع الكلام كما يحق سماعه، ثم فهمه بمعناه الذي أريد به، ثم حفظه ببذل المجهود له، ثم الثبات عليه بمحافضة حدوده، ومراقبته بمذاكرته على إساءة الظن بنفسه حين أدائه"^(٥).

سادساً: أن يكون راوي الحديث مشدداً في أمر الحديث، فمن تساهل في الحديث رد روايته، ومن تشدد في الحديث، وتساهل في غير الحديث فالأصح أن روايته مردودة، لأن تشدده في الحديث ليس لأجل دينه، وإلا كان تشدده مطلقاً؛ فهو لغرض ولا مانع من تغير ذلك الغرض، فلا يؤمن كلامه^(٦).

سابعاً: كثرة عدد الرواة في كل طبقة، وقد شرطه الجبائي، وقد اختلف هؤلاء فمنهم من شرط أن يكون في كل طبقة أربعة من الرواة وبعضهم اكتفى باثنين والصحيح: الاكتفاء في كل طبقة بواحد.

قلت: والراجح عدم اشتراط ذلك لعدم الحاجة إليه^(٧).

تلك هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الراوي حتى تقبل روايته.

المطلب الثاني: ألفاظ الرواية بالنسبة للصحابي في الرواية عن النبي - ﷺ -

ومراتبها

لما كان الصحابي - ﷺ - معاصراً ومعاشياً للنبي ﷺ، فروايته عنه يحتمل أن تكون عن رسول الله - ﷺ - نفسه مباشرة ومن غير واسطة، ويحتمل أن تكون بواسطة، وكل ذلك

(١) أسود، شروط الراوي والرواية عند أصحاب السنن دراسة تطبيقية، ص ٦٠.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٧٦.

(٣) الشافعي، الرسالة، ص ٣٧٠، فقرة رقم ١٠٠١.

(٤) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٥٧.

(٥) أبو حماد، زياد عواد، الضبط عند المحققين وأثره في الراوي والمروي، مجلة جامعة دمشق، المجلد (١٨)، العدد الثاني لعام ٢٠٠٢م، ص ٣٤٤.

(٦) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٥٨.

(٧) المرجع السابق نفسه، ص ١٥٨.

يختلف باختلاف لفظ الصحابي في الرواية، ومن هنا فإن في حكم ألفاظ الصحابة - ﷺ - في الرواية عن النبي - ﷺ - سبع مراتب وهي^(١):
المرتبة الأولى:

وهي أعلاها وأقواها: أن يقول الصحابي: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول كذا، أو قال لي رسول الله - ﷺ - كذا، أو شافهني بكذا، أو أخبرني بكذا^(٢)، أو أنباني^(٣)، ورأيتَه يفعل كذا ونحوهما كحضرت، أو شاهدت رسول الله ﷺ، يقول كذا، أو يفعل كذا^(٤)، أو أخذ بيدي فقال، فهذه الألفاظ جميعاً صريحة في نفي الوساطة، ولا يتطرق إليها احتمال، إذ هي الأصل في الرواية والتبليغ والإخبار، وهو خبر عن النبي - ﷺ - متفق عليه واجب القبول^(٥)؛ لكونه لا يحتمل الوساطة بينه وبين رسول الله - ﷺ -^(٦)، أي يفيد سماع الصحابي وأخذه الحديث من رسول الله - ﷺ - مباشرة.

قال الغزالي: "الأولى وهي أقواها أن يقول الصحابي: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول كذا، أو أخبرني، أو حدثني، أو شافهني، فهذا لا يتطرق إليه الاحتمال وهو الأصل في الرواية والتبليغ^(٧)، قال رسول الله ﷺ: "نظر الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى له من سامع"^(٨). قال ابن النجار: "مستند الصحابي نوعان: أحدهما: لا خلاف فيه لكونه لا يحتمل غير ما يدل عليه اللفظ لصراحته، وهو المشار إليه بقوله: (أعلى مستند صحابي: حدثني) رسول الله ﷺ، أو أخبرني، أو شافهني، وسمعتَه يقول كذا، ورأيتَه يفعل كذا، (ونحوهما) كحضرت، أو شاهدت رسول الله ﷺ يقول كذا، أو يفعل كذا، وإنما كان هذا أعلى النوعين، لكونه يدل على عدم الوساطة بينها قطعاً"^(٩).

وقال الشوكاني: "اعلم أن الصحابي إذا قال: 'سمعت رسول الله ﷺ أو أخبرني، أو حدثني' فذلك لا يحتمل الوساطة بينه وبين رسول الله ﷺ وما كان مروياً بهذه الألفاظ كشافهني رسول الله ﷺ أو رأيتَه يفعل كذا فهو حجة بلا خلاف"^(١٠). ومن أمثلة هذه المرتبة ما يلي:

- (١) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٧.
- (٢) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط نشر مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ودار البيان، [ط: بدون]، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ج ١، ص ٩٠ - ٩١.
- (٣) ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي، المختصر في علم أصول الحديث النبوي مع دراسة شاملة لمؤلفات ابن النفيس، تحقيق يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٩م، ص ١٢٧.
- (٤) ابن النجار، شرح الكوكب المنير أو المسمى مختصر التحرير، م ٢، ص ٤٨١.
- (٥) الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ٣٢٤.
- (٦) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج ١، ص ٢٤٤.
- (٧) الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ج ١، ص ١٢٩.
- (٨) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣٦٦٠، ج ٢، ص ٣٤٦، وقال الألباني: صحيح.
- (٩) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٢، ص ٤٨١.
- (١٠) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٦٠.

١. عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ... الحديث " (١).

٢. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: " حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ الصَّائِقُ الْمَصْنُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ... الحديث " (٢).

٣. عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَنْكِبِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ... الحديث " (٣).

المرتبة الثانية:

أن يقول الصحابي: قال رسول الله - ﷺ - كذا، أو حدثنا، أو أخبرنا بكذا، أو أنبأ رسول الله - ﷺ - بكذا، أو أخبر رسول الله، أو حدثت، وهذه الألفاظ وإن لم تكن صريحة بنفي الوساطة، فإن ظاهرها ذلك. لذا قال ابن الأثير: فهذا ظاهرة النقل، وليس نصاً صريحاً، إذ قد يقول أحدنا: قال رسول الله ﷺ، اعتماداً على ما جاءه وبلغه تواتراً أو على لسان من يثق إليه. ثم ضرب مثلاً فقال: ألا ترى أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - روى أن الرسول - ﷺ - قال: " لا رِبَا إلَّا فِي النَّسِيئَةِ " (٤) فلما رُوجع فيه قال: سمعته من أسامة بن زيد، وكذا غيره من الصحابة ﷺ.

قلت: إن لفظي (قال وحدثنا) ليسا سواء لأن الأولى تحتل والثانية توجب الاتصال. ثم قال: وهذا النوع وإن كان محتملاً، فهو بعيد، لاسيما في حق الصحابي، فإنه إذا قال: قال رسول الله ﷺ، فالظاهر من أمره وحاله أنه لم يقله إلا وقد سمعه من رسول الله ﷺ، بخلاف غيره ممن لم يعاصره ﷺ، لأن قرينة حاله تعرف أنه لم يسمعه، ولا يوهم قوله سماعاً منه ﷺ، والصحابي يوهم قوله السماع، فلا يقدم عليه إلا عن سماعه. وهو الظاهر، وجميع الأخبار إنما نقلت إلينا كذلك، فمثلاً إذا قال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ، وقال عمر: قال رسول الله ﷺ، فلا يفهم من ظاهر ذلك إلا السماع عن رسول الله ﷺ، وكذلك حكم غير الصحابي فيما يرويه عن شيخه (٥).

وممن ذهب إلى أنه على الاتصال ابن النجار وقال: "يحمل على أنه لا واسطة بينه وبين النبي - ﷺ - على الصحيح الذي عليه أصحابنا وأكثر العلماء، ويكون ذلك حكماً شرعياً يجب العمل به، لأنه الظاهر من حال الصحابي القائل ذلك" (٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب النية في الإيمان، حديث رقم ٦٣١١، ج ٦، ص ٢٣٦١.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأسمى في بطن أمه وكتابة رزقه ولجله وعمله وشقاوته، حديث رقم ٢٦٤٣، ج ٤، ص ٢٠٣٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، حديث رقم ٦٠٥٣، ج ٥، ص ٢٣٥٨.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الدينار بالدينار نساء، حديث رقم ٢١٧٨ و ٢١٧٩، ص ٤٢٢.

(٥) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ١، ص ٩١ - ٩٢، وانظر: ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٧.

(٦) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٢، ص ٤٨٢.

قلت: وهذا ما رجحه الأمدي وابن عبد الشكور^(١)، وقال الخطيب البغدادي: "فقال أكثر العلماء: الواجب في ذلك حمله على أن الصحابي سمعه من رسول الله ﷺ"^(٢). وقال ابن قدامة: "فهذا حكمه حكم القسم الذي قبله... ثم قال: ولهذا اتفق السلف على قبول الأخبار مع أن أكثرها هكذا، ولو قدر أنه مرسل، فمرسل الصحابة حجة"^(٣).

وقال ابن التَّجَر: "وخالف في ذلك أبو الخطاب من أصحابنا وجمع من العلماء، فقالوا: لا يحمل على السماع لاحتماله وترثده بين سماعه منه ومن غيره" قلت: وممن خالف أيضاً أبو بكر الباقلاني. وحجتهم في ذلك: احتمالية أن يكون الصحابي سمع الحديث من غير الرسول - ﷺ - وإنما قال: (قال رسول الله ﷺ) اعتماداً على ما نقل إليه، وإن لم يسمعه منه.

قلت: والراجح في ذلك حمله على الاتصال، لأنَّ الصحابي لا يقول: (قال رسول الله ﷺ) إلا وقد سمعه من النبي - ﷺ - لأن قوله ذلك فيه إيهام السماع فلا يقدم على قول ذلك إلا عن سماع، بخلاف غير الصحابي فإن قرينة حاله تعرف أنه لم يسمع، ولا يوهم إطلاقه السماع، إذن هو حجة ولكنه دون ما قبله لاحتمال الوساطة.

ومن أمثلة هذه الرتبة:

١. روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح جنباً فلا صوم له" فلما روجع في هذا الحديث قال: حدثني به الفضل بن عباس رضي الله عنهما. فالحديث أرسله أبو هريرة أولاً ولم يصرح به^(٤).

٢. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما الربا في النسيئة" فلما روجع به قال: إنه سمعه من أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال النسائي: حدثنا سفيان عن عمر عن أبي صالح أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قلت لابن عباس: رأيت الذي تقول، شيئاً وجدته في كتاب الله عز وجل؟ أو شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: ما وجدته في كتاب الله عز وجل ولا سمعته من رسول الله ﷺ، ولكن أسامة بن زيد أخبرني أن رسول الله - ﷺ - قال: "أنا رباً إنما في النسيئة"^(٥).

المرتبة الثالثة:

أن يقول الصحابي: عن رسول الله - ﷺ - وفي هذا اللفظ خلاف، والصحيح أنه ظاهر في نفي الوساطة^(٦).

(١) الأمدي الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٤١٩.

(٣) الحفناوي، دراسات أصولية في السئلة النبوية، ص ٩٣.

(٤) النسائي، السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب من أصبح جنباً وذكر الاختلاف عن أبي هريرة في ذلك، حديث رقم ٢٩٢٧، ج ٢، ص ١٧٧.

(٥) النسائي، سنن النسائي، كتاب البيوع، باب بيع الفضة بالذهب وبيع الذهب بالفضة، حديث رقم ٦١٧٣، ج ٤، ص ٣٢.

(٦) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٧.

قلت: والراجح في ذلك: أنه على الاتصال؛ لأن من قال ذلك ممن عاصر النبي ﷺ، وصح لقاءه والتقي منه، حمل ذلك على أنه سمعه منه، لأنه الظاهر، وحمل ذلك على أن غيره أخبره به يحتاج إلى دليل، لأنه خلاف الظاهر^(١).

المرتبة الرابعة:

أن يقول الصحابي: من السنة كذا، وهو صريح بأن المراد بذلك هو سنة النبي ﷺ - أي: طريقته وعادته وقيل يحتمل الوساطة^(٢). فذهب الأكثرون إلى أن ذلك محمول على سنة - خلافاً لأبي الحسن الكرخي من أصحاب حنيفة، والصيرفي، وداود، والرازي وابن حزم، واختاره الجيوني، وقالوا: يجب الوقوف فيه لجواز أن يكون الأمر والنهي غير الرسول ﷺ^(٣).

واحتجوا على رأيهم بقوله ﷺ: "فعلني يستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليهما بالتوازي"^(٤). فإذا كان اللفظ متردداً بين احتمالين، فلا يكون صرفه إلى أحدهما دون الآخر أولى من العكس. فردّ الأمدى وقال: وإذا سلمنا صحة إطلاق السنة على ما ذكره، غير أن احتمال إرادة سنة النبي ﷺ - أولى لوجهين هما:

أولاً: أن سنته ﷺ، أصل، وسنة الخلفاء الراشدين تبع لسنة النبي ﷺ - ومقصود الصحابي هو بيان الشرعية، ولا يخفى أن إسناد ما قصد بيانه إلى الأصل أولى من إسناده إلى التابع.

ثانياً: أن هذا هو المتبادر إلى الفهم من إطلاق لفظ السنة في كلام الصحابي، فكان الحمل عليه أولى^(٥).

قلت: والراجح إذا أضاف الفعل إلى زمن النبي ﷺ - وذكره على وجه لا يخفى مثله عليه ولا ينكره وجب القضاء بأنه شرع وهو بمنزلة المسند. ومن أمثلة هذه الرتبة:

١. قول علي عليه السلام: "من السنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السرة"^(٦).
٢. وقول أنس عليه السلام: "من السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا وإذا تزوج النسيب أقام عندها ثلثاً"^(٧).
٣. وقول ابن عباس رضي الله عنهما: "من السنة أن لا تخرج يوم الفطر حتى تطعم"^(٨).

(١) الباجي، أحكام الفصول في أحكام الأصول، ص ٣١٧.

(٢) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) الباجي، أحكام الفصول في أحكام الأصول، ص ٣١٨.

(٤) الترمذي جامع الترمذي، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم ٦٧٦، ج ٥، ص ٤٤، وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٥) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٦) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وضع اليمين على السرة في الصلاة، حديث رقم ٧٥٦، ج ١، ص ٢٦٠، وقال الألباني: ضعيف.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، النكاح، باب إذا تزوج البكر على الثيب، حديث رقم ٥٢١٣، ص ٧٤٥.

(٨) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم ٤٥١، ج ١، ص ١٤٣.

٤. وقول أنس رضي الله عنه: "من السنة إذا قال المؤذن في أذان الفجر: حيّ على الفلاح، قال: الصلاة: خير من النوم، الصلاة: خير من النوم مرتين" (١).

المرتبة الخامسة:

أن يقول الصّحابي: كنا نفعل كذا فظاهر ذلك أنه كان يفعل في زمن رسول الله - ﷺ - (٢). قال أبو إسحاق الشيرازي: "الظاهر من حال الصحابة أن لا يقدموا على أمر من أمور الدّين والنّبي - ﷺ - بين أظهرهم إلا عن أمره، فصار ذلك كالمسند إليه، ولأنه إنما يضاف ذلك إلى عهد رسول الله - ﷺ - لفائدة، وهو أن يبين أن النّبي - ﷺ - علم بذلك، ولم ينكره فوجب أن يصير كالمسند" (٣).

قلت: قول الصّحابي (كنا نفعل كذا، أو نقول كذا) له حالتان:

الأولى: أن يكون غير مضاف صراحة إلى زمن النّبي - ﷺ - وحكمه أنه موقوف (٤)، هكذا قال ابن الصلاح في مقدمته (٥) تبعاً للخطيب (٦) وحكاة النووي في شرح مسلم عن جمهور أهل العلم من المحدثين والفقهاء والأصوليين. قال السيوطي: وأطلق الحاكم والرازي والأمدى أنه مرفوع، وقال ابن الصباغ: أنه الظاهر، ومثله بقول عائشة رضي الله عنها: "كانت اليد لا تقطع في الشيء التافه"، هذا وقد صححه العراقي وتلميذه ابن حجر (٧)، ومثلوا له بما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله حيث قال: "كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا" (٨).

قال العجمي بمنهوري خليفة: "واختلاف أهل العلم في الأمر على تعدد مشاربهم يجعل الجزم بأحد القولين وترجيحه أمراً غير مقبول، والأقرب في مثل هذا أن يترك أمر الحكم برفعه أو وقفه للنّاظر فيه بين أئمة الحديث والفقهاء الغواصين على المعاني الدقيقة، والإشارات الخفية، فربما ترجح لديه إلحاق بعض ذلك بالمرفوع، لإمارة تدل على أنه خليف بآن يكون معزو إلى رسول الله ﷺ، وربما ترجح لديه إلحاق بعضه بالموقوف وما يصلح لذلك كل ناظر" (٩).

(١) البيهقي، المنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب التّوحيب في أذان الصّبح، ج ١، ص ٤٢٣.

(٢) ابن النّقيس، المختصر في علم أصول الحديث اللّبيوي، ص ١٢٨.

(٣) الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي أبو إسحاق، التّبصرة، في أصول الفقه، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ، مسألة ١٦١، ج ١، ص ٣٣٣.

(٤) السيوطي، تدريب الرّواي في شرح تقريب النّواوي، ص ١١٥.

(٥) ابن الصّلاح، مقمّة ابن الصّلاح في علوم الحديث، ص ٤٤.

(٦) البغدادي، الكفاية في علم الرّواية، ص ٤٢٠.

(٧) السيوطي، تدريب الرّواي في شرح تقريب النّواوي، ص ١١٥.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد السير، باب التّسييح إذا هبط واديا، حديث رقم ٢٩٩٣، ص ٥٧٣.

(٩) خليفة، العجمي بمنهوري، دراسات في علوم الحديث، دار الطّباعة المحمّدية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، قسم (١)، ص ١١٠ - ١١١.

الثانية: أن يكون مضافاً الى زمن -النبي ﷺ- مثل قولهم: كنا نقول كذا على عهد رسول الله ﷺ، أو ورسول الله فينا، أو بين أظهرنا، أو القرآن ينزل^(١)، ونحوها من العبارات. وقد اختلف فيه العلماء على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: وحكمه أنه مرفوع على الصحيح الذي قطع به جمهور أهل الحديث وأصول الفقه، لأن ذلك مشعر بأن النبي ﷺ - قد اطلع على ذلك، وقررهم عليه، لتوفر دواعيهم على سؤالهم عن أمور دينهم، وتقريره - ﷺ - هو أحد وجوه السنن المرفوعة^(٢)، ومن أمثلة ذلك ما قال به جابر بن عبد الله "كُنَّا نَعَزُّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ"^(٣). وقوله: "كُنَّا نَأْكُلُ لَحْمَ الْخَيْلِ قُلْتُ فَأَلْبِغَالُ قَالَ لَا"^(٤).

القول الثاني: إنه موقوف وبه قال أبو بكر الإسماعيلي. قال السيوطي وهو بعيد جداً^(٥).

القول الثالث: قال آخرون: إن كان ذلك الفعل مما لا يخفى غالباً كان مرفوعاً، وإلا كان موقوفاً، وبه قطع أبو إسحاق الشيرازي^(٦). لذلك إن كان في القصة تصريح باطلاعه - ﷺ - فمرفوع إجماعاً كقول ابن عمر: كنا نقول ورسول الله - ﷺ - حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع ذلك رسول الله - ﷺ - فلا ينكره^(٧). قلت: والراجح في ذلك هو القول الثالث لأن: كنا: جمع نفع: للتكرار وهذا لا يخفى عادة .

قال ابن النجار: "وكنا نفع كذا، أو نقول كذا، أو نرى كذا على عهده ﷺ، (وكانوا يفعلون كذا على عهده ﷺ ونحو ذلك) كقوله: كان الأمر على ذلك في زمن النبي - ﷺ - حجة يعني أن حكم ذلك حكم قول الصحابي: قال النبي ﷺ، لكنه في الدلالة دون ذلك، لاحتمال الوساطة، أو اعتقاد ما ليس بأمر، ولا نهى: أمراً أو نهياً، لكن الظاهر أنه لم يصرح بنقل الأمر إلا بعد جزمه بوجود حقيقته، ومعرفة الأمر مستفادة من اللغة، وهم أهلها، فلا تخفى عليهم. ثم قال: ثم إنهم لم يكن بينهم في صيغة الأمر ونحوها خلاف، وخلافنا فيه لا يستلزمه، فعلى هذا يكون حجة، ورجعت إليه الصحابة، وهو الصحيح، وعليه جماهير العلماء"^(٨).

(١) خليفة، دراسات في علوم الحديث، القسم الأول، ص ١١١.

(٢) السيوطي، تريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب العزل، حديث رقم ٥٢٠٧، ص ١٠٣٢.

(٤) ابن ماجه، من ابن ماجه، كتاب الذبائح، باب لحوم البغال، حديث رقم ٣١٩٧، ص ٣٤٧ - ٣٤٨، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٥) السيوطي، تريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ١١٦.

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ١١٦.

(٧) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٢٨٥، حديث رقم ١٣١٣٢.

(٨) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٢، ص ٤٨٤ - ٤٨٥. وانظر البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص ٤١٩، وانظر أيضاً السيوطي: تريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ١، ص ١٨٦.

وممن خالف في ذلك، الصيرفي، وأبو بكر الباقلاني، والرازي، والكرخي من الحنفية، وأبو بكر الاسماعيلي الشافعي، وإمام الحرمين، ونقله ابن القطان عن نص الشافعي من المذهب الجديد، في نحو قوله: "أمرنا ونهينا". وحجتهم في ذلك: احتمالية أن يكون الأمر والناهي هو غير النبي ﷺ^(١). ورد أصحاب الرأي الأول: بأن قول الصحابي ذلك يدل على أنه في معرض الاحتجاج، فيحمل على صدوره ممن يحتج بقوله، وهو النبي ﷺ، فإنه هو الذي يصدر عنه الأمر والنهي والترخيص والتحریم، بلاغا عن الله تعالى، وإن كان يحتمل أنه من بعض الخلفاء لكنه بعيد، لأن المشرع لذلك هو صاحب الشرع.

قلت: والراجح أنه إذا قالوا: كنا نفعل أو كانوا يفعلون ولم يقولوا: على عهد رسول الله - ﷺ - فإنه لا تقوم به الحجة، لأنه ليس بمسند إلى تقرير النبي ﷺ، ولا هو حكاية للإجماع خلافا لأبي الخطاب الحنبلي الذي يرى أنه يكون نقلا للإجماع لتناول لفظ (كانوا يفعلون) إياه^(٢). ومن أمثلة هذه المرتبة ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - أنه قال: "كنا نخرج صدقة عيد الفطر على عهد رسول الله - ﷺ - صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير"^(٣).

المرتبة السادسة:

أن يقول الصحابي: أمر رسول الله ﷺ بكذا، أو نهى عن كذا^(٤)، أو أمرنا رسول الله - ﷺ - كذا، ونهانا رسول الله ﷺ عن كذا، وأمرنا بالبناء للمفعول بكذا، ونهينا بالبناء للمفعول عن كذا^(٥).

قلت: والظاهر أنهما ليسا سواءً لاحتمالية الأول في الاتصال وثبوت الثاني ولهذا قال ابن النفيس: وظاهر هذا القول أنه سمع ذلك من الرسول - ﷺ - وليس ذلك بنص، لاحتمال أن يكون قد نقل ذلك إليه من صحابي آخر، وجائز أيضاً أن يكون اعتقد فيما هو عندنا ليس بأمر ولا بنهي، أنه أمر أو نهى، ويجوز أيضاً أن يكون ذلك الأمر والنهي إنما كان لقوم مخصوصين، وفي حالة مخصوصة، فلذلك قال ابن النفيس: والصحيح أن مثل هذا لا يصلح للاحتجاج به على المطالب الشرعية^(٦). وممن ذهب إلى أنه يحمل على السماع أبو الوليد الباجي وقال: وهذا مذهب جمهور أهل العلم، وقالت طائفة: لا يدخل في المسند إلا بعد أن يبين فيه سماعه من النبي ﷺ؛ لأنه يجوز أن يكون سمعه منه، ويجوز أن لا يسمعه منه. ثم

(١) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٢، ص ٤٨٥، وانظر الشوكاتي: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، ص ٦٠ - ٦١، وانظر أيضاً الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) الحفناوي، دراسات أصولية في السنة النبوية، ص ٩٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر صاع من طعام، حديث رقم ١٥٠٦، ص ٢٩٣.

(٤) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٨.

(٥) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٦) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٨.

قال الباجي: "والدليل على ما نقوله: أن من قال ذلك ممن عاصر النبي ﷺ، وصح لقاءه والتقي منه، حمل ذلك على أنه سمعه منه، لأنه الظاهر.

قلت: والراجح أنه يحمل على الرسول ﷺ؛ لأن الذي يحتج بأمره ونهيه وسنته هو الرسول - ﷺ - وحمل ذلك على أن غيره أخبره به يحتاج إلى دليل، لأنه خلاف الظاهر" (١).
ومن أمثلة هذه الرتبة: ما أخرجه أبو داود بسنده عن أبي سعيد - ﷺ - حيث قال:
"أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر" (٢).

المرتبة السابعة:

أن يقول الصحابي: أمرنا بكذا أو حرّم علينا كذا، أو نهينا عن كذا، وأوجب علينا كذا، أو أبيع لنا كذا، فذهب الشافعي وأكثر الأئمة إلى أنه يجب إضافة ذلك إلى النبي ﷺ، حيث يفهم منه أن الفاعل لذلك هو رسول الله ﷺ (٣)، وخالفه في ذلك جماعة من الأصوليين والكرخي من أصحاب أبي حنيفة النعمان إلى المنع من ذلك، مصيراً منهم إلى أن ذلك متردد بين كونه مضافاً إليه ﷺ، وبين كونه مضافاً إلى أمر الكتاب أو الأمة، أو بعض الأئمة، وبين كونه قد قال ذلك عن استنباط وقياس، ثم أضافه إلى صاحب الشرع، بناءً على أن موجب القياس مأمور بإتباعه من الشارع.

قلت: وهذه أقوى من كنا نفعل دون إضافة، والله أعلم.

وإذا احتمل واحتمل، لا يكون مضافاً إليه ﷺ، بل ولا يكون حجة، والظاهر أنه مذهب الشافعي، وذلك لأن من كان مقدماً على جماعة، وهم بصدد امتثال أوامره ونواهيه، فإذا قال أحدهم: أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا، فالظاهر من قوله أنه يقصد أمر ذلك المقدم ونهيه والصحابة بالنسبة إليه - ﷺ - على هذا النحو، فإذا قال أحدهم أمرنا أو نهينا: كان الظاهر منه أمر النبي - ﷺ - ونهيه. ومن هنا فإنه لا يمكن حمله على أمر الكتاب العزيز ونهيه، لأنه لو كان كذلك، لكان ظاهراً للكل، فلا يختص بمعرفته واحد منهم، ولا على أمر الأمة ونهيتها، لأن قول أحدهم: أمرنا أو نهينا هو قول الأمة، وهم لا يأمررون وينهون أنفسهم، ولا على أمر واحد من الصحابة، لأنه ليس أمر البعض للبعض أولى من العكس. ثم قال: كيف وإن الظاهر من الصحابي إنما قصد بذلك تعريف الشرع، وذلك لا يكون ثابتاً بأمر الواحد من الصحابة ونهيه، ولا أن يكون ذلك بناءً على ما قيل من القياس والاستنباط لأمرين هما:

الأول: إن قوله أمرنا ونهينا، خطاب مع الجماعة، وما ظهر لبعض المجتهدين من القياس، وإن كان مأموراً بإتباع حكمه، فإن ذلك غير موجب للأمر بإتباع من لم يظهر له ذلك القياس.

(١) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق ودراسة عبد الله محمد الجبور، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ٣١٧.

(٢) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٨١٨، ص ١٠٨، وقال الألباني: صحيح.

(٣) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٨.

الثاني: أن قول الصحابي: أمرنا ونهينا بكذا عن كذا، إنما يفهم منه مطلق الأمر والنهي، لا الأمر بإتباع حكم القياس^(١).

قلت: والصواب حتى يكون مسنداً لا بد من إضافة ذلك إلى النبي - ﷺ - وهذا هو مذهب الشافعي والذي رجحه ابن النفيس حيث قال: والحق مع الشافعي^(٢).

المطلب الثالث: طرق التحمل والأداء

لقد حصر العلماء طرق الأخذ للحديث وتلقيه عن الرواة بثماني طرق، على اتفاق في بعضها واختلاف في بعض، كما سيأتي بيانه، وتوسعوا وأفاضوا في بحثها ودراستها، وبيان أحكامها، وصلتها بأمر القبول والرد، إذ أن لكل طريق منها صيغها الخاصة التي تؤخذ و تؤدى بها، وكل طريقة من هذه الطرق لها ما يناسبها من صور الأداء والتبليغ وإليكم بيان ذلك كله:

الطريق الأول: السماع من لفظ الشيخ.

تعريفه: هو السماع من لفظ الشيخ سواء أكان إملاء أم تحديثاً من غير إملاء، وسواء أكان من حفظه أم من كتابه^(٣).

التأصيل الشرعي:

١. هو وسيلة التحمل الأولى، والتي من خلالها تلقى رعايل المحدثين الأوائل عن النبي - ﷺ - ثم أدوا ما سمعوا لمن بعدهم.

٢. صيغ الأداء المعبرة عن السماع متداولة ومستعملة بكثرة في التعبير عما أخذه وتحمله الصحابة - ﷺ - فكثيراً ما نقرأ: "سمعت رسول الله ﷺ^(٤)، وحدثنا الصانق المصدق^(٥)" "سمعت رسول الله ﷺ، سمعته أنناي ووعاه قلبي".

٣. ثم تأمل مادة "سمع، حدث، أنبا" وما تصرف منها في كتاب كالمعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوي، لتري عدد السماع، والتحديث وغيرها، والأخذ بدون واسطة^(٦).

٤. إن السماع من لفظ الشيخ موافق للأصل، وذلك لأن النبي - ﷺ - قد أخبر الناس ابتداءً وأسمعهم بما جاء به، والنقير على ما جرى بحضرته - ﷺ - أو السؤال عنه مرتبة ثانية^(٧)، فالأول أولى، أي أعلى درجة من العرض.

(١) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٢٨.

(٣) ابن جماعة، المنهل الرؤي في مختصر علوم الحديث، ص ٨٠، وانظر السيوطي: تريب الرؤي في شرح تريب السواوي، ص ٢٥٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ سورة النساء، ١٦٣، حديث رقم ١، ص ٢١.

(٥) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في وقت الصبح، حديث رقم ٤٢٧، ص ٧١ وقال الألباني: صحيح.

(٦) شعبان، التأصيل الشرعي لـ: قواعد المحدثين، ص ١١٥.

(٧) التبريزي، الكافي في علوم الحديث، ص ٤٧٧.

٥. إِنَّ الصَّحَابَةَ - ﷺ - سَمِعُوا عَنْ عَائِشَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اعْتِمَادًا عَلَى الصَّوْتِ^(١).

٦. وَاحْتَجَّوْا بِأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَمَرَ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى سَمَاعِ صَوْتِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومِ الْمُؤَنِّ مَعَ غَيْبَةِ شَخْصِهِ عَمَّنْ يَسْمَعُهُ، وَيُوبِ عَلَيْهِ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِ الشَّهَادَاتِ: شَهَادَةُ الْأَعْمَى وَنِكَاحُهُ وَمُبَايَعَتُهُ وَقَبُولُهُ فِي التَّائِينَ وَغَيْرِهِ، وَمَا يَعْرِفُ بِالْأَصْوَاتِ، وَمِمَّنْ أَجَازَتْهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَسَمُرَةُ بِنْتُ جَنْدَبٍ^(٢).

الطريق الثاني: القراءة على الشيخ

تعريفها: وأكثر المحدثين يسمونها (عَرْضًا) من حيث: أَنَّ الْقَارِئَ يُعْرَضُ عَلَى الشَّيْخِ مَا يَقْرَأُ، سِوَاءَ كُنْتَ تَقْرَأُ مِنَ الْكِتَابِ، أَوْ مِنْ حِفْظِكَ، أَوْ كَانَ الْقَارِئُ غَيْرَكَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، وَسِوَاءَ حَفِظَ الشَّيْخُ مَا تَقْرَأُ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يَحْفَظْ، لَكِنْ يُمْسِكُ أَصْلَهُ هُوَ أَوْ ثِقَّةٌ غَيْرُهُ^(٣).
التأصيل الشرعي:

١. استدل الحميدي، ثم البخاري على هذه الطريقة^(٤). بحديث ضمام بن ثعلبة: لما أتى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَّدَ عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ: أَسَأَلْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرَسَلَكَ... قَالَ الْبَخَارِيُّ: فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - أَخْبَرَ ضَمَامٌ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَاجَازَوْهُ، أَيُّ: قَبِلُوهُ مِنْهُ^(٥).

٢. قول بعض الصحابة بها، ومنهم: علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس وأبي هريرة - ﷺ - أجمعين^(٦)، حيث روى عن علي بن أبي طالب أنه قال: "القراءة على العالم بمنزلة السَّمَاعِ مِنْهُ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "اقْرَءُوا عَلَيَّ"، فَإِنْ قَرَأْتُمْ عَلَيَّ، كَقِرَاءَتِي عَلَيْكُمْ"^(٧).

الطريق الثالث: الإجازة.

تعريفها: هي إذن الشيخ للطالب بالخط، أو باللفظ، أو بهما معاً أن يؤدي عنه مروياته كلها أو بعضها من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، فيروي عنه بموجب ذلك الأذن^(٨).
أو هي: إذن في الرواية لفظاً أو كتباً، تنفيذ الإخبار الإجمالي عرفاً^(٩).

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٤٩٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى وأمره وإنكاحه ومبايعته وقبوله في التائين وغيره، وما يعرف بالأصوات، حديث رقم ٦٥٥، ٢٦٥٦ و ٢٦٥٧، ص ٥٢٢ - ٥٢٣.

(٣) التبريزي، أبو الحسن بن أبي محمد عبد الله بن الحسن الأروبي، الكافي في علوم الحديث، قرأه وشرحه وخرج أحاديثه ووثق نصوصه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٢٥٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، سورة طه، آية رقم ١١٤، حديث رقم ٦٣، ص ٢٣.

(٦) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٢٥٥.

(٧) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، باب في القراءة على المحدث، ج ١، ص ٤٢٩.

(٨) السخاوي، فتح المغيب شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٩) العثمان، المحرر في مصطلح الحديث، ص ٥٢٤.

التأصيل الشرعي:

ذكر الخطيب البغدادي عدة أحاديث للتلليل على الاحتجاج بالإجازة وهي^(١):

١. قال الخطيب: ويقال أن الأصل في صحتها حديثه - ﷺ - المذكور في المغازي حيث كتب فيه لعبد الله بن جحش كتاباً وختمه ودفعه إليه ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة وقال لا تنتظر في الكتاب حتى تيسر يومين ثم انظر فيه. قلت: وقد أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه^(٢).

٢. ثم قال: واحتج أهل العلم ممن كان يرى وجوب العمل بحديث الإجازة بما اشتهر نقله عن النبي - ﷺ - أنه كتب سورة براءة في صحيفة ودفعها إلى أبي بكر الصديق - ﷺ - ثم بعث علي بن أبي طالب - ﷺ - فأخذها منه ولم يقرأها عليه وهو أيضاً قرأها حتى وصل إلى مكة ففتحها وقرأها على الناس^(٣)، فصار ذلك كالسماع في ثبوت الحكم وجوب العمل به^(٤).

٣. واحتج أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ بحديث عبد الله بن عكيم قال: كتب إلينا رسول الله ﷺ^(٥).

الطريق الرابع: المناولة.

تعريفها: هي أن يكتب العالم إلى رجل بشيء من حديثه، ويختمه، ويأذن له في روايته عنه، وهي دون المناولة من يده^(٦). أو هي: أن يكتب الشيخ حديثه بخطه، أو يأذن لمن يثق به بكتبه، ويرسله بعد تحريره إلى الطالب، ويأذن في روايته عنه^(٧).

التأصيل الشرعي:

١. قال السيوطي^(٨): والأصل فيها ما علقه البخاري في العلم: أن رسول الله - ﷺ - كتب لأمر السرية كتاباً وقال: "لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا". فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ^(٩).

٢. قال البلقيني^(١٠): "وأحسن ما يستدل به عليها ما استدلت الحاكم من حديث ابن عباس: أن رسول الله - ﷺ - بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى"^(١١).

(١) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، ص ٢٤.

(٣) الترمذي سنن الترمذي، كتب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، حديث رقم ٣٠٩٠، ص ٤٩١، وقال الألباني: حسن الإسناد.

(٤) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣١٣.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٣١٣.

(٦) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٥٢٥.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٣.

(٨) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب الثوابي، ص ٢٧٧.

(٩) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، ص ٣٠.

(١٠) البلقيني، محاسن الاصطلاح، ص ٢٧٩.

(١١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، حديث رقم ٩٤، ص ١٧.

٣. وفي معجم البغوي عن يزيد الرقاشي قال: كُنَّا إِذَا أَكْثَرْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَتَانَا بِمَجَالٍ لَهُ، فَأَلْفَاها إِلَيْنَا وَقَالَ: هَذِهِ أَحَادِيثُ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَكُتِبَتْهَا وَعَرْضْتُهَا^(١).

٤. وقال العراقي: "وَحَجَّتْهُمْ أَيْضاً فِي كِتَابِهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ كِتَاباً وَخَتَمَ إِلَيْهِ وَوَجَّهَهُ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَهَةِ نَخْلَةٍ وَقَالَ لَهُ: لَا تَنْتَظِرْ فِي الْكِتَابِ حَتَّى تَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ انْظُرْ فِيهِ، وَانْفِذْ لِمَا فِيهِ، وَلَا تَكْرَهَنَّ أَحَدًا عَلَى النِّفَودِ مَعَكَ"^(٢). قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: "وَوَجَّهَ الدَّلَالَةَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ظَاهِرَةً، فَإِنَّهُ نَاولَهُ الْكِتَابَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، فَفِيهِ الْمَنَاوَلَةُ وَمَعْنَى الْمَكَاتِبَةِ"^(٣). وَهَذَا الدَّلِيلُ اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ الْحِجَازِ فِي الْمَنَاوَلَةِ، وَقَالَ السَّهْلِيُّ: وَاحْتَجَّ بِهِ الْبَخَارِيُّ عَلَى صِحَّةِ الْمَنَاوَلَةِ فَكَذَلِكَ الْعَالَمُ إِذَا نَاولَ التَّلْمِيزَ كِتَاباً جَازَ لَهُ أَنْ يَرْوِيَ عَنْهُ مَا فِيهِ. وَقَالَ السِّيُوطِيُّ: وَهُوَ فَقَّهٌ صَحِيحٌ^(٤).

الطريقة الخامسة: المكاتبة.

تعريفها: وهي أن يكتب الشيخ شيئاً من حديثه بخطه، أو يأمر غيره فيكتب عنه بإذنه، سواء أكتبه أم كتب عنه إلى غائب عن أو حاضر عنده^(٥).
التأصيل للمكاتبة:

١. كتب النبي - ﷺ - إلى الملوك والأمراء، وعلى سبيل المثال نذكر منها: كتب النبي - ﷺ - إلى ملوك اليمن، وإلى من غاب عنه من ملوك الأرض الذين دعاهم إلى الإيمان^(٦). قلت: كذلك قيصر وكسرى حينما دعاهم النبي - ﷺ - إلى الإيمان حيث كان الكتاب حجة عليهم، وبهذا احتج إسحاق بن راهوية في مناظرته مع الشافعي في صحة الاحتجاج بالمكاتبة وأنها طريقة سليمة لتحمل الحديث وروايته^(٧).
٢. كتب النبي - ﷺ - إلى عماله بالأحكام، وهي كثيرة جداً^(٨).

٣. كتب الخلفاء الراشدين إلى قضاتهم وأمرائهم^(٩)، وكتب الصحابة بعضهم إلى بعض.
٤. وقد بوب البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان: إنَّ عبد الله بن عمر ويحيى بن سعيد ومالك بن أنس رأوا ذلك

(١) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٢٧٧.

(٢) اليعصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٨١.

(٣) ابن حجر، فتح الباري صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٢٧٧.

(٥) العراقي، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ص ٢٢٤.

(٦) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٤٨.

(٧) اليعصبي، الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع، ص ٨٧.

(٨) شعبان، التأصيل الشرعي ل: قواعد المحققين، ص ١٢٧.

(٩) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٤٨.

جائزاً^(١). وصدره بقول أنس: "نسخ عثمان المصاحف فبعث بها إلى الآفاق"^(٢). قال ابن حجر: "ودلالته على تسويغ الرواية بالمكاتبه واضح وذلك أن عثمان أمرهم بالاعتماد على ما في تلك المصاحف ومخالفة ما عداها، والمستفاد من بعثه نسخ المصاحف إنما هو ثبوت إسناد صورة المکتوب فيها إلى عثمان لا أصل ثبوت القرآن فإنه متواتر"^(٣).
٥. وقد ذكر الخطيب البغدادي العديد من الأدلة التي يؤصل بها للمكاتبه^(٤).

الطريق السادس: الإعلام .

تعريفها: هو أن يعلم الشيخ الطالب أن هذا الكتاب روايته أو سماعه مقتصر على ذلك^(٥)، من غير إذن في الرواية بصريح اللفظ أو الكتابة^(٦).

قلت: ولم أجد لها تأصيلاً شرعياً في حدود علمي، والله تعالى أعلم .

الطريق السابع: الوصية .

تعريفها: وهو أن يوصي الراوي عند موته أو سفره لشخص بكتاب يرويه^(٧). أو أن يوصي الشيخ لواحد - أو جماعة - بكتبه التي يرويها، وذلك عند موته أو سفره، من غير أن يأذن للموصى إليه في الرواية^(٨).

قلت: ولم أجد لها كذلك تأصيلاً شرعياً في حدود علمي .

الطريق الثامن: الوجدادة .

تعريفها: وهو أن يقف على كتاب بخط شخص فيه أحاديث يرويها ذلك الشخص ولم يسمعها منه الواجد، ولا له منه إجازة أو نحوها^(٩).

التأصيل الشرعي لها:

احتج ابن كثير بحديث "أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال: وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: الأنبياء، قال: وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي؟ قالوا: نحن، قال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها"^(١٠) قال السيوطي: قال البلقيني: وهذا استنباط حسن^(١١).

(١) اليحصني، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٨٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٣.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٤٤ - ٣٤٤.

(٥) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٩٠.

(٦) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٤٩.

(٧) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص ٩١.

(٨) ابن النفيس، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، ص ١٥١.

(٩) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص ٩١، وانظر الطيبي: الخلاصة في أصول الحديث، ص ١١٠.

(١٠) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، اختصار علوم الحديث، دار الفكر، {ط: بدون}، {ت: نشر: بدون}، ص ٦٨.

(١١) السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب الثّواري ص ٢٩٠.

وقد ورد الحديث بالفاظ أخرى منها: "بل قوم من بعدكم يأتيهم كتاب بسين لوحيد يؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك: أعظم منكم أجراً"^(١).
وفي لفظ الحاكم من حديث ابن عمر: "يجدون الورق المعلق، فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً"^(٢).
وقال علي ابن المديني: والحكم بن مقسم عن ابن عباس إنما سمع منه أربعة أحاديث، والباقي في كتاب^(٣).

المبحث الخامس

طرق الصحابي في معرفة الشرع

تمهيد

كان للصحابة والناس في عهد رسول الله - ﷺ - طرق في معرفة الشرع، ومن هذه الطرق أن يأخذوا عنه مباشرة بالسماع منه، أو أن يأخذ الصحابة بعضهم عن بعض لسبب من الأسباب، أو أن يأخذ الصحابة عن التابعين وهي قليلة بل نادرة جداً، وإليك بيان ذلك كله.

المطلب الأول: تحمل الصحابة للحديث مباشرة عن الرسول ﷺ

كان الرسول - ﷺ - يعيش مع أصحابه الكرام ليس بينه وبينهم حجاب أو ترجمان، فكان يخالطهم في المسجد والسوق والبيت، وفي السفر والحضر، وكان - ﷺ - محور حياتهم الدينية والدنيوية^(٤)، كما أنه كان مصدر علمهم يرون في كل عمل من أعماله هداية للبشرية، فلا عجب أن يحفظوا عنه كل أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، ومزاحه واجتهاده، وعبادته وسيرته، وسراياه، ومغازيه، وأكله وشربه، وكل ما يصدر عنه ومنه - ﷺ - من قول أو عمل أو تقرير^(٥).

ولقد عرف الصحابة مبلغ الخير والرشد والهداية التي يقتبسونها منه - ﷺ - فامتلت قلوبهم حباً لرسول - ﷺ - وأقبلوا عليه يستمعون منه ويسألونه فيما يعرض لهم من أحكام وهم يحفظون عنه ما يقول ويشاهدون ما يفعل ويبلغ الحاضر منهم الغائب بما شاهد أو سمع، وينقلون ذلك إلى من بعدهم حتى انتشرت السنة والحديث في الآفاق جيلاً بعد جيل^(٦).

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٦٩٧٦، ج ٢٨، ص ١٨٢، وقال المحقق: حديث صحيح.
(٢) الحاكم، المستدرک عن الصحيحين، ج ٤، ص ٨٥ - ٨٦ وصححه الحاكم، وتعقبه ابن حجر في الأمالي المطلقة، ص ٢٨، وقال بأن فيه محمد بن حميد، وهو متروك، البيان والتعريف، ص ١٣٠، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة، ٦٤٨، ضعيف جداً.
(٣) اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ١١٨.
(٤) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٥٦.
(٥) الحاكم، كتاب المنخل إلى معرفة كتاب الإكليل، ص ٨١.
(٦) جَمَّاز، محاضرات في علوم الحديث، ص ٨٦.

والحقيقة العلمية التاريخية الثابتة التي لا شك فيها، ولا ينكرها إلا مكابر، أن صحابة رسول الله - ﷺ - قد عنوا بكل ما تلفظه وقاله، وفعله، وأقره، الرسول - ﷺ - بل عنوا بصفاته حتى الجسمية والخلقية منها، وبالدقائق من أمور حياته، كما لم تكن أمة برسولها^(١). ولكن السؤال الذي يفرض نفسه وهو: كيف كان صحابة رسول الله - ﷺ - يتلقون السنة عنه؟.

وللجواب على هذا السؤال يمكن تلخيص الطرق والكيفيات التي كان الصحابة - ﷺ - يتلقون بها عن النبي - ﷺ - السنة الشريفة بما يلي.
أولاً: مجالس الرسول ﷺ.

ثانياً: معرفة الحوادث التي كانت تقع على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الأجوبة والأقضية التي قضى بها النبي - ﷺ - بين المسلمين .

رابعاً: تعليم النساء وتفقيهن في أمور الدين .

خامساً: غزواته - صلى الله عليه وسلم - وخاصة غزوة الفتح (فتح مكة المكرمة).

سادساً: الوفود وخاصة في السنة التاسعة للهجرة.

سابعاً: خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وخاصة حجة الوداع .

المطلب الثاني: تحمل الصحابة بعضهم عن بعض

إن الأصل في رواية الصحابي أن تكون عن النبي - ﷺ - مباشرة، ولكن قد لا يتيسر له حضور مجالس النبي - ﷺ - لأمر ما يفوته سماع ما حدث به النبي - ﷺ - كما أنه قد ينفرد صحابي، أو بعض منهم بسماع حديث يجيب به النبي - ﷺ - عن سؤال في حادثة من الحوادث الفردية، وقد يكون الصحابي بعيداً عن المدينة النبوية فتفوته مجالس النبي ﷺ، في فترة غيابه^(٢)، أو لأي سبب من الأسباب التي سنذكرها لاحقاً.

إلا أن الصحابي وفي تلك الأحوال التي كان يفوت فيها سماعه للحديث من النبي - ﷺ - مباشرة، يحرص أشد الحرص على سماعه وتلقيه للحديث من أخيه الصحابي الآخر الذي حضر ما لم يحضر وسمع ما لم يسمع ومن أمثلة هذه ما رآناه من تناوب عمر وجاره الأنصاري في السماع من رسول الله - ﷺ - حيث قال: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... الحديث"^(٣).

ولهذا قال البراء بن عازب ؓ: "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، مشغولين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يطلبون ما يفوته سماعه

(١) النمر، عبد المنعم، أحاديث الرسول - ﷺ - كيف وصلت إلينا، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٤.

(٢) الصفيير، الحديث المرسل بين القبول والرد، ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم ٨٩، ص ٢٩.

ولهذا قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ - فيسمعون من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه" (١).

وقد صدق الواقع ذلك، إذ روت أم المؤمنين عائشة ما فاتها بسبب صغرها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهم من صغار الصحابة. وروى أبو هريرة - أيضاً ما فاتته بسبب تأخر هجرته إلى السنة السابعة عام خيبر، روى ذلك عن النبي ﷺ - وعن أصحابه (٢).

وكان الصحابي ينزل من نفس أخيه منزلة رفيعة، فيثق به ثقته بنفسه، وهم جميعاً عدول بتعديل الله عز وجل، لهم وبتعديل الرسول ﷺ - لهم أيضاً لذا كان من المستحيل أن يعتمد أحدهم الكذب على رسول الله ﷺ - وقد عرفوا وعلموا عقوبة الكذب على رسول الله ﷺ - بل كانوا لا يكذبون إطلاقاً (٣). قال أنس بن مالك: "ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ - سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضاً" (٤)، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ - من الكذب" (٥)، فكيف بحديث النبي ﷺ، لا تكنبوا عليّ فإنه من كذب عليّ فليج النار" (٦).

وكان الصحابي إذا سمع حديثاً من أخيه عن النبي ﷺ - فكأنما سمعه بنفسه، لذلك لم يكن يسأل أخاه، هل سمعه من النبي ﷺ - إلا نادراً، لثقته المطلقة بأخيه الصحابي الذي أوصل له الحديث، وقد ورد عن عمر بن الخطاب حين سأله ابنه عبد الله عن خبر أخبره به سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ - أنه مسح على الخفين، فسأل عبد الله أباه عن الحديث، فقال له: "نعم، إذا حدثك سعد شيئاً عن النبي ﷺ، فلا تسأل عنه غيره" (٧).

وكان من منهج الصحابة رضي الله عنهم - إذا سمعوا الحديث من بعضهم لمزيد ثقتهم ببعضهم بعضاً، وأطمئنانهم إلى صدق وحفظ بعضهم بعضاً أيضاً روي ما سمعوه مباشرة دون ذكر الوسطة إلا في بعض الأحيان.

لذا نجد كثير من الصحابة رضي الله عنهم - قد روي عن بعضهم بعضاً فنجد أن أبا بكر قد روى عن بلال، وعثمان عن عمر، وأبو سعيد عن زيد، وغيرهم من الصحابة، وهذه تسمى

(١) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ١٤.

(٢) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٥٩.

(٣) الصغير، الحديث المرسل بين القبول والرد، ص ٢٥٢.

(٤) البغدادى، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٨٦.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ١٥٢.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٦، ص ٣٣.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين، حديث رقم ٢٠٢، ص ٥١.

برواية الأقران أي: المتقاربون في السن والإسناد^(١). وقد يروي الآباء عن الأبناء ومثل ذلك: رواية العباس عن أبيه الفضل وعبدالله.

وقد يروي الصحابي عن روى عنه: كرواية عائشة رضي الله عنها عن أبيها، وأبيها عنها، وروايتها عن أبي هريرة، وروايته عنها، ورواية أبي سعيد الخدري عن جابر، ورواية جابر عنه وهكذا، وهذا ما يعرف في علم المصطلح بالمديح وهو أن يروي كل واحد من القرينين عن صاحبه^(٢).

ومن أمثلة رواية الصحابة بعضهم عن بعض: ما رواه أبو سعيد الخدري عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ، ولكن حدثني زيد بن ثابت قال: "بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَتَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَانَتْ بِهِ... الحديث^(٣).

وتتابعت رواية الصحابة بعضهم عن بعض فقد روى البخاري بسنده إلى السائب بن يزيد ابن اخت نمر، أن حويطب بن عبد العزى أخبره، أن عبد الله بن السعدي أخبره، أن عمر رضي الله عنه قال له: كان رسول الله - ﷺ - يعطيني العطاء فأقول: أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال النبي ﷺ: "خُذْهُ فَمَمْلُوكُهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرَفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَإِنَّا فَلَا نُنْبِغُهُ نَفْسَكَ"^(٤).

قال النووي معقبا عليه: "وقد جاءت جملة من الأحاديث فيها أربعة صحابييون يروي بعضهم عن بعض"^(٥).

قال السيوطي^(٦): قلت: وقد اجتمع في بعض الأجزاء حديث اجتمع فيه خمسة من الصحابة وهو: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عثمان بن عفان عن عمر بن الخطاب، عن أبي بكر الصديق، عن بلال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الموت كفارة لكل مسلم"^(٧).

ولم تقتصر رواية الصحابة من الذكور بعضهم عن بعض بل جاءت كثير من الروايات تروي فيها الصحابة عن الصحابة، ومن هذا ما روي عن زينب بنت أم سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة، عن أمها أم حبيبة "أن النبي ﷺ - اسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) ابن جماعة، المنهل الرُّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٧٣.

(٢) ابن جماعة، المنهل الرُّوي في مختصر علوم الحديث الثُّبُوي، ص ٧٣.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة، حديث رقم ٢٨٦٧، ص ١١٥٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها، حديث رقم ٧١٦٤، ص ١٤٤٢٠.

(٥) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٧، ص ١٣٦.

(٦) السيوطي، تريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٥٥٠.

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٢١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان، (١٨٨٥) من حديث أنس، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ج ٣، ص ٢١٨، وحكم عليه الألباني في السلسلة الضعيفة، (٤٦٨٥) بالوضع، وقال العجلوني في كشف الخفاء: (٢٦٦٣) صححه أبو بكر ابن العربي، وقال العراقي في أماليه، ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن، قال المنذاري في المقاصد الحسنة: لم يصب ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات وإن تبعه الصاغاني، قلت فهو إلى الحسن أقرب.

اللَّهُ وَلَيْلَ الْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ... الحديث (١). فهذا السند قد اجتمع فيه أربع من نساء الصحابة، اثنتان من أمهات المؤمنين وربيتان للنبي ﷺ (٢).

ثم اتسعت رواية الصحابة بعضهم عن بعض بعد وفاة الرسول - ﷺ - لا سيما الصغار منهم عن الكبار ليعوضوا ما فاتهم سماعه من النبي - ﷺ - وكان من أحرص هؤلاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث كان شديد الحرص على تلقي حديث رسول الله - ﷺ - من الصحابة وفي هذا يقول: "لما قبض رسول الله - ﷺ - قلت لرجل من الأنصار: هل سمع فلنساء أصحاب رسول الله - ﷺ - فإنهم اليوم كثير، قال: وأعجباً لك يا ابن عباس: أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - من فيهم؟... الحديث" (٣).

ورحل بعض الصحابة إلى بعضهم وقطعوا الفيافي والقفار من أجل سماع حديث فاتهم من رسول الله - ﷺ - مثل: رحلة جابر من المدينة المنورة إلى عبدالله بن أنيس في الشام، ورحلة أبي أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر (٤).

وقد اعتمد بعضهم على بعض في النقل عن الرسول ﷺ، وهذا يدل على أمرين هما: الأمر الأول: هو الثقة المطلقة والعميقة بين الصحابة، وقد صرحت نصوص كثيرة تسجل إيثار بعضهم لبعض والاعتراف بالموهبة والحفظ.

الأمر الثاني: هو الحرص الشديد على أكبر قدر ممكن من المعين المحمدي المبارك، حتى لا تقف المشاغل اليومية عائقاً دون الرواية، من مكان وزمان وتجارة وصحة وسفر وغيرها (٥).

وهكذا يتبين لنا أن الأصل في رواية الصحابة كانت عن الرسول - ﷺ - مباشرة، ولكن لما لم يشهد جميع الصحابة كل ما صدر عنه لسبب من الأسباب من شغل، ورعية وزراعة، وتجارة وغيرها من الأسباب كان يأخذ الصحابي عن الصحابي كأنه هو السامع له وكله ثقة وطمأنينة به، ولم يلتزموا بذكر الوساطة غالباً بل كانوا غالباً ما يقولون: قال رسول الله - ﷺ - عن رسول الله ﷺ، ومن هنا نشأ ما عرف بإرسال الصحابي للحديث (٦).

المطلب الثالث: تحمل الصحابة - ﷺ - للحديث الشريف من التابعين

كان من شدة حرص الصحابة - ﷺ - البالغ على الرواية وتبجيلهم لحامل النص صحابياً كان أو تابعياً، فقد نقل الصحابة عن التابعين الذين نقلوا عن الصحابة الآخرين، وهذا تواضع عظيم واستزادة من الأسانيد (٧)، ومن هنا فقد روى بعض الصحابة - ﷺ - عن بعض

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب" حديث رقم ٧٠٥٩، ص ١٤٠٢.

(٢) السيوطي، تكريب الراوي شرح تقريب التواوي، ص ٥٤٩.

(٣) البغدادي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١٠٩، ص ١١٨.

(٥) ياسوف، أحمد زكريا، الصحابة حراس الحديث النبوي، مطب، دار أقرأ، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(٦) الصغير، الحديث المرسل بين القبول والرد، ج ١، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

(٧) ياسوف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ١٤.

التابعين بعض الأحاديث الشريفة، ولكنها نادرة جداً، على أن أكثر ما رواه الصحابة - رضي الله عنهم - عن التابعين - على قلتها - ليست أحاديث مرفوعة بل هو من أخبار الماضين والإسرائيليات، أو قصص للموعظة والاعتبار أو موقوفات^(١).

قلت: ولعل ذلك ما جعل علماء أصول الحديث لا يعنون ما يسمى (مرسل الصحابي) من الحديث المرسل، لأنهم اعتبروه في حكم الحديث الموصول المسند، قال ابن الصلاح: "ثم إننا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي؛ مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله - ﷺ - ولم يسمعه منه، لأن ذلك في حكم الموصول المسند، لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابي غير قاذحة لأن الصحابة كلهم عدول والله أعلم"^(٢).

وقد بين الصحابة - ﷺ - الأحاديث التي رووها عن التابعين، قال الخطيب البغدادي: "وقال آخرون مراسيل الصحابة كلهم مقبولة لكون جميعهم عدولاً مرضيين وأن الظاهر فيما أرسله الصحابي ولم يبين السماع فيه أنه سمعه من رسول الله - ﷺ - أو من صحابي سمعه عن النبي ﷺ، وأما من روى منهم عن غير الصحابة فقد بين في روايته ممن سمعه وهو أيضاً قليل نادر فلا اعتبار به وهذا هو الأشبه بالصواب عندنا"^(٣).

قلت: إن الواقع يدل على أن بعض الصحابة قد تلقى قليلاً من الروايات عن التابعين، وهذا ما يعرف برواية الأكابر عن الأصاغر، وقد أحصى الحافظ العراقي ما وقع من رواية الصحابة عن التابعين، وسرد عشرين حديثاً، وألف فيه الخطيب البغدادي مصنفاً^(٤).

وقد ذكر العلماء من أمثلة ذلك رواية العبدالة، وغيرهم من الصحابة عن كعب الأحبار^(٥)، ورواية ابن عمر عن سعيد بن المسيب، وابن عباس عن عمرو بن دينار وغيرها. قال ابن الصلاح^(٦): "ويندرج تحت هذا النوع ما يذكر من رواية الصحابي عن التابعي كرواية العبدالة وأبي هريرة وأنس بن مالك ومعاوية ابن أبي سفيان وغيرهم من الصحابة عن كعب الأحبار"^(٧).

قلت: ولو قال بعض العبدالة كان أصح، وذلك لأن بعضهم يدخل عبد الله بن مسعود فيهم وليس له رواية عن كعب لتقدم وفاته.

(١) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ١٢٦، ٧١.

(٢) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٨٥.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٥٥١.

(٥) أبو إسحاق، كعب بن ماتع، قال الذهبي: من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب، كان يهودياً فأسلم زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في عهد عمر الفاروق، قال ابن حجر: ثقة من الثانية، مخضرم، مات في آخر خلافة عثمان، قيل سنة ٣٢هـ / وقيل ٣٤هـ، أنظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥٢، وأنظر ابن حجر، تقريب التهذيب: ص ٤٦١.

(٦) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ١٥٤، قلت: والعبدالة هم: عبدالله بن عمر بن الخطاب، عبدالله بن عمر بن العاص، عبدالله بن عباس، عبدالله بن الزبير، وليس منهم عبدالله بن مسعود لتقدم موته (ت ٣٢هـ) قاله الإمام أحمد بن حنبل، أنظر: السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ٢، ص ٢١٩.

(٧) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ٢، ص ٧١٤.

ومما لا شك فيه أنَّ الصحابة رضي الله عنهم، لا يمكن أن يرووا الحديث إلا عن تابعي ثقة قد وثقوا واطمأنوا إلى روايته، كما أن التابعي يصرح باسم من سمع منه الحديث، فلا يمكن أن يأخذوا عن أي تابعي يرسله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنَّ حال التابعي غير الصحابي، ولأن من منهجهم إذا كانت الرواية عن الصحابي أنهم لا يذكرون ذلك إلا نادراً وذلك لعظيم ثقتهم ببعضهم بخلاف التابعي.

قال ابن رشيد الفهري: "فإن اعترضت أيها الإمام بإمكان احتمال الإرسال عن تابعي عن صحابي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أرسله، قلنا: نادر بعيد فلا عبرة به، وغاية ما قدر عليه الحفاظ المعتنون أنه يُبرز في ذلك أمثلة نزره تجري مجرى الملتح في المنكرات والنوادر في النوادي" ^(١).

وقال ابن حجر: وقد تتبعت روايات الصحابة - رضي الله عنهم - عن التابعين وليس فيها من رواية صحابي عن تابعي ضعيف في الأحكام شيء يثبت، فهذا يدل على ندور أخذهم عن من يضعف من التابعين" ^(٢).

قلت: وقد تتبعت الحافظ في كتابه "نزهة السابقين في رواية الصحابة عن التابعين" وهو تلخيص لكتاب رواية الصحابة عن التابعين للخطيب البغدادي.

ثم قلت: ولاحظ قيد الحافظ ابن حجر في قوله: في الأحكام" وقد كرره في مواضع عديدة منها، فقال: وهذا في أحاديث الأحكام دون غيرها" ^(٣).

ومن أمثلة ما رواه الصحابي عن تابعي عن صحابي حديث السائب بن يزيد، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن عمر بن الخطاب، أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ" ^(٤).

ومن ذلك حديث سهل الساعدي، عن مروان بن الحكم، عن زيد بن ثابت: أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ٩٥). فجاءه ابنُ أمِّ مكتوم وهو يملؤها عليَّ قال يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَوْ اسْتَطِيعَ الْجِهَادُ لَجَاهَدْتُ وَكَانَ أَعْمَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَقَفَّذَهُ عَلَى فَخْذِي فَتَقَلَّتْ عَلَيَّ حَتَّى خَفْتُ أَنْ تَرُضَ فَخَذِي ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿غَيْرُ أُولَى

الضَّرَرِ﴾ ^(٥).

(١) الفهري، السنن الأبين، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢) ابن حجر، التلخيص على كتاب ابن الصلاح، ج ٢، ص ٥٧٠.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤٤.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم ٧٤٧، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، سورة النساء آية رقم (٩٥)، حديث رقم ٤٥٩٢، ص ٩٠٤.

وحديث جابر بن عبدالله، عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، عن عائشة "إِنْ رَجَلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يَكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ... الحديث" (١).
 وحديث عمر بن الحارث بن المصطلق، عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود، عن زينب امرأة ابن مسعود قالت: خطبنا رسول الله - ﷺ - فقال: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَسُو مِنْ حُلِيِّكُمْ فَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).
 وحديث يعلي بن أمية، عن عنبه بن أبي سفيان، عن أخته أم حبيبة، عن النبي ﷺ: "مَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ بَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" (٣).
 وحديث جابر بن عبدالله، عن أبي عمرة مولى عائشة واسمه ذكوان، أن "عائشة أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ يَكُونُ جُنُبًا فَيُرِيدُ الرُّقَادَ فَيَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَرْتَفِدُ" (٤).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء، وجوب الغسل بالنقاء الختاتين، حديث رقم ٣٥٠، ص ١٥٣.
 (٢) الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الحلي، حديث رقم ٦٣٥، ص ١٢٥، وقال الألباني: صحيح بما بعده.
 (٢) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، سنن النسائي، ضبط نصها أحمد شمس الدين، دار الحديث العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، حديث رقم ١٧٩٩، ص ٣٠٨، وقال الألباني: صحيح الإسناد.
 (٤) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٤١، حديث رقم ٢٤٨٨٢، ص ٣٧٥، وقال محقق الكتاب: حديث صحيح.

الفصل الأول

سمات منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه

المبحث الأول: التثبت والتحري عن الحديث الشريف عند الصحابة ﷺ

المبحث الثاني: الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها عند الصحابة ﷺ

المبحث الثالث: مراعاة المستوى العلمي لطلاب الحديث وامتناعهم

عن التحديث بما لا يفهمه العامة

المبحث الرابع: نقد متن الحديث ونقد الرواة من جانب الضبط

المبحث الخامس: السؤال عن الإسناد والتفتيش عن عدالة الرواة

الفصل الأول

سمات منهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه

تمهيد

حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على تبليغ ما سمعوه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وبذلوا من أجله غاية ما في الوسع البشري، ولم يغفلوا عن أمر جوهري ألا وهو صون السنة من التحريف والتزييف، فكان لهم الفضل في وضع قوانين الرواية والذرية، التي تكفل صيانة الحديث وحفظه من الضياع والتحريف، وكان الناس آنذاك على أصل العدالة، ليس فيهم من يكذب، فلا حاجة إلى الجرح والتعديل، لانهم معذون بتعديل الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فلم يكن يحتاج الأمر لأكثر من التحرز عن الوهم الي هو سمة البشر، لذا تميز منهجهم بسمات كثيرة منها: التثبت والتحري عن الحديث الشريف وإقلال من الرواية، ونقد متون الحديث، والسؤال عن الإسناد، والتفتيش عن عدالة الرواة فيما بعد، واليكم بيان ذلك كله:

المبحث الأول

التثبت والتحري عن الحديث الشريف عند الصحابة - ﷺ -

تمهيد

عُرف من منهج الصحابة - رضي الله عنهم - التثبت الدقيق الواعي في حفظ وفهم ما يتلقونه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك حرصهم الشديد على متابعة كل ما جاء به من الهدى والعلم، وكانوا يحرصون أشد الحرص على أن يحيطوا علماً بكل شؤون دينهم وعلى أن يستوعبوا حفظاً وفهماً جميع ما يصدر من نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لذا كام من منهجهم الحرص على سماع الحديث الشريف واشتراط الشاهد، وأحياناً القسم ونقد الروايات ومعارضتها أحياناً أخرى، والسؤال عما لا يفهمونه وغير ذلك، واليكم بيان ذلك كله:

المطلب الأول: الحرص على سماع الحديث الشريف

أمن الصحابة - ﷺ - بدعوة محمد - ﷺ - وتجاوبوا معها، وبذلوا من أجلها النفس والنفس من أجل إعلاء كلمة الله، وكانوا حريصين كل الحرص على حفظ سنته وتطبيق كل ما يسمعون منه، قال الواقدي: "كان من الأنصار سبعون رجلاً شعبة يسمون القراء؛ كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية من المدينة فتدارسوا وصلّوا، حتى إذا كان وجاه الصبح، استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب...." (١). وكان - ﷺ - إذا تكلم في المجلس فإن الصحابة - ﷺ - يكونون على درجة عالية من السكينة والإنصات، قال أسامة بن شريك الثعلبي: "أتيت رسول الله - ﷺ - وأصحابه عنده كأنما على رؤوسهم الطير... الحديث" (٢)، قال الطبري: "هو كناية عن

(١) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر السهمي المدني، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، عالم الكتب - بيروت، {ط: بدون}، {تاريخ النشر: بدون}، ج ١، ص ٣٤٧.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، حدیث رقم ٤١٨، ج ١، ص ٢٢٢، وقال إسناده صحيح ولم يخرجه.

إطراقهم رؤوسهم وسكونهم، وعدم التفاتهم يمينا وشمالا، أي على رأس كل واحد الطير يريد صيدها، ولا يتحرك، وهذه كانت صفة مجلس رسول الله ﷺ - إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(١). ومن هنا حرص الصحابة - ﷺ - على أن تتقل أقواله - ﷺ - كما صدرت عنه نقية غير شائبة بشائبة وغير محرقة أنى تحريف أو تغيير، فاتخذوا الحيلة والحذر في سماع الحديث وحفظه، وخاصة بعدما سمعوه محذرا من الكذب عليه "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٢).

ومن مظاهر حرص الصحابة - ﷺ - حرص بعضهم على سماع الحديث من الرسول - ﷺ - أكثر من مرة ليحدث به غيره، فقد ورد عن عمرو بن عبسة ﷺ، بعد أن حدث بحديث: "لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي وَاقْتَرَبَ أَجَلِي وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سِتْعَ مَرَّاتٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"^(٣).

وكان من شدة حرص الصحابة - ﷺ - على تحمل الحديث وعلى ألا يفوتهم شيء مما يصدر عن النبي - ﷺ - أنهم كانوا يتناوبون حضور مجلسه - ﷺ - ويبلغ الشاهد منهم الغائب. وفي هذا يقول الفاروق ﷺ: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَّابِئُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ... الحديث"^(٤).

وهكذا نجد حرصهم على حضور مجالس الرسول - ﷺ - إلى جانب ما يقومون به في أمور المعاش، كما كان الرسول - ﷺ - يحرص من جانبه على تعليم صحابته - ﷺ - دائما حتى قال أبو ذر الغفاري ﷺ: "لقد تركنا رسول الله ﷺ، وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما"^(٥).

وكذلك كان النبي - ﷺ - يحث صحابته على حفظ أحاديثه وتعليمها للناس كافة، ففي الحديث الشريف أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي - ﷺ - ليتعلموا منه حديثهم بحديث وقال لهم: "احْفَظُوا وَأَخْبِرُوا مَنْ رَزَأَكُمْ"^(٦).

وكانت رغبة الصحابة - ﷺ - في سماع حديث الرسول - ﷺ - عظيمة وكبيرة، وهل أحب إلى المرء من أن يسمع حكم نبيه ومربيه؟ وهل من شيء أعز على المسلم من أن يحيى آثار منقذة من الضلال والنار؟ لقد كان الصحابة ﷺ، مندفعين بإخلاص إلى سماع حوائث

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، قديمي كتب خان، ص ١١١.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٢، ص ٤٤١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم (٨٩)، ص ٤٣.

(٥) ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري، كتاب الطبقات الكبرى، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، (ط: بدون)، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي - ﷺ - وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، حديث رقم ٨٧، ص ٤٢-٤٣.

رسول الله - ﷺ - وسيرته، فهذا الصديق يقف عند عازب والد البراء فيشتري منه رحلاً^(١)، ويقول له: من البراء فليحمله إلى منزلي فيقول: لا: حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله - ﷺ - وأنت معه فقص عليه خبر الهجرة.

وهذا علي - ﷺ - يلتقي بكعب الأحبار فيقول له كعب: يا علي أسمعت رسول الله - ﷺ - بقوله في المنجيات؟ قال: لا. ولكن سمعته يقول في الموبقات، فقال كعب لعلي: حدثني بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات، فقال علي: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: الموبقات: ترك السنّة ونكث البيعة وفراق الجماعة، فقال كعب لعلي: المنجيات: كف لسانك وجلس في بيتك، وبكاؤك على خطيئتك^(٢).

وكان من أحرص الصحابة على حديث رسول الله - ﷺ - أبو هريرة - ﷺ - - لامن ناحية التحصيل والاستفسار فحسب، بل من نواح أخرى كالحفظ مثلاً^(٣).

أما من جهة السؤال: فقد سأل يوماً الرسول ﷺ، عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ"^(٤).

ومن جهة الحفظ: فقد إشتكى إلى النبي - ﷺ - كثرة نسيانه الحديث، فقال النبي ﷺ: "ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسْطُتُهُ قَالَ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ ضُمُّهُ فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ"^(٥).

وأما من جهة تدوين الحديث وكتابته: فلقد كان عبد الله بن عمرو - ﷺ - من أحرص الصحابة على تقييد السنن، ومن المعنيين بجمع حديث رسول الله - ﷺ - وكتابته.

وقد شهد له أبو هريرة - ﷺ - بذلك فقال: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ"^(٦).

ويخبر عبدالله بن عمرو - ﷺ - عن نفسه فيقول: "كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهْتَي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَرَسُولِ اللَّهِ -

(١) الرجل: وهو للناقة كالسرج للفرس.

(٢) عبد الغفار، أحمد، محاضرات في علوم الحديث وجهود علمائه، الاسكندرية - مصر، دار المعرفة الجامعية، {ط: بدون}، ١٩٩٦م، ص ٤٨ - ٤٩.

(٣) لمحزون، منهج النبي - ﷺ - في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم ٩٩، ص ٣١.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٩، ص ٣٥.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١٣، ص ٣٤.

﴿بَشِّرْ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا ؟ فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ لَدَكْرَتِ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَوْثَمًا بِأَصْبَحِهِ إِلَى فِيهِ وَقَالَ : « أَكْتُبُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ » (١).

وهذا ابن مسعود من شدة ملازمته لرسول الله ﷺ، وخدمته وتوليه لفراشه ووساده وطهوره، ولإطلاعه على أسرارهِ، كان بعض الصُّحابة يحسبه من أهل بيته (٢)، وفي هذا يقول أبو موسى الأشعري: "ما كنت أحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت لكثرة دخولهم وخروجهم"، وقال ابن مسعود ﷺ: "والله الذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله - ﷺ - بضعا وسبعين سورة" (٣)، ويقول أيضا: "ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت" (٤).

ولقد كان من حرص الصُّحابة - ﷺ - على ملازمة النبي ﷺ: أن ترك بعضهم الأهل والولد وزهد في الدنيا من أجل طلب العلم وحديث رسول الله ﷺ، حيث ورد أن رسول الله ﷺ: "أقطع رجلا يقال له سُلَيْط - وكان ينكر من فضله - أرضا، قال: فكان يخرج إلى تلك الأرض فيقيم بها الأيام ثم يرجع، فيقال له: نزل بعدك كذا وكذا على رسول الله ﷺ، قال: فانطلق على رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله! إن هذه الأرض التي أقطعني قد أشغلتني عنك، فاقبلها مني، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك" (٥).

ولم يقتصر الأمر على أفراد الصُّحابة ﷺ، بل كانت القبائل البعيدة تبعث إلى رسول الله - ﷺ - من يتعلم أحكام الدين منه، ثم يعود إليهم، ليرشدوهم ويعلمهم كما هو حال وفد عبد القيس وغيرهم.

ولم يقتصر الأمر على الرجال فحسب، بل حرصت النساء أيضا على سماع حديث رسول الله ﷺ، حيث كانت النساء تصلي في المسجد خلف صفوف الرجال والصغار، فكن لا يسمعن جيدا ما يقوله ﷺ، وأحيانا أخرى كان الرجال يملأون المسجد فلا يبقى لهنّ موضع فيه، فاشتكين إليه وقلنّ له (٦): "غَلَبَتْ عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ" (٧) فوعدهن الرسول - ﷺ - خيرا واستجاب لطلبهنّ ورتب لهنّ اجتماعا ويوماً ووعظهنّ وأجاب عن أسئلتهنّ.

وهكذا نجد حرص الصُّحابة - ﷺ - عندما كان يفوتهم سماع حديث رسول الله ﷺ، لما كانوا يقيمون به من أعمال ومشاغل، كانوا يحرصون على طلب ما يفوتهم سماعه من أقرانهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه، فهذا ما فهموه وآمنوا به، وساروا عليه،

(١) الدارمي، سنن الدارمي، باب من رخص في كتابة العلم، ج ١، ص ١٢٥ وإسناده صحيح.

(٢) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار التاليف، ط ١، ١٩٦٩م، ج ١، ص ٣٤.

(٣) الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ١٢٤.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٤١.

(٥) أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم ٦٧٧، [ط: بدون]، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٨٦.

(٦) كولن، السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ص ٣٨.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجمل للنساء يوم على حدة في العلم؟ حديث رقم ١٠١، ص ٣٢.

وحرصوا على أن يلتقطوا كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وينفذوه على أكمل وجه وكان كل واحد منهم يحرص على تبليغ من غاب عن مجلسه؛ حرصاً منهم على تعميم تعاليمه، وتنفيذاً لتوجيهاته السامية "أَلَا لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ"^(١). وبكل هذا حفظ الصحابة - رضي الله عنهم - حديث رسول الله ﷺ^(٢).

المطلب الثاني: اشتراط الشاهد

كان من بين إحدى الطرق الكثيرة التي سنّها الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - في التثبت والتحري هو مطالبة الراوي بشاهد يؤيده فيما يروي عن النبي - ﷺ - إلا أن ذلك الإشهاد لم يكن شرطاً لازماً وأمرًا مطرداً في جميع الحالات بل كان استثناءً يلجأون إليه في حالات خاصة لحكمة وهدف يستدعيه موقف مخصوص ومحدد^(٣).

لذا لم يكن الصحابة - رضي الله عنهم - يقبلون الحديث الشريف من كل محدث، بل علموا أن من الحديث محرماً ومحللاً، ومخطئاً ومصوباً، وأن سبيل وطريق ذلك اليقين أو الظن الآخذ بأهدابه، لذلك تثبتوا في رواية الحديث الشريف جدّ التثبت والاحتياط، فكان لهم في الراوي نظرة كما كانت لهم في المروي، وكان بعضهم يأبى إلا شاهداً معضداً أو يميناً حاسمة تميّط لثام الشك عن وجه اليقين^(٤). ومن أجل ذلك كله استفاد الصحابة - رضي الله عنهم - من هدي معلمهم الأول الرسول - ﷺ - عندما طلب شاهداً مع ذي اليمين.

فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: "انصرفت من اثنيتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال رسول الله - ﷺ - أصدق ذو اليدين... الحديث"^(٥). قال ابن التين: "يحتمل أن يكون شك بأخبار ذي اليمين فسألهم إرادة تيقن أحد الأمرين، فلما صدقوا ذا اليمين علم صحة قوله"^(٦).

وقال الغزالي: أما توقف رسول الله ﷺ عن قول ذي اليمين فيحتمل ثلاثة أمور: أحدهما: أنه جوز الوهم عليه لكثرة الجمع وبعد أنفراده بمعرفة ذلك مع غفلة الجمع إذ الغلط عليه أقرب من الغفلة على الجمع الكثير وحيث ظهرت أمارات الوهم يجب التوقف. ثانيها: أنه وإن علم صدقه جاز أن يكون سبب توقفه أن يعلمهم وجوب التوقف في مثله ولو لم يتوقف لصار التصديق مع سكوت الجماعة سنة ماضية فحسم سبيل ذلك. ثالثها: أنه قال قولاً لو علم صدقه لظهر أثره في حق الجماعة واشتغلت نمتهم فالحق بقبيل الشهادة فلم يقبل فيه قول الواحد والأقوى ما ذكرناه من قبل^(٧).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم ١٠٤، ص ٣٢-٣٣.

(٢) النمر، أحاديث رسول الله - ﷺ - كيف وصلت إلينا، ص ٦.

(٣) حسن، علي عبد الفتاح علي، الحديث النبوي وروايته، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٩٧.

(٤) الخولي، تاريخ فنون الحديث النبوي، ص ٣٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس؟، حديث رقم ٧١٤، ص ١٦٨.

(٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٧) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ١٥-١٦.

لذا سار الصحابة - ﷺ - عامة والخلفاء الراشدين خاصة على هدي ومنهج النبي - ﷺ - وطلبوا الشاهد على بعض الأمور التي يمكن أن يكون دخل الوهم إليها على بعض الصحابة ﷺ.

وفي هذا يقول البراء بن عازب: "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله - ﷺ - كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشغولين في رعاية الإبل وأصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله - ﷺ - فيسمعون من أقرانهم أو ممن هو أحفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه" (١) فهذا كلام في غاية الوضوح كيف أن الصحابة عامة كانوا يشددون على من يسمعون منه، أما الخلفاء الراشدين خاصة فانظر ماذا يقول الذهبي عنهم في ترجمة أبي بكر ﷺ: "كان أول من احتاط في قبول الأخبار" (٢) ثم روى من طريق:

١. ابن شهاب عن قبيصة: جَاءَتِ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا قَالَ فَقَالَ لَهَا مَا لَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ وَمَا لَكَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَيْءٌ فَأَرْجِعِي حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ فَسَأَلَ النَّاسَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَأَعْطَانَا السُّدُسَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ النَّصَارِيُّ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ (٣):

قال الذهبي معقبا على هذه الرواية: "فعل ذلك للتثبت في الرواية، وللاحتياط في الضبط لا لتهمة أو سوء ظن"، ثم قال: وإليه المنتهى في التحري والقبول" (٤). وتعتبر هذه المسألة هي أول مسألة استشهد صحابي فيها على روايته، وطعن ابن حزم الظاهري في سندها بالانقطاع (٥).

وإذا سلمنا بصحة الرواية بأي درجة، فقد علل الغزالي السبب في ذلك فقال: "أما توقف أبي بكر في حديث المغيرة في توريث الجدة، فلعله كان هناك وجه اقتضى التوقف، إذ أنه قد ثبت منه ﷺ - قبول خبر الواحد بالقطع وكذلك كان إستحلاف علي - ﷺ - لمزيد التثبت والاطمئنان (٦).

وبذلك يتبين من الحديث أن أبا بكر الصديق - ﷺ - لم يأخذ بخبر المغيرة رضي الله عنه - مع أنه صحابي جليل مشهور ومعروف، صاحب رسول الله - ﷺ - في أسفاره، ولكن هذا شيء والتثبت من حديث رسول الله - ﷺ - شيء آخر. فطلب أبو بكر شاهداً مع المغيرة - ﷺ - ليشهد عنده أن ذلك الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ (٧).

(١) الحاكم، كتاب معرفة علوم الحديث، ص ١٤.

(٢) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢.

(٣) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الفرائض، ما جاء في ميراث الجدة، حديث رقم ٢١٠٠، ص ٣٤٨، قال الترمذي: توفي الباب عن بريده. وهذا حديث حسن صحيح وهو أصح من حديث ابن عيينه، وقال الألباني: ضعيف.

(٤) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣ + ٥ ص ١٠.

(٥) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٢٥٨.

(٦) الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ج ١، ص ١٥٤.

(٧) شلبي، رؤوف، المئنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلین، دار القلم، ط ٤، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٩٠.

قلت: ومقصد الصديق هو التثبت في رواية الحديث الشريف، ولم يقصد تهمة المغيرة أو سوء الظن به حاشا وكلا فهم المعدلون بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ. ثم صار الفاروق - ﷺ - مضرباً للأمثال في التثبت والتحري، والتأكد من سلامة وصحة نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ^(١)، قال الذهبي: "وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، ربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا إرتاب"^(٢) فقد ظهرت معه واقعتان طلب فيهما من الراوي البينة على روايته^(٣): قلت: بل أكثر من ذلك ومن أمثلة ذلك.

١- ما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري حيث قال: "كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَأَتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مُغَضَّبًا حَتَّى وَقَفَ فَقَالَ أَشَدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ الْإِسْتِذَانُ ثَلَاثَ فَإِنْ أَدِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ قَالَ أَبِي وَمَا ذَاكَ قَالَ اسْتَأذِنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذَنَ لِي فَرَجَعْتُ ثُمَّ جِئْتُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي جِئْتُ أَنَسٍ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا ثُمَّ انْصَرَفْتُ قَالَ قَدْ سَمِعْتَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ فَلَوْ مَا اسْتَأذِنْتُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ قَالَ اسْتَأذِنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَوَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنُكَ أَوْ لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا ... الحديث"^(٤).

قلت: يتضح مما سبق: أن عمر - ﷺ - لم يطلب شاهداً على عدالة أبي موسى - ﷺ - لأنه لم يتهمه؛ ولكن القضية في أساسها، هي صيانة وحفظ للحديث النبوي الشريف، وتدريب للأمة على هذه الصيانة والحفظ^(٥).

إذن: كان هدف عمر - ﷺ - من طلب الشهادة على الخبر هو التثبت من الراوية، حين لا يطمئن قلبه إليها، لأي سبب من الأسباب التي ترجع في أغلبها إلى الرغبة في تحري الدقة في رواية الراوي للحديث، وفهمه وضبطه. لا إلى شك في صدقه وعدالته. أضف إلى ذلك رغبته وحرصه على ألا يتحدث الناس بأن عمر - ﷺ - يقبل كل خبر عن رسول الله ﷺ، بغير بينة حتى لا يقول بعض ضعاف النفوس على النبي ﷺ، فأراد أن يشتهر ويعرف بينهم أنه قد طلب من بعض الصحابة - ﷺ - شهادة أخرى على حديثهم^(٦). هذا مع علمنا أنه كان لبعض كبار الصحابة - ﷺ - عند عمر - ﷺ - منزلة عالية وخاصة بحيث صرح وأعلن أنه يثق بهم، وأنهم غير متهمين عنده، منهم على سبيل المثال: عبد الرحمن بن عوف الذي قبل

(١) حسن، الحديث النبوي وروايته، ص ١٠٠.

(٢) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ص ٦.

(٣) الندوي، نقي الدين، أعلام المحققين ومآثرهم العلمية، ص ٣٩.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، حديث رقم ٢١٥٣ ص ٥٦١.

(٥) شلبي، السنة الإسلامية، بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٩١.

(٦) بلتاجي، محمد، بحث مختارة في السنة، مكتبة الشباب، [ط: بدون]، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٣.

حديثه وحده في معاملة المجوس^(١)، وفي مرض الطاعون وقال له عندئذ: أنت عندنا الأمين المصدق، فماذا عندك؟^(٢) ومنهم سعد بن أبي وقاص الذي قال لابنه عبد الله بن عمر: إذا حَدَّثَكَ سَعْدٌ بِشَيْءٍ فَلَا تُرُدُّ عَلَيْهِ ... الحديث^(٣).

٢- ومنه ما رواه البخاري بسنده عن هشام عن أبيه: "أَنَّ عُمَرَ كَثُرَ النَّاسُ مِنْ سَمْعِ - ﷺ - قَضَى فِي السَّقَطِ فَقَالَ الْمُعِيرَةُ أَنَا سَمِعْتُهُ قَضَى فِيهِ بِغُرَّةِ عَبْدٍ أَوْ أُمَةٍ قَالَ أَنْتِ مَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ عَلَى هَذَا ... الحديث^(٤)".

٣- وما رواه عبد الله بن أبي بكر قال: "كَانَ لِلْعَبَّاسِ بَيْتٌ فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَضَاقَ الْمَسْجِدُ عَلَى النَّاسِ فَطَلَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ الْبَيْعِ فَأَبَى فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي: لِنَاتِيئِي عَلَى مَا تَقُولُ بَبِينَةٍ، فَخَرَجَا فَإِذَا نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَذَكَرَهُمْ؛ قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَتْهَمَكَ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبْتُ"^(٥).
قلت: والحاصل أن مقصد الفاروق ﷺ هو: حمل الناس على التثبت عن رسول الله - ﷺ - إذ ورد أنه قبل روايات لم يروها إلا راو واحد، وحسبك منها جملة وافرة قد ذكر بعضها الإمام الشافعي في كتابه الرسالة فانظرها هناك.

وهذا الخليفة الراشد عثمان بن عفان - ﷺ - يشهد الصحابة على كيفية الوضوء، فعن بسر بن سعيد قال: "أَتَى عُثْمَانُ الْمَقَاعِدَ^(٦)، فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَمَضْمَضَ وَاسْتَشَقَّ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَرَجَلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - هَكَذَا يَتَوَضَّأُ يَا هَؤُلَاءِ أَكْذَاكَ قَالُوا نَعَمْ لَنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عِنْدَهُ"^(٧).

وهنا نلاحظ أنه - ﷺ - لم يقتصر على رؤيته وضوء رسول الله - ﷺ - وإنما تثبت من جماعة من أصحاب رسول الله - ﷺ - رأوا وضوء النبي - ﷺ - أيضاً.
قلت: ومقصد عثمان - ﷺ - من سؤاله واستشهاد الحاضرين على نفسه أن يلفت أنظارهم ويعلمهم أن الذي يروي عنه - ﷺ - يحتاج منه إلى استظهار حفظه والتثبت والتحري والاستيثاق من روايته مهما علت مكانته ومنزلته وأرتفع شأنه كما فعل ذلك الخليفة نفسه^(٨).

(١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣، وإسناده صحيح.

(٢) البغدادي، كتاب الكفاية في علم الرواية، ص ٨٥، وإسناده صحيح.

(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ١٩٢، وقال محققه إسناده صحيح.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النيات، باب جنين المرأة، حديث رقم (٦٩٠٥، ٦٩٠٦، ٦٩٠٧، ٦٩٠٨)، ص ١٣٦٩.

(٥) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨، وانظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٣-١٤.

(٦) مكان وموضع إعتاد عثمان بن عفان - ﷺ - الجلوس عليه قرب داره لقضاء حوائج الناس، وفي وصفه أقوال متعددة. انظر ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ج ٢٢، ص ٢١٣، والثوري: شرح صحيح مسلم، م ٣، ص ١١٤.

(٧) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ١٨٦، ص ٢٨٨.

(٨) حسن، الحديث النبوي وروايته، ص ١٠٣.

هذا ومما ينبغي التنويه عليه والإشارة إليه، إلى أن هذه المناهج والشروط التي استخدمها الخلفاء الراشدون خاصة والصحابية عامة لم تكن منهج الاستمرار والعادة، في تقبل السُّنة النبوية الشريفة، بل هي منهج خاص في الحادثة أو القصة التي لم يتثبتوا فيها من الرواية، كما أنه لا مجال للطعن في الصحابة - رضي الله عنهم - فلقد هاجروا من ديارهم، وتركوا أولادهم، وأوطانهم، وباعوا النفس والنفس، واستعذبوا وتحملوا مشاق الحياة في سبيل الله، فلم يكونوا يكتبوا، ولم يكن الواحد منهم يرمي أخاه بالكذب، فهم كالنجوم بأيهم اقتدى الناس اهتدوا، ولكنه الدين والأمانة التي تحملها الصحابة رضي الله عنهم، لذا فإن التثبت في الرواية هو أفضل من الإكثار منها، ولذلك فإن مع تحديد السُّنة وجوب التبليغ على الحافظين الشاهدين، للغائبين^(١) فيما يروى "فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"^(٢)، فإن التبليغ يجب أن يكون في نثار من التثبت والحيلة، لذلك ورد عنه رضي الله عنه "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"^(٣).

وكذلك لا يعني أن الصحابة لم يأخذوا بحديث الأحاد، لأن وجود راويين لا يخرج الحديث عن كونه أحاداً، وقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أخذهم بخبر الواحد، ولكنهم يطلبون التأكيد عند الشك أو خشية الوهم، أو النسيان، ونحو ذلك. وهكذا سار الصحابة على منهج التثبت والتابعون ومن بعدهم فكانوا يبحثون وينقرون عن الحديث إلى أن يصح لهم^(٤).

المطلب الثالث: اشتراط القسم

لقد استفاد الصحابة - رضي الله عنهم - هذا المنهج من هديه - رضي الله عنه - في التثبت والتحري في الأخبار، وبالتالي قبول هذه الأخبار أو ردها، ومن أمثلة ذلك ما ورد عن أنس بن مالك أنه قال: "ثَمِينًا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَلَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَبِأَلَدِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ أَلَلَّهُ أَرْسَلَكَ قَالَ نَعَمْ... الحديث"^(٥).

والشاهد في ذلك أن "في إقراره - صلى الله عليه وسلم - لهذا السائل أن يقسم عليه أن يصدقه في كونه رسولاً للتأكيد وتقدير الأمر، دليل على أنه يجوز إستحلاف من يوثق بدينه للتأكد من صدق ما أخبر به"^(٦). قال العيني في بيان الأحكام المستفادة من هذا الحديث: "فيه الإستحلاف على

(١) شلبي، السُّنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٩١ - ٩٢.
(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تحريم النماء والأعراض والأموال، حديث رقم ٤٤٠٠، ص ٨٢٣ - ٨٢٤.
(٣) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم (٥)، ص ٥.
(٤) الحاكم، كتاب معرفة علوم الحديث، ص ١٥.
(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٢، ص ٣٦.
(٦) الحوري، محمد عودة أحمد، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، بحث قابل للنشر بتاريخ ٢٩/٤/٢٠٠٩م، ص ٩.

الخبر لعلم اليقين^(١)، وقال المهلب، وقوله: "أسألك بربك" فيه جواز الإستحلاف على الحق ليحكم باليقين، وقد قال علي: ما حدثني أحد إلا استحلفته، فإذا حلف لي صدقته إلا أبو بكر، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر. قال ابن بطل: "فوافق هذا الأعرابي مذهب علي في تصديقه من حلف له على خبره، فكيف وقد كان النبي - ﷺ - عندهم في الجاهلية معروفاً بالصدق في أحاديث الناس، فلم يكن لينذر الكذب على الناس، ويكذب على الله كما قال هرقل لأبي سفيان، وجعل ذلك من دلائل نبوته، فلذلك صدقه ضمام^(٢)."

ومن هنا وبمقدار ما يمكن من الاحتياط والتثبت فقد نهج الصحابة - ﷺ - في أساليب متعددة ومتنوعة لصيانة السنة النبوية من العبث والتزييف، فكان للصحابة بشكل عام ولعلي - ﷺ - منهجه الخاص، منهج القسم واليمين^(٣). فذكر الإمام الذهبي مناقب الإمام علي - ﷺ - فقال: "وكان إماماً عالماً متحريراً في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث، فعن أسماء بن الحكم الفزاري أنه سمع علياً يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعني منه وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفته فإذا حلف صدقته"^(٤). وقال الحاكم: "الحديث عن علي بن أبي طالب في ذلك مستفيض مشهور"^(٥). ويظهر من كلام علي - ﷺ - أنه لم يكن يستحلف كل الرواة ولم يكن الاستحلاف ديناً وعادة له وإنما كان يستحلف حين يرتاب في حفظ وضبط الراوي بدليل أنه قبل رواية أبي بكر الصديق دون استحلاف لأن أبا بكر كان أهلاً للثقة وأهلاً للحفظ والرواية عن رسول ﷺ^(٦). ودليل ذلك أنه سمع من عمر وعمار وفاطمة - ﷺ - وليس في طرق هذه الأحاديث أنه استحلف أحداً منهم^(٧). ومن الأمثلة الكثيرة على استخدام الصحابة - ﷺ - شروط القسم لقبول العمل بالحديث الشريف ما يلي:

١- عن سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة:

"أَشْهَدُكَ اللَّهُ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ يَا حَسَّانُ أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... الحديث^(٨)."

٢- وعن شفي الأصبجي أنه دخل مسجد المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من

هذا ؟ قالوا : أبو هريرة ، قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ، وهو يحدث الناس ، فلما سكت

(١) العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٣١.

(٢) ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي البلنسي، شرح ابن بطل على صحيح البخاري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ب، ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هـ، ج١، ص١٣٠.

(٣) ثلبي، السنة الإسلامية من إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص٩١-٩٣.

(٤) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠ - ١١.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص١٥.

(٦) حسن، الحديث النبوي وروايته، ص١٠٤.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٢٦٨.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت ، حديث رقم ٤٨٥، ص٦٣٧ - ٦٣٨.

وخلا ، قلت له : أنشدك بحقي لما حدثني حديثا سمعته من رسول الله -ﷺ- عقلته وعلمته
...الحديث" (١).

٣- ولما شك ابن عمر- رضي الله عنهما- بما رواه أبو هريرة في ثواب اتباع جنازة
انطلق أبو هريرة إلى عائشة -ﷺ- وقال: " أنشدك الله اسمعت رسول الله -ﷺ- يقول : من
تبع جنازة فصولي عليها لله قيراط ...الحديث" (٢). قال ابن حجر: معلقا عليه " وفيه ما كان
الصحابية عليه من التثبت في الحديث النبوي والتحرز فيه والتقيب عليه" (٣).

٤- إن الفاروق-ﷺ- قال لمن كان عنده من أصحاب النبي ﷺ: " أَلْشُدُّكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَذِّنُ
تَقْوَمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً ...الحديث" (٤).

قلت: فهنا نلاحظ أن الفاروق قد لجأ إلى تحليف الرواة إذا حصل عنده إرتياب بشأن حديث ما.
٥- وما ورد عن أبي هريرة -ﷺ- أنه قال: "أَتَيْتُ عُمَرَ بِامْرَأَةٍ تَشِمُّ فَقَامَ فَقَالَ أَلْشُدُّكُمْ بِاللَّهِ مَنْ
سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي الْوَشْمِ ...الحديث" (٥).

قال ابن حجر معلقا على الحديث: "وفائدة ذكر أبي هريرة قصة عمر إظهار ضبطه
وأن عمر كان يستثبته في الأحاديث مع تشدد عمر، ولو أنكر عليه عمر ذلك لنقل" (٦).

٦- وما ورد عن عبد الله بن الحارث عن أبيه "وَكَانَ الْحَارِثُ خَلِيفَةُ عُثْمَانَ عَلَى الطَّائِفِ فَصَنَعَ
لِعُثْمَانَ طَعَامًا فِيهِ مِنَ الْحَجَلِ وَالْبَعَاقِبِ وَلَحْمِ الْوَحْشِ قَالَ فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَهُ
الرَّسُولُ -ﷺ- وَهُوَ يَخْبِطُ لِأَبَاعِرَ لَهُ فَجَاءَهُ وَهُوَ يَنْفُضُ الْخَبْطَ عَنْ يَدَيْهِ فَقَالُوا لَهُ كُلْ فَقَالَ أَطْعِمُوهُ
فَوَمَا حَلَالًا فَأَنَا حَرُمٌ فَقَالَ عَلِيٌّ -ﷺ- أَلْشُدُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ أَشْجَعِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -
ﷺ- أَهْدَى إِلَيْهِ رَجُلٌ حِمَارَ وَحْشٍ وَهُوَ مُحْرَمٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ قَالُوا نَعَمْ" (٧).

(١) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ذكر البيان بأن من رآه في عمله يكون في
القيامة من أول من يدخل النار نعوذ بالله منها، ج٢، حديث رقم ٤٠٨، ص ١٣٥ - ١٣٦، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده
صحيح.

(٢) الحاكم، المستدرک عن الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أبي هريرة الدوسي، ج٣، ص ٥١٠، وقال الحاكم: هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣، ص ٢٥٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، حديث رقم ٣٠٩٤، ص ٥٤٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المستوشمة، حديث رقم ٥٩٤٦، ص ١٠٤٥.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص ٤٦٧.

(٧) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرّم، حديث رقم ١٨٤٩، ص ٢١٥، وقال الألباني: حديث
صحيح.

ومن هنا نلاحظ: أن أبا بكر وعمر وعلي ومن في منزلتهم لم يكونوا يهتمون الصحابة بالتقول على رسول الله - ﷺ - ولا يقصدون منعهم من التبليغ، بل قصدوا عمل ذلك مع الصحابة الثقات الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وأنكروا عليهم حتى لا يجترأ من بعدهم ممن ليس محله في الإسلام كمحلهم، ففعلهم هذا ينزل منزلة الاحتياط والتثبت كما صرح الفاروق^(١).

قلت: لقد كان الخلفاء الراشدين خاصة والصحابة عامة - ﷺ - أصحاب الريادة والقُدوة في مجال التثبت والتحري في قبول الحديث الشريف عن رسول الله - ﷺ - وأصبحوا قدوة لمن بعدهم من التابعين. هذا ومما يجدر التنبيه والإشارة إليه في مقام الاستشهاد، أن هذا المنهج إنما يصلح مع من اشتهر بالتقوى والصلاح دون الفسقة، وفي هذا يقول الخطيب البغدادي: معقباً على خبر علي - ﷺ - في الاستحلاف: "ومعلوم أنه كان يحدثه المسلمون ويستحلفهم مع ظهور إسلامهم، وأنه لم يكن يستحلف فاسقاً ويقبل خبره، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين، وكذلك غيره من الصحابة روي عنهم أنهم ردوا أخباراً رويت لهم ورواتها ظاهرهم الإسلام فلم يطعن عليهم في ذلك الفعل"^(٢). هذه بعض الأمثلة التي تعطي الصورة الواضحة النقية عن استخدام الصحابة - ﷺ - أسلوب القسم من أجل التأكد من ضبط الحديث وحفظه والأمثلة على ذلك كثيرة يصعب حصرها.

المطلب الرابع: نقد الروايات ومعارضتها

لم يكتف الصحابة - ﷺ - بالتثبت من إسناد الحديث الشريف إلى رسول الله - ﷺ - بل نقدوا متون الأحاديث وناقشوها وذلك من خلال عرضها على نصوص الشريعة وقواعد الدين الحنيف، فإن وجدوا مخالفاً لشيء منها ردوه وتركوا العمل به^(٣). على الرغم من أن الصحابة - ﷺ - كانوا جميعاً محل ثقة فيما بينهم، إذ كان الدين لا يزال قوياً متيناً في النفوس، بيد أن هذه الثقة لم تجل بينهم وبين التأكد والتحري والتثبت من حقيقة ما يسمعون، فإن السمع يخطئ، ولا سيما إن اقتضت الضرورة والحال لذلك^(٤). ومن أمثلة ذلك:

١- ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن أبي مليكة قال: "تَوَفَّيْتُ ابْنَةَ عُثْمَانَ - ﷺ - بِمَكَّةَ وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ - ﷺ - وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا أَوْ قَالَ جَلَسْتُ إِلَيْ أَحَدِهِمَا ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنَّبِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعُمَرَو بْنِ عُثْمَانَ أَلَا

(١) خليل، إبراهيم سعيد إبراهيم، التسهيل في علم الجرح والتعديل، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٢٠.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٨٣.

(٣) عبيدات، محمود سالم، تاريخ الحديث ومناهج المحققين، راجعه ودفقه، محمود نادي عبيدات، المناهج للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ص ٣٢.

(٤) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٩٢.

تَنهى عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ^(١). فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ كَانَ عُمَرُ - ؓ - يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرُكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ فَقَالَ أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ مَنْ هَؤُلَاءِ الرُّكْبُ قَالَ لَنْظُرْتُ فَإِذَا صُهِيبٌ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ادْعُهُ لِي فَرَجَعْتُ إِلَى صُهِيبٍ فَقُلْتُ ارْتَحِلْ فَالْحَقُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا أَصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهِيبٌ يَبْكِي يَقُولُ يَا أَخَاهُ يَا صَاحِبَاهُ فَقَالَ عُمَرُ - ؓ - يَا صُهِيبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ^(٢). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ - ؓ - ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذَّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ^(٣): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ ﴿هُوَ أَصْحَاكُ وَابْكِي﴾ (النجم: ٤٣).

٢- ومنه ما رواه الإمام مسلم بإسناده أن الفاروق - ؓ - سمع فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها ثلاثاً فلم يجعل رسول الله - ﷺ - لها سكنى ولا نفقة، فقال عمر: "لَا تتركُ كتابَ اللَّهِ وَسْتَةً كَيْنَا - ﷺ - لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَا تَذِرِي لَعْلَهَا حَفِظْتُ أَوْ لَسِيَتْ لَهَا السُّكْنَى وَالثَّقَّةُ" ^(٤)، قال الله عز وجل: ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١).

٣- وما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن عروة بن الزبير. قَالَ: "قَالَتْ لِي عَائِشَةُ يَا ابْنَ أَخِي بَلِّغْنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَارَ بِنَا إِلَى الْحَجِّ فَأَلْفَقَهُ فَسَأَلْتُهُ فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - عَلِمًا كَثِيرًا.... فَلَمَّا أَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ قَالَتْ مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ آرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ" ^(٥). وهكذا

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث رقم ١٢٨٦، ص ٢٥١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث رقم ١٢٨٧، ص ٢٥١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث رقم ١٢٨٨، ص ٢٥١.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ولا سكنى، حديث رقم ٣٧٠٣، ص ٧٠٥.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم ٦٨٩٦، ص ١٢٨٤.

أدركت عائشة قوة حفظ وسلامة ضبط عبد الله بن عمرو بمقارنتها بين تحديته الأول وتحديثه الثاني فلما لم يختلف حديثه في المرتين كان ذلك أبلغ دليل على قوة حفظه وسلامة ضبطه، وغدت طريق المقارنة التي انتهجتها لاختبار حفظ الرواة ومعرفة ضبطهم منهجاً متبعاً في الأجيال اللاحقة^(١).

فهذه الآثار - وغيرها كثير - تدل دلالة واضحة وصريحة على أن الصحابة - ﷺ - كانوا يتثبتون في أمر الحديث الشريف ويزنون الراوي والمرّوي بميزان النقد العلمي الصحيح، وهذا أمر طبيعي بعد أن لحق النبي - ﷺ - بالرفيق الأعلى، لأنه كان في حياته يكفيهم هذه المهمة^(٢). تلكم بعض الأمثلة التي تبين كيف كان الصحابة - ﷺ - يعرضون ما يسمعون من بعضهم من الحديث على ما يحفظونه من الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما رسخ في أذهانهم من قواعد هذا الدين العظيم، فما وجدوه موافقاً أخذوا وعملوا به، وما وجدوه مخالفاً توقفوا فيه.

والأمثلة التي توضح هذا المنهج كثيرة جداً لا أريد أن أطيل بذكرها، وإنما أردت أن أبين المنهج في ذلك، ومن أراد المزيد منها فحسبه كتاب الإمام الزركشي "الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة". وقد إعترض بعض العلماء على هذه القاعدة بأن الأحاديث التي عورضت بالقرآن الكريم قد أجيب عليها بالتوفيق.

قلت: ويجاب عن هذا الاعتراض بأن الصحابة - ﷺ - لم ينكروا على بعضهم مبداً عرض الحديث الشريف على القرآن الكريم، إنما المناقشة في تطبيق هذا الأصل^(٣).

ومن الجدير ذكره والتنبية عليه والإشارة إليه أن الصحابة - ﷺ - إنما كانوا يفعلون ذلك للاحتياط في ضبط الحديث لا لتهمة أو سوء ظن، فهذا الفاروق - ﷺ - يقول لأبي سعيد الخدري - ﷺ - "أما إني لم أتهمك، ولكني أحببت أن أتثبت"^(٤). وكذلك ردّهم بعض الأحاديث كان اجتهداً منهم لمخالفتها ما فهموه واستنبطوه من القرآن الكريم، لذلك وجدنا بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم قد عملوا بما رده غيرهم، لأنهم باجتهادهم قد رأوه غير معارض للأئمة^(٥).

قلت: لقد كانت هذه القواعد والمبادئ لونا من ألوان التحوط في الرواية عن رسول الله ﷺ، كما كانت نواة لنشأة علم منضبط هو "علم الحديث"^(٦). إذن فهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة صريحة وواضحة على أن الصحابة كانوا يتثبتون في أمر الحديث ويعرضون منته على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والمبادئ الإسلامية العامة، ويزنون الراوي والمرّوي

(١) حسن، الحديث النبوي وروايته، ص ١٠٥.

(٢) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو غناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٧٥.

(٣) بقاعي، مناهج المحققين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨.

(٥) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٥٤.

(٦) عامر، علوم السنة وعلوم الحديث، دراسة تاريخية حديثة أصولية، ص ١٣١.

بميزان المنهج والنقد العلمي الصحيح. وهذا نوع من نقد المتن والسند قد عمل به الصحابة-
 ﷺ- أجمعين^(١)، وأخذ عنهم التابعون ومن تبعهم. بحيث كان من أهم قوانين الرواية عندهم.
 ثم قلت: وما كان هذا المنهج عادة لهم بل كانوا يقبلون الخبر دون حاجة إلى شيء مما
 تقدم؛ وذلك عندما ينقدح في أذهانهم وفي أنفسهم أن الخبر مشهور ومعروف، وأنه لا معارض
 له بوجه من الوجوه، وأن رواية كان على وعي وبقظة بحيث لا يمكن أن يدخل عليه الوهم
 والخطأ، وأغلب السنن والآثار رويت عن الصحابة على هذا النحو والمنهج^(٢).

المطلب الخامس: السؤال عما لا يفهمون

إن السؤال، وسيلة من وسائل التعلم المهمة التي يكتشف بها المرء حقيقة ما يجهله من
 أمور. لذلك حث الله تعالى على السؤال، وأمر بأن يلتمس العلم من أهله، وإلا لم تكن هنالك
 فائدة وثمرة للسؤال^(٣)، قال تعالى: ﴿تَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). قال
 ابن المنير معقباً على حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ- عن الإيمان، والإسلام،
 والإحسان، وعلم الساعة: "في قوله 'يعلمكم دينكم' دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً
 وتعليماً، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سمّاه معلماً، وقد اشتهر قولهم:
 حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال
 والجواب معاً"^(٤).

وعن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ"^(٥)، وعن ابن عمر
 قال: قال رسول الله ﷺ: "التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم"^(٦). وعن
 أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا جلس أحدكم إلى العالم، فليساله تفقهاً ولا يسأله تعنتاً،
 فإن من فعل ذلك فانه عز وجل يمقته"^(٧). لذلك حرص الصحابة- ﷺ- على السؤال وفي هذا
 يقول أنس بن مالك: "ثَبِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ- عَنْ شَيْءٍ فَكَأَنَّا يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ
 الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَكُنْ نَسْمَعُ"^(٨). ومن هذه الآيات والأحاديث وغيرها عرف الصحابة- ﷺ-
 منزلة السنة المطهرة من القرآن الكريم، فاهتموا بحديث الرسول ﷺ- تحملاً وأداءً وأخذاً
 وتبليغاً وعنوا بذلك كل عناية فائقة وحرصوا عليه حرصهم على القرآن الكريم فحفظوا

(١) عبيدات، تاريخ الحديث ومناهج المحدثين، ص ٣٣.
 (٢) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٩٦.
 (٣) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ٧٥.
 (٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٦٦.
 (٥) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، باب القول في السؤال، حديث رقم ٢٩٨، ص ٣٥٨.
 (٦) المصدر السابق، باب القول في السؤال، حديث رقم ٢٩٩، ص ٣٥٨ - ٣٥٩، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم ٣٣٧، وقال الألباني صحيح.
 (٧) المصدر السابق، باب القول في السؤال، حديث رقم ٣٠١، ص ٣٥٩، قال محقق الكتاب: في سننه سهل بن علي قال ابن حجر: هوشبخت حدث عن علي بن الجعد غيره متهم بالكذب، انظر لسان الميزان، ج ٣، ص ٦٢.
 (٨) التقييري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٢، ص ٣٦.

الأحاديث بلفظها أو بمعناها وفهموها وعرفوا مغايرتها ومراميها بسليقتهم وفطرتهم العربية الفصحى، وبما كانوا يسمعون من أقوال الرسول - ﷺ - وما كانوا يشاهدونه من أفعاله وأحواله، وما كانوا يعلمونه ويعرفونه من الظروف والملابسات التي قيلت فيها هذه الأحاديث، وما كان يشكل عليهم منها ولا يدركون المراد والمقصود منه كانوا يسألون عنه النبي - ﷺ - ثم يقومون بتبليغ ذلك إلى غيرهم من الصحابة الآخرين وكذلك إلى من بعدهم من التابعين^(١).

لذا كان الصحابة - رضوا - يرجعون إلى النبي - ﷺ - ويسألونه عما لا يعلموه ولا يعرفوه، ويستفسرونه فيما خفي أو غاب عليهم من النصوص؛ حرصاً على فهم وتعلم معاني الأحكام الشرعية، ويعرضون عليه ما فهموه منها، فكان أحياناً يقرهم على فهمهم للنصوص، وأحياناً أخرى يبين لهم موضع الخطأ فيما ذهبوا إليه^(٢). كيف لا والسؤال عما لا يفهم المتعلم من أولى أساسيات المتعلم ووظائفه، وفي هذا يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عندما سئل بمَ نلت هذا العلم؟ فقال: بلسان سؤال وقلب عقول. وقال علي رضي الله عنه: "العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه السائل والعالم والمستمع والمحب"^(٣).

لذا كان من هدي الصحابة - رضوا - مع معلمهم الأول رسول الله - ﷺ - السؤال عما لم يفهموا، أو المراجعة في الأمور المشككة للمعرفة، والفهم من أجل التطبيق الفعلي لما تعلموا، وربما كان السائل مقيماً في مكان بعيد الشقة، فيشد رحله ويقطع المسافات الواسعة متجشماً وعثاء السفر، محتسباً جهده ووقته في سبيل الله حتى يصل إلى رسول الله - ﷺ - ليسأله أو ليراجعه، ثم يرجع ليلوي على شيء^(٤). ومن أمثلة ذلك: ما رواه البخاري من أن عُبَيْةَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةَ أَبِي إِيَّابِ بْنِ عَزِيزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْمَدِينَةِ... الحديث^(٥). ومنه ما ورد عن علي أنه قال: "كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَأَمَرْتُ الْمُقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَسَأَلَهُ فَقَالَ فِيهِ الْوُضُوءُ"^(٦).

ومنه أيضاً ما ورد أن النبي - ﷺ - أعطى الراية علياً يوم خيبر، ثم قال له: "اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت". وشعر علي - رضي الله عنه - بعد مضيه لأداء مهمته، أن التكليف الذي كلف به غير واضح في ذهنه، فعاد بظهوره امتثالا للأمر، وسأل النبي - ﷺ - قائلاً: علام أقاتل الناس؟ فرد عليه النبي - ﷺ - "قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن

(١) مكران، بحوث في علوم الحديث، ص ٤٦.

(٢) أمحزون، منهج النبي - ﷺ - في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ص ١٩٦.

(٣) الشاوي، محمد مسير، الخطب المنبرية إلى إرشاد البرية دروس وخطب جاهزة ومواعظ، تقنين صلاح الدين كفتارو ورجب ديب، دار العصماء، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، ص ٣٤٩.

(٤) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٥٢.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، حديث رقم ٨٨، ص ٢٩.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من إستحيا فأمر غيره بالسؤال، حديث رقم ١٣٢، ص ٣٨.

محمدًا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منا لماءهم إلا بحقها، وحسابهم على الله^(١). وكذلك كان من عانتهم - ﷺ - أن يسألوا زوجاته - ﷺ - فيما يخص أو يتعلق بشؤون الرجل مع زوجته لعلمهن بذلك.

ومن أمثلة ذلك: ما حدث لأحد الصحابة حين قبل امرأته وهو صائم، "فوجد من ذلك وجداً شديداً، فأرسل امرأته لتسأل عن ذلك فدخلت على أم سلمة، أم المؤمنين فأخبرتها، فقالت أم سلمة: إن رسول الله يقبل وهو صائم، فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شراً، وقال: لسنّا مثل رسول الله، يحل الله لرسوله ما يشاء. فرجعت المرأة إلى أم سلمة، فوجدت رسول الله عندها، فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه المرأة؟ فأخبرته أم سلمة، فقال: ألا أخبرتيها أنني أفعل ذلك؟! فقالت أم سلمة: قد أخبرتها، فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً، وقال: لسنّا مثل رسول الله، يحل الله لرسوله ما شاء، فغضب رسول الله ثم قال: والله إنني لأتقاكم الله ولأعلمكم بحدوده"^(٢). كما كانت النساء تذهب إلى زوجات النبي - ﷺ - ليسألنهن عن أمور دينهم وأحياناً يسألن رسول الله - ﷺ - مباشرة ما يشأن السؤال عن أمورهن، وإن كان هنالك ما يمنع الرسول - ﷺ - من التصريح للنساء بالحكم الشرعي أمر إحدى زوجاته أن تفهمها إياه^(٣).

ومن أمثلة ذلك: أن أم سلمة "قالت يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة غسل إذا احتلمت قال نعم إذا رأت الماء فضحك أم سلمة فقالت أتحلّم المرأة فقال النبي - ﷺ - فبم شبه الولد"^(٤). ومنه ما روته عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "أن امرأة سألت النبي - ﷺ - عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغسل قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر قال تطهري بها قالت كيف قال سبحان الله تطهري فاجتذئها إلي فقلت تتبعي بها أثر الدم"^(٥). ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نسأه الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"^(٦).

ومنه أيضاً أن أم بشر - رضي الله عنها - أنها سمعت النبي - ﷺ - يقول عند حفصة رضي الله عنها: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بأيعوا تحتها قالت بلى يا

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي - ﷺ - أصحابه إلى الإسلام والنبوة، وإن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، حديث رقم ٢٩٤٢، ص ٥٨٨.

(٢) الشافعي، الرسالة، ص ٤٠٤.

(٣) الزهراني، تكوين السنة النبوية نشأته وتطور من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، حديث رقم ١٣٠، ص ٣٧ - ٣٨.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض، وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها أثر الدم، حديث رقم ٣١٤، ص ٧٠.

(٦) أخرجه البخاري تعليقا، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ص ٣٧.

رَسُولَ اللَّهِ فَاتَّهَرَّهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ^(١)، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَلِنْ مَنَكُزْ إِلَّا وَارِدَهَا﴾ (مريم: ٧١). فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ - قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا﴾ (مريم: ٧٢)

وحيث يظهر من هذه المسائل العموم، فأوضح لهن النبي ﷺ - أن المراد في كل منها أمر خاص^(٢).

ولقد كانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وإن النبي ﷺ - لما قال: "من حوسب عذب" قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٨). قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك"^(٣). ومن هنا قال أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - حديث قط فسالنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً"^(٤). ومن هنا عرفنا كيف كان - ﷺ - يحرص على تعليم النساء أمور الدين ويخصص لهن وقتاً يجلس معهن فيه، وكانت زوجاته أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم، لذا وجدت النساء عندهن الإجابة الشافية والكافية عن أمورهن وأحوالهن، التي يمنعهن الحياء من التصريح بها أمامه - ﷺ - كالأمور الخاصة بهن^(٥).

كما أنه لم تكن هذه الحال قصراً على الموجودين مع الرسول ﷺ - في المدينة المنورة، بل إن أهالي الأماكن البعيدة عن المدينة شاركوا المدنيين شرف الحرص على معرفة أمور الدين وتبليغ السنة الشريفة، فكانوا يرسلون رسلهم إلى الرسول ﷺ - لينقلوا لهم ما نزل من شرع الله، أو يجابوا على سؤال وقع لهم، ومن هنا نعلم أن الوفود بلغت، وأن من سمع كان حريصاً على الحفظ فحفظ، وإن تفاوتوا في عدد مرات الجلوس للتعليم. ويظهر للمتأمل أن هذه الوفود كانت في غاية ومنتهى النضج الفكري، فكانت تسأل الأسئلة الكثيرة بتركيز، ويجب عليه - ﷺ - بما يشفي غليلهم، ويوضح لهم روح دينهم، ولقد كانت الوفود كثيرة وأكثرها في السنة التاسعة للهجرة عام الوفود - وأسئلتهم عامة شاملة، وتبلغ إلى أنحاء البلاد مما كان سبباً في نشر الإسلام^(٦). ولقد سار الصحابة - رضي الله عنهم - على هذا النهج في حياته - ﷺ - وبعد وفاته وأورثوا هذا المنهج إلى التابعين ومن أمثله هذا ما جاء:

١- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رجلاً من أهل مصر سألته عن هذه الآية

﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٦٤)، فقال: "مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ إِلَّا رَجُلٌ

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان ﷺ، حديث رقم ٢٤٩٦، ص ٦٤٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، حديث رقم ١٠٣، ص ٣٢.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ٨، ص ٣٥.

(٥) هاشم، دفاع عن الحديث النبوي، ص ٢٠.

(٦) عبد الهادي، السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها وتكوينها، ص ٧٨ - ٧٩.

١- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رجلاً من أهل مصر سألته عن هذه الآية ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٦٤)، فقال: "مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ مُنْذُ أُتِرْتُ هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ" ^(١).

٢- وما روي عن الأسود بن يزيد أنه قال: "أَنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ مُعَلِّمًا وَأَمِيرًا فَسَأَلْتَاهُ عَنْ رَجُلٍ تُوفِّيَ وَتَرَكَ ابْنَتَهُ وَأَخْتَهُ فَأَعْطَى الْإِبْنَةَ النَّصْفَ وَالْأَخْتَ النَّصْفَ" ^(٢).

٣- وما روي عن محمد بن عمارة بن حزم "أنه قعد في مجلس فيه مشيخة من الصَّحابة بضعة عشر رجلاً فجعل أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديث فلا يعرفه بعضهم، فيراجعون فيه حتى يعرفوه، ثم يحدثهم بالحديث كذلك حتى فعل مراراً، فعرفت يومئذ أن أبا هريرة أحفظ للناس" ^(٣).

ومن الجدير ذكره والتتويه إليه: أن الأمثلة كثيرة جداً، وأن هذه التساؤلات، وتلك المراجعات قد صاحبها من الصَّحابة - رضي الله عنهم - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - دقة وتنظيماً في الأداء، وتوفيراً للجهد المبذول والوقت المستغرق، وصيانة للحديث من أن يضيع منه شيء؟ إذ ما كانوا يتنازعون الحديث عنده - صلى الله عليه وسلم - وإنما حديثهم عنده، حديث من تكلم أولهم، ومن تكلم منهم أنصتوا له، ولم يقاطعوا حتى يفرغ من كلامه وحديثه. وقد جاء في الخبر الذي أخرجه الترمذي: "أنهم كانوا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم" ^(٤). ومما لا شك فيه أن السؤال والمراجعة كان لهما الدور الكبير في شرح الحديث، وإزالة ما يمكن أن يكتفه من غموض أو إشكال، أو لبس، فضلاً عن توفير الجهد المبذول والوقت المستغرق ^(٥).

ومن ثم فإن المراجعة في الأمور المشككة للمعرفة والفهم، فيها من الفائدة بحيث تقوي ملكة الاستنباط، ومن ثم التحليل والاجتهاد، وذلك بعد زوال ما يمكن أن يعترضه من العوائق التي تعوق فهمه للحديث ^(٦).

المبحث الثاني

الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها عند الصَّحابة رضي الله عنهم

تمهيد

- (١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الرويا، باب قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا، حديث رقم ٢٢٧٣، ص ٣٧١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.
- (٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات، حديث رقم ٦٧٣٤، ص ١٣٣٧.
- (٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٣.
- (٤) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، دار الشعب، [طبيدون]، ١٩٧٠، ج ١، ص ٣٣.
- (٥) نوح، الصَّحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٥٦.
- (٦) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحققين، ص ١٥.

انتهج الصحابة - رضي الله عنهم - منهج الاحتياط في رواية الحديث الشريف وعابوا الإكثار من الحديث الشريف؛ خشية أن يرتفع من قلوب الناس تدبر الحديث الشريف وفهمه، لذا درست هذا المبحث من خلال المطالب التالية: منهج الخلفاء الراشدين والصحابة في الإقلال من الرواية وتوجيه ذلك والصحابة المكثرون وأسباب ذلك، وذكر نماذج لبعض الصحابة المكثرين والمتوسطين، والمقلين من الرواية، ثم ختمت هذا المبحث بذكر أسباب تفاوت الصحابة - رضي الله عنهم - في رواية الحديث الشريف.

المطلب الأول: منهج الخلفاء الراشدين والصحابة في الإقلال من الرواية وتوجيه ذلك

لقد عُرف الصحابة - رضي الله عنهم - بمنزلة السنة الشريفة، فتمسكوا بها، وتتبعوا آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبوا أن يخالفوها متى صحت وثبتت عندهم. لذلك نظر الصحابة - رضي الله عنهم - إلى السنة النبوية فالفوها كنوزاً ثمينة في صدور الذين أوتوا العلم فلم يرضوا أن يعرضوها في سوق الرواية لئلا يتخذ المنافقون من شيوع الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلماً وذريعة لتزييف الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولئلا تزل أقدام المكثرين فيسقطوا في هوة الخطأ والنسيان فيقعوا في شبهة الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم لا يشعرون، كما أنهم كرهوا أن، يشغل الناس برواية الحديث الشريف وينصرفوا عن تلاوة القرآن الكريم ولما يتيسر حفظه لكثير منهم بعد، لذلك نجدهم قد حدثوا وأنفقوا من السنة بقدر حسب ما يعين لهم من مسائل الفتوى والقضاء^(١).

ومن هنا فقد حرص الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة - رضي الله عنهم - على عدم الإكثار من رواية الحديث الشريف للأسباب التي تقدمت وغيرها من الأسباب التي سنذكرها لاحقاً، والأهم من ذلك هو إستجابة لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةُ الْحَدِيثِ عَنِّي فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا وَمَنْ تَقَوْلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ الثَّارِ"^(٢). وهنا نلاحظ أنه - صلى الله عليه وسلم - قد حذر من كثرة التحديث عنه، دونما حفظ، أو بلا تحرر للحق أو الصدق. أما من كان يحدث بحق أو صدق فلا غبار عليه؛ وإلا فلو حمل هذا الحديث على النهي المطلق من كثرة الحديث الشريف عنه، لتعارض مع ما ثبت عنه، من أمره - صلى الله عليه وسلم - بالتبليغ عنه، لذلك حرصوا أشد الحرص على حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخوفهم من عدم روايته كما سمعوه يمنعهم من الإكثار في روايته فكان الواحد منهم إذا أراد أن يحدث يحاسب نفسه ألف حساب قبل أن يحدث بحديث واحد عنه - صلى الله عليه وسلم -^(٣)، وعلى ضوء ذلك كان الإقلال من الرواية سمة عامة عند الصحابة رضي الله عنهم.

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التغليظ في تعدد الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ٣٥، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث حسن.

(٣) الخزرجي، مشعان محي علوان الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، إصدارات الساحة الخزرجية، أبو ظبي، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٦٨.

ولهذا نرى لفيفا وجمعا من الصحابة - ﷺ - يمتنعون عن الإكثار من رواية الحديث الشريف ، وإليك بعضاً منهم:

١- عن السائب بن يزيد أنه قال: " صَحِبْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعْدًا وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ - ﷺ - فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ " (١).

٢- وعن عبد الله بن الزبير قال: " قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كَمَا يُحَدِّثُ فَلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ " (٢).

٣- وعن السائب بن يزيد أنه قال: " صَحِبْتُ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ " (٣).

٤- وعن توبة العنبري قال: قال لي الشعبي: أريت حديث الحسن عن النبي - ﷺ - وقاعدت ابن عمر قريباً من سنتين أو سنة ونصف فلم أسمعته يحدث عن النبي - ﷺ - غير هذا قال: " كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِيهِمْ سَعْدٌ فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَنَادَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - إِنَّهُ لَحْمٌ ضَبَّ... الحديث " (٤).

٥- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قُلْنَا لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ كَبَرْنَا وَكَسِينَا وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَدِيدٌ " (٥).

٦- ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: " إِنَّهُ لَيَمْتَنِعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من حدث بمشاهده في الحرب، حديث رقم ٢٨٢٤، ص ٥٦٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٢٣.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٩، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب خبر المرأة الواحدة، حديث رقم ٧٢٦٧، ص ١٤٤١.

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٥، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٨، ص ٢٣.

كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم فأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون^(١). وفي رواية "والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله - ﷺ - يومين متتابعين، ولكن بطأني عن ذلك، أن رجالاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون، وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم"^(٢).

٨- ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

أ- ما روي عنه أنه قال: "ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية"^(٣).

ب- ما روي عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: "كان عبد الله بن مسعود يكثر السُّنة، لا يقول قال رسول الله ﷺ، فإن قال: قال رسول الله ﷺ: أخذته الرعدة: ويقول أو هكذا، أو نحوه، أو شبهه"^(٤).

ج- وعن مسروق أنه قال: "كان عبد الله بن مسعود يأتي عليه الحول قبل أن يحدثنا عن رسول الله - ﷺ - بحديث"^(٥).

قلت: هذا الروايات عن ابن مسعود تدل على أنه من المقلين، وأنه لم يكن يحدث إلا حاجة، وكل ذلك خوفاً من الوقوع في الخطأ والكذب على رسول الله ﷺ.

٩- ما روي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه:

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن الزبير أنه قال: "قُلْتُ لِلزَّبِيرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كَمَا يُحَدِّثُ فَلَانَّ قَالَ أَمَّا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٦).

١٠- ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه - أنه قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِغَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا

فَبَشَّئُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّئُهُ قُطِعَ هَذَا الْبَلْعُومُ"^(٧).

قلت: يفهم من هذا أن أبا هريرة لم يحدث بكامل حفظه بل حدث بنصف حفظه وترك النصف الآخر الذي فيه الفتن والحروب والملاحم، وأسماء أمراء السوء وأحوالهم وأزمانهم.

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر، الموضوعات، دراسة وتحقيقاً وترجمة، دراسة وتحقيقاً محمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، الباب السابع عشر، من اختار قلة الحديث وذم طلبه وكثرته على السلامة من الكذب، ص ٥٣.

(٤) اليحصي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٥) ابن الجوزي، الموضوعات، ج ٢، ص ١٠٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم ١٢٩١، ص ٢٥٤.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١٢٠، ص ٣٥.

كما بين ذلك ابن كثير فقال: وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به، هو الفتن والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب والافتتال، وما سيقع مستقبلاً، التي لو أخبر بها من قبل لبادر الناس إلى تكذيبه، ورد خبره، حيث قال: لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم، وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني، وكذلك قد يتمسك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة والأعمال الفاسدة^(١)، الذين نكروهم ابن المثير بالباطنية بحيث اعتقدوا أن للشرعية ظاهراً وباطناً، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين، ويستندون في ذلك إلى هذا الجواب الذي لم يخبر به أبو هريرة، وما من مبطل مع تضاد أقوالهم، إلا وهو يدعي هذا العلم، وكلهم يكذبون، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به^(٢)، فمن علمه بعده، وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم، كما أخبر بها هو وغيره من الصحابة^(٣) - ﷺ - لذا لم يكتف أبو هريرة الأحاديث التي فيها أحكام شرعية، ولو كانت كذلك لما وسعه كتمانها لما ذكره في قوله: "إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْ لَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا"^(٤)، ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

(البقرة: ١٥٩-١٦٠).

قلت: فعلى هذا لم يكتف أبو هريرة شيئاً من أحكام الدين، وإنما أخفى مما لا علاقة له بذلك، إلا ما ذكر من أشراف الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يأنفه، ويعترض عليه من لا شعور له به^(٥). والله أعلم.

قال ابن قتيبة الدنيوري: "وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله - ﷺ - وسلم كآبي بكر والزيبر وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه. بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود له بالجنة"^(٦).

ونذكر الدارقطني أشهر أعلام الصحابة - ﷺ - الذين التزموا منهج الإقلال من رواية الحديث الشريف عن رسول الله - ﷺ - للتحرز من الخطأ فقال: "كان الخلفاء الراشدون والصحابة المنتخبون رضوان الله عليهم، يتقون كثرة الحديث عن رسول الله - ﷺ -، ويتشددون في ذلك منهم: أبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزيبر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، والمقداد بن الأسود، وأبو أيوب الأنصاري،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١١، ص

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٦.

(٦) ابن قتيبة، أبو محمد الدنيوري، كتاب تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها التناقض والاختلاف والجواب عما أورده من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشككة بادئ الرأي، عالم الكتب، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٣٠.

وثوبان مولى رسول الله ﷺ ، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمران بن حصين، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبو الدرداء، وأبو قتادة، وصهيب، وقرظة بن كعب، وغيرهم^(١).

قال المقدسي: "كله خوفاً من الزيادة والنقصان، أو السهو والنسيان، واحتياطاً للدين وحفظاً للشريعة، وحسماً لطمع طامع أو زيغ زائع أن يجترئ، فيحكي عن رسول الله -ﷺ- ما لم يقله، أو يدخل في الدين ما ليس منه، وليقتدي بهم من يسمع منهم ويأخذ عنهم"^(٢).

قلت: هؤلاء بعض الصحابة الذين آثروا الإقلال خوفاً من مظنة الخطأ عند تبليغهم وأدائهم للحديث، وفي هذا يقول زيد بن أرقم: "كَبَرْنَا وَتَسَيَّنَا وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شَدِيدٌ"^(٣). وقال عمرو بن ميمون: "مَا أَخْطَأَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ فِيهِ قَالَ فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ بِشَيْءٍ قَطُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَتَنَكَّسَ قَالَ فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلَّلَةٌ أَزْزَارُ قَمِيصِهِ قَدْ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ وَالتَفَحَّتْ أَوْدَاجُهُ قَالَ أَوْ دُونَ ذَلِكَ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ شَيْهًا بِذَلِكَ"^(٤). وغيرها من الأقوال الكثيرة أصعب من أن تحصي عن الصحابة رضي الله عنهم.

أما على الصعيد الرسمي، فقد كان منهج الدولة الإسلامية ممثلة بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ولاية الأمور ينتهجون منهج الإقلال من رواية الحديث الشريف، وإليك بعضاً مما ورد عنهم في منهجهم هذا.

أولاً: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ت ١٣هـ):

قال الذهبي: "ومن مراسيل ابن أبي ملكية أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله -ﷺ- أحاديث تختلفون فيها والناس أشد اختلافًا فلا تحدثوا عن رسول شينا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه"^(٥). ثم فسر الذهبي هذا القول من الصديق بقوله: "فهذا المرسل بذلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية"^(٦).

ثانياً: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ):

لقد وردت آثار كثيرة عن الفاروق، تحت الصحابة على عدم الإكثار من رواية الحديث ، وقد كان الفاروق من وجله أن يخطئ صاحب على رسول الله -ﷺ- يأمرهم أن

(١) الدارقطني، الضعفاء والمتروكين، ص ٦٧.

(٢) المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي، أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني، تحقيق جابر بن عبد الله السريغ، الرياض - المملكة العربية السعودية، دار التتميم، ط ١٤٢٨هـ، ١ - ٢٠٠٧م، ط ١، ج ١، ص ٢٣.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقنمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٥، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقنمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٣، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٥) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢ - ٣.

(٦) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣.

يقلوا الرواية عن نبيهم ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن الكريم^(١)، ومما روي عنه في ذلك:

١. ما روي عن أبي الغصن أنه قال: "قمت المدينة فلقيت أسلم مولى عمر بن الخطاب، فقلت: حدثني عن عمر فقال: لا أستطيع، أخاف أن أزيد أو أنقص، كنا إذا قلنا لعمر، حدثنا عن رسول الله - ﷺ - قال: أخاف أن أزيد حرفاً أو أنقص، إن رسول الله - ﷺ - قال: من كذب علي فهو في النار"^(٢).

قلت: ومقصد الفاروق من ذلك هو خشيته من أن لا يؤدي الحديث بحروفه ومعانيه فيقع في مظنة الخطأ. وفي هذا يقول ابن قتيبة^(٣): "أما ترى تشديد القوم في الحديث وتوقي من أمسك كراهية التحريف أو الزيادة في الرواية أو النقصان لأنهم سمعوه عليه السلام يقول: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٤).

٢. ما روي عن أبي سلمة أنه قال لأبي هريرة: "أكنت تحدث في زمان عمر هكذا فقال لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقتة"^(٥). وفي جامع بيان العلم وفضله أنه قال: "لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة"^(٦). وفي رواية أخرى "إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي"^(٧). وما ورد عنه أيضاً أنه قال: "أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث، وعمر حي؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخفقة ستبأشر ظهري"^(٨). وعنه أيضاً: "وما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله - ﷺ - حتى قبض عمر"^(٩).

٣. وما رواه السائب أنه قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله - ﷺ - أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار: "لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة"^(١٠). لكن ابن كثير أورد رواية تخالف هذه الرواية، مما يدل على عدم صحتها^(١١)، فروى ابن كثير بسنده عن أبي هريرة قال: "بلغ عمر حديثي فأرسل إلي فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله - ﷺ - في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم: وقد علمت لم تسألني عن ذلك؟ قال: ولم سألنك

(١) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٦ - ٧.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ١، حديث رقم ٣٢٨، ص ٥٨، وعزاه الحافظ الهيثمي لأبي يعلى وقال: فيه حسين بن ثابت أبو الفصن وهو ضعيف ليس بشيء، انظر: مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٥) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ٢، ص ١٢١.

(٧) ابن كثير، أبو الفداء المشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط ١، ٩٦٦م، ج ٨، ص ١٠٧.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٧.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٧.

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٧.

(١١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٧٤.

قلت: إن رسول الله - ﷺ - قال يومئذ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (١) قال: أما إذا فاذهب فحدث" (٢).

قلت: ومن هنا نلاحظ أن الفاروق عندما اطمأن إلى وعي أبي هريرة ويقظته تركه يحدث عن رسول الله ﷺ.

٤. وما روي عن قرظلة بن كعب أنه قال: " بَعَثَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الْكُوفَةِ وَشِيعَتِنَا فَمَشَى مَعَنَا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ صِرَارٌ فَقَالَ أَتَذَرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ قَالَ قُلْنَا لِحَقِّ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلِحَقِّ الْأَمْرِ قَالَ لَكِنِّي مَشَيْتُ مَعَكُمْ لِحَدِيثِ أَرَدْتُ أَنْ أَحَدِّثَكُمْ بِهِ وَأَرَدْتُ أَنْ تَحْفَظُوهُ لِمَنْ شَاءَ مَعَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ لِلْقُرْآنِ فِي صُدُورِهِمْ هَزِيرٌ كَهَزِيرِ الْمَرْجْلِ فَإِذَا رَأَوْكُمْ مَدُّوا إِلَيْكُمْ أَعْنَاقَهُمْ وَقَالُوا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَأَقْلُوا الرُّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنَا شَرِيكُكُمْ " (٣). وورد في البداية والنهاية أن الفاروق كان يقول: "اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله، لهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل فدعهم على ما هم عليه، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شريككم في ذلك، هذا معروف عن عمر ﷺ" (٤).

وأما عن توجيه نهي عمر بن الخطاب - ﷺ - عن المنع من إكثار رواية الحديث فقد عزا العلماء ذلك إلى أسباب كثير ففيه مذاهب كثيرة، وإليكم أهم هذه الأسباب:

١. قول ابن قتيبة الدنيوري (ت ٢٧٦هـ): "كان يأمرهم أن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي" (٥).

٢. قول ابن حبان (ت ٣٥٤هـ): "لم يكن عمر بن الخطاب يتهم الصحابة بالنقول على النبي - ﷺ - ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله - ﷺ - وقد علم أنه - ﷺ - قال: " لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ " (٦) وأنه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ، ولكنه علم ما يكون بعده من النقول على رسول الله ﷺ، لأنه - ﷺ - قال: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ " (٧). وقال: "إن يكون في هذه الأمة محتثون

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره في النياحة على الميت، حديث رقم ١٢١٩، ص ٢٥٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) ابن ماجه، منن ابن ماجه، كتاب المقنعة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٨، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب لبيلغ الشاهد الغائب. قاله ابن عباس عن النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٥، ص ٣٣.

(٧) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٠١، وابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب أخباره - ﷺ - عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم، ج ١٥، حديث رقم ٦٨٨٩، ص ٣١٢ - ٣١٣، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط معلوم.

فعمرو منهم^(١) فعمد عمر إلى الثقات المتقين الذين شهدوا الوحي والتزليل، فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي - ﷺ - لنألا يجترئ من بعدهم ممن ليس في الإسلام محله كمحلهم فيكثر الرواية فينزلوا فيها أو يقول متعمداً عليه - ﷺ - لنوال الدنيا^(٢).

٣. قول ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ): وأما ما ذكرنا من نهى عمر - رضي الله عنه - في الإكثار من الحديث عن النبي ﷺ، فهذا حديث مرسل، فلا يحتج به، لأنه لم ينكر فيه الشعبي أنه سمعه من قرظة - رضي الله عنه -، وما نعلم أن الشعبي لقي قرظة ولا سمع منه بل لا شك في ذلك، لأن قرظة - رضي الله عنه - مات والمغيرة بن شعبة أمير بالكوفة في العراق؟ وهذا مذكور في الخبر الثابت المسند، وأول من نيج عليه بالكوفة قرظة بن كعب، فنكر المغيرة عند بذلك خبراً مسنداً في النوح ومات المغيرة سنة خمسين بلا شك، والشعبي أقرب في ذلك إلى الصبا، فلا شك في أنه لم يلق قرظة قط، فسقط هذا الخبر. ثم قال ابن حزم: بل قد نكر بعض أهل العلم بالأخبار أن قرظة بن كعب مات وعليه رضوان الله عليه بالكوفة، فصح يقيناً أن الشعبي لم يلق قط قرظة ولا عقل عنه كلمة: ثم ساق ابن حزم سنداً آخر عن أبي حصين ورفعه إلى عمر، فقال: وأبو حصين لم يولد إلا بعد موت عمر بدهر، وأعلى من عنده ابن عباس والشعبي^(٣). ثم وجه ابن حزم هذا الرأي وقال: وإنما معنى نهى عمر - رضي الله عنه - عن الحديث عن رسول الله - ﷺ - لو صح، فهو بين في الحديث الذي أوردها من طريق قرظة، وإنما نهى عن الحديث بالأخبار عن سلف من الأمم وعما أشبهه، وأما بالسنن عن النبي - ﷺ - فإن النهي عن ذلك هو مجرد، وهذا ما لا يحل لمسلم أن يظنه بمن دون عمر من عامة المسلمين، فكيف بعمر - رضي الله عنه -^(٤). ثم دلل ابن حزم على صحة توجيهه لهذا النهي والإكثار بقوله: "ودليل ما قلنا أن عمر قد حدث بحديث كثير عن النبي ﷺ، فإن كان الحديث عنه عليه السلام مكروهاً، فقد أخذ عمر من ذلك بأوفر نصيب، ولا يحل لمسلم أن يظن - رضي الله عنه - أنه نهى عن شيء وفعله، لأنه قد روي عنه رضوان الله عليه خمس مئة حديث ونيف، على قرب موته من موت النبي ﷺ، فصح أنه كثير الرواية والحديث عن النبي ﷺ، وما في الصحابة أكثر رواية عن النبي - ﷺ - من عمر بن الخطاب، إلا بضعة عشر منهم فقط، فصح أنه قد أكثر الرواية عن النبي - ﷺ - فصح بذلك التأويل الذي ذكرناه لكلامه رضي الله عنه^(٥). ثم رد ابن حزم على من ادعى كراهة الإكثار من رواية الحديث فقال: "يقال لمن نأ الإكثار من الرواية: أخبرنا عن الرواية

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم ٣٦٨٩، ص ٧٣٠، والتشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم ٢٣٩٨، ص ٦١٦.

(٢) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحتئين، م ١، ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ١٤٠.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ١٤٠.

لحديث الرسول ﷺ، أخير هي أم شر؟ ولا سبيل إلى وجه ثالث فإن قال: هي خير، فالإكثار من الخير خير، وإن قال: هي شر، فالقليل من الشر شر وهم قد أخذوا منه بنصيب، فيلزمهم أن يعترفوا بأنهم يتعلمون الشر ويعملون به أما نحن فلنا نقر بذلك، بل نقول: أن الإكثار منها لطلب ما صح هو الخير كله، وأيضاً فنقول لهم: عرفونا حد الإكثار من الرواية المذموم عندكم، لنعرف ما تكرهون، وحد غير الإكثار المستحب عندكم، فإن حدوا في ذلك حداً كانوا قد قالوا بالباطل، وشرعوا في الدين ما لم يأنن الله تعالى، وقالوا بلا برهان وبغير علم، وإن لم يجدوا في ذلك حداً كانوا قد حصلوا في أسخف منزلة، إذ لا يدرون ما ينكرون ولا يحسنون. وهذا هو الضلال ونعوذ بالله منه^(١).

قلت: إن حكم ابن حزم على رواية الشعبي مرسله، حكم غير مصيب؛ لأن الشعبي ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، على المشهور^(٢)، وتوفي قرظة - ﷺ - في خلافة معاوية، ومعلوم أن خلافة معاوية - ﷺ - كان ابتدائها سنة (٤١هـ). فيكون قد مضى من عمر الشعبي (٢٢) سنة، وهذا السن، سن تحمل يستطيع فيه أن يسمع ويعقل، ومما يدل على صحة سماع الشعبي من قرظة وأنها متصلة قول ابن حبان: "وحدثه عند الشعبي"^(٣). وهذا ما مال إليه أحمد شاكر في تحقيقه لكتاب الأحكام في أصول الأحكام حيث قال في تعليقه على كلام ابن حزم في كون الشعبي لم يسمع من قرظة: "في هذا شك كثير فإن الشعبي ولد سنة (٢٠هـ) وقيل (١٩هـ) ومات سنة (١٠٩هـ)^(٤). والله أعلم.

٤. قول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): "إن قال قائل: ما وجه إنكار عمر على الصحابة، روايتهم عن رسول الله - ﷺ - وتشديده عليهم في ذلك؟ قيل له: إنما فعل ذلك عمر احتياطاً للدين وحسن نظر للمسلمين، لأنه خاف أن ينكلوا عن الأعمال وينكلوا على ظاهر الأخبار، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها، ولا كل من سمعها عرف فقهاها، فقد يرد الحديث مجملاً، ويستنبط معناه وتفسيره من غيره، فخشي عمر أن يحمل حديث على غير وجهه، أو يؤخذ بظاهر لفظه، والحكم بخلاف ما أخذ به"^(٥). ثم قال: "وفي تشديد عمر أيضاً على الصحابة وفي روايتهم حفظ لحديث رسول الله - ﷺ - وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن، ما ليس منها؛ لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول، المشهور بصحبة النبي ﷺ، قد تشدد عليه في

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، م ٤، رقم الترجمة ٣٠٢٩، ص ٢٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١٠٧٦.

(٤) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ١٣٨.

(٥) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٨٨ - ٨٩.

روايته، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب، ولما يلقي الشيطان من تحسين الكذب أُرهب^(١).

٥. قول ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): احتج بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم من الطاعنين في السنن بحديث عمر هذا قوله أقلوا الرواية عن رسول الله - ﷺ - وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد في سنن الرسول - ﷺ - التي لا توصل إلى مراد كتاب الله إلا بها والطعن على أهلها ولا حجة في هذا الحديث ولا دليل على شيء مما ذهبوا إليه من وجوه قد ذكرها أهل العلم منها:

أ. إن وجه قول عمر بن الخطاب إنما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه إذ هو الأصل لكل علم.

ب. إن عمر إنما نهى عن الحديث عما لا يفيد حكماً ولا يكون سنة .

ج. وطعن غيرهم في حديث قرظة هذا وردوه، لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه^(٢). قلت: ومن هؤلاء ابن حزم عندما قال: بأن الرواية مرسله وليست متصلة وناقشناه فيه

سابقاً. ومن هذه الآثار:

ما ورد عن الفاروق في حديث السقيفة أنه خطب يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أريد أن أقول مقالة فتر لي أن أقولها، من وعائها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحل له أن يكذب عليّ ثم قال: وهذا يدل على أنه نهيه عن الإكثار وأمره بالإقلال من الرواية عن النبي - ﷺ - إنما كان خوف الكذب على رسول الله ﷺ، وخوفاً أن يكونوا مع الإكثار يحدثون بما لم يتيقنوا حفظه ولم يعوه؛ لأن ضبط من قلّت روايته أكثر من ضبط المستكثر، وهو أبعد من السهو والغلط الذي لا يؤمن مع الإكثار، فلماذا أمرهم عمر من الإقلال من الرواية، ولو كره الرواية ونمها لنهى عن الإقلال منها والإكثار، ألا تراه يقول: فمن حفظها ووعاها فليحدث بها. فكيف يأمرهم بالحديث عن رسول الله - ﷺ - ويأمرهم بالإقلال منه، وهو يندبهم إلى الحديث عن نفسه بقوله من حفظ مقالتي ووعاها، فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته!!؟ ثم قال: ومن خشي أن لا يعيها فلا يكذب عليّ. وهذا يوضح لك ما ذكرنا، والآثار الصحاح عنه من رواية أهل المدينة بخلاف حديث قرظة هذا^(٣).

د. ثم قال: ولا يخلو الحديث عن رسول الله - ﷺ - من أن يكون خيراً أو شراً، فإن كان خيراً ولا شك فيه أنه خير فالإكثار من الخير أفضل، وإن كان شراً ولا يجوز أن يتوهم أن عمر يوصيهم بالإقلال من الشر، وهذا يدل على أنه إنما أمرهم بذلك خوفاً من موافقة الكذب على رسول الله - ﷺ - وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن؛ لأن

(١) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، حديث رقم ١٩٧، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وما ينبغي في روايته وحمله، ص ٢٣٩.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ٢، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

المكثر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه^(١). ثم نكر ابن عبد البر مجموعة من الأقوال المنسوبة إلى الفاروق التي تحت إلى حفظ السنن ونشرها وتبليغها إلى الناس منها: قول الفاروق: "من سمع حديثاً فاداه كما سمع فقد سلم"^(٢). وقوله: "تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن فسوى بينهما"^(٣). وقوله: "تعلموا السنة والفرائض واللعن كما تتعلمون القرآن". وقوله: "سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل"، وقوله: "خير الهدي هدي محمد ﷺ" وقوله: "سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وغيرها من النصوص الكثيرة"^(٤). ثم قال ابن عبد البر معقباً على هذه الأقوال والآثار: "وقد يحتمل أن تكون الآثار كلها عن عمر صحيحة متفقة ويخرج معناها على أن من شك في شيء تركه، ومن حفظ شيئاً واتقنه جاز له أن يحدث به وإن كان الإكثار يحمل الإنسان على التلحم في أن يحدث بكل ما سمع من جيد ورديء وغث وثمين"^(٥).

قلت: ومما يدل على ذلك أنه عندما بعث إلى أبي هريرة وقال له^(٦): "كنت معنا يوم كنا مع رسول الله - ﷺ - في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم: وقد علمت لم تسألني عن ذلك؟ قال: ولم سألتك قلت: إن رسول الله - ﷺ - قال يومئذ "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُعْتَدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٧).

٦. قول ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): "وقد كان ينكر كثرة الحديث عن رسول الله - ﷺ - على من لا يشك في صدقه ليتحرز غيره"^(٨).

٧. قول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك"^(٩).

قلت: مما سبق يترجح لدي: أن جميع أقوال العلماء تصلح لأن تكون سبباً لتوجيه نهى الفاروق - ﷺ - في أمره بالإقلال من رواية الحديث الشريف وعدم الإكثار منه، وأن كل عالم نظر من زاوية معينة فاجتهد وأعطى سبباً، لكنني أرى أن هذه الأسباب جميعاً تصلح لأن تكون هي السبب لأمر الفاروق - ﷺ - في الإقلال وعدم الإكثار، كما أن النهي لم يكن شاملاً لجميع

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٢، حديث رقم ٩٨٠، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) التفسير، كتاب التمييز، حديث رقم ٢، ص ٢٥.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، ج ٢، حديث رقم ٢٨٥٠، ص ٤٤١.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ٢، حديث رقم ٩٨٢، ص ٢٤٢.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ٢، حديث رقم ٩٨٣، ص ٢٤٣.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم ١٢١٩، ص ٢٥٤.

(٨) ابن الجوزي، الموضوعات، ج ٢، ص ١٠٥.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٦.

الصَّحَابَةُ - ﷺ - بحيث يترك التحديث، والرواية عن رسول الله - ﷺ - لأن ذلك فيه كتم للعلم وضياح للسُّنة الشريفة، وإنما كان قصد الفاروق هو المحافظة على السُّنة بحيث لا يرويه إلا من وعيها ثم حفظها وضبطها ضبطاً تاماً، بدليل ما قاله لأبي هريرة في الحديث السابق، وأما فيما يتعلق برأي ابن حزم في الرواية وقوله بأنها مرسلّة، فدليله مرجوح، لأن الرواية متصلة كما بينت ذلك في موضعه. والله تعالى أعلم.

ثالثاً: ما روي عن عثمان بن عفان ﷺ:

وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - ﷺ - أنه اتبع منهج أبا بكر وعمر - ﷺ - ومنع الإكثار من الرواية، ومما روي عنه:

١. ما ورد عن محمود بن لبيد أنه قال^(١): "سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحل لأحد يروي حديثاً عن رسول الله - ﷺ - لم أسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر، فإنه لم يمنعنا أن نحدث عن رسول الله - ﷺ - أن لا أكون أوعى لأصحابي عنه، إلا أني سمعته يقول: "مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٢). وفي رواية: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٣).

٢. ما رواه مسلم بسنده عن حُمران مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان وهو بفناء المسجد فجاءه المؤمن عند العصر، فدعا بوضوء فتوضأ ثم قال: والله لأحدثكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ فَيُصَلِّيَ صَلَاةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا"^(٤).

قال عروة بن الزبير مفسراً حديث عثمان ﷺ الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا﴾ (البقرة: ١٥٩). معناه: "لولا أن الله تعالى أوجب على من علم علماً ابلاغه لما كنت حريصاً على تحديثكم ولست متكثرأ بتحديثكم"^(٥).

قلت: والسبب في ذلك أن العقل للرواية يكون أضبط وأتقن لما يروي وكذلك أن الصحابة - ﷺ - لم يكتموا علماً في الأحكام الشرعية.

رابعاً: ما روي عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ:

لقد التزم معاوية - ﷺ - منهج الخلافة الراشدة عامة ومنهج عمر بن الخطاب خاصة في الإقلال من الرواية خشية الوقوع في الخطأ مع كثرة التحديث عن رسول الله - ﷺ -

(١) مزيد، مناهج المحدثين في القرن الهجري الأول وحتى عصرنا الحاضر، ص ٦٥.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٦٥. وانظر بقية الحديث عند البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٩، ص ٣٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النباحة على الميت، حديث رقم ١٢٩١، ص ٢٥٤.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، حديث رقم ٢٢٧، ص ٦٩.

(٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، م ٢، ص ١١٣ - ١١٤.

حيث ورد عنه أنه قال: "عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله ﷺ" (١).

ومما يجدر التنبيه عليه والإشارة إليه: أن منهج الصحابة في الاعتدال في الرواية عنه - ﷺ - لا يعني الزهد في السنن، أو قلّة ما لديهم من الحديث، بل فعلوا ذلك كله حرصاً على السنّة وصيانة لها، واحتياطاً للدين ورعاية لمصلحة المسلمين، لا زهداً في الحديث ولا تعطيلاً له؛ لأنّه ثبت تمسكهم به وإجلالهم إياه وعملهم وأخذهم به (٢). كما أنه لا يعتبر من باب كتمان العلم، لأنه لم تكن هنالك ثمة ضرورة من نكرهم لما تحملوه لأنّه يعرفه القاصي والداني، والعالم والجاهل، كما أنهم التزموه إذا لم يكونوا واعين ضابطين لما سمعوه، إذ لو بلغوا لوقعوا في الخطأ والشبه، كما أنهم لم يحدثوا كثيراً حتى لا يجعلوا روايته سوقاً يرتادها كل من هب ودب فيقع من وراء ذلك الشوب والكنب والتكليس فيه، إذ الناس ليسوا سواء في الأمانة ورجاحة العقل (٣).

وهكذا التزم جمهور الصحابة - ﷺ - بمنهج الخلافة الراشدة والولاء من بعدهم في الإقلال من الرواية عن رسول الله - ﷺ - خوفاً وخشية من مظنة الخطأ مع كثرة تحملهم عن الرسول - ﷺ - وفي هذا يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية" (٤). وسار التابعون ومن تبعهم على منهج الصحابة، فاحتاطوا في رواية الحديث الشريف، وعابوا على من أكثر الحديث مخافة أن يرتفع تدبر الحديث وفهمه (٥). فاهتدى الخلف بهدي السلف الذين اهتدوا بهدي النبي ﷺ.

• شبهة:

من المشهور والمتروك على بعض الألسنة أنّ الفاروق - ﷺ - قد حبس ثلاثة من كبار الصحابة لإكثارهم الحديث عن رسول الله - ﷺ - وهم "عبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء وأبومسعود الأنصاري، فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ (٦). وعند الرامهرمزي: "أن عمر حبس بعض أصحاب رسول الله - ﷺ - فيهم ابن مسعود وأبو الدرداء فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ، قال أبو عبد الله بن البري يعني منعهم الحديث ولم يكن لعمر حبس" (٧). وفي رواية أخرى يتغير أسماء المحبوسين حيث ورد عند ابن حبان عن سعد بن

(١) انظر الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧.

(٢) الخطيب، الوجيز في علوم الحديث وأصوله، ص ٨٢ - ٨٣.

(٣) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنّة النبوية، ص ٦٦ - ٦٧. وانظر الخزرجي: جهود الصحابة في نقل السنّة النبوية والمحافظة عليها، ص ١٨٦ - ٦٨٧.

(٤) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ص ٥٣.

(٥) الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، ص ٨٤.

(٦) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧.

(٧) الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، باب من كره كثرة الرواية، حديث رقم ٧٤٥، ص ٥٥٣.

إبراهيم عن أبيه، قال: قال عمر لابن مسعود وأبي ذر وأبي الدرداء ولعقبة بن عامر: ما هذا الحديث عن رسول الله - ﷺ - وحبسهم بالمدينة حتى أصيب^(١).

قلت: إن هذه الشبهة ليست بحق، ولا أحب أن أطيل فيها البحث والدفاع؛ لأنها غير متقبلة بالنسبة لمدى النهي ومفهومه، وغير مؤكدة في تاريخ السنة، أو التشريع الإسلامي أو تاريخ الدعوة. يقول السباعي: "حاولت أن أعثر على هذه الراوية من كتاب معتبر فلم أجدها، ودلائل الوضع عليها ظاهرة"^(٢). ثم أخذ يفند هذه الشبهة، فقال: فإن ابن مسعود من أجله وكبار الصحابة - ﷺ - وأقدمهم إسلاماً، وله مكانة ومقام رفيع في نفس الفاروق، حتى أنه عندما أرسله إلى الكوفة في العراق امتنّ عليهم بإرساله لهم، فقال: "ولقد أثرتكم بعبد الله على نفسي" وكان مقامه خلال فترة خلافة الفاروق في العراق، وإنما أرسله إليها ليعلم أهلها الدين والأحكام، ومن الأحكام ما يؤخذ من القرآن الكريم، وأكثرها أخذ من السنة الشريفة، فكيف يحبسه عمر لتحديثه وهو إنما أرسله لهذا الغرض؟^(٣).

قلت: ثم إن عبد الله بن مسعود ليس من المكثرين إذ بلغت مروياته (٨٤٨) حديثاً أما أبو ذر وأبو الدرداء فلا يعلم عنهما حديث كثير، إذ قد بلغت مرويات أبي ذر (٢٨١) حديثاً ومرويات أبي الدرداء (١٧٩) حديثاً.

نعم كان أبو الدرداء معلم المسلمين في الشام، كما كان ابن مسعود في العراق، والغرابية في حبس عمر لابن مسعود تأتي أيضاً في أبي الدرداء، فكيف يحبسه وهو معلمهم ورائدهم ومفقههم الأول في دينهم؟ وهل كان قصد عمر منه ومن ابن مسعود أن يكتب بعض الحديث فيكتب بعض أحكام الدين عن المسلمين؟^(٤).

وأما أبو ذر ففهما نقل عنه من حديث فهو لم يبلغ جزءاً مما بلغه أبو هريرة، فلماذا يحبسه ولا يحبس أبا هريرة؟ والحاصل أن الذين عرفوا بكثرة الحديث من الصحابة - ﷺ - كابي هريرة، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري وغيرهم لم يرو عن الفاروق أنه تعرض لهم بشيء إلا أبا هريرة، حيث روي أن عمر قال لأبي هريرة: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله - ﷺ - في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم، وقد علمت لم تسألني عن ذلك، قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله - ﷺ - قال يومئذ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "، قال: أما إذا، فاذهب فحنت. فكيف يعقل أن يترك أبا هريرة وهو أكثر الصحابة حديثاً على الإطلاق، إذ بلغت مروياته (٥٣٧٤) حديثاً، ثم يحبس مثل ابن مسعود وهو أقل من أبي هريرة حديثاً، أو مثل أبي الدرداء وأبي ذر، وهما لم يعرفا بين الصحابة بكثرة الحديث مطلقاً^(٥).

ثم قال السباعي: "لقد لبثت كثيراً أشك في هذه الرواية وأقلبها على جميع وجوه النظر، حتى قرأت في كتاب الأحكام لابن حزم ما يلي:

(١) ابن حبان، المجروحون من المحققين، ج ١، ص ٣٦.

(٢) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٨٢.

(٣) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٨٣.

"وروي عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبي - ﷺ - وأبا الدرداء وأبا ذر"^(١). وطعن ابن حزم بهذه الرواية بالإرسال والانقطاع؛ وذلك لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف راويه عن عمر لم يسمع منه، وقد وافقه على ذلك البهقي، على خلاف يعقوب بن شببة والطبري وغيرهما الذين أثبتوا سماعه من عمر، والظاهر أنه لم يسمع منه فإن مات سنة (٩٩هـ) أو (٩٥هـ) وعمر (٧٥ سنة) فيكون قد ولد سنة (٢٠) من الهجرة في أواخر خلافة عمر بن الخطاب. فلا يتصور سماعه منه أو تحمله منه في تلك السن، وعلى ضوء ذلك فلا تكون الرواية حجة ولا يؤخذ بها^(٢).

ثم قال ابن حزم: "إن الخبر في نفسه ظاهر الكذب والتوليد، لأنه لا يخلو على أن يكون أنهم الصحابة، وفي هذا ما فيه، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السُّنة، والزمهم كتمانها وحجها، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين، قد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أي الطريقتين الخبيثتين يشاء"^(٣). قلت: إن صحة الرواية فإن المقصود بالحبس هو الإقامة الجبرية، ولا يعني السجن المعروف، والدليل قوله في نهاية الرواية: "قالوا أتهاننا، قال: لا أقيموا عندي والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم ونردّ عليكم فما فارقه حتى مات"^(٤). والهدف من ذلك كله هو الاحتفاظ بهم في المدينة؛ ليستعين بهم على العلم والإدارة^(٥).

ثم جاء عثمان - ﷺ - فأطلقهم، يقول أبو بكر بن العربي (ت ٥٤١هـ): "ومن العجيب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر، فقد روي أن الفاروق - ﷺ - سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة، حتى استشهد فأطلقهم عثمان، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله"^(٦). وقال لكن عثمان لم يتبع شدة عمر وسيرته في هذا الأمر، فأطلق الصحابة الذين حبسهم عمر في المدينة"^(٧).

قلت: وكل الروايات وردت بصيغة التمرّض والتضعيف (روي) وليس بصيغة الجزم. وأن صحت فتحمل على ما ذكرت سابقاً.

المطلب الثاني: الصحابة المكثرون وأسباب ذلك

الصحابة - ﷺ - لم يكونوا على درجة واحدة في رواية الأحاديث النبوية الشريفة، بل كانوا يتفاوتون في ذلك كثرة وقلة، فبينما نجد أحدهم وقد روى الآلاف من الأحاديث النبوية الشريفة، نجد أحدهم قد روى المئات، ونجد الآخر قد روى العشرات، وبعضهم قد روى

(١) ابن حزم، إحكام الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٨٣.

(٣) ابن حزم، إحكام الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٩٣.

(٤) ياسوف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ٦٥.

(٥) ياسوف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ٦٦.

(٦) ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم، تحقيق محي الدين الخطيب، [ط: بدون]، ١٤٠٦هـ، ص ٧٥.

(٧) عبد الحميد، صائب، تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاماً بعد الرسول ﷺ، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ -

١٩٩١م، ص ٢٢.

الأحاديث، بل ونجد بعضهم لم يرو شيئا أصلاً^(١). قال ابن حزم في جوامع السيرة: "هذا باب من ذكر من روى عن النبي - ﷺ - من الصحابة، رضوان الله عليهم، حديثاً فما فوقه، ممن نقل الحديث عنهم، على مراتبهم في ذلك: أصحاب الألف وما زاد منهم، ثم أصحاب الألفين وما زاد، ثم أصحاب الألف وما زاد، ثم أصحاب المئين وشيء، ثم أصحاب المئتين وشيء، ثم أصحاب المائة وشيء، ثم أصحاب العشرات وشيء، ثم أصحاب العشرين، ثم أصحاب التسعة عشر، ثم أصحاب الثمانية عشر، ثم أصحاب السبعة عشر، ثم كذلك نقص واحدٍ واحدٍ، إلى أصحاب الأفراد"^(٢). وقبل البدء بسرد أسماء بعض الصحابة المكثرين والمتوسطين، والمقلين، لابد لي من بيان معنى المكثّر. فأقول وبالله التوفيق والسداد:

المكثّر: هو من روى وزاد حديثه على ألف حديث من الصحابة ﷺ^(٣). والصحابة المكثرون هم سبعة من خيار صحابة رسول الله ﷺ، وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم بقوله:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر^(٤)

ونظمهم بعضهم بقوله:

والمكثرون في رواية الأثر أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنس والبحر كالخدري وجابر وزوجة النبي^(٥)

وإليك هؤلاء السبعة على الترتيب تنازلياً من الأكثر إلى الأقل وهم:

١. أبو هريرة: واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني - ﷺ - على الأشهر، قدم مهاجراً ليالي فتح خيبر، أحفظ من روى الحديث في دهره، المولود سنة (١٩ ق.هـ)، والمتوفى سنة (٥٩هـ) وهو ابن ثمان وسبعين سنة. وعده ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً^(٦). وقد غمز بعضهم في كثرة حديثه وقالوا: كيف تكون رواية أبي هريرة أكثر من رواية غيره؟

قلت: كانت كثرة رواية أبي هريرة عن بقية الصحابة لأسباب عديدة معقولة وهي:

١- أنه لازم الرسول - ﷺ - ملازمة تامة، يدور معه حيثما دار، ويأكل عنده في أغلب أحيانه إلى أن انتقل الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، ولهذا قال: "يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا

(١) الكبيسي، صحابة رسول الله - ﷺ - في الكتاب والمئة، ص ١٣٥.

(٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد محمد شاكر، المطبعة العربية، لاهور - باكستان، [ط: بدون]، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٧٥.

(٣) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧.

(٤) الترمسي، منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الآثار، ص ٢٦٧.

(٥) الترمسي، منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الآثار، ص ٢٦٧.

(٦) ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، تلقيح فهم الآثار في عيون التاريخ والمثير، دار الأرقم، ط ١، ١٤١٨ و ١٩٩٧م، ص ٢٦٣، وانظر أيضاً السخاوي: فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧.

هُرَيْرَةُ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ وَيَقُولُونَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْفَعُ لَهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْفَعُ لَهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... الحديث^(١).

٢- تفرغه للعلم والرواية والفتيا، ولم يتول الإمارة إلا فترة من حياته زمن الفاروق
عمر بن الخطاب - ﷺ - ثم رغب عنها.

٣- حفظه وقوة ذاكرته وذلك بسبب بركة دعاء الرسول - ﷺ - له. وذلك أنه ﷺ -
قال: " مَنْ يَبْسُطُ رِذَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ثُمَّ يَقْبِضَهُ فَلَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ فَوَالَّذِي بَعَنَهُ بِالْحَقِّ مَا كَسَيْتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ"^(٢).

٤- استدراكه ما فاته من حديث الرسول - ﷺ - من خلال ملازمته الصحابة وسؤاله لهم
حتى استوفى ما فاته من الحديث في مكة وما كان قبل إسلامه، لذا نجده يروي عن
جميع طبقات الصحابة بل وعن بعض التابعين النقات.

٥- لكونه عاش وعمر فترة طويلة من الزمن حوالي (٧٨) سنة.

٦- ولكونه كان في الأمصار المشهورة التي تشد إليها الرِّحال في طلب الحديث الشريف.

٧- توسع الفتوحات وكثرة دخول الناس في الإسلام، وحاجتهم لمعرفة الشرائع والأحكام،
فبرزت الحاجة لمن بقي من الصحابة في تعليم الناس أمور دينهم.

٨- حرصه البالغ على حديث رسول الله - ﷺ - قولاً وعملاً. وقد شهد له الرسول - ﷺ -

بذلك عندما قال: قلت: " يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

ﷺ - لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ

الْحَدِيثِ ... الحديث^(٣).

فهذه من أسباب كثرة حديثه تحملاً وأداءً وكل هذه الأسباب تجعله مدركا لكثير من
أقواله ﷺ بل تجعل من الغريب والمستهجى. أن لا يتميز بكثرة الرواية بعد أن توافرت له هذه
الأسباب المعينة على الحفظ والرواية. وإنما أطلت الحديث فيه؛ لتمييزه الذي حظي به وجراً
عليه من العداوة والطعن والقبح فيه من قبل الكفرة والزنادقة، وأهل البدع مثل الرافضة
وغيرهم.

٢. عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، المولود سنة (١٠ ق.هـ) والمتوفى سنة (٧٤هـ)
عن ست وثمانين سنة ودفن بمكة، روى ألفي حديث وست مئة وثلاثين حديثاً، اتفق البخاري

(١) البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص ٣٥.

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٩، ص ٣٥.

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم ٩٩، ص ٣١.

ومسلم منها على سبعة عشر حديثاً، وانفرد البخاري منها بواحد وثمانين، ومسلم بواحد وثلاثين^(١).

٣. أنس بن مالك رضي الله عنه، المولود سنة (١٠ ق.هـ) والمتوفى سنة (٩٣ هـ) عن عمر جاوز المئة عام، روى ستة وثمانون ومائتان وألفاً حديث، اتفق البخاري ومسلم منها على ثمان وستين ومئة، وانفرد البخاري منها بثلاث وثمانين، وانفرد مسلم منها بواحد وتسعين، ومجموع أحاديثه في الكتب التسعة (٢٢٨٦)^(٢).

٤. عائشة رضي الله عنها، زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبنت أبي بكر الصديق، والمولودة سنة (٩ ق.هـ)، والمتوفاة سنة (٥٨ هـ)، وقيل سنة (٥٧ هـ)، وعدد ما روته: عشرة ومئتان وألفان، اتفق الشيخان على أربعة وسبعين ومائة، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمان وستين^(٣).

٥. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، المولود سنة (٣ ق.هـ)، والمتوفى سنة (٦٨ هـ) عن إحدى وسبعين سنة، وعدد ما روى ألفاً وست مئة وستين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على خمس وسبعين، وانفرد البخاري بثمان وعشرين، وانفرد مسلم بستع وأربعين^(٤).

٦. جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، المولود سنة (١٦ ق.هـ)، والمتوفى سنة (٧٨ هـ) عن أربع وتسعين سنة، وعدد ما روى من الأحاديث: أربعون وخمسمائة وألف حديث، اتفق الشيخان منها على ثمان وخمسين، وانفرد البخاري بستة وعشرين، وانفرد مسلم بستة وعشرين ومائة، وعدد أحاديثه في الكتب التسعة (١٥٤٠)^(٥).

٧. أبو سعيد الخدري، وهو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، رضي الله عنه، المولود سنة (١٢ ق.هـ) والمتوفى سنة (٧٤ هـ) عن بضع وثمانين سنة، روى سبعون ومائة وألف حديث، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاث وأربعين، وانفرد البخاري بستة وعشرين، ومسلم باثنتين وخميس، وقد أضافه العراقي تبعاً لابن كثير، وقد نظمه البرهان الحلبي^(٦). هذا وقد أدرج ابن كثير في المكثرين ابن مسعود، وابن عمرو بن العاص، ولم يبلغ حديث واحد فيهما عند بقي ألفاً، إذ حديث أولهما عنده ثمانمائة وثمانية وأربعون ومنهما سبعمائة^(٧).

(١) ابن حزم، جوامع السيرة، ط ٢٧٥، وانظر تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ص ٢٦٣، وانظر أيضاً السيوطي: تذييل الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٤٠٧.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٦، وانظر ابن الجوزي، تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ص ٢٦٣، وانظر أيضاً التازي، مصطفى أمين إبراهيم، محاضرات في علوم الحديث، دار التأليف بمصر، ط ٤، ١٤٠١ هـ، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) السخاوي، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧، وانظر التازي: محاضرات في علوم الحديث، ج ١، ص ١٧٢.

(٤) السخاوي، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧، وانظر التازي: محاضرات في علوم الحديث، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٦، وانظر: السخاوي: فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧. وانظر أيضاً التازي: محاضرات في علوم الحديث، ج ١، ص ١٧٩.

(٦) السخاوي، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٧ - ٩٨. وانظر التازي، محاضرات في علوم الحديث، ج ١، ص ١٨٠.

(٧) السخاوي، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٩٨.

وفي ختام هذا المطلب أقول: ليس كثرة الرواية التي يرويها الصحابي عن الرسول ﷺ - دليل على أفضليته عن غيره ممن ليسوا كذلك، فمثلاً أبو هريرة أكثر رواية من أبي بكر باتفاق العلماء، وأبو بكر أفضل من أبي هريرة، بل هو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ . وكذلك تقدم الإسلام لا يلزم منه كثرة الرواية، ودليل ذلك أن أبا هريرة أسلم عام خيبر، وأبو بكر أسلم قبله في بداية الدعوة بمكة المكرمة، وأبو هريرة أكثر رواية من أبي بكر. ولا يلزم من كثرة التحديث أن يكون هؤلاء أكثر أخذاً من غيرهم من النبي ﷺ، لأن قلة التحديث قد يكون سببها تقدم موته، أو انشغاله بأمور أخرى كالزراعة والصناعة، وأمور الخلافة، والجهاد وغيره من الأسباب التي ستذكر لاحقاً.

إن: إن قلة الرواية وكثرتها ليست معياراً للتفاضل بين الصحابة - ﷺ - أجمعين، حتى لا يكون ذلك سبباً في الطعن بمن لم يكن مكثرًا من الرواية.

أما عن سبب إكثار بعض الصحابة من رواية الحديث النبوي فيعود إلى الأسباب الآتية:

١. حرصهم ورغبتهم في نشر الحديث والعلم وتعليم الناس لقوله ﷺ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً

"(١)، وقوله ﷺ: " نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ قَرُبَ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ "(٢). فالحافظون للسنة والمبلغون لها لهم عند الله الكرامة وحسن المنزلة ونضارة الوجه ما لغيرهم عند الله.

٢. الثقة الكاملة والاطمئنان إلى صحة الرواية وصدقها والبعد عن التغيير والتبديل والتحريف(٣).

٣. يعد الإسلام تحصيل العلم وتعلمه واجباً وفرضاً ولذلك نجد القرآن الكريم والرسول - ﷺ - قد أمرا ورغبوا في تحصيل العلم، ولهذا رأينا كيف حرص الصحابة - ﷺ - على تحصيل العلم والسنة وحفظها والتفقه بها بمثل حرصهم على القرآن الكريم، بل نجد أن بعضهم قد تفرغ للعمل والعبادة والجهاد.

٤. حرص الصحابة - ﷺ - على المحافظة على السنة الشريفة، وخوفهم عليها من الضياع بموت الصحابة - ﷺ - الحفاظ(٤).

٥. الخوف والتحذير من كتمان العلم والقعود عن تبليغه؛ لأن كاتم العلم مذموم. فبالإضافة إلى أمره - ﷺ - بتبليغ الحديث والعلم، والحث عليه فإننا نجده في المقابل حذر من كتمان العلم، ويحذر كذلك من التقاعس والتكاسل في تبليغه ونشره والقعود عن ذلك(٥)،

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، ص ٦٩١.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم ٢٦٥٧، ص ٤٣٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني، صحيح.

(٣) الأمل، مصطلح الحديث ورجاله، ص ٤٠.

(٤) أبو حسن، صديق عبد العظيم وغنايم، محمد نبيل، دراسات في السنة النبوية الشريفة، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٥٤.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٤٢ - ٤٣.

قال ﷺ: " مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلَّمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ " (١). وقال أيضاً:
 "مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مالا لا ينفق منه" (٢).
 وهذا الحديث النبوي الشريف بمعنى الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ فُتْكَوْا بِهَا جِاهُهُمْ وَجُؤُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥).

٦. طول أعمارهم، ومسيب الحاجة إلى استخراج ما عندهم من العلم.
٧. طول الصحبة والملازمة للنبي - ﷺ - كما هو الحال في أنس بن مالك، وأم المؤمنين عائشة، وأبو هريرة ﷺ.
٨. التوفر على جمع آثار النبي - ﷺ - وحفظ حديثه كما هو الحال في ابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، فقد كانوا يتلمسون أحاديث الرسول - ﷺ - حيث كانت، ويجمعونها، فلم يكن كل ما حدثوا به مسوغاً لهم منه ﷺ، بل كان منه ما سمعوه منه كبار الصحابة. فلا عجب بعدئذ أن نرى كثيراً من كبار الصحابة - ﷺ - الذين سبقوا إلى جوار ربهم لم يرو لهم كثير من الحديث الشريف (٣).
 قلت: لعل هذه أهم الأسباب التي كانت الدافع لحرص الصحابة - ﷺ - على الإكثار من الحديث.
- ثم قلت: وهكذا نجد أن الكثيرين من رواية الحديث الشريف من الصحابة - ﷺ - بينهم قواسم مشتركة يتمثل فيما يلي:

 ١. معظم الكثيرين من الرواية كانوا غلماناً وصغاراً في حياة النبي ﷺ.
 ٢. منهم من اشتغل بخدمة الرسول - ﷺ - كأنس بن مالك، وأسامة بن زيد، وأبي هريرة - ﷺ - مما أعطى لهم فرصة كبيرة ليحفظوا عن رسول الله - ﷺ - ويعوا.
 ٣. طول الملازمة للرسول ﷺ، وإن كان بينهم تفاوت في مدة الملازمة.
 ٤. تعدد مصادر التحمل، فكما تحملوا عن رسول الله - ﷺ - تحملوا عن أخوانهم الصحابة - ﷺ - بل وعن التابعين الثقات أيضاً.
 ٥. تأخر وفاتهم، وعاشوا فترة زمنية طويلة بعد وفاة الرسول ﷺ.
 ٦. لم ينفردوا بما حدثوا به بل شاركهم غيرهم من الصحابة في كثير مما رويوا.

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، حديث رقم ٦٤٩، ص ٤٢٩، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن، وقال الألباني صحيح.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ١، ص ٢٤٠ وقال محققه إسناده صحيح.

(٣) الجامعة الأزهرية، كلية الشريعة، تاريخ الفقه الإسلامي كلمات في تاريخ التشريع الإسلامي، تريك نشاته، وتطوره، وتطلمعك على مصادر التشريع ومذاهبه، وتكشف لك عن مزاياه ومقاصده، راجعه وصححه وهذبه محمد علي الساميس، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٦٨.

المطلب الثالث: الصحابة الذين لم تبلغ مروياتهم ألف حديث أي أصحاب المئات
 أما الذين لم تبلغ مروياتهم ألف حديث: فهم متفاوتون في ذلك، فمنهم من روي له
 المئتين وشيء، ومنهم أصحاب المئتين وشيء، ومنهم أصحاب المائة وشيء، ومن هؤلاء على
 سبيل المثال لا الحصر:

١. أم سلمة أم المؤمنين، بنت أبي أمية بن المغيرة، القرشية، المخزومية، أسماها هند واسم
 أبيها حذيفة وقيل سهيل، أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين، قال الواقدي: ماتت سنة
 (٥٩هـ)، وقال ابن حبان: أواخر سنة إحدى وستين وقيل غير ذلك، وهي آخر أزواج
 النبي - ﷺ - موتاً، كما قال ابن حجر. روي لها (٣٧٨) حديثاً^(١).

٢. البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، الأوسي، يكنى أبا عمارة ويقال: أبا عمرو
 ولأبيه صحبة، استصغره رسول الله - ﷺ - يوم أحد فرده، ثم شهد بعدها أربع عشرة
 غزوة وفي رواية أخرى خمس عشرة، شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين
 وقتال الخوارج، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، توفي سنة (٧١هـ). روي له (٣٠٥)
 أحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على اثنين وعشرين وانفرد البخاري بخمسة عشر
 ومسلم بستة، روى عنه الصحابيان عبد الله بن يزيد الحطمي وأبو جحفة وجماعة من
 التابعين^(٢).

٣. أبو زر الغفاري، الزاهد المشهور، الصادق للهجة، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه،
 والمشهور: أنه جندب بن جنادة بن سكن، كان أحد السابقين إلى الإسلام، توفي في
 الربيعة سنة (٣١هـ) على المشهور، روي له عن رسول الله - ﷺ - (٢٨١) حديثاً،
 اتفق البخاري ومسلم منها على (١٢) حديثاً وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة
 عشر، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن غنم، وزيد بن وهب،
 وخلق سواهم^(٣).

٤. عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، ويكنى بأبي نجيد، أسلم عام خيبر، غزا مع
 رسول الله - ﷺ - بعض الغزوات، وكان ممن بعثه الفاروق إلى البصرة ليفقه أهلها،
 فسكن البصرة واستوطنها، وكان استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة، فأقام قاضياً
 يسيراً، ثم استعفى فأعفاه. توفي في البصرة سنة (٥٢هـ)، وكان أبيض الرأس
 واللحية، وبقي له عقب بالبصرة ﷺ، روي له عن رسول الله - ﷺ - (١٨٠) حديثاً،
 اتفق البخاري ومسلم منها على (٨)، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بتسعة، روى عنه

(١) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٦، وانظر الثوري: تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٣٢، وانظر ابن حجر، الإصابة في
 معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٥٨ - ٤٦٠، وانظر أيضاً: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٦، وانظر الثوري، تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٣٢. وانظر أيضاً ابن حجر: الإصابة
 في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٧. وانظر ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٢ - ٦٤، وانظر أيضاً: ابن عبد
 البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٦٥٢ - ١٦٥٦.

أبو رجاء العطاردي واسمه تيم ومطرف بن عبد الله زرارة بن أوفى، وعبد الله بن بريدة، وابن سيرين، والحسن، والشعبي، وأبو الأسود الدؤلي وآخرون^(١).

٥. بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، يكنى أبا عبد الله، قدم على رسول الله - ﷺ - بعد أحد فشهد معه مشاهدته كلها، وكان من ساكني المدينة، ثم ارتحل إلى البصرة وسكن بها، ثم خرج إلى خراسان غازياً، فأقام بمرور واستوطنها في إمارة يزيد بن معاوية إلى أن مات بها سنة (٦٣هـ) وبها عقبة وقبره مشهور بمرور يعرف. وقدم من ولده قوم فنزلوا بغداد فماتوا بها، روي له (١٦٧) حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديث واحد، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بأحد عشر، روى عنه ابنه عبد الله وسليمان^(٢).

المطلب الرابع: الصحابة الذين رووا عشرات من الأحاديث الشريفة

من الصحابة الذين روي لهم عشرات الأحاديث نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١. زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد، الأنصاري، النجاري، كان من علماء الصحابة، وممن يكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - وهو الذي جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكر - رضي الله عنه - (ت ٤٥هـ) على المشهور، روي له عن النبي - ﷺ - خمسة وتسعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بحديث واحد، روى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري وسهل بن سعد - رضي الله عنهم - أجمعين، وروى عنه خلائق من كبار التابعين^(٣).
٢. ميمونة أم المؤمنين، بنت الحارث بن حزن الهلالية، كان اسمها برة فسمها النبي - ﷺ - ميمونة، تزوجها النبي - ﷺ - في السنة السابعة لما اعتمر عمرة القضاء، وبنى بها في قبة لها بسرف توفيت في نفس الموضع سنة (٥١هـ). روي لها عن رسول الله - ﷺ - ستة وسبعون حديثاً^(٤).
٣. زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان، الأنصاري، الخزرجي، غزا مع رسول الله - ﷺ - سبع عشرة غزوة أولها غزوة الخندق، وقيل المريسيع، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتوفي سنة (٦٨هـ) على المشهور، روي له سبعون حديثاً عن رسول الله - ﷺ -

(١) ابن حزم، جوامع السيرة ص ٢٧٧. وانظر ابن سعد، كتاب الطبقات، ج ٧، ص ٩ - ١٢، وانظر أيضاً النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٧. وانظر ابن الجوزي: تلخيص فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ص ٣٦٣ - ٣٦٤. وانظر النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١. وانظر أيضاً ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤١١ - ٤١٣.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٥٣٧ - ٥٤٠، وانظر أيضاً: ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٦١ - ٥٦٥.

(٤) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٨. وانظر ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٩١٤ - ١٩١٨، وانظر: أيضاً ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤١١ - ٤١٢.

اتفق البخاري ومسلم على أربعة، وللبخاري حديثان، ولمسلم ستة، روى عنه أنس بن مالك وابن عباس وخلائق من التابعين^(١).

٤. حفصة أم المؤمنين، بنت أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه، كانت من المهاجرات تزوجها رسول الله - ﷺ - سنة (٣هـ)، توفيت سنة (٤١هـ)، روي لها عن رسول - ﷺ - ستون حديثاً^(٢).

٥. عمرو بن العاص القرشي السهمي، أسلم سنة ثمان قبل الفتح بسنة أشهر، قدم على النبي - ﷺ - هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، استعمله النبي - ﷺ - على عمان، فلم يزل بها إلى أن توفي رسول الله ﷺ، ثم سيرة الصديق إلى الشام أميراً، فشهد فتحه، ولي فلسطين في عهد الفاروق، ثم سيرة الفاروق إلى مصر ففتحها، ولم يزل والياً عليها إلى أن مات عمر، فأمره ذو النورين أربع سنين ثم عزله، فلما استشهد عثمان - رضي الله عنه - سار إلى معاوية - رضي الله عنه - وعاضده، واستعمله معاوية على مصر، وبقي فيها إلى أن مات سنة (٦١هـ)، روي له عن رسول الله - ﷺ - (٣٩) حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، ولمسلم حديثان، وللبخاري بعض حديث^(٣).

المطلب الخامس: الصحابة الذين رويت عنهم الآحاد والأفراد من الأحاديث:

أما الصحابة الذين رويت عنهم آحاد وأفراد الأحاديث الشريفة فمنهم:

١. سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، القرشي، المخزومي، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها، (ت ٥٤هـ)، له ثلاثة أحاديث^(٤).
٢. عبد الله بن حذافة بن قيس، القرشي، السهمي، أسلم قديماً، وكان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، توفي بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه، له ثلاثة أحاديث أيضاً^(٥).
٣. عبد الله بن حنظلة الغسيل، بن أبي عامر الراهب الأنصاري، الأوسي، وحنظلة هو غسيل الملائكة، ولد عبد الله في عهد رسول الله ﷺ، وقد روى عنه ورآه، وقتل يوم المرة في ذي الحجة سنة (٦٣هـ) قتله أهل الشام، له حديثان^(٦).

(١) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٩، وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٥٣٥ - ٥٣٦. وانظر ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٦٠. وانظر أيضاً النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٧٩، وانظر ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٧٣ - ٢٧٤. وانظر أيضاً ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٨١١ - ١٨١٢.

(٣) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٨٠، وانظر ابن الجوزي: تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والمسير، ص ٣٦٥ - ٣٦٧. وانظر أيضاً النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢، ص ٣٠ - ٣١.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي المستقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة - مصر، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٢، ص ٥١ - ٥٢. وانظر أيضاً: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الإستهباب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر - القاهرة، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٢، ص ٦٢٦ - ٦٢٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، وانظر أيضاً ابن عبد البر: الإستهباب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٨٨٨ - ٨٩١.

(٦) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٩٤. وانظر أيضاً الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٢٩٩.

٤. حارثة بن النعمان، بن نفع بن زيد، الأنصاري يكنى بأبي عبد الله، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أجمعين بعد أن ذهب بصره، له حديثان أيضاً^(١).

٥. حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، الخزرجي، ثم البخاري، شاعر رسول الله ﷺ، كان ينصب له منبر في المسجد يقوم عليه يفاخر ويدافع عن رسول الله ﷺ، لم يشهد مع النبي - ﷺ - شيئاً من مشاهدته، وقصته مع صفية بنت عبد المطلب مشهورة ومعروفة، (ت ٤٠هـ)، له حديث واحد^(٢).

هكذا تفاوت الصحابة - رضي الله عنهم - في رواية الحديث الشريف ما بين أكثر ومقل، بل لا يكاد بعضهم يروي شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة^(٣). أما عن أسباب الإقلال من رواية الحديث الشريف فيقول حمزة النعيمي: ويمكن إجمال الأسباب التي حملت الصحابة - رضي الله عنهم - على الإقلال من الرواية ما يلي^(٤):

١- تعظيم وتوقير وتبجيل حديث رسول الله - ﷺ - وهيبته في نفوسهم قال عمر بن ميمون: "أن عبد الله بن مسعود قال رسول الله قال - ﷺ - فَتَكَسَّ قَالَ فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلَّلَةٌ أَرْزَارُ قَمِيصِهِ قَدْ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ وَانْفَجَحَتْ أَوْدَاجُهُ قَالَ أَوْ دُونَ ذَلِكَ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ شَيْهًا بِذَلِكَ"^(٥).

٢- الخوف من الخطأ حذراً من أن يجر إلى الوعيد الذي توعد به - ﷺ - من الكذب عليه، وفي هذا يقول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله - ﷺ - كما يحدث فلان وفلان. قال: أما إني لم أفارقه، ولكني سمعته يقول: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٦). وقال أنس بن مالك: "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أنه - ﷺ - قال: "من تعد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار"^(٧). فالصحابه قد استدلوا بهذا الحديث ليس من باب الخوف من الكذب المتعمد، القائم على التزوير والبهتان - حاشا وكلا - وإنما قصدوا من ذلك الكذب غير المتعمد والمقصود، الذي هو خطأ الراوي برواية ما يخالف الواقع، وهذا الذي حملهم على الاستشهاد بالحديث^(٨).

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢٩٨ - ٢٩٩. وانظر أيضاً ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٣٠ - ٣٠٧.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٣٠٨. وانظر ابن الجوزي، تلخيص فہوم أهل الأثر في عیون التاریخ والسیر، ص ٣٧٠ - ٣٧٩.

(٣) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٤) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢١.

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٣، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٨، ص ٣٣.

(٨) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢٢.

قلت: إذن إن الخوف من الوهم الذي يعتري الإنسان هو الذي منعهم من الإقدام على التحديث. وقد عقب ابن حجر على رواية الزبير - رضي الله عنه - بقوله: "وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطئ وإن كان غير مأثوم بالإجماع لكن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر، لأنه وإن لم يَأْثَمَ بالخطأ لكن قد يَأْثَمَ بالإكثار إذ الإكثار مظنة الخطأ والثقة إذا حدث بالخطأ فحمل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع، فمن خشي من إكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعدد الإكثار، فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث" (١).

٣- خوف الوقوع في الخطأ الذي وقع للغير بسبب غلظه: قال عمران بن حصين رضي الله عنه "والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومين متتابعين ولكن بطاني عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم وأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون" (٢).

٤- استشعار عظم وأمانة رواية الحديث: فقد كان الصحابة يرون أن رواية الحديث مسؤولية عظيمة، وأمر خطير، لما يترتب على ذلك من نسبة أقاويل إليه - صلى الله عليه وسلم - تبني عليها أحكام شرعية، وخوفاً من رواية ما يمكن أن يبني عليه حكم خاطئ، لذا كانوا يتدافعون رواية الحديث، وكان كل واحد منهم يرد الحديث إلى أخيه لعله يكفيه تحمل المسؤولية إن كان هنالك خطأ محتمل قد يقع في أثناء سرد الحديث. وفي هذا يقول ابن أبي ليلى: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ مِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ الْخَدِثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ قُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا" (٣).

وفي رواية "يسأل أحدهم المسألة، فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول" (٤). ويقول عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه: "قُلْنَا لِرَازِدِ بْنِ أَرْقَمَ حَدَّثَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ كَبَرْنَا وَكَسِينَا وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - شَدِيدٌ" (٥). ثم أن هذه الشدة قد جعلت بعض الصحابة - رضي الله عنهم - ينتظر وقتاً طويلاً حتى يحدث، فقد روى ابن عدي عن ابن مسعود أنه كان يأتي عليه الحول قبل أن

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ج ١، ص ٥٣.

(٤) الدارمي، سنن الدارمي، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ج ١، ص ٥٣.

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٥، ص ٢١، وقال الألباني:

هذا حديث صحيح.

يحدث عن رسول الله ﷺ^(١). وقال السائب بن يزيد: صحبت عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص والمقداد بن الأسود فلم أسمع أحدا منهم يتحدث عن رسول الله ﷺ، إلا أنني سمعت طلحة بن عبيد الله يتحدث عن يوم أحد^(٢).

٥- ظهور الكذب في أواخر عهد الصحابة - ﷺ - وتحديدا في منتصف القرن الهجري الأول. وقد أشار إلى هذا السبب ابن عباس - ﷺ - حيث قال: "إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ

اللَّهِ - ﷺ - إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصُّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ"^(٣)

قلت: ويضاف إلى هذه الأسباب أسباب أخرى هي:

٦- الوقوف والامتنال لأمر النبي - ﷺ - في الإقلال من رواية الحديث. فقد جاء عنه -

ﷺ - أنه قال: "إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي لَمَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا وَمَنْ تَقُولَ عَلَيَّ مَا لَمْ

أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٤).

٧- إن الصحابة - ﷺ - قد وقفوا على حذر في شأن الحديث فأقلوا من الرواية خشية أن يتخذها المنافقون مطية لأغراضهم الخبيثة^(٥).

٨- موت بعض الصحابة قبل أن يحتاج إليهم لكثرة أصحاب النبي ﷺ^(٦).

٩- اشتغال بعضهم بالعبادة والولاية مع وجود من يسد مكانهم بواجب التبليغ والرواية^(٧).

وهكذا نجد كيف أن الصحابة - ﷺ - كانوا يتحرجون من كثرة الرواية عن رسول الله - ﷺ - خوفاً من أن يدخل في السنة الشريفة ما ليس منها، ومن خلال هذه الأسباب نلاحظ أيضاً أن الصحابة - ﷺ - تشددوا وأقلوا من رواية الحديث، خوفاً من أن يتسع الناس فيها فيدخلها الشوب، ويقع التدليس والكذب من المنافق والأعرابي^(٨)، وخوفاً من مظنة الخطأ، لأن من حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيها فكان الإقلال من الحديث للاحتراز، مع ملاحظة أن من تأخرت وفاته من الصحابة، واحتجج إلى علمهم قد أكثروا وبلغوا، ولم يمكنهم الكتمان^(٩).

هذه بعض النماذج والأمثلة لمرويات الصحابة - ﷺ - ليست على سبيل الحصر؛ قصدت من وضعها إعطاء صورة واضحة لمدى التفاوت في رواية الأحاديث بين الصحابة - ﷺ - ومن أراد مزيداً من الأمثلة والتوضيح وحصر عدد مرويات الصحابة على وجه الدقة

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٠.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ٩.

(٤) ابن ماجه، منن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم ٣٥، ص ٣٦، قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن إسحاق، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، وقال الألباني: حسن.

(٥) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو غاية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٦٩.

(٦) القاسمي، قواعد التحديث من فنون ومصطلح الحديث، ص ٧٣ - ٧٤.

(٧) المرجع السابق نفسه، ص ٧٤.

(٨) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

(٩) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٦.

والشمول فعلية بكتاب ابن حزم الموسوم ب: "جوامع السيرة"، وكتاب ابن الجوزي الموسوم ب: "تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير"، والأول أشمل وأدق؛ لأنه أجمع الكتب، ولدقة ضبط ابن حزم ومن قبله الإمام الحافظ بقي بن مخلد الأندلسي وغيره من قبله، مع ملاحظة أن ابن حزم قال: "يتتبع العلماء والحفاظ ما ضبطناه، فمن وجد زيادة فليضعها حيث تليق وبالله تعالى التوفيق".

قلت: وقد تتبعت العلماء ووجدوا ما لم يجده كابن الجوزي وابن حجر، والسخاوي، وغيرهم. والله أعلم.

المطلب السادس: أسباب تفاوت الصحابة - ﷺ - في رواية الحديث

لقد تفاوتت صحابة رسول الله - ﷺ - في تحمل الحديث تبعاً لتفاوتهم في دخول الإسلام والسبق إليه، وفي التفرغ والملازمة للتحمل والتلقي عنه ﷺ، لذا كان بعضهم يلزمه ولا يتخلف عنه في حضر ولا سفر، ومنهم من يغيب عن مجالسه في بعض الأوقات لقضاء حوائجه ومصالحه المعيشية، ومع هذا كله كانوا - جميعاً - حريصين على ما يفوتهم من دروسه فإذا حضروا سألوا واستفسروا^(١). فهذا مسروق بن الأجدع^(٢) يصف حال من لقيهم من صحابة رسول الله - ﷺ - فقال: "لقد جالست أصحاب محمد - ﷺ - فوجدتهم كالإخاذا، فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي المائة، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والأخاذا يروي المائة، والأخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذا"^(٣).

وهكذا لم يكن الصحابة - ﷺ - في الفضل والفتيا مبنياً على تفاوتهم في الرواية والأخذ من الرسول - ﷺ - لأن بعض المكثرين في الفتيا مقلون في الرواية عنه، وبعضهم متوسط، وبعض الصحابة المقلين في الرواية والمتوسطين مكثرون في الفتيا^(٤). لذا تفاوتت الصحابة - ﷺ - في الرواية عن رسول الله - ﷺ - بين مكثر ومقل، فبينما نجد أحدهم روى عن رسول الله - ﷺ - الآلاف من الأحاديث، نجد الآخر وقد روى المئات، وبعضهم الآخر روى العشرات، وبعضهم أيضاً روى الأحاد، أو لم يرو شيئاً قط، ومرجع هذا التفاوت إلى الأسباب التالية:

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالمتن النبوية، ص ٥١
(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك الهذلي، الوداعي، أبو عائشة، الكوفي: ثقة، فقيه، مخضرم، روى عن الخلفاء الراشدين وابن مسعود - وهو من أصحابه - وابن عمر، وغيرهم ﷺ. مات (٦٢٢هـ) وقيل: ٦٢٣هـ.
(٣) ومعنى الإخاذا: قال أبو عبيد: "مجتمع الماء شبيه بالخنير" وقال ابن الأثير: "وقيل: هو جمع الإخاذا، وهو مصنع للماء يجتمع فيه، والأولى: أن يكون جنساً للإخاذا لا جمعاً، ووجه التشبيه مذكور في سياق الحديث قال: تكفي الإخاذا راكباً وتكفي الإخاذا الفنام من الناس، يعني أن فيهم الصغير، والكبير، والعالم والأعلم". انظر أبو عبيد: غريب الحديث، ج ٣، ص ٣٨٥، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٢٨.
(٤) الدرويش، عبد الرحمن بن عبد الله، الصحابي وموقف العلماء من الاحتجاج بقوله، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٨.

١- اختلاف درجات الحفظ والاستعداد الفطري، والموهبة عند الصحابة رضي الله عنهم ^(١)، ولا ريب أن منهم الحافظ وغير الحافظ، فلا عجب إذن أن نجد منهم من يحفظ الألوف كأبي هريرة الذي وهب ذاكرة قوية، اعتمد عليها في حفظ العلم دون تقييده، بينما لا يحفظ بعضهم إلا العشرات أو الأحاد، ولوصف ذلك ورد عن - الفاروق رضي الله عنه - أنه قال: "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ" ^(٢). وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "لَقَدْ خُطِبْنَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَاهُ فَعَرَفَهُ" ^(٣)، فعن أبي صالح السمان أنه قال: "أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" ^(٤)، وقال الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره" ^(٥)، وقال أبو هريرة: "لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحفظ لحديثه مني" ^(٦).

٢- تقدم إسلام الصحابي أو تأخرها، فالمتقدم في إسلامه تكون فرصة الرواية عنده أكبر، كتقدم صحبة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فكان من المكثرين عنه.

٣- طول الملازمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومصاحبته أكثر من غيره جعلته يحمل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكثير من الأحاديث سيما السابقين منهم إلى الإسلام والذين عايشوا الدعوة الإسلامية منذ فجر نشأتها، ومنهم من وافته فرص قليلة للاستماع له - صلى الله عليه وسلم - ومصاحبته فكان من الطبيعي أن يزيد مقدار عدد الأحاديث التي يحملها الأولون ويقل بالنسبة للآخرين ^(٧). ومن هذا قول أبي هريرة: "إِنْ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَإِنْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يُلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِشَيْءٍ يَطْنِيهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ" ^(٨). ومن تفرغ لملازمته أنس بن مالك لكونه كان خادمة، وعائشة زوجته رضي الله عنها.

٤- تقدم وفاة الصحابي أو تأخرها، فالذين تقدمت وفاتهم زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يروى عنهم الشيء الكثير، والذين تأخرت وفاتهم بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - رويوا الشيء الكثير، فجابر بن عبد

(١) الكبيسي، صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الكتاب والسنة، ص ١٣٥.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمِمَّا أَلْزَمَ يَدْرَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ مَتْنُهُ

وَلَهُ أَلْزَمُ الْأَعْلَى فِي السَّنَنِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا أَلْزَمَ يَدْرَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ مَتْنُهُ

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يكون إلى قيام الساعة، حديث رقم ٧٣٦٦، ص ١٢٢.

(٤) للذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٦.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٦.

(٦) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٦.

(٧) الجواز، محاضرات في علوم الحديث، ص ٤٧ - ٤٨.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص.

الله - ﷺ - تأخرت وفاته (ت ٧٤هـ)، والذين لقيهم من التابعين كانوا على شغف لمعرفة سنة الرسول - ﷺ - والصحاباء الذين بين ظهرانيهم قلة، فحملهم هذا الشغف وقلة الصحابة على الاستكثار من الرواية عنه. ومثال ذلك أيضاً: أبو بكر الصديق قُلت روايته والسبب في قلة ما روي عنه مع تقدم إسلامه وسبقه وملازمته للنبي - ﷺ - أنه تقسدت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه، وتحصيله وحفظه^(١). قُلت: وانشغاله بالخلافة كذلك.

٥- اتساع الفتوحات ودخول الناس في دين الله أفواجا، وظهور الحوادث المختلفة، حيث يحتاج الناس إلى بيان أحكامها فحينئذ يظهر الحرص على طلب الحديث لمعرفة الأحكام الشرعية في هذه الحوادث وغيرها.

٦- استدراك بعض الصحابة ما فاتهم من حديث رسول الله - ﷺ - من الصحابة الآخرين على جميع طبقاتهم، بل تحملوا عن التابعين النقات الذين تلقوا من الصحابة ﷺ، كما هو الحال عند أبي هريرة - رض - وغيره.

٧- ضعف الطريق إلى بعض الصحابة - رض - فترك هذه الطريق، ولذلك لم يخرج أصحاب الصحيحين عن أبي عبيدة بن الجراح شيئا^(٢).

٨- اشتغال بعضهم بأمور الجهاد ورفع راية الإسلام، ورد كلمة أعداء الله تعالى، وإرجاع المرتدين إلى حظيرة الدين، وقتال المتنبئين الكاذبين مما جعلهم يتركون التحديث لغيرهم ممن يأمنون من إخوانهم على دينهم^(٣)، كابي بكر الصديق وانشغاله بقتال المرتدين، وعمر وانشغاله بالفتوحات الإسلامية في العراق وبلاد فارس وغيرها، فكان توليهم مقاليد الحكم والرياسة سببا في قلة روايتهم.

٩- انشغال بعضهم بأمور الحياة من تجارة، وزراعة ورعي ونحوها، لم يتح لهم رواية الكثير عن رسول الله ﷺ، ولهذا عندما عابوا على أبي هريرة كثرة الرواية قال: "إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِشَيْعِ بَطْنِهِ وَيَخْضُرُ مَا لَا يَخْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ"^(٤).

١٠- بعد الصحابي وقربه من سكنى الأمصار التي يأملها العلماء وطالبوا الحديث مثل: مكة المكرمة، الكوفة، البصرة، الشام، مصر، المدينة المنورة وغيرها^(٥)، فالمدينة المنورة كانت وجهة أصحاب الحديث؛ لأنها عاصمة الخلافة وفيها أغلب صحابة رسول الله ﷺ،

(١) السويطي، تدريب الراوي في شرح تقريب الثوابي، ص ٤٠٧.

(٢) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ١٣٠.

(٣) حمزة، عمر يوسف، الصحابة وجهودهم في حفظ السنة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢٣ -

٢٤، وانظر الكبسي: صحابة رسول الله - ﷺ - في الكتاب والسنة، ص ١٣٧.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص ٣٥.

(٥) زر زور، عدنان محمد، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة والإمامية مدخل ومقارنات، دار الإعلام للنشر والتوزيع،

الأردن - عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٥٥.

ومن هؤلاء عبد الله بن عمرو حيث قلت الرواية عنه لأن أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار كان بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليها ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة^(١).

١١- تخرج بعض الصحابة - رضي الله عنه - وتحفظهم من إكثار الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

خشية الوقوع في الوعيد الشديد، وخوفاً من الزيادة والنقصان في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال عبد الله بن الزبير لأبيه: "إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان

قال أما إني لم أفارقك ولكن سمعته يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"^(٢)، فهنا نلاحظ الحيلة

والحذر الشديد من الرواية خوفاً من وقوع الخطأ أو التحريف، ولأن الكذب في الحديث

يؤء بصاحبه إلى النار^(٣)، لهذا تحفظ بعضهم من إكثار الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

١٢- قلة الأتباع، وكثرتهم، ونشاطهم، وخمولهم كان له الدور الكبير في كثرة الروايات

وقلتها، فعثمان بن عفان - رضي الله عنه - لم تصلنا أحاديثه لقلة الآخذين عنه بسبب انشغاله بالخلافة

والحروب وجمع القرآن الكريم وغير ذلك^(٤).

١٣- وقوع الفتنة، وظهور الكذب في الرواية من أصحاب البدع الداعين إلى بدعتهم من

شيعة وخوارج وغيرهم، وقد ورد في هذا أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس "فجعل

يحدثه فقال له ابن عباس عذ ليحدث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له عذ ليحدث كذا وكذا فعاد له

فقال له ما أذري أعرفت حديثي كله وألكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا فقال له ابن عباس

إنا كنا نحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصغب والذلّول تركنا

الحديث عنه وحدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن

عباس قال إنما كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأما إذ ركبتم كل صغب

وذلول فهذهات وحدثني أبو أيوب سليمان بن عبيد الله الغيلاني حدثنا أبو عامر يغني العقدي حدثنا

رباح عن قيس بن سعد عن مجاهد قال جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال يا ابن عباس

مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تسمع فقال ابن عباس إنا كنا مرة إذا

سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابتدرته أبصارنا وأصغيتا إليه بأذاننا فلما ركب الناس الصغب

والذلّول لم نأخذ"^(٥).

(١) السخاوي، فتح المغيب شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٩٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٣) مزيد، مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، ص ١٧٣.

(٤) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٤٨.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والإحتياط في تحملها، حديث رقم ١٩، ص ٩.

١٤- معرفة القراءة والكتابة، قال أبو هريرة رضي الله عنه : "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا

عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ" ^(١).

١٥- الحرص البالغ على حديث رسول الله ﷺ - قولاً وعملاً؛ كآبي هريرة وقد شهد له

الرسول ﷺ - بذلك فقال: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا

رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ... الحديث ^(٢).

١٦- بركة دعاء النبي ﷺ - وشهادته لبعض أصحابه، ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه -

قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أُنْسَاهُ قَالَ ابْسُطْ رِدَائَكَ فَبَسَطْتُهُ قَالَ فَفَرَفْتُ بِيَدَيْهِ

ثُمَّ قَالَ ضُمَّهُ فَضَمَّمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ" ^(٣).

١٧- كثرة الأسفار، حلاً وترحالاً ^(٤).

١٨- الزهد في الدنيا والإمارة ومجانبة الحروب والفتن التي شبت بين الصحابة مما أعيان

بعضهم للتفرغ للحديث تحملاً وأداء كبعد الله بن عمر ^(٥).

١٩- حدث النبي ﷺ - قوماً بما لم يحدث به آخرين ووقع من الحوادث أمام قوم ما لم

يطلع عليه آخرون ^(٦).

٢٠- نظر بعض الصحابة في الإسرائيليات وقصص أهل الكتاب ومن ذلك : عبدالله بن

عمرو بن العاص ، وبعض من أسلم من أهل الكتاب أمثال عبدالله بن سلام وغيره، قال

ابن حجر عن عبدالله بن عمرو: " فَإِنَّهُ حَصَلَ لَهُ فِي وَقْعَةِ الْيَرْمُوكِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كُتُبِ

أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَكَانَ يَخْبِرُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَغِيبَةِ حَتَّى كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ رُبَّمَا قَالَ:

حَدَّثَنَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ - وَلَا تَحَدَّثْنَا عَنِ الصَّحِيفَةِ" ^(٧).

لهذه الأسباب وغيرها تفاوت الصحابة في مقدار ما حملوه عن رسول الله ﷺ - من

أحاديث. لذا نرى أن منهم من روي عنه الآلاف، ومنهم من روي عنه المئات، ومنهم من

روي عنه العشرات، ومنهم من لم يتجاوز في روايته الواحد والإثنين والثلاثة، ومنهم من لم

يرو أصلاً.

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم ٩٩، ص ٣١.

(٢) أبو شهبة، محمد بن محمد، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٥١٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٩، ص ٣٥.

(٤) مثلي، المثة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٨٧.

(٥) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالمثة النبوية، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ١٠٨.

(٧) ابن حجر، التكت على كتاب ابن الصلاح، ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٣.

المبحث الثالث

مراعاة المستوى العلمي لطلاب الحديث وامتناعهم عن التحديث بما لا يفهمه العامة

تمهيد

حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على تبليغ الأحاديث التي سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم - إلى الناس كافة، إلا أنهم أمسكوا عن التحديث بما هو متشابه أمام العامة، الذين ليسوا على مستوى مناسب من المعرفة؛ سداً لذريعة الزيغ والفتنة والانحراف، وأمسكوا عن التحديث أمام أهل البدع والفسق بما يمكن أن يتمسكوا بظواهره ويؤولوه بما يوافق أهواءهم ويؤيد بدعتهم ويبرر فسقهم، لذا تناولت هذا المبحث بالمطالب التالية: صيانة الحديث عن السفهاء والإمتناع عن التحديث بما لا تفهمه العامة، وعدم تتبع المنكر من الحديث، والحث على التحديث بالمشهور، والاعتدال والتبويب دفعا للملل، وطلب الحديث بعد القرآن الكريم، واليكم بيان ذلك كله:

المطلب الأول: صيانة الحديث الشريف عن السفهاء

كان تثبت الصحابة - رضي الله عنهم - قائماً على ميزان النقد العلمي الصحيح، حيث منعوا الرواة من أن يحدثوا بما يعلوا على أفهام العامة لأن في هذا التحديث مدعاة لتكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه، ومدعاة للشك والخطأ في هذا الدين، فامتنعوا عن التحديث خوفاً وخشية من أن يستغل أصحاب القلوب المريضة وأهل الأهواء ظاهر النصوص لدعم بدعتهم وصالح أهوائهم^(١). لذلك حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على نشر الحديث بين أهله وطلابه، ورفع وصيانيته عن السفهاء وأهل الغايات والأهواء، فكانوا يحاولون جهدهم ألا يحضر مجالسهم التعليمية إلا طلاب العلم^(٢).

وما عمل الصحابة ذلك إلا امتثالاً لأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عمر رضي الله عنهما: "دينك دينك، إنما هو لحكمك ودمك فانظر عن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا"^(٣). وفي هذا يقول علي - رضي الله عنه - في خطبته في مسجد الكوفة: "انظروا عن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين"^(٤). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَبِإِيَّائِهِمْ لَا يُضِلُّوكُمْ وَلَا يَفْتِنُوكُمْ"^(٥). فهذه دعوة من أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -

(١) هاشم، أحمد عمر، دفاع عن الحديث النبوي، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٠.

(٢) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ١٠٥.

(٣) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، وقال محققه: في إسناده عطاء بن خالد، وهو ضعيف ص ١٣٨.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٤٢٩، وقد أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، حديث رقم ١٦، ص ٩.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ج ١، ص ٩ حديث رقم ١٦.

إلى التثبت والتحري في أخذ حديث رسول الله - ﷺ - من أهله، وعدم أخذه من أهل الأهواء والزيغ، وسار على ذلك صغار الصحابة.

فقد ورد أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - فجعل يحدثه "فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ ثُمَّ حَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَذْرِي أَعَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَالْكَرْتِ هَذَا أَمْ أُنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَعَرَفْتَ هَذَا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذِبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ ... وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فَهَيْهَاتَ ^(١). وفي رواية أخرى أنه قال: "إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فَهَيْهَاتَ" ^(٢).

قال القاضي عياض ومعنى هيهات: "أي ما أبعد استقامة أمركم، أو فما أبعد أن نشق بحديثكم ونسمع منكم ونعول على روايتكم" ^(٣). وقال النووي: وهيهات موضوعة لابتعاد الشيء والياس منه" ^(٤). جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول قال رسول الله - ﷺ - قال رسول الله - ﷺ - فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله - ﷺ - ولا تسمع فقال ابن عباس إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ابْتَدَرْتُهُ أَبْصَارُنَا وَأَصْغَيْتُنَا إِلَيْهِ بِأَذَانِنَا فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ ^(٥). وقوله: "لا يأذن لحديثه" أي لا يستمع ولا يصغي، ومنه سميت الأذن ^(٦)، ومعنى الصعب والذللول: تركوا المبالاة بالأمور، ولم يحترزوا في القول والعمل ^(٧). ولهذا كان الصحابة يختاروا من يحدثهم ويختارون لهم نوع الأحاديث أيضاً. قال ابن أبي ملكية: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتاباً ويخفي عني فقال وَلَدٌ نَاصِحٌ أَنَا أَخْتَارُ لَهُ الْأُمُورَ اخْتِياراً وَأَخْفِي عَنْهُ قَالَ فَدَعَا بِقَضَاءٍ عَلَيَّ فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَيَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلًّا ^(٨).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ٩.
(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢٠، ص ١٠.
(٣) اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١، ص ١٢٠.
(٤) النووي، محي الدين، أبو زكريا، شرح النووي على صحيح مسلم، اعتنى به وراجعاه أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر بن علوش، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ١، ص ٩٠.
(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ١٠.
(٦) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١، ص ٩١.
(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٩.
(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ١٠.

وفي رواية "أَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ بِكِتَابٍ فِيهِ قَضَاءٌ عَلَيَّ" - ﷺ - فَمَحَاهُ إِلَّا قَدْرَ وَأَشَارَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِذِرَاعِهِ^(١). ولهذا أفسد الروافض والشيعة في علم علي - ﷺ - وحديثه وتقولوا عليه من الأباطيل وأضافوا إليه من الروايات والأقويل المفتعلة والمختلقة وخططوه بالحق، فلم يتميز ما هو صحيح عن ما اختلقوه^(٢). وفي هذا يقول أبو إسحاق: "لَمَّا أَخَذُوا بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ بَعْدَ عَلِيٍّ - ﷺ - قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَيُّ عِلْمٍ أَفْسَدُوا"^(٣). فقال المغيرة: "لَمْ يَكُنْ يَصْدُقُ عَلِيٌّ عَلِيٌّ - ﷺ - فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ"^(٤). قال النووي: "أما أحكام الباب فحاصلها أنه لا يقبل رواية المجهول، وأنه يجب الاحتياط في أخذ الحديث، فلا يقبل إلا من أهله وأنه لا ينبغي أن يروى عن الضعفاء"^(٥).

ومن خلال هذه الروايات عن ابن عباس، وغيرها من الروايات الواردة في هذا المعنى: نلاحظ ونرى كيف كان الكذب على رسول الله - ﷺ - أثناء الفتنة الكبرى وما أعقبها من أحداث وأعمال - سبباً في تشدد الصحابة - ﷺ - في الرواية وتخرجهم في قبول الأخبار^(٦).

وما فعلوا ذلك إلا من أجل صيانتهم عن أهل الأهواء والبدع والسفهاء. وفي هذا يقول ابن كثير: "وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تصنعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ، فيحملها الناس عنه"^(٧). وبهذا يتضح جلياً أن ما أخفاه الصحابة - ﷺ - لم يكن كتماناً للعلم لما أمر الله تعالى رسوله - ﷺ - بتبليغه للناس كما توهم الواهمون^(٨). ومن أجل ذلك كله أمسك الصحابة - ﷺ - عن التحديث بما يكون ذريعة للتقصير والتهاون بسبب قصور الفهم والنظر، أو يكون سلماً لأهل الأهواء والبدع ومن هم على شاكلتهم حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير^(٩).

وعلى هذا النهج سار التابعون فلم يكونوا يقبلون الحديث إلا عن أهل السنة، وفي هذا يقول ابن سيرين: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ١٠.

(٢) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، م ١، ص ٩٣.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢٤، ص ١٠.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢٥، ص ١٠.

(٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، م ١، ص ٩٤.

(٦) الضاري، حارث سليمان، الإسناد نشأته وأهميته، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ -

٢٠٠٠م، ص ١٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٠.

(٨) الضاري، حارث سليمان، أبو هريرة صاحب رسول الله - ﷺ - دراسة حديثة تاريخية هادفة، تقديم عمر سليمان الأشقر، دار

النقاش - الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٨٥.

(٩) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٨٤.

السُّنَّةَ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيَنْتَظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ^(١). وقال أيضاً: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"^(٢).

المطلب الثاني: الإمتناع عن التحديث بما لا تفهمه العامة وعدم تتبع المنكر من الحديث والحث على التحديث بالمشهور

كان من هدي الرسول - ﷺ - مخاطبة الناس على قدر عقولهم؛ لأن الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون لهم فتنة، فيأتي على غير المقصود منه. وكان من منهجه مخاطبة حضوره بما يدركون ويعرفون، فيفهم البدوي الجافي بما يناسب شدته وقسوته وجفاوته، ويفهم الحضري بما يناسب حياته وبيئته، كما أنه يراعي تفاوت المدارك والعقول، وانتباه أصحابه وقدرتهم الفطرية والمكتسبة، فتكفي الإشارة إلى اللبيب منهم، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد^(٣). فمن ذلك: ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: "جاء رجل إلى النبي - ﷺ - من بني فزارة فقال إن امرأتي جاءت بولد أسود فقال هل لك من إبل قال نعم قال ما ألوانها قال حمرة قال فهل فيها من أوزق قال إن فيها لوزقاً قال فألقى ثراه قال عسى أن يكون نزعاً عرق قال وهذا عسى أن يكون نزعاً عرق"^(٤). ولقد كانت الوسيلة الوحيدة لإقناعه بما جاء يسأل عنه وبما أنكره هو أن يقيس ذلك على ما اعتاده من حياته وبيئته العملية.

وكان من منهجه أيضاً مخاطبة الأحاسيس والعواطف كما كان يخاطب العقول، ويلهب المشاعر ويهزها كما كان يوقظ النفوس من غفواتها، ويعالج الأمور بحكمة وأناة متناهية، فنراه يضع البلمس الشافي حيث ينبغي ويجب أن يوضع. فمن ذلك ما رواه أبو أمامة الباهلي: "أن فتى شاباً أتى النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله انذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مة مة فقال ادثه فدنا منه قريباً قال فجلس قال أتحبه لأملك... الحديث"^(٥). وهكذا نرى أن الرسول - ﷺ - قد اتبع أسلوباً جعل الفتى يدرك أثر الزنا على المجتمع، وكيف أن الناس جميعاً لا يقبلونه ولا يرضونه لأنفسهم وأهليهم، كما أنه لا يرضاه هو لذويه، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة نفسه^(٦).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيه جائر بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذنب عن الشريعة المكروه حديث رقم ٢٧، ص ١٠ - ١١.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيه جائر بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذنب عن الشريعة حديث رقم ٢٦، ص ١٠.

(٣) الخطيب، محمد عجاج، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٣٩٨ و ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م - ١٩٧٩ م، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ٦٠ - ٦١.

(٤) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب إذا شك في الولد، حديث رقم ٢٢٦٠، ص ٢٥٧، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (٢٢٢١١) ج ٣٦، ص ٥٤٥، وقال محققه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٦) الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، ص ٦٢.

قال أبو زهو: "إن النبي - ﷺ - كان يخص بنوع من العلم من يرى عليه أثر النبوغ والفهم من الصحابة، وكان يمنعهم من أن يحدثوا العامة بذلك خشية ألا يفهموه فيفتنوا"^(١). وعلى ضوء ذلك سار الصحابة على هدي النبي - ﷺ - ومعلمهم الأول، وكان رائد هذه الفكرة وقائد هذا المنهج علي عليه السلام، حيث نبه ووجه إلى ضرورة التحري والتثبت عند التحديث باختيار الحديث المتناسب مع المستوى الفكري والعقلي لطلابه^(٢). فقد أخرج البخاري عنه تعليقاً حيث قال: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَجِبُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^(٣). وذكر ابن حجر زيادة عليها في رواية أخرى "ودعوا ما ينكرون"^(٤). وقال الذهبي تعليقاً على قوله: "فقد زجر الإمام علي عن رواية المنكر، وحث على التحديث بالمشهور، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكر من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرفائق، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان في معرفة الرجال"^(٥). وقال ابن حجر معلقاً على الزيادة التي في آخر الحديث: "ودعوا ما ينكرون" أي يشتبه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة"^(٦).

وقال الذهبي: قال شراح هذا الأثر: إنما قال الإمام علي ذلك؛ لأن الإنسان إذا سمع ما لا يفهمه، أو ما لا يتصور إمكانه، اعتقد استحالة جهلاً، فلا يصدق بوجوده، فإذا أسند إلى الله تعالى أو رسوله عليه السلام لزم المحذور ويكتب^(٧). وقال الجزائري: "وقد فهم من هذين الأثرين - علي وابن مسعود رضي الله عنهما - أن المحدث يجب عليه أن يراعي حال من يحدثهم، فإذا كان فيما ثبت عنده ما لا تصل إليه أفهامهم وجب عليه ترك تحديثهم به دفعاً للضرر، فليس كل حديث يجب نشره لجميع الناس كما يتوهمه الإغمار"^(٨). قلت: وفي هذا أيضاً دليل على أنه يجب على المحدث أن يراعي حال السامع فلا يحدثه إلا بما يعقله ويفهمه دفعاً للضرر. ومما تقدم يتضح جلياً أن التثبت والتحري في الرواية أمر يتعلق بالدين، وما يتعلق بالمهم فهو مهم، وإذا بلغ الصحابة - ﷺ - هذا القدر من التثبت والتدقيق والتحري وهم عدول فكيف بمن بعدهم بعد ظهور الوضع والكذب؟ من هذا وذاك انطلق المحدثون بعدهم في التحري والتثبت، ودققوا في هذه المسألة وفتشوا على الرجال، وتكلموا فيهم جرحاً وتعديلاً، ومن ذلك نشأ علم الجرح والتعديل^(٩).

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٧٢.

(٢) للنعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ص ٣٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٩٧.

(٥) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٣.

(٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٩٧.

(٧) الذهبي، كتاب ذكره الحفاظ، ج ١، ص ١٠ - ١١.

(٨) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ج ١، ص ٦٣، ومعنى الأغمار: الذين لم يجربوا الأمور، أو الجهال وأصحاب العقل الخامل.

(٩) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٨٥.

(١٠) حياتي، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، ص ٢٦ - ٢٧.

ومن أمثلة ذلك: أَنَّ الْفَارُوقَ - ﷺ - رَدَّ أَبَا هُرَيْرَةَ عِنْدَمَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنْ يَبْشِرَ النَّاسَ بِمَثَلِ مَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ، وَيَقُولَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَيَدْخُلْ عَمْرًا مِنْ فَوْرِهِ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَيَقُولُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَلْتِ وَأُمِّي أَبْعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِتَغْلِيكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَكَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّاهُمْ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَخَلَّاهُمْ (١).

ومنه ما أخرجه البخاري عن قتادة أنه قال: "حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - وَمُعَاذَ رَدِيفَهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا خَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثًا (٢). فهذا النوع من الأحاديث وأمثاله لا يذاع على العامة بل على الخاصة فقط الذين يستطيعون إدراك وتمييز المقصود والمراد منه، ولهذا ورد عن الرسول - ﷺ - قوله: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (٣). وذلك لأن في تحديث العامة بكل شيء مدعاة إلى تكذيبهم للمحدث فيما لا يدركونه أو يفهمونه، وبالتالي رد حديث رسول الله - ﷺ - الصحيح، قال أبو زهو: وذلك لأن تحديث العامة بكل شيء - ومعلوم أن عقولهم لا تفهم كل شيء - مدعاة إلى تكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه وبذلك تضيع ثقتهم به ولعلهم أن لم يكذبوه وعملوا بما فهموا تركوا بعض الأحكام الشرعية وكان هو كالكاذب على الله ورسوله فقد صرفهم عن العمل بأحكام الدين بسبب حديثهم بما يعلو على أفهامهم وكفى بذلك كذبًا" (٤). إذن من العجز بل من الإثم أن يبيث المعلم كل ما عنده لكل من يجده دون تمييز بين من يفهم ومن لا يفهم، وبين من ينتفع ويسمع ومن لا ينتفع به" (٥).

لذا سار صحابة رسول الله - ﷺ - على هديه النبوي، فامتنعوا عن التحديث بما لا تدركه عامة الناس خوفاً وخشية من أن يفتنوا فيتركوا بعض الفرائض الدينية (٦). روى البخاري تعليقاً عن ابن مسعود أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (٧). وقال ابن مسعود - ﷺ -: "مَا أَلْتِ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، حديث رقم ٥٦، ص ٤٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم ١٢٨، ص ٣٧١.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقامة، باب التهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم ٧، ص ٨.

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٧٣.

(٥) القرضاوي، الرسول والعلم، ص ١٤٢.

(٦) عامر، عبد اللطيف، علوم السنة وعلوم الحديث دراسة تاريخية حديثية أصولية، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٨٧.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، ص ٣٧.

فتنة^(١). فهذا ما حذر منه علماء الصحابة وفي معناه ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَعَائِنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّهْ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّهْ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ"^(٢). والمراد منه أنه لم يحدث به كل أحد، بل حدث به خاصة أصحابه، وذلك ما يتعلق بالفتن وما شجر بين الصحابة -رضي الله عنه- ونحو ذلك^(٣). وما زال الصحابة يكرهون التحديث بما يكون مثار فتن وقلقل بسبب قصور فهم بعض الناس.

ومن هنا يتبين لنا كيف أن الصحابة -رضي الله عنه- أدركوا أن تحديث السامعين بما يعلو على أفهامهم ومداركهم ربما يكون سبباً في التلبس عليهم، فيضلون ويضلون، فحرصوا كل الحرص على تجنب ما يفوق أفهام السامعين، وعدم قدرتهم على استيعابه بشكل تام وواف وصحيح^(٤). قال الفاروق -رضي الله عنه-: "بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"^(٥). ومن أجل ذلك كله أمسك الصحابة -رضي الله عنه- عن التحديث بما يكون ذريعة وشبهة للتقصير والتهاون بسبب قصور الفهم والنظر، أو يكون سلماً لأهل الأهواء والبدع ومن هم على شاكلتهم حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير وعريض^(٦). وبذلك يكونوا قد اتبعوا هدي النبي -ﷺ- في الامتناع عن تحديث العامة عن بعض الأمور خشية أن يفتنوا فيتركوا بعض الفرائض الدينية^(٧).

المطلب الثالث: الاعتدال والتنويع دفعاً للملل

من المبادئ والمناهج الأساسية المرعية في التعليم والمقتبسة من هدي المصطفى -ﷺ- في تربية أصحابه الاقتصاد في التعليم، والاعتدال في قدر ما يلقي من الموعظة، والمعلومات، في زمانه، وفي نوعه حتى لا يؤدي الإكثار من الحديث إلى الإملال والسآمة^(٨). فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: "قرئ عند النبي -ﷺ- قرآن وأنشد شعر، فقبل يا رسول الله أقرآن وشعر في مجلسك؟ قال: نعم"^(٩). في تربية أصحابه، وعن أبي بكرة قال: "أتيت النبي -ﷺ- وعنده أعرابي ينشد الشعر، فقلت: يا رسول الله القرآن أو الشعر، فقال: يا أبا بكرة هذا مرة وهذا مرة"^(١٠). ومن هنا فقد عرف الصحابة -رضي الله عنه- ما يجدد نشاط طلابهم، فعملوا به، واستفادوا منه في تحقيق الغاية من دروسهم وحلقاتهم، فكانوا ينوعون في دراستهم من حيث

(١) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم ١٤، ص ٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١٢٠، ص ٣٥.

(٣) بقاعي، مناهج المحققين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، ص ٥٥.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم ٨، ص ٨.

(٥) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحققين، ص ٢٥.

(٦) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٧٤.

(٧) عبيدات، تاريخ الحديث ومناهج المحققين، ص ٣٤.

(٨) القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ١٤٠.

(٩) السخاوي، فتح المغيب شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٣١٣.

(١٠) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣١٣.

دراسة الأحاديث حيناً، والكلام في الرجال حيناً آخر، وينقلون إلى سيرة المصطفى - ﷺ - تارة، ويذكرون أسباب ورود الحديث النبوي الشريف ومناسباته تارة أخرى^(١).

روى البخاري رحمه الله بسنده إلى أبي وائل قال: "كان عبد الله بن مسعود، يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك زكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعظة كما "كَانَ النَّبِيُّ" - ﷺ - يَتَخَوَّلُكُم بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا"^(٢). ويقول - ﷺ - موجهاً ومعلماً طلابه إلى هذا المنهج: لَا تَمْلُؤُوا النَّاسَ وَزَادَ الطَّبْرَانِي "فِيمَلُوا الذِّكْرَ". وعن عكرمة مولى ابن عباس عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَلثَلَاثَ مَرَارٍ وَلَا تَمْلُؤْ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ وَلَا أَلْفَيْكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَمِلُهُمْ وَلَكِنْ أَلَمْتَ فَإِذَا أَمْرُكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَسْتَهْوُونَ فَانْظُرْ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ"^(٣). وكان عبد الله بن مسعود يقول: "إن للقلوب شهوة وإقبلاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهواتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها"^(٤). وفي رواية أخرى "إن للقلوب نشاطاً وإقبلاً، وإن لها تولية وإدباراً، فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم"^(٥).

والمعلم والمحدث في مقام الأب والمرشد والمؤدب، وهو مقام رفيع كيف لا؟! وهو مقام الأسوة والقُدوة، التي يتأثر بها الطالب، ويتشرب من خلال التعامل معها دروس الأدب والتوجيه، وهو أيضاً في مقام الطبيب المعالج، الذي يتخير في علاجه، ما يتناسب مع الأجسام من دواء وعلاج^(٦). لذا فهو يتخير الوقت الملائم والمناسب، ويراعي فيه الرغبة والنشاط والميول، فالفائدة لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث فتوراً من المستمع فليسكت، ولهذا قال أبو العالية: "حَدَّثَ الْقَوْمَ مَا حَمَلُوا، قَالَ: قُلْتُ مَا حَمَلُوا؟ قَالَ: مَا نَشَطُوا"^(٧). وفي هذا يقول عبد الله بن مسعود - ﷺ -: "حَدَّثَ الْقَوْمَ مَا رَمَقُوا بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فِتْرَةً فَانْزِعْ"^(٨). وفي رواية: "حَدَّثَ الْقَوْمَ مَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ،

(١) الخطيب، محمد عجاج، السُّنَّة قبل التكوين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٥٦.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي - ﷺ - يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم (٦٨)، ص ٢٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجعة في الدعاء، حديث رقم ٦٣٣٧، ص ١٢٦٧.
(٤) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، الجامع لأخلاق الرُّوْاي وآداب السُّامع، خرجه وعلق عليه أبو عبد الرحمن

صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ، حديث رقم ٧٥٠، ص ١٧٤.

(٥) المرجع السابق نفسه، حديث رقم (٧٥١)، ص ١٧٤.

(٦) سيف، من أدب المحققين في التربية والتعليم، ص ١٦٧.

(٧) البغدادي، الجامع لأخلاق الرُّوْاي وآداب السُّامع، ص ١٧٤.

(٨) المصدر السابق نفسه، حديث رقم ٧٤٨، ص ١٧٤.

فإذا انصرف قلوبهم فلا تحدثهم. قيل له: ما علامة ذلك؟ قال: إذا حذقوك بأبصارهم فإذا تتابعوا واتكأ بعضهم على بعض، فقد انصرف قلوبهم، فلا تحدثهم^(١).

وكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مقررة نفس هذا المنهج توصي مولى ابن عباس حين دخل عليها بقولها: "إياك وإملاء الناس وتقنيطهم"^(٢). ففي توجيهها هذا تحذير من بعث الجالسين على اليأس والضجر من طول المجلس والمكوث فيه^(٣)، حتى لا تضيع الفائدة المرجوة من ذلك المجلس عليهم. وهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - كان يقول إذا فاض من عنده بالسنن بعد القرآن الكريم والتفسير، أحمضوا أي أن يخوضوا في الشعر وغيره^(٤). وهذا أبو الدرداء يقول: "إني لأستجم قلبي بالشيء من اللهو، لأقوى به على الحق"^(٥). وهكذا الصحابي إذا قضى حاجته، مما يريد إلقاءه أو أملاءه، حسن عنده ختم المجلس، بما يروح القلوب، ويجدد نشاطها وفي هذا يقول علي عليه السلام: "اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل، كما تمل الأبدان"^(٦). وعنه أيضاً: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي"^(٧).

وهكذا كان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعلون ذلك، فعن أبي خالد الوالي أنه قال: "كنا نجالس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فيتناشدون الأشعار ويتذكرون أيامهم في الجاهلية"^(٨)، وقال الزهري: كان رجل يجالس أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويذاكرهم، فإذا كثر، وتقل عليه الحديث، قال: إن الأذن مجاجة وإن للقلب حمضة ألا فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم^(٩). وفي هذا النوع من ترويح الأنفس فائدتان:

الأولى: مطاردة السامة، وإزالة آثار ما يصيب البدن من كل، والنفس من ملل، نتيجة مواصلة الدأب والتكرار اليومي الرتب. وهو ما وضحه الإمام علي عليه السلام، وفيه يقول الشاعر:

والنفس تسام إن تطاول جدها فاكشف سامة جدها بمزاح

والثانية: تنشيط النفس لمواصلة السعي إلى الجدد، ومعناه البحث عن الحقيقة مهما تكن مشقة الطريق إليها، وهذا معنى قول أبو الدرداء عليه السلام: "إني لأستجم نفسي بالشيء من اللهو ليكون أقوى لها على الحق"^(١٠). وفي رواية عن أبي السوداء عليه السلام: "أني لأستجم قلبي بالشيء من اللهو، لأقوى به على الحق"^(١١). ثم قال القرضاوي: ولكن يجب مراعاة أمرين:

(١) المصدر السابق نفسه، حديث رقم ٧٤٩، ص ١٧٤.

(٢) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص ١٣٦.

(٣) ياسوف، أحمد زكريا، الصحابة حراس الحديث النبوي، دار اقرأ، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، ص ٨١.

(٤) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٣١٣.

(٥) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٤١.

(٦) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ١٢٩.

(٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ١، ص ١٠٥.

(٨) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج ١، ص ١٠٥.

(٩) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ٢٧١.

(١٠) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٤١.

(١١) عبد الغفار، أحمد، محاضرات في علوم الحديث وجهود علمائه، دار المعرفة الجامعية [ط: بدون]، ١٩٩٦ م، ص ٥٧.

الأول: ألا يكون في هذا الملح والطرف تجاوز أو إسفاف، مما لا يليق بمجلس العلم وأهله، فمجلس العلم ليس مسرحاً أو ملهى.

الثاني: أن تكون بالقدر المناسب بحيث يكون الجد هو الأصل والقاعدة وهذه هي الاستثناء فإن الشيء إذا زاد عن حده انقلب ضده وعكسه^(١). وهذا عين ما ورد عن علي رضي الله عنه قوله: "أعطِ الكلام من المزاح بمقدار ما تعطي من الملح"^(٢).

وهكذا نجد أن الصحابة - رضوا الله عنهم - استلهموا هذا من الحكمة النبوية، إذ دلهم هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن دوام الجد واستمرار التكليف مما يدعوا إلى الملالة، لأن الطبيعة البشرية تمل وتتفر من استمرارية الوعظ ودوامه والأمر والزجر، وعلى ضوء ذلك إقتدى الصحابة - رضوا الله عنهم - بالنبي - صلى الله عليه وسلم -^(٣). كما نجد أن الصحابة قد راعوا الجانب النفسي والذهني عند الطالب والسماع بعامة، ووضعوا هذا الجانب موضع الاعتبار فنصحوا المربي والمحدث والمعلم، بمراعاة حال السامع وعدم إضجاره وإملاله، خوفاً من أن يخلط الجد بالهزل وتجديداً للحماس في النفوس وتخفيفاً عليها طول المتابعة. وهذا المنهج التربوي الرائع قد اقتبسه الصحابة - رضوا الله عنهم - من معلمنا الأول محمد - صلى الله عليه وسلم - لذا جاء في حديث حنظلة التميمي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"^(٤).

وعلى هذا النهج سار ودرج التابعون ومن بعدهم في مراعاة أحوال الطلاب والمستمعين، في تحسين وتخير الأساليب والأوقات الناجحة والمناسبة في الإفادة والتعليم والنصح والإرشاد، خشية نفور النفوس وعدم استجابتها واستفادتها^(٥)، وفي هذا يقول معمر: سمعت الزهري يقول: "إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب"^(٦).

المطلب الرابع: طلب الحديث الشريف بعد القرآن الكريم

من البديهي أن يهتم الصحابة - رضوا الله عنهم - بالقرآن العظيم وحفظه وتلاوته ودراسته، وفهمه وتفسيره أثناء الليل وأطراف النهار. لذلك أرادوا أن لا يشغلوا المسلمين عن القرآن الكريم وتلاوة آياته، ويتركوا العناية والاهتمام به لكثرة الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لاسيما والقرآن العظيم لم يكن قد جمع في كتاب واحد، ولم ينتشر في الأمصار والآفاق، ولم يتيسر حفظه بعد لكثير من المسلمين، وهم في ذلك إنما ساروا في الحقيقة على منهاج النبوة في نهيه عن كتابة الحديث في بداية الأمر حتى لا يختلط بالقرآن العظيم^(٧). ولقد كان القصد والهدف من منع

(١) القرضاوي، الرُّسُول والعلم، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) القرضاوي، الرُّسُول والعلم، ص ١٤.

(٣) ياسوف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ٨٠.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا، حديث رقم ٢٧٥٠، ص ٦٩٥.

(٥) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ٢٨٦.

(٦) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ١٢٨.

(٧) مقبول، صديق محمد، عناية الصحابة بالحديث، بحث غير منشور، ص ١١.

التدوين والتركيز على القرآن الكريم دون السُّنة الشَّرِيفة هو توفير الجهود كلها للاشتغال بحفظ القرآن الكريم حتى لا يلتبس بغيره. قال إسماعيل ابن عليه: "إن الصُّحابة إنما كرهوا الكتابة لأن من كان قبلكم اتخذوا الكتب فأعجبوا بها فكانوا يكرهون أن يشتغلوا بها عن القرآن" (١). وقال الخطيب البغدادي: "إن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه" (٢). وقال الذهبي: "وقد كان عمر من وجهه أن يخطئ الصَّاحب على رسول الله - ﷺ - يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم، ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن" (٣). وقد هم الفاروق - ﷺ - أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النَّبي - ﷺ - في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، ففطق عمر يستخير الله فيها شهر، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوها عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب (٤) كتاب الله بشيء أبداً" (٥).

إن كان من سياسة الفاروق أن توفر العناية للقرآن الكريم وإقلال الحديث الشريف والتثبت في روايته وتبليغه منعاً للتزييف والخطأ والوهم، لذا لما كان عهد عثمان بن عفان - ﷺ - سمح للصَّحابة أن يتفرقوا في الأمصار، واحتاج النَّاس إلى الصُّحابة وخاصة صغارهم بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوماً بعد يوم (٦). ففي عصر الخلافة الراشدة وجدنا الصُّحابة - ﷺ - قد احتاطوا في رواية السُّنة الشَّرِيفة، وذلك بعد انتشار الإسلام ودخول النَّاس في دين الله أفواجا، لاسيما بعد دخول الكثير من غير العرب، فكان جَلَّ اهتمام الصُّحابة - ﷺ - وهمهم عرض الأصل الأول على النَّاس وهو القرآن الكريم واشتغالهم به ودراسته دراسة وافية، وتطبيقهم لما فيه مع حرصهم على الإقلال من رواية الحديث، كي لا ينشغل الناس به عن القرآن العظيم، وهم أحوج إلى القرآن العظيم ومدارسته؛ لأنه لم يزل غصاً طرياً.

ويتضح هذا الأمر جلياً فيما ذكر أبي بكر - ﷺ - حيث قال: "إنكم تحدثون عن رسول الله - ﷺ - أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه" (٧). كما يتضح ذلك أيضاً في عهد الفاروق - ﷺ - في وصيته التي أوصى بها وفده حينما سيرهم إلى الكوفة حيث سار معهم عمر إلى موضع يقال له (صيرار) ثم قال: "أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا نعم نكرمة لنا قال ومع ذلك أنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كنوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن، واقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم فلما قدم قرظة بن كعب

(١) البغدادي، تنقيح العلم، ص ٤٧

(٢) البغدادي، تنقيح العلم، ص ٤٧

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٦.

(٤) لا أشوب: أي لا أخلط، انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٥٠٧.

(٥) البغدادي، تنقيح العلم، ص ٥٠ وانظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم، ج ١، ص ٦٤.

(٦) ياسوف، الصُّحابة حراس الحديث النبوي، ص ٦٩.

(٧) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢ - ٣.

قالوا: حدثنا. فقال: نهانا عمر رضي الله عنه ^(١). وفي رواية: "إِنَّكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ لِلْقُرْآنِ فِي صُدُورِهِمْ هَزِيرٌ كَهَزِيرِ الْمَرْجَلِ إِذَا رَأَوْكُمْ مَدُّوا إِلَيْكُمْ أَعْنَاقَهُمْ وَقَالُوا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَأَقْلُوا الرَّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَنَا شَرِيكُكُمْ" ^(٢).

ولكن بعد أن أطمأن الصحابة - رضي الله عنهم - إلى حفظ القرآن الكريم أمروا الناس بتعلم السنن والفرائض، وفي هذا يقول الفاروق رضي الله عنه: "سيأتي قومٌ يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن، أعلم بكتاب الله عز وجل" ^(٣). وقال: "تعلموا الفرائض والسنن كما تتعلمون القرآن" ^(٤). وقال أيضاً: "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعينهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فأياكم وإياكم" ^(٥).

وبعد أن أطمأن الفاروق إلى حفظ القرآن والسنة، أمر بتعلم العربية والنحو؛ لأنها الوسيلة الوحيدة لحفظ القرآن والسنة، ولهذا ورد عنه أنه قال: "تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض". وقال: "تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه" ^(٦). وهذا ابن عمر رضي الله عنهما، يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ ^(٧)، وهكذا نجد فقه الأولويات عند الحاجة - رضي الله عنه - حيث بدأوا بالقرآن الكريم ثم بالسنة الشريفة، ثم علم النحو والعربية، لحفظ المصدرين الأساسيين القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ولقد سار التابعون على منهج الصحابة - رضي الله عنهم - وكانوا لا يقبلون الطلاب في حلقاتهم إلا إذا وثقوا من حفظهم للقرآن الكريم أو حفظ بعضه على الأقل ^(٨)، وفي هذا يقول حفص بن غياث: أتيت الأعمش فقلت: حدثني: قال أتخفظ القرآن؟ قلت لا، قال: اذهب فاحفظ القرآن، ثم هلم أحدثك، قال: فذهبت فحفظت القرآن، ثم جئته فاستقراني فقرأته، فحدثني ^(٩).

(١) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧، وانظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ١٢٠.
(٢) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب السنة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٨، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٣) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٦٦.
(٤) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٧٦.
(٥) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، م ١، ص ٦٣.
(٦) القرشي، غالب عبد الكافي، أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء، دار الوفاء، ط ١، ٢٠٠٨ م، ج ١، ص ٤٠٨.
(٧) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ٢٩.
(٨) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ١٠٧.
(٩) الرمهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ١٩.

المبحث الرابع

نقد متن الحديث ونقد الرواة من جانب الضبط

تمهيد

لقد وضع الصحابة - رضي الله عنهم - الضوابط الأساسية التي يمكن من خلالها الحكم على متن الحديث الشريف في حال وجود ما يستدعي النظر فيه، فكانوا ينظرون إلى الراوي تارة وإلى المروي تارة أخرى، لذا تناولت هذا المبحث بمطلبين هما: نقد متن الحديث ونقد الرواة من جانب الضبط، واليك بيان ذلك كله:

المطلب الأول: نقد متن الحديث الشريف

على الرغم من عناية الصحابة - رضي الله عنهم - بحديث رسول الله - ﷺ - حفظاً وأداءً، إلا أنهم كانوا محتاطين في الرواية عنه متنبئين لا يقع منهم خطأ أو سهو أو اختلاط أو نحو ذلك^(١). ولقد تفاوتت الصحابة - رضي الله عنهم - في الضبط والحفظ، وقد استفاض أن بعضهم كان أحفظ من بعض، وأن بعضهم نسي، فكان موقفهم إذا سمعوا من أحدهم رواية تخالف القرآن الكريم، أو سنة رسول الله - ﷺ - بادروا إلى بيان الوهم الواقع فيها^(٢). ونقد معنى الحديث الشريف قد وضع له الصحابة - رضي الله عنهم - الضوابط والقواعد الأساسية التي يمكن على ضوءها الحكم على متن الحديث النبوي الشريف في حال وجود الخلل، أو وجود ما يستدعي النظر فيه^(٣).

ويعد نقد معنى الحديث الشريف، مرحلة النقد المباشر للمتن، الذي بدأ في عصر الصحابة - رضي الله عنهم - فتأملوا في معاني الأحاديث الشريفة التي خالفت القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - ونقدوها مبينين وموضحين معناه الصحيح، وسبب الخطأ والوهم فيها^(٤). لذا فقد نقلت كتب السنة هذا النقد عن عدد منهم، لأنهم رأوا أن هذه الأحاديث تخالف كتاب الله تعالى، وأن كتاب الله تعالى هو الأصل الأول في التشريع، يلجأ إليه عند الاختلاف، فلا يقبل ما خالفه من الأحاديث^(٥). وأكثر ما جاء النقد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وسمى بدر الدين الزركشي هذا النقد استدراكاً وجمعه في كتاب سماه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة". ولخصه جلال الدين السيوطي في رسالة صغيرة سماها "عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة". وليست كل المتن ومعاني الأحاديث المنتقدة أصلها ثابت بالنسبة إلى رسول الله - ﷺ - وليست الاستدراكات كلها من نقد المتن والمعنى، لكن ما صح وثبت منها، وصلاح ليكون صورة للنقد يعتبر أمثلة كافية له توضح الصورة وتجليها^(٦).

(١) سكران، بحوث في علوم الحديث، ص ٥٥.

(٢) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٥.

(٣) النعمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحققين، ص ٢٦.

(٤) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٥) خلف، تكوين السنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة، ص ٣٥٣.

(٦) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٠٨.

قال مصطفى الأعظمي: "أما الأحاديث التي أوردها الإمام بدر الدين الزركشي، فالبعض منها غير ثابت سنداً، والبعض الآخر كان في الواقع فتاوى، وبعد هذا وذاك أيضاً، تصفو عدة أحاديث، رواها الصحابة عن النبي - ﷺ - فأنكرت عليهم أما معارضة بالقرآن الكريم أو مبينة الخطأ في الرواية حسب نظرتها، أو استعملت الآيات القرآنية وأضافت إليها الرواية التي كانت ترى أنها صحيحة ولا يهمنها هنا أن نبحت مدى صحة نقدها وكيف أجيب على اعتراضاتها، لكننا نبحت عن منهجها في النقد فقط"^(١). ويرى حمزة النعيمي أن: القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة هما من عند الله تعالى، ولا يمكن أن يختلفا أو يتناقضا، وعلى هذا فيكون التناقض ناشئاً عن سبب آخر هو:

١. خطأ الناقل أو نسيانه.

٢. عدم النقل الكامل للمسموع.

٣. عدم فهم المراد من لفظ النبي - ﷺ -^(٢).

قلت: وهذا ما جعل الصحابة - ﷺ - يردون وينتقدون معاني بعض الأحاديث، لاعتمادهم أنها تخالف نصوص آيات القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة. ويرى عصام البشير أن رد الصحابي للحديث الشريف أو توقفه فيه لظنه مخالفته للقرآن الكريم قد تكون من موارد الاجتهاد الذي لا يسلم فيه قوله، فيحتمل أن يكون اجتهاده صحيحاً، ويحتمل أيضاً أن يكون هناك وجه للجمع خفي عليه ففضى برد الحديث الشريف^(٣). ثم قال محمد الجوابي: "وفي رأيي أن الاستدراكات على فتاوى الصحابة من نقد المتن لأنها تنبيه إلى ما في الفتوى من مخالفة لسنة النبي - ﷺ - والمخالفة قد تكون أشد من تغيير وحذف بعض المتن إن لم يتسبب التغيير أو الحذف في تحويل المعنى، والسكوت عن الفتوى والعمل بها يجعلها محل المتن الذي خالفته"^(٤).

قلت: ولا يهمني ما إذا كانت الفتوى من نقد المتن أم لا، وإنما الذي يهمني أن منهج نقد معنى الحديث قد أسسه الصحابة - ﷺ - وعنوا به لصيانة السنة من الخطأ والوهم والفساد. لذا سار التابعون على منهج الصحابة - ﷺ - في نقد معنى الحديث من حيث موافقته للمقاييس والأسس التي اعتمدها الصحابة - ﷺ. وفيما يلي بعض النماذج التي توضح هذا المطلوب:

١. - قول عمر بن الخطاب - ﷺ - في رفضه لخبر فاطمة بنت قيس في نفقة المبتوتة،

حيث قال: "لَا تَرْكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا - ﷺ - لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَا نَذَرِي لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ"^(٥).

٢. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لو كان شر الثلاثة ما استثنوني بأمه أن ترجم حتى تضعه"^(٦).

(١) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز للإمام مسلم بن الحجاج، ص ٤٧.

(٢) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحققين، ص ٩٢.

(٣) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٠.

(٤) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٠٨.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لأنفقه لها، حديث رقم ٤٦، ص ٣٧٥.

(٦) الزركشي، محمد بن عبد الله، الإجابة لإيراد، ما استدرسته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ص ٨٢٠.

٣. وقول ابن عمر - رضي الله عنهما - في رده لخبر أبي ثعلبة الخنسي في أكل لحوم السباع، حيث قال: "لا ندع كتاب ربنا لحديث أعرابي يبول على ساقية"^(١).

٤. وفي رد أم المؤمنين عائشة وابن عباس على أبي هريرة في قوله: "ولد الزنى شر الثلاثة" حيث قالت عائشة: "رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إصابة"^(٢).

وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي سنعرض لها إن شاء الله - في فصل النقد والوهم عند الصحابة رضي الله عنهم.

مما سبق يتضح لي: أن الصحابة - رضي الله عنهم - قد عنوا بنقد معنى الحديث عناية فائقة، فكانوا يعرضون ما يريبهم منها من لفظ أو رواية على ما علموا من قواعد شرعية مقررة، أو نصوص قاطعة من الكتاب العزيز أو السنة الشريفة المشهورة، فإذا خالفت رواية أو لفظ ذلك طرحوها جانباً، وحكموا على راويها بالخطأ أو الوهم، ومظاهر احتياطهم بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرة جداً، تبين شدة احتياطهم في سماعهم وأخذهم، ممن يشكون أو يرتابون في سماعه، أو صحة اللفظ، أو ضبط الراوي لما يروي، نحو ذلك^(٣).

المطلب الثاني: نقد الرواة من جانب الضبط

لقد بذل الصحابة - رضي الله عنهم - جهوداً جبارة في توثيق سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والعناية بها، وحفظها من كل دس وشائبة. لذا فقد تلقى الصحابة - رضي الله عنهم - السنة الشريفة على أساس أنها جزء من الدين العظيم الذي يؤمنون ويدينون به، ففي الكتاب العزيز الحث على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتحذير والتخويف من مخالفته، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). ومن هنا فقد أحس الصحابة - رضي الله عنهم - بالحاجة الملحة والضرورة القصوى، إلى أخذ السنة وتلقيها، والعناية بحملها وصيانتها من التزديد والتزوير، وحفظها وتسليمها إلى من بعدهم من تابعين وتابعي التابعين، والأجيال اللاحقة بهم إلى يوم الدين، وحرصوا أشد الحرص على عدم الغلط في الأخذ والتلقي، وفي التبليغ والأداء، لأنهم أدركوا وعرفوا خطورة الزيادة أو النقصان على حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٤).

ومن أجل ذلك كله جدوا غاية الجد وأخذوا بكافة الوسائل التي تحقق لهم أخذ السنة أخذاً صحيحاً، وأدائها وتبليغها إلى من بعدهم أداءً سليماً لا تبديل ولا تحريف فيه، وبدون زيادة أو نقص فيها^(٥). وفي هذا يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشغولين في رعاية الإبل وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٧، ص ١١٨.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحيحین، کتابا العتق، ج ٢، ص ٢١٥. وقال هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: وسلمة لم يحتج به مسلم وقد وثق، وضعفه ابن راهوية.

(٣) ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر في كلية الشريعة ببيبي، سنة ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٥٣٢ - ٥٣٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٥) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٤٣.

يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله - ﷺ - فيسمعون من أقرانهم، ومن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه^(١). قلت: وهذا التثبت والتحري ليس مقصوده وهدفه سد باب الرواية، إنما المراد منه شدة التوقي، وزيادة الحيطه والحذر.

لذا فإن نقد الصحابي إلى الصحابي يوجه إلى ضبطه وحفظه لا إلى عدالته، لأنهم كلهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله - ﷺ - ولما كان الوهم والخطأ آفة يتعرض لها بني البشر، بدأ النقد في عهد الصحابة - رض - وهم عدول - كما ذكرت - لم يتزيدوا على النبي ﷺ، وإنما وهم بعضهم بعضاً، فتوجب تنبيههم إلى الخطأ سواء ترتب على خطئه تغيير في مبنى المتن بالتقديم والتأخير دون تغيير المعنى، أو بالتغيير كلياً.

وفي هذا يقول الأعظمي في تحقيقه لكتاب التمييز: "فالإنسان قد يخطئ بالنسيان، وقد يخطئ بالتمد، لكن النتيجة في الحالتين واحدة بالنسبة لصدق الحديث وكذبه، وبما أن أحاديثه - ﷺ - وسنته مصدر للتشريع وأسوة للمؤمنين ونبراس للمسلمين إلى يوم القيامة، لذلك كان لابد من تنقيتها من كافة شوائب الأخطاء، سواء أكان ذلك بالنسيان أم بالتمد. وعلى هذا كان لابد من نقد الأحاديث المضافة إلى النبي - ﷺ - نقداً علمياً شديداً، لمعرفة صحتها من سقيمها لئلا يدخل في الإسلام ما ليس منه"^(٢).

ومثال نقد الضبط الذي لم يترتب عليه تغيير في المعنى: ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عندما لم يرضى بإبدال كلمة بأخرى في الحديث، عندما قال ابن عمر في الحديث "مثل المنافق كمثل الشاة الرايضة بين الغنمين، فقال ابن عمر: "ويلكم... لا تكذبوا على رسول الله ﷺ، إنما قال: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْغَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِ تَعْرِ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً"^(٣).

ومثال التقديم والتأخير: ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أيضاً في رد لفظ تقديم الحج على صيام رمضان عندما قال: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ عَلَى أَنْ يُؤَخَّذَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ فَقَالَ رَجُلٌ الْحَجُّ وَصِيَامُ رَمَضَانَ قَالَ لَا صِيَامَ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^(٤).

ومثال ما غيرت المعنى: روى الحاكم بسنده إلى أبي هريرة - رض - أنه قال: "إن رسول الله - ﷺ - قال: "لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي أن أعتق ولد زنية" فقالت أم المؤمنين عائشة: "رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إجابة" أما قوله: "لأن أمتع بسوط في سبيل الله، أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا" فإنها نزلت ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾

(١) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ١٤.

(٢) القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب التمييز، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مطبوعات جامعة الرياض، ط: بدون، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٧.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم ٧١٤٤، ص ١٢٣٧.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس، حديث رقم ٢٠، ص ٣٨.

﴿قُلْ رَّبِّهِ﴾ (البلد: ١١-١٣). قيل يا رسول الله: "ما عندنا مانعتك إلا أن أهدنا له الجارية السوداء تخدمه، وتسعى إليه، فلو أمرناهن فزنین فجئن بأولاد فاعتقناهم" فقال رسول الله ﷺ: "لأن أمتع بسوط في سبيل الله، أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا"^(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة سنوردها ونوضحها في مسألة رواية الحديث باللفظ والمعنى، وفي فصل النقد والوهم عند الصحابة ﷺ. فهذا النقد وجد وكان في عهد الصحابة - ﷺ - لأنه كان موضع الاهتمام دون غيره من أسباب الجرح، فإنها لم تحدث بعد، وتأثر الحديث بدرجة الضبط فنشأ عن إتقانه صيانة وحفظ متن الحديث الشريف من الخطأ، وعن خفته حصول الوهم فيه، وعن شدته رده^(٢).

قلت مما سبق: يتبين: أن الصحابة - ﷺ - عندما تثبتوا من الصحابة الآخرين، ليس خوفاً من الكذب على النبي ﷺ - حاش وكلا - إذ لم يكن ثمة حاجة للجرح والتعديل؛ لأن الصحابة جميعهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله - ﷺ - وحسبهم ذلك شرفاً وفخراً، وإنما كان التثبت خوفاً من خطأ الذاكرة لا أكثر، هذا ولم يقتصر الصحابة - ﷺ - على التثبت والتحري في تحمل الحديث الشريف عن النبي - ﷺ - وإنما تحروا فيه حال أدائه وتبليغه، وروايته^(٣). إذن غاية الأمر أنهم كانوا يطلبون التأكيد عند الشك أو خشية الوهم أو النسيان ونحو ذلك.

المبحث الخامس

السؤال عن الإسناد والتفتيش عن عدالة الرواة

تمهيد

تبين لنا مما سبق أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا على عناية تامة، واهتمام بالغ بالسنة، وذلك بفحص الروايات ونقدها باعتبار النظر إلى حال الراوي لاحتمال غلظه ووهمه وغفلته، وحيناً آخر باعتبار مخالفة المروي لما تقرر عندهم من القواعد المعلومة من الدين، لذا تناولت هذا المبحث من خلال المطالب التالية: تعريف السند والإسناد، أهميته ونشأته، والتفتيش عن عدالة الرواة، واليكم بيان ذلك كله:

المطلب الأول: تعريف السند والإسناد والمسند وعلم الإسناد

١. السند:

معناه في اللغة المعتمد، وجمعها أسناد^(٤)، وهو مأخوذ إما: من السند وهو ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل لأن المسند يرفعه إلى قائله، أو: من قولهم: فلان سند أي معتمد، فسمي

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العتق، ج ٢، ص ٢١٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص وسلمة لم يحتج به مسلم وقد وثق وضعفه ابن راهويه.

(٢) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١١٠.

(٣) حيّاتي، محمد بن عبد الله، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، مكتبة الرشد، ناشرون، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٢٥. وانظر الرمحي وآخرون، ص ٢٠.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ٦٢٦.

الإخبار عن طريق المتن سنداً لاعتماد الحفاظ في صحته الحديث وضعفه عليه^(١)، وقيل أن السند في اللغة هو: ما استندت إليه من جدار وغيره^(٢). وعلى هذا فالسند في الاصطلاح يعني: الإخبار عن طريق المتن^(٣) وقال ابن النجار: "هو إخبار عن طريق المتن قولاً أو فعلاً، تواتراً، أو آحاداً ولو كان الإخبار بواسطة مخبر واحد فأكثر، عمن ينسب المتن إليه"^(٤). وقال الجزائري: "وسند الحديث هو ما ذكر قبل المتن ويقال له الطريق لأنه يوصل إلى المقصود هنا وهو الحديث".

قلت: مما سبق يتبين أن السند في اصطلاح المحدثين يعني: سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحداً عن واحد حتى يصلوا به النبي - ﷺ - أو إلى من هو دونه.

٢. الإسناد:

وهو من سند إليه سنوداً ركن إليه واعتمد عليه واتكأ^(٥)، وهو مصدر أسند ولذلك لا يثنى ولا يجمع، وكثيراً ما يراد به السند فيثنى ويجمع، فنقول: هذا حديث له سندان ولا يقال هذا حديث له إسندان وهذا حديث له أسانيد، وأما السند فيثنى ولا يجمع نقول هذا حديث له سندان ولا يقال هذا حديث له أسناد بوزن أوتار وكأنهم بذلك استغنوا بجمع الأسناد بمعنى السند عن جمعه^(٦). إما تعريفه في عرف المحدثين فهو: "رفع الحديث إلى قائله"^(٧). وقال ابن حجر: هو "حكاية طريق المتن"^(٨).

وعلى هذا "فالمحدثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد"^(٩)، وقال الطيبي: "فعلى هذا السند والإسناد يتقاربان في معنى الاعتماد"^(١٠)، أي: "في معنى اعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليهما"^(١١). قلت: وبناءً على ما سبق: يتضح أن المحدثين يستعملون كلا من السند والإسناد في موضع الآخر، ويعرف المقصود والمراد من ذلك بالقرائن.

٣. المسند:

بفتح النون له اعتبارات ثلاثة هي^(١٢): أحدهما: هو ما اتصل بإسناده إلى رسول الله ﷺ^(١٣)، وقيل: هو المروي عن رسول الله ﷺ^(١٤)، وقيل: هو المروي عن رسول الله ﷺ، سواء

(١) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٢٥.

(٣) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٢٩.

(٤) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، م ٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٥) المعجم الوسيط، ج ١ ص ٤٥٦.

(٦) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٢٥.

(٧) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٣٠.

(٨) ابن حجر، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص ٥.

(٩) ابن جماعة، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث، ص ٣٠.

(١٠) الطيبي، الخلاصة في أصول الحديث، ص ٣٤.

(١١) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٣٤٢.

(١٢) السيوطي، تريب الرّوي في شرح تريب الرّوي، ص ١١٢.

(١٣) البغدادى، الكفاية في علم الرّواية، ص ٢١.

(١٤) ابن الصّلاح، مقامة ابن الصّلاح في علوم الحديث، ص ٤١.

كان متصلاً أو منقطعاً^(١). ثانيهما: الكتاب الذي جمع فيه ما أسنده الصحابة، أي روه، فهو اسم مفعول^(٢). قلت: أي الكتاب المرتب على المسانيد، كمسند أحمد وأبي داود الطيالسي وغيرها^(٣). ثالثهما: يطلق ويراد به الإسناد، فيكون مصدراً كمسند الشهاب، ومسند الفردوس، أي أسانيد أحاديثهما^(٤).

والمسند بكسر النون: هو: "من يروي الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم به، أو ليس له إلا مجرد روايته"^(٥).

٤. علم الإسناد:

علم يعنى بمعرفة حال رجال الإسناد وصفاتهم المعتبرة وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك من الصفات^(٦).

المطلب الثاني: نشأة الإسناد

ويعود تاريخ المطالبة بالإسناد إلى إرهابات مبكرة يمكننا أن نلمسها في عصر النبوة، وليس من المغالاة أن نقول: إن توجيه الرسول - ﷺ - للصحابة - رضوا - في عهده ليدققوا ويمحصوا فيمن يأخذون عنه الحديث الشريف هو عندنا بداية ظهور التفكير في ذكر الإسناد والاهتمام بعلم الرجال^(٧). وأن من الصحابة من ألزم نفسه وغيره بذكر الإسناد عند روايته للحديث، وأن منهم من لم يلزم نفسه بذلك إلا أنه بعد الفتنة وظهور الوضع شاع الالتزام بذكر الأسناد^(٨).

روى أبو هريرة - رض - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَابُونَ يَأْتُونَكَم مِّنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَيَأْتِيَكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّوكُمْ وَلَا يَفْشِيُونَكُمْ"^(٩). وعن أنس - رض - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"^(١٠). ومن الواضح أن هذا التشدد في طلب الإسناد كان في عهده - رض - ثم استمر هذا التشدد في تحمل الحديث من راوية بعد وفاة الرسول - ﷺ - وقد كان لكل صحابي طريقته الخاصة التي تضمن له التيقن من سلامة أداء الراوي للحديث كما سمعه^(١١).

(١) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ١، ص ٢٠ - ٢٣. وانظر الضاري: الإسناد ونشأته وأهميته، ص ٨.

(٢) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ١٥.

(٣) الضاري، الإسناد ونشأته وأهميته، ص ٨.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ١٥.

(٥) ابن الجار، شرح الكوكب المنير، م ٢، ص ٨٨٨.

(٦) النووي، شرح النووي، على صحيح مسلم، ج ١، ص ٣.

(٧) زغلول، الشحات السيد، السند والمتن في الحديث النبوي، دار المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ٢٠٠٣م، ص ٤٣.

(٨) بقاعي، علي نايف، دراسة أسانيد الحديث الشريف، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٩.

(٩) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٧، ص ٦.

(١٠) اليعقوبي، الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع، ص ٥٩.

(١١) القضاة، أمين، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٤٦٢.

لذلك كله حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على طلب الإسناد، وكانوا شديدي التحري والتثبت فيما يروونه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فكانوا لا يحدثون بحديث إلا وهم واثقون تماماً من صحة نسبته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يقبلون من الأخبار إلا ما عرفوا صحة ثبوته وفي هذا يقول علي - رضي الله عنه - في مسجد الكوفة: "انظروا عمن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين" (١).

وقال الذهبي في ترجمة الصديق: "وكان أول من احتاط في قبول الأخبار" (٢). وذلك في قصة توريث الجدة، وقال في ترجمة عمر - رضي الله عنه -: "وهو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب" (٣)، وذكر قصة عمر مع أبي موسى الأشعري في قصة الاستئذان. ولقد جاء في بعض طرقه أن عمر قال لأبي موسى: "أما إني لم أتهمك ولكني أردت أن لا يتجرا الناس على الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" (٤).

وقال ابن حبان: "وتبع عمر على ذلك التثبت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - باستحلاف من يحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" (٥). ثم قال: "وهذان أول من فتشاً عن الرجال في الرواية وبحثاً عن النقل في الأخبار ثم تبعهما الناس على ذلك". وقد أخبر ابن عباس أن تركهم الرواية وتشديدهم فيها على أصحاب - رسول الله - كان منهم ذلك توقياً للكذب عليه ممن بعدهم، لا أنهم كانوا متهمين في الرواية (٦). وأما قوله: بأنهما أول من فتشاً عن الرجال وبحثاً عن النقل في الأخبار. "فيمكن توجيه ذلك بأنهما توسعا في ذلك توسعاً لم يكن معهوداً من قبل، حتى غلب على ظن البعض أن عمر كان أول من فعل ذلك. وهذا بالطبع فيما يتعلق بالتثبت في الرواية عند الأخذ والأداء" (٧).

"وهكذا، يمكننا القول: أن هؤلاء الصحابة أبا بكر وعمر وعلياً وغيرهم قد وضعوا حجر الأساس في علم الإسناد وأعطوا الإشارة لمن بعدهم من الصحابة والتابعين بأن يعملوا على التوثق من الرواية والتثبت من أدائها كما جاءت" (٨). ولكن هذا لا يعني أن كل الأحاديث الشريفة كانت تروى بأسانيد تامة، فالصحابة - رضي الله عنهم - لم يلتزموا ذكر إسناد الحديث عندما لا يكون الصحابي قد سمع الحديث من الرسول - صلى الله عليه وسلم - مباشرة بل من صحابي آخر (٩)، وفي هذا يقول البراء بن عازب: "ما كل ما نحدثكم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمعناه منه، منه ما سمعناه منه، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكتب" (١٠). إذن لم يكونوا يميزون بين ما نقلوه عن

(١) البغدادى، الكفاية في علم الرواية، ص ١٢١.

(٢) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٨.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١١، ص ٣٦، طبعة مكتبة الرشد.

(٥) ابن حبان، محمد المجتهد، كتاب المجروحين من المحدثين، تحقيق عبد المجيد السلفي، دار الصميعة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٣٩.

(٦) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، ج ١، ص ٣٨.

(٧) العمري، محمد علي قاسم، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، دار النفائس، الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٢ - ١٣.

(٨) للقضاة، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٩) العمري، بحث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٤٦.

(١٠) البغدادى، الكفاية في علم الرواية، ص ٥٤٨.

رسول الله - ﷺ - مباشرة وما نقلوه عنه بواسطة صحابي سمعه منه لعدم إسنادهم للحديث وقد علل البراء ذلك بعدم وقوع الكذب على الرسول - ﷺ - من قبل أصحابه، فكان الصحابي يسمع الحديث من أخيه الصحابي فكانه سمعه بأذنيه من النبي ﷺ. ومع وثوق الناس بالصحابة فقد كانوا يسألونهم أحيانا عن إسناد أحاديثهم، ولكن السؤال عن الإسناد في البدء لم يكن مستساغا ولا محمودا بل قد يكون مدعاة لغضب الصحابي، فهذا أنس بن مالك عندما سئل عن حديث أسمعه من النبي - ﷺ - ؟ - غضب وقال: ما كان بعضنا يكذب بعضا^(١).

لذا لم يتقيد الصحابة - ﷺ - بأمر الإسناد حتى منتصف القرن الأول ولم يكن مقبولا أن يراجعوا بسببه، مع ردهم أوهام بعض، واستدراك بعضهم على بعض في بعض الأمور، وسئهم للناس سنة التثبت، وطلبهم الشاهد واليمين^(٢).

ثم كان السؤال عن الإسناد والإهتمام به من الصحابة أكثر وأكثر وذلك في أعقاب الفتن التي بدأت منذ أواخر خلافة عثمان - ﷺ - حيث أن مروجي الفتنة أمثال عبد الله بن سبا وعبد الرحمن بن عديس ورومان اليماني وغيرهم راحوا يكتبون الأحاديث وهدفهم من ذلك هو شق صفوف المسلمين وإثارة البلبال والفتن ليضرب بعضهم رقاب بعض وقد أفلحوا في ذلك بعض الوقت إذ هاجت الفتنة ووجدت الاضطرابات والتقى المسلمون بسيوفهم في معارك طاحنه ذهب ضحيتها الكثير من كبراء الصحابة وأجلاتهم في معركتي صفين والجمل، ولكن هذه الفتنة لم تدم طويلا حتى انتهت في سنة (٤١ هـ) وذلك بتنازل الحسين - ﷺ - عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان - ﷺ - فالتأم الجرح واجتمع شمل وشتات المسلمين حتى سموا ذلك العام بعام الجماعة.

إلا أن الكذب لم ينته بل نشط الذين لا يروق لهم اجتماع المسلمين تحت راية واحده خفاقة بدس الأحاديث وتزوير الأخبار مما جعل الناس يتتبعون لخطرهم فأخذوا يحتاطون في قبول ما يقولونه أو يحدثون به^(٣)، وقد ذكر الإمام مسلم في مقدمته عن ابن سيرين قوله " لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ"^(٤)

لأجل ذلك كله دفعت أمانة التبليغ عن رسول الله - ﷺ - بعضا من أفراد الصحابة - ﷺ - إلى أن يسندوا إليه ما أخذوه وتحملوه عن أقرانهم من الصحابة ﷺ^(٥).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٥٤٨.

(٢) شعبان، التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، ص ٣١.

(٣) أبو اليقظان، مباحث في تكوين السنة المطهرة، ص ٦٧، ص ٦٨.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الذين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذنب عن الشريعة المكرومة، حديث رقم ٢٧، ص ٧.

(٥) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١١١.

وفعل ذلك أبو أيوب الأنصاري (ت ٥٢هـ) بتحديثه عن أبي هريرة ، ولما قيل له "أنت صاحب رسول الله - ﷺ - وتحدث عن أبي هريرة ؟ أجاب إن أبا هريرة سمع ما لم أسمع، ولئن أحدثت عنه أحب إليّ أن أحدث عن رسول الله - ﷺ - يعني ما لم أسمعه منه" (١). ومثل هذا فعل ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: "إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ" (٢).

ومن مظاهر تشددهم أيضا أن بعضهم حرص حرصا شديدا على ألا يأخذ حديثا منقطعا لم يسمعه ناقله من فم رسول الله - ﷺ - إلا إذا بين أسناده الموصول إلى رسول الله - ﷺ - (٣) ومن ذلك ما رواه أربعة من الصحابة : عمرو ابن السعدي عن حويطب، عن السائب، عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله - ﷺ - كان يعطي عمر بن الخطاب - ﷺ - العطاء فيقول عمر: اعطه يا رسول الله أفقر إليه مني، فقال له رسول الله ﷺ: خذ فتموله أو تصدق به، وما جاعك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ، وإلا فلا تتبعه نفسك" (٤). وقال الثوري في شرحه للحديث "وقد جاءت جملة من الأحاديث فيها أربعة صحابيون يروي بعضهم عن بعض" (٥).

وهكذا سار الصحابة - ﷺ - فأخذوا يتشددون في الرواية ويبحثون عن مصادرها ويسألون عن أسانيدهم ، ليعرفوا بذلك صحيحها من سقيمها، وغثها من سمينها فزيفوا بذلك كل باطل وأبطلوا به كل دخيل على السنة الشريفة فكان الإسناد السياتج الحصين، الذي حافظت به هذه الأمة على هدي نبيها محمد ﷺ، وأختصها الله به من دون سائر الأمم والأنام، إتماما لنعمته ، وإكراما لها بكرامة نبيها ﷺ (٦).

المطلب الثالث: أهمية الإسناد بالنسبة للصحابة ﷺ.

للإسناد أهمية ومكانة عظيمة في الإسلام، إذا الأصل والقاعدة في ذلك كله تلقي الأمة الإسلامية لهذا الدين العظيم عن الصحابة - ﷺ - وهم بدورهم تلقوه عن الرسول - ﷺ - وهو تلقى عن الله تعالى بواسطة وبغير واسطة كما هو معروف ومعلوم من أقسام الوحي (٧). وقد صح عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : " تَسْمَعُونَ وَيَسْمَعُ مِنْكُمْ وَيَسْمَعُ مِنْ سَمِعَ مِنْكُمْ" (٨).

- (١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٩.
- (٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٤٤، وقال محققوه: إسناده صحيح.
- (٣) مزيد، مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، ص ٦٧.
- (٤) الثوري، شرح الثوري على صحيح مسلم، ج ٣، ص ٨٤ - ٨٥.
- (٥) الضاري، الإسناد نشأته وأهميته، ص ١٨.
- (٦) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ١٠١.
- (٧) الزهراني، محمد بن مطر، علم الرجال، نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ١٦ - ١٧.
- (٨) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣٦٥٩، ص ٤٠٤، وقال الألباني: صحيح.

ومن هنا حث الرسول - ﷺ - الأمة على أن يأخذ كل منها العلم عن فوقه ويبلغه إلى من دونه إذ في ذلك بقاء العلم وإظهاره، ومعرفة أحكام الدين وإشهاره^(١).

يقول الخطيب البغدادي: "أخبر النبي - ﷺ - بأن في أمته ممن يجيء بعده كذابين فحذر منهم، ونهى عن قبول رواياتهم، وأعلمنا أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فوجب بذلك النظر في أحوال المحدثين والتفتيش عن أمور الناقلين، احتياطاً للدين، وحفظاً للشرعية من تلبيس الملحدين"^(٢).

وتعود أهمية الإسناد أيضاً إلى أهمية السنة الشريفة باعتبارها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لهذا الدين العظيم، والمتمة لما جاء فيه من هداية وتشريع للبشرية، لذا كان من الواجب الإهتمام بها والدفاع عنها، ولما كان الإسناد من أنجح الوسائل التي يحافظ به عليها، وأمضى الأسلحة التي يدافع به عنها، كان من الطبيعي أن يهرع إليه حماتها ويتمسك به أتباعها، فيزيلوا به كل ما حاول أن يلصقه بها أعداؤها من أهل الزيغ والضلال والأهواء، إذ هو المعيار الذي نقيم به الروايات والميزان الذي تعرض عليه، ليعرف به صحيحها من سقيمها، والسلم الذي يتوصل به إلى مقبولها من مردودها^(٣).

لذلك عرف وأدرك الصحابة أهمية الإسناد بالنسبة للحديث الشريف، لا سيما بعد وقوع الفتنة في آخر خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وذلك لأسباب عديدة أهمها^(٤).

١- فهم الصحابة - رضي الله عنهم - أهمية الإسناد بالنسبة للحديث النبوي الشريف فهو مثل النسب للإنسان، فكان لا بد من الإهتمام به.

٢- جعل الصحابة - رضي الله عنهم - الإهتمام بالإسناد قرينة وعبادة يتقرب بها إلى الله - عز وجل - لأن في إسقاطه وإهماله إسقاطاً وإهمالاً للحديث النبوي الشريف بالكلية.

٣- عرف وأدرك الصحابة أن الإسناد للحديث ضرورة ملحة لا بد منها لسلامة النص، ولولاه لقال كل من شاء ما شاء.

٤- أدرك الصحابة - رضي الله عنهم - أن الإسناد للحديث النبوي الشريف مثل المقياس الذي يظهر المعدن الحسن الطيب من المعدن الخبيث، فهو يكشف أهل الأهواء والزيغ والبدع من أهل الصلاح والتقوى والورع، وأن الإسناد للحديث الشريف ضرورة ملحة لبقاء الإسلام، وأنه مما إختصت به الأمة الإسلامية وتميزت به عن غيرها من الأمم الأخرى، فقد أخرج الخطيب بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد أنه قال: "بلغني أن الله

(١) عبد الهادي، السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها وتدوينها، ص ٨٢.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٥.

(٣) الضاري، الإسناد نشأته وأهميته، ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) خلف، جمال محمود، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة رضي الله عنهم، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط ١،

٢٠٠٧م، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم: الإسناد والأنساب والإعراب^(١).

وهكذا صان الصحابة - رضي الله عنهم - السنة وحفظوها، فلم يضع منها ما هو منها، ولم يدخل فيها شيء ليس منها، بل بقيت نقية ناصعة كما أوحاها الله - عز وجل - إلى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بيانا للقرآن الكريم، وهداية للبشرية إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم، أقوى من أن يؤثر فيها أعداء السنة والإسلام، وأعلى من أن ينال منها طول الزمان وتعاقب المكان^(٢).

المطلب الرابع: التفتيش عن عدالة الرواة

لقد وجد في السنة النبوية الشريفة بعض النصوص التي تشير إلى إنتهاج بعض الصحابة - رضي الله عنهم - طريقة التثبت والتحري والتوثق من صحة ما ينقل إليهم من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في زمنه وهو بين ظهرانيهم^(٣) ومن هذه الأمثلة ما يلي:

أ- ما أخرجه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفيه يقول "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَكَذْتُ أَسَاوِرَهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبِثْتُهِ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ أَلَمْ يَسْمَعْكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ أَقْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ أَقُوذُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم ... الحديث^(٤).

ب- ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة في حديثه الذي جاء فيه: "كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَرَعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَصَارِ لِبَنِي الشَّجَارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبًا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَنِي خَارِجَةَ وَالرَّبِيعُ الْجَذُولُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّغْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَرَعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّغْلَبُ وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَأَيْتُ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ أَذْهَبُ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ الثَّغْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ

(١) السيوطي، تكملة الترمذي في شرح تكملة الترمذي، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) عبد الهادي، السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها، ص ٢٩.

(٣) أبو لاوي، علم أصول الجرح والتعديل، ص ٤٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا، وكذا، حديث رقم

٥٠٤١، ص ١٠٣٢.

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُوهُ بِالْجَنَّةِ فَضْرَبَ عُمَرُ يَدَيْهِ بَيْنَ لَدَيْهِ فَخَرَزَتْ لِسَانِي فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى الْوَرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعْثَنِي بِهِ فَضْرَبَ بَيْنَ لَدَيْهِ ضَرْبَةً خَرَزَتْ لِسَانِي قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَلْتُ وَأُمِّي أَبْعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِتَعْلِيكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَبِإِي أَخَشَى أَنْ يَكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّيْهُمْ يَفْعَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَخَلَّيْهِمْ ^(١).

والشاهد في الحديث الأول قول عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ: سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وجواب رسول الله - ﷺ - له: كذلك أنزلت. والشاهد في الحديث الثاني قول عمر بن الخطاب للرسول الله - ﷺ - أبعتت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة؟ وجواب رسول الله - ﷺ - لعمر: بنعم. قلت: فانه يؤخذ من هذين النصين سعي الفاروق إلى التثبت والتقرب من صحة ما نقل عن رسول الله - ﷺ - بسؤال النبي - ﷺ - نفسه عما نقل عنه من حديث، وعندما أثبت النبي - ﷺ - ما سأل عنه عمر أطمأن الفاروق إلى صحة النقل.

ولما كان الهدف والغاية من علم الحديث معرفة المقبول من الأخبار من المردود منها فإن فعل الفاروق كان المقصود منه الوصول إلى هذا الهدف وهذه الغاية، غير أن الأبرز في هذين النصين تقرير النبي - ﷺ - لعمر وموافقته له بإجابته إلى ما سأل وعدم الإنكار عليه مما يدل ذلك على مشروعية فعل الفاروق والحالة أن الراويين اللذين أراد أن يتثبت ويتأكد من خبرهما هما صحبيان والصحابية مرضييون عند الله تعالى وعند رسول الله - ﷺ - وعند المؤمنين، ولكن النبي - ﷺ - أراد أن يقرر منهجا ويشرع أحكاما ليبين لنا أن فحص الأخبار والتأكد منها أمر مشروع أقره هو بالإضافة إلى حثه على التثبت في نقل الحديث والحذر من الكذب عليه ^(٢)، حيث قال: "بَلِّغُوا عَنِّي وَكُلَّ آيَةٍ وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" ^(٣) وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على هذا المعنى والمضمون.

ومن هنا فإن المتأمل للحقبة الأولى الممتدة من عصر النبوة إلى بداية عهد التابعين يجد صدور عبارات قليلة في الجرح عن مقام النبوة محمد - ﷺ - وعن أصحابه في عهده الشريف، وزاد هذا الأمر شيئا في عهد الخلفاء الراشدين - ﷺ - وأوائل عهد بني أمية، فأم المؤمنين عائشة وهمت عددا من الصحابة - ﷺ - منهم عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ،

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم ٣١، ص ٢٢.

(٢) أبو داود، علم أصول الجرح والتعديل، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، ص ٦٩١.

وأبن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وأبن عباس كذب نوحاً البكالي، وعباد بن الصامت كذب أبا محمد وأنس بن مالك كذب فلانا من الناس وغيرهم^(١). وهذا التفتيش كان بداية للضبط لا للعدالة لأنهم كلهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله - ﷺ - فلا يتهمون بخيانة أو كذب، أو غش، أو تزوير. إن لم يكن ثمة حاجة للجرح والتعديل.

وقد تقدم وجه الضرورة الملحة للإسناد من أنه الوسيلة الوحيدة للبحث عن أحوال الرواة وتمييزهم، فالبحث والتفتيش عن الرواة هو المقصود من الإسناد وهذا المقصد هو المعول عليه في سد الذريعة نحو السنة الشريفة وتمييز الصالح للاحتجاج منها مما لا يصلح، لذا فوجوب البحث عن أحوال الرواة هو المتعين تحقيقاً لهذا المقصد الأسمى^(٢).

ولقد كان الصحابة - ﷺ - يتلقون أمور دينهم كلها من محمد - ﷺ - مباشرة دون وساطة أو بواسطة من شهد ذلك مع رسول الله - ﷺ - من قوله أو فعله أو تقريره . والذي دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الثابتة أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم ورسوله - ﷺ - خلافاً لبعض أهل الأهواء والزيغ الطاعنين الحاقدين على صحابة الرسول ﷺ.

ولأجل ذلك كله وغيره لا يتصور أبداً احتمال الكذب من ذلكم الرعيل الأول الذي قدم الغالي والنفيس في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام والذب عن الشريعة الغراء بل هم حماتها ونقلتها إلى الآفاق وإلينا جزاهم الله خيراً. ولا يجرؤ مسلم عنده تقوى في عصرنا على القول على أحد بغير علم فكيف يجرؤ على القول على الله أو على رسوله ﷺ بل كيف يخطر ببال عاقل إمكانية وقوع ذلك من صحابة رسول الله - ﷺ - وهم يسمعون ويعلمون^(٣) بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

ولقوله ﷺ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٤) ولقوله : " مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٥).

لذا كان التحري والتثبت موجوداً في الراوي والمروي لدى صحابة رسول الله - ﷺ . وظل الصحابة - ﷺ - بعد انتقال رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى منعمين في جو من الصدق، أمنين على تراث نبيهم، حيث كانت صدورهم وقلوبهم الواعية لما قال رسول الله - ﷺ - تنبض بالإيمان والصدق، فكان بعضهم يسند الحديث الشريف مرة ولا يسنده مرة

(١) سعد، قاسم علي، مباحث في علم الجرح والتعديل، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٦-١٧.

(٢) حياتي، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على المنة النبوية، ص ٣٦.

(٣) القريوتي، عاصم بن عبد الله، الإسناد من الذين ومن خصائص أمة سيد المرسلين ﷺ، مكتبة المعلاء، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٣-١٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٨، ص ٣٣.

أخرى، الى أن حدثت الفتنة الكبرى، وظهرت الأحزاب والفرق، وأخذ الكذب على رسول الله ﷺ - يزداد شيئاً فشيئاً حتى أنبرى الصحابة - ﷺ - يذنبون عنه الكذب بتمحيص الأحاديث سنداً وممتناً ويشددون في معرفة الرواة والطرق، ويلتزمون الإسناد غالباً^(١).

ولم تكن مسألة جرح الرجال وتعديلهم واردة في عهد الصحابة - ﷺ - لثبوت عدالتهم بالكتاب العزيز والسنة الشريفة، وحسبهم ذلك شرفاً وفخراً، رغم أنهم تكلموا في الرجال تعديلاً وتجريحاً، فعن الفاروق - ﷺ - أنه قبل خبر سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين، بل أمر ابنه عبد الله إذا حدثه سعد أن لا يسأل غيره، فقال له: "إِذَا حَدَّثَكَ سَعْدٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَيْئًا فَلَا تُسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ"^(٢).

وفي التعديل قال عمر - ﷺ - في عبد الرحمن بن عوف: "أنت عندنا العدل الرضا"^(٣) وفي التجريح قال ابن عباس في نوف البكالي: "كذب عدو الله"^(٤) وغيرها من الأقوال^(٥)، لكن الظاهر من جرحهم أنهم جرحوا من جرحوهم في جانب الضبط والحفظ لا العدالة، لأن العدل وغيره سواء في إصابة ذاكرته بالضعف وحصول الوهم في روايته^(٦). وفي هذا يقول الأعظمي: "فالإنسان قد يخطئ بالنسيان، وقد يخطئ بالتعمد لكن النتيجة في الحالتين واحدة بالنسبة لصدق الحديث وكذبه"^(٧).

فكانت أولى مراحل الحديث الشريف نقد منته من حيث مبناه ومعناه إذا لم يكن السياق الذي جاء عن النبي - ﷺ - ومعناه إذا عارض القرآن الكريم والسنة الشريفة الثابتة، وكان ابتداء التفتيش عن عدالة الرواة في عهد صغار الصحابة - ﷺ - خاصة بعدما تغيرت وتبدلت الأمور في زمن الفتنة بعد مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - ﷺ - سنة (٣٥هـ) في شهر ذي الحجة فتوالت الأحداث، وأسفرت عن خلافات سياسية وفكرية، فكانت فرق الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية الأولى ثم المعتزلة مع قرب نهاية القرن الأول الهجري. وعاش الصحابة - ﷺ - هذه الأحداث وما أعقبها من الفتن واختلاف بين المسلمين، واستمرت حياة بعض صغارهم إلى ما بعد سنة ثمانين للهجرة، نهاية عصرهم وبداية العصر الاستقلالي للتابعين، فما هي آثار هذا التحول الاجتماعي في رواية الحديث الشريف؟ وفي نقده؟^(٨).

هذا التحول والتغيير أوجب على الصحابة - ﷺ - الإهتمام بالتفتيش والتحري والتثبت عن الرجال، فبحنوا عما يمكن تسميته بالإتجاه الفكري لهم لتجنب الرواية عن مخشى ويخاف منه التأثير باتجاهاته الفكرية فيوظف. نصوص الحديث الشريف لأراء فرقته، ثم بعد ذلك شمل

(١) هاشم، دفاع عن الحديث النبوي، ص ٨٥.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٢، وإسناده صحيح.

(٣) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٨٥.

(٤) ابن عدي، أبو أحمد عبد الله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق صبحي البدي السامرائي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد،

{ط: بدون}، {تاريخ نشر: بدون}، ص ٨٤.

(٥) أفرنا مطلباً كاملاً في الفصل الخامس لأشهر علماء الجرح والتعديل من الصحابة - ﷺ - وأقوالهم، مع أمثلة على ذلك.

(٦) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١١٠.

(٧) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز للإمام مسلم، ص ٧.

(٨) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث الشريف، ص ١١٠.

نقد الرجال أخلاقهم فميزوا الصادق من الكاذب، ثم بحث عن كل سبب جرح كنعاطي القصص وغيرها، ثم أنضم إلى كل ذلك مبحث العدالة إلى الضبط ليعرف الرجال النقات فيؤخذ منهم، والمجرحون فيتجنب الرواية عنهم^(١).

فكان لا بد للصحابه - ﷺ - والحالة هذه أن يقفوا أمام هذه الافتراء الباطل والدس الرخيص من قبل أهل الاهواء الذي أرادوا منه: أن يشوهوا به جمال السنّة الشريفة ويعكروا به صفوها ونقاءها^(٢)، قال ابن عباس: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَالْظُّرُوءُ عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"^(٣).

وروى عن مُجَاهِدٍ قَالَ جَاءَ بُشَيْرُ الْعَدَوِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذُنُ لِحَدِيثِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا لِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي أَحَدُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلَا تَسْمَعُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ابْتَدَرْتُهُ أَبْصَارُنَا وَأَصْغَيْتُنَا إِلَيْهِ بِأَذَانِنَا فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ"^(٤).

وفي رواية عن طَاوُسٍ قَالَ جَاءَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي بُشَيْرَ بْنَ كَعْبٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ ثُمَّ حَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَذْرِي أَعْرِفْتُ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَلْكَرْتُ هَذَا أَمْ أَلْكَرْتُ حَدِيثِي كُلَّهُ وَعَرَفْتُ هَذَا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ"

من هاتين الروايتين عن ابن عباس، وغيرها من الروايات الواردة بهذا المعنى: نلاحظ كيف كان الكذب على رسول الله - ﷺ - أثناء الفتنة وما أعقبها من أحداث في بداية التفتيش عن عدالة الرواة^(٥)، ونلاحظ أيضا كيف "أنكر ابن عباس - رضي الله عنهما - على بشير الإرسال مع كونه ثقة، لأنه تابعي يقول: قال رسول الله - ﷺ - لذا جعل يطلب منه إعادة ما يرويه لعله يعرف حال الوساطة بينه وبين رسول الله - ﷺ - لو كان تابعيًا لم يرى رسول الله - ﷺ -"^(٦). وفي هذا يقول الشريف عارف العوني: "قابن عباس - رضي الله عنهما - يعلن هنا عن بداية حقبة جديدة للرواية، تختلف عن الحقبة السابقة لها، حيث لم يكن يحدث عن رسول الله - ﷺ - في تلك الحقبة السابقة إلا من زكاهم الله تعالى ورسوله - ﷺ -، من الصحابة - ﷺ - الذين لم يكن يستلزم من قبول ما يروونه إلا سماعه منهم. أما الحقبة التي يتكلم عنها ابن عباس -

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) الضاري، الإسناد نشأته وأهميته، ص ١٨.

(٣) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، ج ١، ص ٢٧.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ١٩، ص ٩.

(٥) الضاري، الإسناد نشأته وأهميته، ص ١٩.

(٦) حيّاتي، لمحات في نقّة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنّة النبوية، ص ٢٤.

رضي الله عنهما - فقد بدأ من لم يكن له لقي بالنبي ولا صحبه بالحديث عنه ﷺ. وهؤلاء لم يلقوه، فحديثهم عنه - ﷺ - لا بد أن يكون لهم إليه فيه واسطة، ثم إنهم هم أنفسهم ليس لهم شرف الصحبة، ولا نالهم تعديل من الله تعالى، أو رسوله - ﷺ - ثم بعد أن دبت الفتنة، وركب الناس الصعب والذلول كان لا بد من معرفة الواسطة المحذوفة في مرسل ذلك التابعي، للتوثق من ثقة تلك الواسطة، وذلك - بالطبع - بعد التوثق من ثقة ذلك التابعي نفسه الذي أرسل الحديث أولاً. فكان هذا أول تطبيق عملي ظاهر لعلم الجرح والتعديل، وأول السؤال عن الإسناد، ورفض المراسيل، وذلك لظهور علتين اقتضتا ذلك هما: علنا رواية المجروح، والإرسال وعدم الإسناد^(١).

ومن هنا فلقد كانت تلك الفتنة دافعا لاستكمال منهجية الحديث رواية ودراية، ولعل بروزها في ذلك العصر المبكر والصحابة متوافرون، كان في غاية الفائدة بالنسبة للسنة النبوية، وظهورها في حياتهم مع قرب الرواية من مصدرها الأصلي قد ساعد جداً على استقرار المنهج وتأسيس القواعد، وكم ستكون مفسدتها كبيرة لو أن وقوعها كان بعد انتهاء عصر الصحابة، مع بعد الرواية عن مصدرها، إذ لأثرت سلباً في استكمال القواعد المنهجية لضبط السنة^(٢).

والخلاصة أن حركة النقد لرواية الحديث والتفتيش عن أحوال الرجال وعدالتهم بدأ منذ عهد مبكر في زمن وعصر الصحابة - ﷺ - على الرغم من عدالة الصحابة ولكنهم فعلوا ذلك حتى لا يتسابق الناس في التحدث عن رسول الله - ﷺ - ولا يتساهلون في ذلك. ومن أمثلة ذلك ما فعله أبو بكر في مسألة ميراث الجدة، وما فعله الفاروق في مسألة الاستئذان، وما كان يطلبه علي - ﷺ - من الاستحلاف^(٣)، ثم كان طلب الإسناد في عهد صغار الصحابة زمن ابن عباس - رضي الله عنهما - وما بعده.

(١) العوني، المنهج المقترح لفهم المصطلح، ص ٢٩-٣٠.
(٢) سعيد، همام عبد الرحيم، الفكر المنهجي عند المحققين، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ضمن سلسلة كتاب الأمة، قطر. وانظر أيضاً: موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، ج ٢، ص ١٨٦.
(٣) الجبوري، مباحث في تدوين السنة المطهرة، ص ٩٧.

الفصل الثاني

الوسائل التي استخدمها الصحابة

في تطبيق منهجهم

المبحث الأول: كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه

المبحث الثاني: الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف

المبحث الثالث: الدقة في رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ

والمعنى

المبحث الرابع: المذاكرة والمزاورة والمدارس للحديث النبوي

الشريف

المبحث الخامس: معايشة النبي - ﷺ - والتعلم منه وتبليغ ما عندهم

من العلم وعدم الكتمان

المبحث السادس: ظهور مجالس ومدارس الحديث النبوي الشريف

الفصل الثاني

الوسائل التي استخدمها الصحابة في تطبيق منهجهم

تمهيد

كان حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على سماع النبي - صلى الله عليه وسلم - والتلقي عنه والتثبت في فهم وحفظ حديثه أكبر حافز لهم على أن يضعوا الضوابط ، والوسائل ، والمعايير لتوثيق السنة الشريفة ، والتأكد من صحة متنها ، لذا استخدم الصحابة وسائل كثيرة لتطبيق هذا المنهج ومن أهم هذه الوسائل : الكتابة ، والرحلة ، والرواية باللفظ ما أمكن ، والمذاكرة ، والمعايشة له صلى الله عليه وسلم ، وإقامة المراكز والمدارس الحديثية ، واليكم بيان ذلك كله :

المبحث الأول

كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه

تمهيد:

لم يُعرف العرب قبل الإسلام بالقراءة والكتابة ، إذ لم تكن ميسورة آنذاك ، لذا غلب عليهم أنهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢) . وقال ﷺ : " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين " (١) . قال ابن حجر : " وقيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة " (٢) .

لذا كان اعتماد العرب في نقل أخبارهم ومروياتهم وأنسابهم وأيامهم على الرواية الشفهية ، فبقي الصحابة - ﷺ - يعولون في نقل السنة النبوية الشريفة على ما حباهم الله - عز وجل - به من حافظة وذاكرة قوية ، تميزوا بها عن سائر الأمم الأخرى (٣) ، وبهذا يكون هذا الطور متميزاً بالحفظ في الذاكرة ، لأن التدوين نادر جداً (٤) .

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب قول النبي ﷺ : لا تكتب ولا تحسب ، حيث رقم ١٩١٣ ، ص ٣٧٢ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٤ ، ص ١٦٣ .

(٣) الخزرجي ، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها ، ص ١٩٥ .

(٤) زيدان وعبد الله ، علوم الحديث ، ص ٧٥ .

ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن فيهم أحد يقرأ ويكتب، بل كان هذا وصفاً غالباً عليهم، وقد سجل التاريخ ما يدل على معرفة نفر منهم للقراءة والكتابة، ومما يذكر في ذلك أن عدي بن زيد العبادي (ت ٣٥ ق هـ) تعلم الكتابة وحذقها، وكان أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، كما أن بعض اليهود كانوا يعلمون الصبغة الكتابة بالعربية في المدينة المنورة، وشهدت مكة المكرمة بمركزها التجاري بعض الكاتبيين والقارئيين قبل البعثة المحمدية، وأن ذهبت بعض الأخبار إلى أنه لم يكن بها سوى بضعة عشرة رجلاً يقرأون ويكتبون^(١)، وهذا هو ما يقصد غالباً بوصف العرب بالأميين^(٢).

ومما يشهد لذلك طلبه - ﷺ - من أسرى بدر المكيين أن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة صبيان من صبيان المدينة المنورة القراءة والكتابة^(٣)، ثم إن عدد كتبة الوحي قد بلغ زهاء أربعين رجلاً ناهيك عن كتاب الصدقات والرسائل والعهود ولما استقر المقام بالمسلمين في المدينة المنورة كثر الكاتبون والقارئون، وكانت المساجد مركزاً للتربية والتعليم، وعرف من بين المعلمين: سعد بن الربيع، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وأبان بن سعيد بن العاص حيث كانوا يعلمون الصبغة القراءة والكتابة^(٤).

ولما قدم الرسول - ﷺ - المدينة المنورة اهتم بالقراءة والكتابة، وأمر أصحابه - ﷺ - أن يحصوا المسلمين في المدينة المنورة، ويكتبوا له أسماءهم، رجالاً وأطفالاً ذكراناً وإناثاً، وفي هذا يقول حذيفة بن اليمان - ﷺ - : " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَظَ بِالْإِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ فَكُنَّا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ فَقُلْنَا نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فَلَقَدْ رَأَيْنَا اثْنَيْ عَشَرَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ " ^(٥).

هذا ولم يقتصر أمر القراءة والكتابة على الرجال فحسب، بل تعدى ذلك الأمر إلى النساء، فعن الشفاء بنت عبد الله - رضي الله عنها - أنها قالت: دخل علي رسول الله - ﷺ - وأنا عند حفصة، فقال لي: " أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُفْقَةَ الثَّمَلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الْكِتَابَةَ " ^(٦).

ومع كل تلك القراءة والكتابة إلا أنه لم يدون الحديث النبوي الشريف في عهد الرسول - ﷺ - ولا في عهد خلفائه الراشدين كما دون القرآن الكريم، ولم يتخذ الرسول - ﷺ - كتاباً للسنّة النبوية الشريفة، كما اتخذ كتاباً للوحي يكتبون كل ما ينزل عليه من آيات الذكر الحكيم؛ وذلك خشية منهم على ألا يختلط بالقرآن الكريم شيء غيره، أو ينشغل عنه بغيره^(٧).

(١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٣.

(٢) القطن، مباحث في علوم الحديث، ص ٢٣.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، قسم ١، ص ١٤.

(٤) عتر، معالم السنّة النبوية، ص ٦٩.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، حديث رقم ٣٠٦٠، ص ٦١٠.

(٦) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، حديث رقم ٣٨٨٧، ص ٤٢٦، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٧) جواز، محاضرات في علوم الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

المطلب الأول: الفرق بين الكتابة والتدوين والتوثيق والتصنيف

قال ابن حجر في مقدمة هدي الساري: "اعلم، علمني الله وإياك أن آثار النبي - ﷺ - لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين، أحدهما: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم. وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، لأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار..."^(١).

وقال الذهبي: "وفي هذا الزمان - زمن الطبقة الرابعة - ظهر بالبصرة عمرو بن عبيد العابد وواصل بن عطاء، ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر... وشرع الكبار في تدوين السنن، وتأليف الفروع، وتصنيف العربية ثم كثر ذلك أيام الرشيد، وكثرت التصنيفات، وألفوا في اللغات. وأخذ حفظ العلماء ينقص، ودونت الكتب واكلوا عليها، وإنما كان قبل ذلك علم الصحابة والتابعين في الصدور، فهي كانت خزائن العلم لهم ﷺ"^(٢).

فظاهر الكلام هنا أن السنة النبوية الشريفة لم تكون إلا في نهاية القرن الأول الهجري، لذا فهم بعض المعاصرين - العامة وبعض الخاصة - خطأ أن التدوين هو الكتابة وعليه فإن السنة الشريفة - كما فهم بعض المعاصرين من كلام السابقين - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في عهد الخليفة الراشد عمر بن العزيز في نهاية القرن الهجري الأول^(٣).

لذا كان من المهم التمييز بين هذه المصطلحات؛ لإزالة اللبس والغموض والإشكال الحاصل، وبالتالي فهم المقصود من هذا الكلام: حيث تكمن أهمية ذلك في التفريق بين هذه المصطلحات في كتب اللغة في إزالة كثير من اللبس بين هذه المعاني، ويدور الفرق بينهم عند أهل اللغة على النحو التالي:

أ. الكتابة: قال ابن منظور: "كتب الشيء كتباً وكتاباً وكتابة وكتبه خطه". وعلى ضوء ذلك كتابة الشيء خطه^(٤). وقال مناع القطان: "فإن الكتابة تعني أن يكتب شخص صحيفة أو أكثر"^(٥).

ب. التدوين: هو تقييد المتفرق المشتت وجمعه في ديوان أو كتاب تجمع فيه الصفح^(٦) فيضم الشمل ويحفظ من الضياع وأنه أوسع من التقييد بمعناه المحدود، قال في اللسان: والديوان مجتمع الصفح، وفي الحديث: لا يجمعهم ديوان حافظ، قال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء^(٧) وقال في تاج

(١) ابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص ٨.

(٢) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٥٩.

(٣) عبد الهادي، السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها، ص ٩٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦٩٨.

(٥) القطان، مباحث في علوم الحديث، ص ٢٨.

(٦) الزهراني، تكوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص ٧٤.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٦.

العروس: "وقد دونه تدويناً جمعه. وعليه فالتدوين هو جمع الصّحف المشتتة في ديوان ليحفظها"^(١). وقال مناع القطان: "أما التدوين فإنه جمع المكتوب من الصّحف والمحفوظ في الصدور وترتيبه حتى يكون في كتاب واحد"^(٢).

ج. التوثيق: وهو إحكام ما دون وصنف، وقال الرّازي: وثق الشيء توثيقاً فهو موثق، والتوثيق، الشيء المحكم^(٣). وقال الفيومي: وثق الشيء بالضم وثاقه قوي وثبت فهو وثيق محكم^(٤).

د. التصنيف: قال ابن منظور: والتصنيف: تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء ميز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصنافاً. وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنف الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم^(٥). وهو أدق من التدوين إذ هو ترتيب ما دون في فصول محددة وأبواب مميزة، وبذلك يكون التصنيف مرحلة لاحقة للتدوين.

قلت: وهذه المعاني جميعاً كلها تدور حول معنى: التقيد والجمع، والترتيب، والتأليف، والإحكام.

ومما سبق يتضح لنا أنّ الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصّحف المكتوبة في إطار يجمعها. أما التدوين فهو مرحلة تالية للكتابة، ويكون بجمع الصّحف المكتوبة في ديوان يحفظها. وعلى ضوء ذلك فإن قول العلماء أنّ السنة النبوية الشريفة دونت في نهاية القرن الأول الهجري لا يعني أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يعني أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين - أي جمعه في دفتر واحد - وما فهمه المعاصرون من أنّ التدوين هو الكتابة فهو خطأ، مبعثه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين. وهذا ما وجد في كلام ابن حجر والذهبي حيث أنّ مدار الحديث على التدوين، وليس في حديثهم شيء يتعلق بالكتابة. قال ابن حجر: "لم تكن مدونة ولا مرتبة تدوين الآثار وتبويب الأخبار أول من جمع ذلك" ويقول الذهبي: تدوين السنة.

أما المتأخرون فمدار حديثهم وكلامهم على الكتابة، وربما وضعوا الكتابة مكان التدوين، والعكس. وهذا خلط أدى إلى الخطأ في فهم كلام العلماء السابقين. وخلاصة ما تقدم نقول:

١. أن السابقين كان معلوم لديهم الفرق بين الكتابة والتدوين.

٢. أن وسيلة حفظ السنة النبوية لم تكن الكتابة فقط، وإنما كانت الكتابة والحفظ.

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص٢٠٤.

(٢) القطان، مباحث في علوم الحديث، ص٢٨.

(٣) الرّازي، مختار الصحاح، ص٧٠٨.

(٤) الفيومي، قاموس اللغة كتاب المصباح المنير، ج٦، ص٨٩١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٩٨.

٣. إن نهي النبي - ﷺ - عن الكتابة كان في أول الأمر، وإنما أباح الكتابة فيما بعد، وكتبت السنة النبوية الشريفة بأمر منه.

وعليه فإن السنة النبوية الشريفة مرت بثلاث مراحل إجمالاً هي:
١. مرحلة الكتابة. ٢. مرحلة التدوين. ٣. مرحلة التصنيف^(١).

المطلب الثاني: ما روي في كراهية كتابة الحديث النبوي الشريف

نظراً لأهمية الحديث الشريف صرف الصحابة - رضوان الله عليهم - همهم إلى نشره بطريق الحفظ والرواية الشفهية، إما بالألفاظ نفسها التي سمعوها منه - ﷺ - إن بقيت في أذهانهم، وإما مما يؤدي معناها إن غابت عنهم، ولم يزلوا على ذلك في أول عصر النبوة، ومنعوا عن القيام بجمع حديث النبي - ﷺ - وكتابته بشمول واستقصاء، وكانت الجهود منصبة على تلقي القرآن الكريم ووعيه وحفظه وتدوينه، لذا ورد عدة أحاديث تنهى عن تدوين الحديث النبوي الشريف منها^(٢):

١. عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: "قال رسول الله - ﷺ - لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمتحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي قال همام أحسبه قال متعمداً فليتبرأ مقعده من النار"^(٣).

٢. وعن أبي هريرة قال: "خرج علينا رسول الله - ﷺ - ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث نسمعها منك، قال: أكتاباً غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا بما اكتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى، قال أبو هريرة فقلت: أنتحدث عنك يا رسول الله؟ قال: نعم تحدثوا عني ولا حرج، فمن كذب علي متعمداً فليتبرأ مقعده من النار"^(٤).

٣. وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: "استأذن النبي - ﷺ - في الكتاب فأبى أن يأذن لنا"^(٥).

٤. وما روي عن عبد الله بن حنطب قال: "دخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث فأمر إلساً يكتبه فقال له زيد إن رسول الله - ﷺ - أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاها"^(٦).

رأهم يكتبون الأحاديث النبوية الشريفة، فانكر عليهم فعل ذلك، فما كان منهم إلا أن جمعوا ما كتبوه فأحرقوه، استجابة لنهي النبي - ﷺ -^(٧).

(١) عبد الهادي، السنة النبوية، مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ١٦٣، وانظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرقة، ص ٢٢٥.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم ٧٥١١، ص ١٢٩٧.

(٤) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، نشر دار أحياء السنة النبوية، ط ٢، ١٩٧٤م، ص ٣٣.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٣٣.

(٦) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، حديث رقم ٣٦٤٧، ص ٤٠٣، وقال الألباني: ضعيف.

(٧) عتر، معالم السنة النبوية، ص ٧١.

قال ابن حجر: "قال العلماء: كره جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين كتابة الحديث الشريف واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه" (١).

فهذه الأحاديث تشير إلى نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة الحديث النبوي وتدوينه، ولكن إلى جانب ذلك توجد أحاديث تشير إلى إباحة وإجازة كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه.

المطلب الثالث: ما روي من إباحة في كتابة الحديث النبوي الشريف

تعتبر الكتابة إحدى أهم وسائل حفظ المعلومات، ونقلها للأجيال اللاحقة، وقد كانت إحدى العوامل الفعالة في حفظ الحديث النبوي الشريف حتى صُنفت فيها التأليف في القديم والحديث (٢).

هذا ولقد وردت آثار كثيرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تبين إباحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكتابة الحديث النبوي الشريف نذكر منها ما يأتي:

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه قال: "كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ

اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهْتَنِي فُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ

فِي الْغَضَبِ وَالرَّحْمَةِ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ

فَقَالَ أَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ" (٣).

٢. ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ

مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ" (٤).

٣. وما روي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ" (٥).

٤. وما روي عن أبي هريرة أنه قال: "كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَيَسْمَعُ مِنْ

النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - الْحَدِيثَ فَيُعْجِبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ

مِنْكَ الْحَدِيثَ فَيُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم - اسْتَعِنَ بِيَمِينِكَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ لِلْخَطِّ" (٦).

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) عثر، معالم السنة النبوية، ص ٧٤.

(٣) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، حديث رقم ٣٦٤٦، ص ٤٠٣، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١٣، ص ١٢٢.

(٥) الزمهرمي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٣٦٤، وانظر البغدادي: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٧٢.

(٦) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الرخصة فيه، حديث رقم ٦٦٦، ص ٤٣١، وقال الألباني: هذا حديث

ضعيف.

٥. وما روي عن رافع بن خديج أنه قال: " قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : تَحَدَّثُوا وَلَيَّبُوا مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَقْعَدُهُ مِنْ جَهَنَّمَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ فَتَكْتُبُهَا ، فَقَالَ : اكْتُبُوا وَلَا خَرَجَ ."(١)

٦. وما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "لَمَّا لَمَّا فَتَحَتْ مَكَّةَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ - فَذَكَرَ الْخُطْبَةَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أَبُو شَاةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْتُبُوا لِي فَقَالَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاةَ "(٢).

٧. وما رواه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ - وَجَعُهُ قَالَ ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ قَالَ عُمَرُ بْنُ النَّبِيِّ ﷺ - غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ قَالَ قَوْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْتَبِغِي عِنْدِي التَّشَاؤُحُ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرُّزْيَةَ كُلَّ الرُّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَبَيْنَ كِتَابِهِ "(٣).

٨. ما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "أَنَّ خُرَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ غَامَ فَتَحَ مَكَّةَ بِقَتْلِ مِنْهُمْ قَتْلُوهُ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ - فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كَذًا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشُّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ وَاسْلَطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَالْمُؤْمِنِينَ آلًا وَإِلَيْهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي آلًا وَإِلَيْهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ آلًا وَإِلَيْهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا يُغْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا تُلْقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُقْتَلَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِأَبِي فَلَانَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا الْإِذْخَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - إِلَّا الْإِذْخَرَ إِلَّا الْإِذْخَرَ "(٤).

(١) الطبراني، المعجم الكبير ، حديث رقم ٤٢٨٤، ج ٤، ص ٢٧٣، وانظر البغدادى تقييد العلم، ص ٧٢ وقال محققه إسناده صحيح

(٢) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، حديث رقم ٣٦٤٩، ص ٤٠٣، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١٤، ص ٣٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١٢، ص ٣٣.

٩. وعن أبي جحيفة قال: "قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ لَهُمْ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ قُلْتُ لَمَّا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَلَكَائِكَ النَّاسِيرُ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ"^(١).

١٠. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه قال: "بَيَّتَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَكْتُبُ إِذْ سَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَيْ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةٌ أَوْ رُومِيَّةٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : « لَا ، بَلْ مَدِينَةُ هِرَقْلَ أَوَّلًا »"^(٢).

١١. وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: "مَا يُرَغَّبُ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا الصَّادِقَةُ وَالْوَهْطُ ، فَأَمَّا الصَّادِقَةُ فَصَحِيفَةٌ كَتَبَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَمَّا الْوَهْطُ فَأَرْضٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَانَ يَقُومُ عَلَيْهَا"^(٣).

فهذه بعض الأحاديث التي وردت ودلت على أن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - كان يكتب، وأن النبي - ﷺ - أذن لبعضهم في الكتابة، وأذن للصحابة أن يكتبوا لغيرهم، والأحاديث عن الصحابة - رضي الله عنهم - كثيرة تبلغ مجموعها رتبة التواتر في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي الشريف في عهده - ﷺ -^(٤). بل وتأمّر وتحت على ذلك، ممّا يدحض ويبطل زعم من يقول: إن السنة النبوية الشريفة لم تكتب في القرن الأول الهجري^(٥). ومن أراد المزيد من الأدلة فليُنظر كتاب "تقييد العلم" للخطيب البغدادي.

المطلب الرابع: الجمع والتوفيق بين أحاديث النهي والإباحة

تعارضت النصوص الواردة في كتابة الحديث النبوي الشريف، فمنها ما دل على كراهة الكتابة، ومنها ما دل على إباحة الكتابة، لذا أشارت هذه الأحاديث النبوية الشريفة إلى علة النهي عن كتابة الحديث النبوي الشريف، واستنبط العلماء عللاً أخرى للنهي، ومن هنا فقد حاول العلماء أن يوفقوا ويجمعوا بين ما ورد من أحاديث النهي عن الكتابة وبين ما ورد من أحاديث في إباحة الكتابة، فاختلّفوا وذهب كل واحد منهم إلى مذهب معين، وإليك آرائهم مع بيان الرَّاجح منها من وجهة نظري:

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١١، ص ٣٣.

(٢) الدارمي، سنن الدارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٤٨٩، ص ٩٢.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٤٩٩، ص ٩٣.

(٤) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٤٠.

(٥) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم -، ص ١٠٦.

أولاً: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)

قال أبو محمد: ونحن نقول إن في هذا معنيين:

١. أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفتت الحفظ أن تكتب وتقيد.

٢. أن يكون خص بهذا عبيد الله بن عمرو لأنه كان قارئاً للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له^(١).

ثانياً: الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)

وقال أبو سليمان الخطابي: "يشبه أن يكون النهي متقدماً وآخر الأمرين الإباحة، وقد قيل أنه إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به ويشتبه على القارئ فأمّا أن يكون نفس الكتاب محظوراً وتقيد العلم بالخط منهيّاً عنه فلا"^(٢).

ثالثاً: قول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)

قال أبو بكر: "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول، إنما هي لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه"^(٣). وقال: معلقاً ومعقّباً على قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "ما كنّا نكتب غير التشهد والقرآن" ثم هو يخبر أنهم كانوا يكتبون القرآن والتشهد. وفي ذلك دليل أن النهي عن كتب ما سوى القرآن، إنما كان على الوجه الذي بيناه: من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، وإن يشتغل عن القرآن بسواه؛ فلما أمن ذلك ودعت الحاجة إلى كتب العلم، لم يكره كتبه، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد، ولا فرق بين التشهد وبين غيره من العلوم، في أن الجميع ليس بقرآن، ولن يكون كتب الصحابة، ماكتبوه من العلم، وأمروا بكتبه إلا احتياطاً، كما كان كراهيتهم لكتبه احتياطاً والله أعلم"^(٤).

ثالثاً: ابن الصلاح (ت ٦٤٢ هـ)

وقال ابن الصلاح: "ولعله - رضي الله عنه - أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان، ونهى عن الكتابة عنه لمن وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب، أو نهى عن كتابة ذلك حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم، وأذن في كتابته حين أمن من ذلك"^(٥).

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ١٩٢.

(٢) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي، معالم السنن وهو شرح سنن الإمام أبي داود، المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٠١ هـ -

١٩٨١ م، ج ٤، ص ١٨٤.

(٣) البغدادي، تقويد العلم، ص ٥٧.

(٤) البغدادي، تقويد العلم، ص ٩٣ - ٩٤.

(٥) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٨٨.

رابعاً: الثَّوَوِي (ت ٦٧٦هـ)

وقال الإمام الثَّوَوِي واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي وذكر ثلاث إجابات عن الحديث الوارد في النهي وهي:

الأول: هو في حق من يوثق بحفظه، ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، ويحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه.

الثاني: إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة.

الثالث: إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة؛ لئلا يختلط، فيشتبه على القارئ في صحيفة واحدة، والله أعلم^(١).

خامساً: ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)

قال ابن حجر: "والجمع بينهما: أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد والإذن في تفريقهما، أو النهي متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس وهو أقربها مع أنه لا ينافيها، وقيل النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والأذن لمن أمن منه ذلك، ومنهم من أعلَّ حديث أبي سعيد وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره"^(٢).

سادساً: السيوطي (ت ٩١١هـ)

وقال السيوطي: "وقد اختلف في الجمع بينهما، وبين حديث أبي سعيد السابق كما أشار إليه المصنف بقوله: فالإذن لمن خيف نسيانه، والنهي لمن أمن النسيان، ووثق بحفظه، وخيف اتكاله على الخط إذا كتب، فيكون النهي مخصوصاً... أو نهى عنه حين خيف اختلاطه بالقرآن، وأذن فيه حين أمن ذلك فيكون النهي منسوخاً. وقيل: المراد النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فربما كتبوه معها، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه. وقيل النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه، والإذن في غيره. ومنهم من أعلَّ حديث أبي سعيد، وقال: الصواب وقفه عليه، قاله البخاري وغيره"^(٣).

سابعاً: الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)

وقال الصنعاني: وقد اختلف في الجواب عن حديث أبي سعيد الدال على النهي عن الكتابة والجمع بينه وبين أحاديث الأذن في الكتابة، كحديث أبي شاة فأجيب بجوابات ثلاثة، الأول ما أفاده قوله: فقيل إن النهي منسوخ بها، وكان النهي في أول الأمر لخوف اختلاطه بالقرآن أي بسبب أنه لم يكن قد اشتد إلف الناس بالقرآن الكريم، ولم يكثر حفاظه والمتقنون له بعد، فلما ألفه الناس وعرفوا أساليبه وكمال بلاغته وحسن تناسب فواصله وغايته صارت لهم

(١) الثَّوَوِي، صحيح مسلم بشرح الثَّوَوِي موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، م، ٤، ج ١٨، ص ١٢٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٧٥.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب الثَّوَوِي، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

ملكة يميزونه بها من غيره، فلم يخشى اختلاطه بعد ذلك، فلذا قال: فلما أمن ذلك أذن فيه، وهذا الجواب جنح إليه ابن شاهين، فإن الأذن لأبي شاة كان في فتح مكة، قال الحافظ: وهو أي هذا الجمع أقربها. أما الثاني: فهو في حق من وثق بحفظه وهذا كما قال ثعلب: إذا أردت أن تكون عالماً فاكسر القلم، والأذن لمن لم يثق. والثالث: النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فربما كتبوه معه. وهذا ما جنح إليه الصنعاني^(١).

الرأي الراجح من وجهة نظري:

إن المتأمل للأقوال التي نكرها العلماء سابقاً للتوفيق بين أحاديث النهي والإباحة، يجد أن كل قول منها يصلح لأن يكون سبباً من أسباب المنع من الكتابة، وأن كل عالم نظر إلى المنع من زاوية معينة كانت لها صلة بالزمان والمكان، لذا فإن قضية النهي عن الكتابة أو الأذن به مرتبطة بقضية هامة وهي قيام الموانع واختفاء مقتضى، بمعنى أنه متى قامت الموانع واختفى المقتضى لكتابة الحديث النبوي الشريف كانت أخبار النهي تطالعنا سواء في العصر النبوي أو بعده، وأنه متى سقط مانع من الموانع أو ظهر مقتضى من المقتضيات لتدوين الحديث النبوي الشريف كانت أخبار الإباحة والأذن تطالعنا سواء في العهد النبوي أو بعده^(٢). والله أعلم.

ومما لاشك فيه أن هذا الاختلاف كان في أول الأمر، ثم زال الخلاف وتبين الحاجة لها، فأجمعوا على جواز كتابته، قال ابن الصلاح: "ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة"^(٣). وقال في تنقيح الأنظار: "وبالجملة فلو تركت الكتابة في الأعصار الأخيرة لكان ذلك سبيلاً إلى الجهل بالشرعية وموت كثير من السنن"^(٤).

قلت: بعد أن اطمأن الصحابة - رضوا - إلى حفظ القرآن الكريم وعدم الخشية من انشغال الناس عنه مع حاجتهم إلى السنة النبوية الشريفة، كانوا لا يستكفون عن كتابة السنة النبوية الشريفة، وبالتالي يكون قد استقر أمر الصحابة - رضوا - وأمر الأمة على جواز كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه.

المطلب الخامس: أشهر الصحف التي كتب فيها الحديث النبوي الشريف في عهد

النبي ﷺ

لقد ثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع من كتب الأخبار والتراجم أن بعض الصحابة - رضوا - قد كتبوا في عهده - ﷺ - بعض الأحاديث النبوية الشريفة في صحف خاصة، إما

(١) توضح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ٢، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) المتولي، علم الحديث النبوي، ص ٢٢.

(٣) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٨٨.

(٤) الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ١، ص ٣٦٥.

بإذن منه لهم لأمر خاصة بهم، أو عندما زال المانع من نهيه - ﷺ - لأصحابه عن تدوين سنته حين أمن التباس القرآن الكريم بالسنة الشريفة^(١).

لذا أسفرت هذه الحقبة من الزمن عدداً من الصحف تعدُّ دليلاً على كتابة السنة النبوية في عهده - ﷺ - بل منها ما أمر - ﷺ - بكتابته، ومهره بخاتمة الشَّريف - وفي عهد الصحابة - كانت عاملاً مساعداً ومهماً مع الحفاظ في الصدور على حفظ السُّنة النبوية الشريفة وسلامتها، وهذه الصحف منها ما أمر الرسول - ﷺ - بكتابته، ومنها ما كتبه الصحابة مع علم رسول الله - ﷺ - بذلك^(٢). لذا كانت هذه الصحف النواة الأولى لما صنف في القرنين الثاني والثالث الهجريين من الجوامع والمسانيد والسنن وغيرها^(٣).

ويتضح من ذلك أن ما كتب من حديث رسول الله - ﷺ - في عهده لم يكن قليلاً، إذ تناول أموراً على جانب كبير من الأهمية الكبرى تتناول تعاليم الإسلام، وأحكاماً دقيقة، مما يجعل الكتابة في هذه الفترة عنصراً هاماً في حفظ الصحابة - ﷺ - للحديث النبوي الشريف تحملاً حافظاً أميناً كافلاً بأن يؤدوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ^(٤)، ومن أمثلة هذه الصحف ما يلي:

١. صحيفة النَّبي - ﷺ - التي أبرمت بين المسلمين واليهود وعرب المدينة: وهي التي كتبها بين المهاجرين، والأنصار، واليهود، في السنة الأولى من الهجرة وتتضمن مواداً دستورية للدولة الجديدة، تبين حقوق المهاجرين والأنصار ومن تبعهم واليهود وغيرهم، وهذه الصحيفة صُدِّرت بلفظ الكتابة، وذكرت في طياتها كلمة "الصحيفة" سبع مرات، ففي مقدمتها تقول: "هذا كتاب من محمد النَّبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس..."^(٥).

٢. صحيفة علي بن أبي طالب عليه السلام: وهي صحيفة صغيرة تشتمل على العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر وقد أخرجها البخاري عن أبي جحيفة حيث قال: قلت لعلي: "هل عندكم كتاب قال لا إله إلا الله أو فهدم أعطيته رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة قال قلت فما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر"^(٦).

(١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٠٠.

(٢) عبد الهادي، السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) الزهراني، محمد بن مطر، تدوين السنة النبوية نشأتها وتطورها من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٧٨.

(٤) عبد الغفار، أحمد، دراسات في الحديث الشريف السُّند والمقنن، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠.

(٥) حميد الله، محمد الحيدر أبادي، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٨ م، ص ١٥.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم ١١١، ص ٣٣.

٣. الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ - ٦٥ هـ): وهي التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان يعتز بها ويقول: "مَا يُرْعَبُنِي فِي الْحَيَاةِ إِلَّا الصَّادِقَةُ وَالْوَهْطُ"^(١)، وهي التي كتبها بعد إذن الرسول - ﷺ - له بالكتابة، فلقد ورد عنه أنه قال: هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله - ﷺ - وليس بيني وبينه فيها أحد^(٢)، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده قسماً كبيراً منها^(٣)، هذا وقد رأى مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) هذه الصحيفة عند عبد الله بن عمرو^(٤)، ويغلب على الظن أن عمرو بن شعيب (ت ١٢٠ هـ)، حفيده لعبد الله بن عمرو كان يروي أحاديث هذه الصحيفة.

٤. صحيفة أبي موسى الأشعري (ت ٥٠ هـ)^(٥).

٥. صحيفة أبي سلمة نبيط بن شريط الأشجعي الكوفي. قال الدكتور أكرم العمري وهي مخطوطة في دار الكتب الظاهرية^(٦).

٦. كتاب أبي رافع مولى النبي - ﷺ - وفيه استفتاح الصلاة^(٧).

٧. كتب أبي هريرة - رضي الله عنه (ت ٥٩ هـ): وقد طبعت بتحقيق محمد حميد الله^(٨).

٨. الصحيفة الصحيحة لهما بن منبه (ت ١٣١ هـ): دوتها ورواها عن أبي هريرة وتضم (١٣٨) حديثاً، وقد ذكرت الصحيفة ضمن ما كتبه الصحابة - رضي الله عنهم - لأنها في الحقيقة لأبي هريرة - رضي الله عنه^(٩). لذا فإن هذه الصحيفة جديرة كما ورد في كشف الظنون باسم "الصحيفة الصحيحة" على مثال ما سميت به صحيفة عبد الله بن عمرو بالصحيفة الصادقة^(١٠).

٩. صحيفة سعد بن عباد الأنصاري (ت ١٥ هـ): وقد أخرجها الترمذي في جامعه عن ابن سعد بن عباد حيث قال: "وَجَدْنَا فِي كِتَابِ سَعْدِ بْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَصِي بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ

(١) ابن الأثير، أسد الغاية في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣٤٩، وانظر ابن سعد: كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢٥.
(٢) الوهط: أرض وقفها أبوه عمرو بن العاص في الطائف، كان عبد الله يقوم على رعايتها، وانظر سنن الترمذي، باب من رخص في كتابه العلم، حديث رقم ٤٩٩، ص ٩٣.
(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٩، ص ٣٤٩. وانظر البغدادي: تقييد العلم، ص ٨٤.
(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٨ - ٥٥.
(٥) العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤، ص ٢٩٥.
(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٢٩٥.
(٧) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٣٠.
(٨) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٢٩٤.
(٩) المرجع السابق نفسه، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.
(١٠) صالح، لمحات في أصول الحديث، ص ٦٤.

قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَجَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسُرَّقَ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ الْوَاحِدِ ^(١).

١٠. صحيفة عبد الله بن أبي أوفى: لقد أشار البخاري - رحمه الله - في صحيحه إلى بعض منها في كتاب الجهاد ^(٢).

١١. صحيفة سمرة بن جندب (ت ٦٠ هـ): كتب فيها أحاديث كثيرة رواها عنه ابنه سليمان ^(٣)، ومن المحتمل أن تكون هذه الصحيفة هي الرسالة التي كتبها سمرة إلى بنيه، حيث قال فيها محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ): في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير ^(٤).

١٢. صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨ هـ): قال الذهبي في ترجمة جابر رضي الله عنه: "حمل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - علماً كثيراً نافعاً، وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم" ^(٥). وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨ هـ) عن صحيفة جابر: "لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني من سورة البقرة" ^(٦).

١٣. كتبه - صلى الله عليه وسلم - إلى امرائه وعماله فيما يتعلق بتدبير شؤون الأقاليم الإسلامية وأحوالها، وفي بيان أحكام الإسلام، وهي كتب كثيرة تشتمل على مهمات أحكام الإسلام وعقائده، وخطوطه العريضة، وبيان الأنصبة والمقادير الشرعية للزكاة، والديات والحدود والمحرمات وغير ذلك، ومن هذه الكتب ^(٧).

أ. كتاب الزكاة والديات الذي كتب به أبو بكر الصديق وأخرجه البخاري في صحيحه ^(٨)، وقد روى الترمذي ^(٩) وأبو داود ^(١٠): "كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَ الصَّدَقَةِ فَلَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى عَمَلِهِ حَتَّى قُبِضَ فَقَرَأَهُ بِسَيِّفِهِ فَعَمِلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى قُبِضَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ عُمَرُ حَتَّى قُبِضَ".

ب. كتابه لعمر بن حزم عامله على اليمن وفيه أصول الإسلام، وطريق الدعوة إليه، والعبادات، وأقضية الزكاة والجزية والديات ^(١١).

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد، حديث رقم ١٣٤٣، ص ٢٣٥، وقال الألباني: صحيح.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الصبر عند القتال، حديث رقم ٢٨٢٣، ص ٥٠٥.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٩٨.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٣٦.

(٥) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١١، ما نظر الذهبي: كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٤٣.

(٦) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ١٨٢.

(٧) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٤٧ - ٤٨.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، حديث رقم ١٤٥٤، ص ٢٨٦.

(٩) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الإبل والغنم، حديث رقم ٦٢١.

(١٠) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم ١٥٦٧، ص ١٨٥، وقال الألباني: صحيح.

(١١) أبو عبيد بن سلام، كتاب الأموال، ص ٣٥٧ - ٣٦٠.

ج. كتابة إلى وائل بن حجر لقومه في حضرموت باليمن، فيه الأصول العامة للإسلام وأهم المحرمات^(١).

١٤. كتبه - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك والعظماء وإلى أمراء العرب، يدعوهم فيها إلى الإسلام، مثل كتابه إلى هرقل^(٢) ملك الروم، وإلى المقوقس عظيم مصر وغيرهما^(٣).

١٥. كتب أمر بها - صلى الله عليه وسلم - لأفراد من أصحابه لمناسبات ومقتضيات مختلفة: مثل كتابه "لأبي شاة"^(٤).

وغيرها من الصحف الكثيرة التي يصعب حصرها، التي تثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع، أن السنة النبوية الشريفة قد كانت مدونة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - خلافا لما يزعمه بعضهم من أنها لم تكون إلا في القرن الثاني للهجرة^(٥). وفي هذا إثبات كاف لإثبات تواتر الكتابة في عهده صلى الله عليه وسلم، وإثبات أن ما كتب في عهده - صلى الله عليه وسلم - تناول قسماً كبيراً من حديثه، هو أهم هذه الأحاديث وأدقها لاشتمالها على أمهات الأمور ذات الأهمية، وعلى أحكام دقيقة تتعلق بالأحكام تحتاج إلى ضبط دقيق، مما يجعل الكتابة عنصراً ووسيلة هامة في حفظ الصحابة لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينضم إلى الوسائل الأخرى^(٦). ليدعمها ويؤازرها في تحقيق تحمل الصحابة - رضي الله عنهم - للحديث النبوي الشريف تحملاً أميناً كاملاً أن يؤدوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب السادس: أسباب عدم تدوين الحديث النبوي الشريف في عهد النبي - ﷺ - وصحابته

إن السنة النبوية الشريفة كانت تكتب في عهده - ﷺ - وبعلمه، لكن هذه الكتابة لم يقصد بها أن تقدم للناس في كتاب كالقرآن الكريم، لذا كان الرسول ﷺ، يطلب منهم الحفظ لا الكتابة؛ لأنهم كانوا يجيدون الحفظ، ودليل ذلك عندما جاءه وفد عبد القيس قال لهم: "اخفظوه وأخبروه من وراءكم"^(٧)، لذا لم يوجه الخلفاء الراشدون ولا كبار الصحابة - رضي الله عنهم - عنايتهم لجمع السنة الشريفة في أيامهم في كتاب واحد كما فعلوا بالقرآن الكريم، ولو كانوا جمعوها في كتاب لكان حسناً، لكنهم لم يقدموا على ذلك لأسباب عديدة منها:

(١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٨٧، ص ٣٤٩، ص ٣٥١.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: مرسله، حديث رقم ٧، ص ٩.
(٣) عتر، منهج النقدي علوم الحديث، ص ٤٨.
(٤) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، حديث رقم ٣٦٤٩، ص ٤٠٣، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.
(٥) عتر، معالم السنة النبوية، ص ٧٩.
(٦) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٤٨.
(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تخريص النبي صلى الله عليه وسلم وقد عبد القيس على أن يحفظوا القرآن والعلم ويخبروا من وراءهم، حديث رقم ٨٧، ص ٢٩.

١. فشوا الأمية عند العرب فهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب^(١).
٢. عدم توفر أدوات ووسائل الكتابة وندرتها، وصعوبة تأمينها^(٢).
٣. اهتمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - من بعده بالقرآن الكريم، وتوفيرهم على حفظه وتلاوته ودراسته صرفتهم عن الاهتمام بتدوين الحديث النبوي الشريف^(٣).
٤. الخوف والخشية من التباس القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة^(٤).
٥. لورود النهي عن كتابة الحديث النبوي الشريف لقوله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ " ^(٥). فكان النهي بمثابة إشحاذ لهم، وتقوية للعزائم لحفظ الأحاديث والسنن الشريفة، وتبليغها للغير باللفظ إن أمكن وإلا فبالمعنى^(٦).
٦. لسعة حفظهم، وسيلان أذهانهم، واعتمادهم على الحفظ والضبط في القلوب لا على الكتابة في السطور^(٧)، لاسيما وأن الكذب لم يعرف بعد ولم يكن يخطر ببال أحد.
٧. كان تدوين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، ومعاملاته، يحتاج إلى تفرغ عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، وفي ذلك من المشقة والحرص ما فيه، فقد كان الكاتبون قلة يعدون على الأصابع، فضلا عن انشغالهم بكتابة القرآن الكريم^(٨).
٨. ضعف البواعث النفسية عند أكثرهم على كتابة الحديث النبوي الشريف^(٩).
٩. أن الممالك التي افتتحها المسلمون كانت لا تزال حديثة عهد بالإسلام وباللغة العربية لغة الفاتحين، ولم يشأ الصحابة - رضي الله عنهم - أن يشغلوا أذهان الناس بشيء سوى القرآن الكريم، ولو قنموا للناس كتابين، فقالوا هذا قرآن كريم وهذه سنة نبوية شريفة، إذن لوقع الناس في الالتباس^(١٠). ولذلك أنشد عمر بن الخطاب الناس - رضي الله عنه - أن يأتوه بما كتبوا من الحديث، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال: منة كمثاة أهل الكتاب^(١١).

(١) أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ٥١.

(٢) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ١٤٦.

(٣) جملز، محاضرات في علوم الحديث، ص ٣١.

(٤) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٥، ص ٨٤٨، طبعة دار الشعب بالقاهرة.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم ٧٥١١، ص ١٢٩٧.

(٦) أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ٥١.

(٧) عبيدات، تاريخ الحديث ومناهج المحدثين، ص ٢٠.

(٨) الرمحي وآخرون، علوم الحديث، ص ٢٥.

(٩) عبيدات، تاريخ الحديث ومناهج المحدثين، ص ٢٠.

(١٠) المرسي، كتابة الحديث النبوي وجمعه وتكوينه، ص ٥٧.

(١١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٥.

١٠. أن الحديث عن رسول الله - ﷺ - في أيامهم القريبة العهد به لم يحتج إليه وذلك لكثرة الصحابة - رضي الله عنهم - في الزمن الأول، واشتغالهم بالعبادة والأسفار في الجهاد حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - شيء كثير^(١).

١١. بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقعت الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - وقامت الحروب، وانقسم المسلمون شعباً فلم تسمح الظروف المضطربة بعملية جمع الحديث النبوي الشريف وتكوينه في الكتب^(٢).

١٢. خوف الصحابة - رضي الله عنهم - من أن يقع الناس فيما وقع فيه أهل الأديان السابقة حيث هجروا كتاب الله وضلوا بكتب وروثها عن آبائهم^(٣).

١٣. لقد كان من منهج الصحابة - رضي الله عنهم - الإقلال من الحديث النبوي الشريف قدر الإمكان، فكيف يحبذون كتابة الحديث النبوي الشريف؟ لذلك تورعوا عن الأقدام على هذا الأمر إتقاءً للوقوع في الخطأ وسداً لذرائع الاختلاف بين المسلمين^(٤).
لهذه الأسباب، وغيرها لم يدون الحديث النبوي الشريف في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصدر الأول للإسلام، ومع ذلك فقد كان هناك أفراد يكتبون في مذكرات خاصة بهم بعض ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥).
إن: لم تدون السنة النبوية الشريفة في القرن الهجري الأول، وإنما كانت مسطورة على صفحات القلوب فكانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي الشريف ، ومصدر الفتاوى ، ومبعث الحكم والأخلاق^(٦).

المطلب السابع: الآثار الدالة على كتابة الصحابة - ﷺ - بعضهم إلى بعض وحثهم لتلاميذهم على كتابة الحديث النبوي الشريف وتقييده

بقي أمر كتابته الحديث النبوي الشريف بعد وفاة الرسول - ﷺ - موضع خلاف بين الصحابة - ﷺ - بين النهي عن الكتابة نظراً لبقاء علة النهي، وهي الخوف من انشغال وإنكباب المسلمين بالحديث النبوي الشريف وكتابته عن القرآن الكريم وحفظه. وكان هذا الاتجاه قوياً في صدر الخلافة الراشدة^(٧)، ومن أجل ذلك كله اختلفت الصحابة - ﷺ - في كتابة

(١) المرسي، كتاب الحديث النبوي وجمعه وتكوينه، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٥٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٥٦.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٥٧ - ٥٨.

(٥) الرمحي، سعيد بن حميد بن صقر، والرواحي سالم بن محمد، والعتبي، محمد بن عبد الله، علوم الحديث، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب لسلطنة عُمان، ص ١١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٢٦.

(٦) الخولي، مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، ص ١٦.

(٧) سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص ٤٢.

الحديث النبوي الشريف، لما روي من أحاديث في النهي والإباحة، قال ابن الصلاح: "اختلف الصدر الأول - ﷺ - في كتابة الحديث النبوي الشريف، فمنهم من كره كتابة الحديث النبوي الشريف والعلم وأمروا بحفظه، ومنهم من أجاز ذلك" (١).

وممن ذهب إلى كراهة ذلك وقال أنه ممتنع غير جائز طائفة منه: عمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى، وأبو سعيد الخدري (٢)، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس، وآخرون من الصحابة ﷺ (٣) وقد أوضح كل هؤلاء الصحابة - ﷺ - أن سبب كراهته كتابة الحديث النبوي الشريف هو الخوف من انشغال الناس بها وانصرافهم عن القرآن الكريم (٤).

ومع كل هذا فقد ظهرت محاولات لتدوين الحديث النبوي الشريف من قبل بعض الصحابة - ﷺ - الكارهين لكتابة الحديث النبوي الشريف، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١. أبو بكر الصديق: إنَّ أبا بكر الصديق حاول أن يجمع أحاديث النبي - ﷺ - في كتاب واحد، وفي الخبر الذي ترويه عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: "جمع أبي الحديث عن النبي - ﷺ - وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت: فغممني، فقلت: أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني" (٥).

٢. عمر بن الخطاب: وقد ظهرت الحاجة إلى تدوين الحديث النبوي الشريف في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستشار أصحابه وظل يدرس الأمر حتى شرح الله صدره لمنع كتابته حتى لا يشتغل الناس بالسنة النبوية الشريفة عن القرآن الكريم (٦). وفي هذا يقول عبد الله بن الزبير - ﷺ - هم الفاروق وأراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي - ﷺ - في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن اكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً" (٧). ثم كتب عمر بن الخطاب - ﷺ - إلى الأمصار: "من كان عنده شيء فليمح" (٨).

(١) ابن الصلاح، مقننة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٨٨.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٣٥٦.

(٤) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٢٩٣.

(٥) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥.

(٦) زيدان وعبد الله، علوم الحديث، ص ٧٦.

(٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٤، وانظر أيضاً السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص ٣٥٨.

(٨) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٥.

٣. علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حيث ورد عنه أنه قال: " أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاها، فإنما هلك الناس حين اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم "(١).

٤. عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها، وقال: "بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون"(٢).

٥. أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: عن أبي نظرة قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتب ما نسمع منك؟ قال: "أتريدون أن تجعلوها مصاحف؟ إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ"(٣).

٦. روى معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: "أخرج إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أن خط أبيه بيده"(٤).

وكان على هذا النهج كثير غيرهما من أصحاب النبي ﷺ، على أننا نرى أن في محاولتهم كتابة السنة النبوية الشريفة دليلاً على اعتقادهم جواز ذلك، كل ما في الأمر خشيتهم التي صرحوا بها ولمحوا إليها: أن ينشغل الناس عن كتاب الله تعالى(٥). واستمر الأمر على ذلك: البعض يكتب والبعض لا يكتب حتى أصبحت الكتابة ضرورة ملحة لحفظ السنة الشريفة، بعد أن كان الانتهاء ضرورة لحفظ القرآن الكريم(٦). لذلك نجدهم بعد أن اطمأنوا إلى حفظ القرآن الكريم، ولمسوا الحاجة إلى كتابه السنة النبوية الشريفة نجدهم لا يستكفون عن الكتابة، لذلك لما انتشر الإسلام واتسعت البلاد بعد فتحها شرقاً وغرباً، وشاع الابتداع وتفرق الصحابة في الأمصار ومات كثير منهم وقل الضبط دعت الحاجة إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة(٧)، فكتب الصحابة - ﷺ - الحديث الشريف، وممن رويناه عنه إياحه ذلك أو فعله: عمر، وعلي، وابنه الحسين، وابن عمرو، وأنس، وجابر، وابن عباس، وابن عمر أيضاً(٨)، وفي رواية الحسن(٩)، وقال البلقيني: "أعلى من روي عنه ذلك من الصحابة عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، روي عن عمر أنه قال: قيدوا العلم بالكتابة، ونحوه عن عثمان"(١٠). وكذلك عبد الله بن عمرو بن العاص، في آخرين من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٣.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٥.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٧٤.

(٥) البغيا، بحوث في علوم الحديث ونصوصه، ص ٤٩.

(٦) عامر، علوم السنة وعلوم الحديث دراسة تاريخية - حديثية - أصولية، ص ٨٥.

(٧) الخولي، محمد عبد العزيز، مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، دار الكتب العلمية، ط ٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢١.

(٨) ابن الصلاح، مقننة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٨٨. وانظر السيوطي: تريب الراوي في شرح تقريب التواوي، ص ٣٥٦.

(٩) الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ٢، ص ٣٦٤.

(١٠) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣٦٤.

ولقد جاءت آثار كثيرة عن الصحابة - ﷺ - تدل وتشير إلى أنهم كانوا يكتبون الحديث بعضهم إلى بعض ويحثون تلاميذهم على كتابة الحديث النبوي الشريف وتقييده، والأمثلة على ذلك كثيرة سأكتفي ببعض منها لإعطاء الصورة النقية الصافية على جواز كتابة الحديث النبوي الشريف وإليك بعضها منها:

١. ما روي عن أنس بن مالك أنه قال: " أَنْ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ لَهُ فَرِيضَةَ الصَّدَقَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبَالِ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ فَإِلَيْهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِقَّةُ وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ إِنْ اسْتَيْسَرَ لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ الْحِقَّةُ وَالْجَذَعَةُ فَإِلَيْهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْجَذَعَةُ وَيُعْطِيهِ الْمُصَدَّقُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتَيْنِ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ إِلَّا بَنْتُ لَبُونٍ فَإِلَيْهَا تُقْبَلُ مِنْهُ بَنْتُ لَبُونٍ وَيُعْطِي شَاتَيْنِ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بَنْتُ لَبُونٍ وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ فَإِلَيْهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِقَّةُ وَيُعْطِيهِ الْمُصَدَّقُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتَيْنِ وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بَنْتُ لَبُونٍ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ بَنْتُ مَخَاضٍ فَإِلَيْهَا تُقْبَلُ مِنْهُ بَنْتُ مَخَاضٍ وَيُعْطِي مَعَهَا عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتَيْنِ " (١).

٢. ما روي عن عمرو بن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: " قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ " (٢).

٣. وما روي عن علي - ﷺ - أنه قال: "مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهَمٍ، قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: يَقُولُ: يَشْتَرِي صَحِيفَةً بِدِرْهَمٍ يَكْتُبُ فِيهَا الْعِلْمَ" (٣)، وفي رواية ابن سعد: "قَاشَتَرَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ صَحْفًا بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا عَلِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ عِلْمًا كَثِيرًا" (٤).

٤. وما روي عن بشير بن نهيك أنه قال: " كُنْتُ أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفَارِقَهُ أَتَيْتُهُ بِكِتَابِهِ فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَذَا مَا سَمِعْتُ مِنْكَ؟ قَالَ : نَعَمْ " (٥).

٥. وما روي عن الربيع بن سعد أنه قال: رأيت جابرًا يكتب عند ابن سابط في ألواح (٦)، وكتب جابر بن عبد الله - ﷺ - صحيفة اشتهرت فيما بعد بصحيفة جابر بن عبد الله، وقيل: إن مجاهد بن جبر كان يحدث منها (٧).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، حديث رقم ١١١، ص ٢٢٢، وانظر البغدادي: تقييد العلم، ص ٨٧.

(٢) الدارمي، سنن الدارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٥٥٠١، ج ١، ص ١. وانظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٨٧.

(٣) البغدادي، تقييد العلم، ص ٨٧.

(٤) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ١١٦.

(٥) الدارمي، سنن الدارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٤٩٧، ص ٩٣.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٨٧.

(٧) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، ص ١٢٠، نقلًا عن كتاب توثيق السنة في القرن الثاني الهجري" للدكتور رفعت فوزي، ص ٥٢.

٦. وما روي عن عمرو بن أمية الضمري أنه قال: تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره، قلت: إني قد سمعته منك فقال: إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد ذلك الحديث، فقال: قد أخبرتك إني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي^(١).

٧. وما رواه سعيد بن جبر أنه قال: كُنْتُ أَجْلِسُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَكْتُبُ فِي الصَّحِيفَةِ حَتَّى تَمْتَلِي، ثُمَّ أَقْلِبُ نَعْلِي فَأَكْتُبُ فِي ظُهُورِهِمَا^(٢).

٨. وعن سعيد بن جبر أيضاً أنه قال: "كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي طَرِيقٍ مَكَّةَ لَيْلًا، وَكَانَ يُحَدِّثُنِي بِالْحَدِيثِ فَأَكْتُبُهُ فِي رَاسِطَةِ الرَّحْلِ حَتَّى أَصْبَحَ فَأَكْتُبُهُ"^(٣).

٩. وما روي عن ابن عباس أنه قال: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ"^(٤)، وفي رواية أخرى أنه قال: "خير ما قيد به العلم الكتاب"^(٥)، وفي رواية ثالثة عن عبيد الله بن أبي رافع قال: كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها^(٦).

١٠. وما روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - أنه جمع بينه وبين أخيه فقال "يا بني وبني أخي إنكم اليوم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويّه، فليكتبه، وليضعه في بيته"^(٧).

١١. وعن هبيرة بن عبد الرحمن أنه قال: كانوا إذ أكثروا على أنس بن مالك في الحديث، أتاهم بمجال فقال: هذه كتبها ثم قرأتها على رسول الله ﷺ^(٨)، وفي رواية أخرى هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله ﷺ، وعرضتها عليه^(٩).

١٢. وما رواه الحسن بن جابر أنه سأل أبا أمامة عن كتابة العلم فقال: لا بأس بذلك^(١٠).

١٣. وما روي عن عبد الله بن حنش أنه قال: "رَأَيْتُهُمْ يَكْتُبُونَ عِنْدَ الْبَرَاءِ بِأَطْرَافِ الْقَصَبِ عَلَى أَكْفِهِمْ"^(١١).

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٩٠.
(٢) الذارمي، سنن الذارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٥٠٤، ص ٩٤.
(٣) الذارمي، سنن الذارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٥٠٢، ص ٩٤.
(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٨٧.
(٥) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٢.
(٦) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩١ - ٩٢.
(٧) الذارمي، سنن الذارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٥١٤، ص ٩٥.
(٨) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٥.
(٩) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٥.
(١٠) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٨.
(١١) الذارمي، سنن الذارمي، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم ٥٠٦، ص ٩٤.

١٤. وكتب عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسله إلى بعض أصحابه^(١).
١٥. وجمعت أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - بعض أحاديثه صلى الله عليه وسلم^(٢).
١٦. وكتب أسيد بن حضير الأنصاري - رضي الله عنه - بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان، وأرسله إلى مروان بن الحكم^(٣).
١٧. وكتب جابر بن سمرة - رضي الله عنه - بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بها إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص بناء على طلبه ذلك منه^(٤).
١٨. وكتب زيد بن أرقم - رضي الله عنه - بعض الأحاديث النبوية الشريفة وأرسل بها إلى أنس بن مالك رضي الله عنه^(٥).
١٩. وكتب زيد بن ثابت في أمر الجد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وذلك بناء على طلب عمر نفسه^(٦).
٢٠. وجمع سمرة بن الجندب ما عنده من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث به إلى ابنه سليمان، وقد اتى الإمام محمد بن سيرين على هذه الرسالة فقال: في رسالة سمرة إلى ابنه علم كثير^(٧).
٢١. وكتب عبد الله بن أبي أوفى بأحاديث رسول الله - ﷺ - إلى عمر بن عبيد الله^(٨).
وروي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنها - أنه كتب الكثير من سنة الرسول - ﷺ - حتى قيل عنه إنه خلف حمل بعير بعد وفاته^(٩). قال موسى بن عقبة: "وضع كريب - مولى ابن عباس - عندنا عدل بعير من كتب ابن عباس"^(١٠).
والأمثلة على هذا كثيرة في تأكيد أن الصحابة - رضي الله عنهم - بدأ يكثر فيهم من يكتب الحديث شيئاً فشيئاً. وهكذا نجد أن تدوين السنة بدأ في العهد النبوي على نطاق ضيق،

(١) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، ص ١٢١، نقلا عن كتاب توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للكتور رفعت فوزي، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣.

(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٤) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٨٩، وانظر القشيري: صحيح مسلم، كاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، حديث رقم ١٨٢٢، ص ٤٧٩.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٧٠ - ٣٧٤، وانظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٤.

(٦) الدارقطني، سنن الدارقطني، حديث رقم ٤٠٩٥، ص ٥٢، وقال المحقق إسناده حسن.

(٧) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في النور، حديث رقم ٤٥٦، ص ٧٤، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، حديث رقم ٨١٨، ص ٥٠٣.

(٩) المتولي، علم الحديث النبوي، ص ٢٥.

(١٠) ابن العماد، الخليلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق الجديدة ببغروت، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ١، ص ١١٤.

وربما كان في أول الأمر لحالات خاصة، ثم اتسع بعض الشيء على ضيق حدوده، وبقي أول عهد الصحابة - ﷺ - ثم بدأ يأخذ طريقه إلى الاتساع، ليصل إلى أوجه أيام التابعين^(١). لذا جاء إجماع الأمة القطعي بعد قرينة قاطعة على أن الأذن بالكتابة هو الأمر الأخير، وهو إجماع ثابت بالتواتر العملي، عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

وهكذا فإن كتابة الحديث النبوي الشريف قد شاعت بين الصحابة - رضي الله عنهم - حتى كان الكاتبون منهم أكثر من الناهين عن ذلك^(٣).

فهؤلاء هم أصحاب محمد - ﷺ - كانوا يكتبون السنة النبوية الشريفة أو يأمرؤن بكتابتها أو يملونها على الآخرين، وغيرهم من الصحابة كثير جداً ولكني اكتفيت بهذا القدر لضيق المقام^(٤) مما يثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن السنة الشريفة دونت في صدر الإسلام.

المطلب الثامن: أسباب كتابة الحديث النبوي الشريف

عرفنا فيما مضى أن السنة النبوية الشريفة لم تدون تدويناً عاماً في عهد الصحابة - رضي الله عنهم - لعدم الحاجة إلى ذلك، فالحديث متوفر محفوظ، بوجود الصحابة - رضي الله عنهم - حرّاس الحديث النبوي الشريف، يروونه للتابعين ويتداولونه فيما بينهم، ولما خيف على الحديث النبوي الشريف أن يندرس ويذهب بذهاب العلماء، ظهرت الحاجة الملحة إلى كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه^(٥). قال ابن الصلاح: "ثم زال ذلك الخلاف، واجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة"^(٦). ومن هنا فقد حُكي إجماع العلماء في الأعصار المتأخرة على تسويغ كتابة الحديث النبوي الشريف. وهذا أمرٌ مستفيض، شائع ذائع، من غير نكير^(٧). قال العيني مبيناً وجه المناسبة بين "باب كتابة العلم"، و"باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم"، فقال: "وجه المناسبة بين البابين من حيث أن في الباب السابق حثاً على الاحتراز عن الكذب في النقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي هذا الباب أيضاً حث على الاحتراز عن ضياع كلام الرسول ﷺ، ولا سيما أن أهل هذا الزمان، لقصورهم في الضبط وتقصيرهم في النقل"^(٨). وأما عن أسباب وبواعث، ومقتضيات كتابة الحديث النبوي الشريف، فكان له أسباباً توافرت فيه نذكر منها:

(١) البغيا، بحوث في علوم الحديث ونصوصه، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) الأثرى، محمد رياض الأحمد، مصطلح الحديث، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

(٣) سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص ٤٢.

(٤) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة - ﷺ، ص ١٢١.

(٥) عتر، معالم السنة النبوية، ص ٨١.

(٦) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ١٧.

(٧) شاكر، الباحث الحديث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، ص ١٢٧.

(٨) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ٢٢٣.

١. زوال أسباب الكراهة، فالقرآن الكريم قد حفظ في الصدور، وجمع في السطور، وأصبح التمييز بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أمراً معروفاً وواضحاً، فلا وجه لاحتمال اللبس بينهما^(١).

٢. الخشية من ضياع الحديث النبوي الشريف، لأن الذاكرة القوية التي تميز بها العرب أخذت تضعف، وقد تفرق الناس في الأمصار الإسلامية المترامية الأطراف بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ولدى كل واحد منه علم، فأصبحت الحاجة ماسة لجمع أحاديث المصطفى ﷺ، حفاظاً عليها.

٣. ظهور ونشوء الوضع في الحديث النبوي الشريف بسبب الخلافات السياسية والمذهبية بعد الفتنة، وانقسام الناس إلى شيعة علي رضي الله عنه، وأتباع معاوية رضي الله عنه، وخوارج خرجوا عليهما معاً. حيث حرصت كل طائفة على تأييد مذهبها بتأويل على غير حقيقته، أو تحميل نصوص السنة الشريفة ما لا تحتمله بلي أعناق النصوص، وإذا عزّ علیم ذلك، نسبوها لرسول الله - ﷺ - وقولوه ما لم يقل دعماً لدعواهم، وكانت بوادر ذلك من طائفة الشيعة، أما خوارج فإنهم لا يستبيحون الكذب، ويكفرون بالكبيرة، فكيف بمن يستحل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: والقصد من ذلك هو صيانة الحديث النبوي الشريف بعد أن اتسعت روايته، من أن يختلط الصحيح فيه بالموضوع^(٢).

٤. استشهاد خلق كثير من حفظة الحديث النبوي الشريف في حركة الفتوح الإسلامية أو وفاتهم، فخشى الخليفة على العلم وذهاب أهله^(٣)، فكتب إلى عماله أبي بكر بن حزم على المدينة قائلاً: "انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثبه فإنني خفتُ دُروسَ العلم وذهابَ العلماء ولا تقبلوا حديثاً الثبيّ صلى الله عليه وسلم وتنفسوا العلم وتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً"^(٤). إذن هو الخوف على الحديث النبوي الشريف من الضياع بموت علمائه ورواته^(٥). وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث النبوي الشريف.

٥. اتساع البلاد وتفرق الصحابة - ﷺ - في الأقطار^(٦).

٦. المحافظة على اللفظ: فكانوا يكتبون ليحفظوا نفس اللفظ^(٧).

(١) القطن، مباحث في علوم الحديث، ص ٢٩.

(٢) سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص ٤٣.

(٣) المتولي، علم الحديث النبوي، ص ٢٧.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ص ٣١.

(٥) سعيد، التمهيد في علوم الحديث، ص ٤٣.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٢١.

(٧) عبد الهادي، السنة النبوية مكاتبتها، عوامل بقائها، تدوينها، ص ١١٤.

٧. قلة الضبط وطول الأسانيد وانتشارها، وكلال الأفهام.
قال الرامهرمزي: "فأما الوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والوهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى والدليل على وجوبه أقوى"^(١).
وقال القاضي عياض: "والحال اليوم داعية للكتابة لانتشار الطرق وطول الأسانيد وقلة الحفظ وكلال الأفهام"^(٢).
وهكذا أصبحت الحاجة ماسة لجمع الحديث النبوي الشريف وتدوينه تدويناً شاملاً^(٣).

المبحث الثاني

الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف

تمهيد

لم يعرف التاريخ أمة حافظت على سنة وحديث نبيها مثل الأمة الإسلامية، وقد ضرب الصحابة - ﷺ - أروع الأمثلة في الرحلة إليه أو إلى الصحابة من بعده - ﷺ، فقطعوا الفيافي الواسعة على ظهور الإبل، أو مشياً على الأقدام بغية استماع حديث صدر عنه - ﷺ - من حفظه أو من أعلى مصدر حي له^(٤) على الكرة الأرضية.
لذا لم يكتف الصحابة - ﷺ - أن يأتيهم الحديث في بيوتهم، فالعلم يؤتى ولا يأتي، بل يطلب ويرحل إليه، وينهل منه، مهما كلف من غال ونفيس، ومهما بذل في سبيله من متاعب الرحلة ومشاقها. بل تهون عليهم نفوسهم في سبيل نقل الحديث النبوي الشريف وروايته، ويرحلون إليه لأنهم في رحلة إلى الجنة^(٥)، قال ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ"^(٦)، ورحلته جهاد في سبيل الله تعالى، قال ﷺ: "مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ"^(٧).

هذا وقد رحل الصحابة - ﷺ - في طلب الحديث النبوي الشريف، فكانت رحلتهم في مرحلتين هما:

الأولى: الرحلة إليه ﷺ (في حياته).

(١) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٣٨٦.
(٢) اليحصبي، الأماح إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ١٤٩.
(٣) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ١٧٢.
(٤) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ٣٧٧.
(٥) عتر، معالم السنة النبوية، ص ٥٩.
(٦) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤١، ص ٤٠٣، وقال الألباني، هذا حديث صحيح.
(٧) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، حديث رقم ٢٦٤٧، ص ٤٢٩، وقال الألباني: هذا حديث ضعيف.

الثانية: رحلة الصحابة - ﷺ - بعد النبي ﷺ (بعد وفاته).

والآن ولنشرع في تتبع هاتين المرحلتين، حتى نعرف الجهود العظيمة، والجسارة التي بذلها الصحابة - ﷺ - في حفظ حديث رسول الله ﷺ، حتى أوصلوا لنا السنة النبوية الشريفة صافية خالية من كل شائبة فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وقبل البدء بهما لابد لنا من بيان معنى الرحلة ومفهومها، وحكمها ومشروعيتها، وأسبابها، وفوائدها.

المطلب الأول: مفهوم الرحلة

أ. الرحلة لغة:

الرحلة: بالكسر الارتحال يقال دنت رحلتنا^(١)، ويفتح الراء أي الواحدة، وأما بضمها، فالمراد به الجهة وقد تطلق على من يرتحل إليه^(٢). ورجل مُرحِل: كثير الرواحل^(٣)، وفي التنزيل العزيز: ﴿رَحَلَهُ الشِّتَاءُ وَالصَّيْفُ﴾ (قریش: ٢).

ومن هنا فالرحلة: ما يرتحل إليه يقال الكعبة رحلة المسلمين، وأنتم رحلتي، وعالم رحلة: يرتحل إليه من الآفاق^(٤).

ب. الرحلة اصطلاحاً:

هو انتقال طالب الحديث من بلد إلى آخر لتحصيل الحديث النبوي الشريف^(٥). وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نقول أن الرحلة هي: انتقال مجموعة متجانسة ذات علاقة معينة من مكانهم المعتاد اليومي إلى مكان آخر غير معتاد؛ بغية تحقيق أهداف معينة في فترة حقبة.

المطلب الثاني: مشروعية الرحلة وحكمها

إن الرحلة في طلب الحديث الشريف مهمة عظيمة وجليلة، فلا غرو أن نجد القرآن الكريم يحث ويحض عليها، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

وعندما سأل يزيد بن هارون حماد بن زيد قائلاً: "يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: نعم. ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٢)؟ فهذا في كل من رحل في طلب

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٣٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٤٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٣٥.

(٥) مجدي سليمان المشاعة، وأمنة عوض الحمدان، موحسن فرحان ربابعة، وعزيز صالح عليوه، ويوسف عبد الله الشريفي، دليل المعلم للثقافة الإسلامية المستويان الأول والثاني للمرحلة الثانوية، نشر وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٤٢.

العلم والفقه ورجع به إلى من وراءه، فعلمه إياه^(١). وعن أحمد بن حنبل أنه قال: سمعت عبد الرزاق يقول في تفسير الآية: "هم أصحاب الحديث"^(٢).

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: ﴿الْمُتَكَبِّرُونَ الْمَكِيدُونَ الْمُكِيدُونَ الْكَافِرُونَ الْأَكْفَرُونَ﴾ (التوبة: ١١٢) في قوله تعالى: ﴿الْمُتَكَبِّرُونَ الْمَكِيدُونَ الْمُكِيدُونَ الْكَافِرُونَ الْأَكْفَرُونَ﴾ (التوبة: ١١٢)، بقوله: "هم طلبة الحديث"^(٣).

وفي الحديث عن الرسول - ﷺ - أنه قال: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"^(٤)، وعن صفوان بن عسال المرادي قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ"^(٥).

وغيرها الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدث وتحض على الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف.

أما عن حكم الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف فهي واجبة شرعاً، وأحياناً فرض كفاية، ويستدلون على طلبها وفضلها بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، قال القاضي عياض: "فهذا أصل في وجوب العلم، والرحلة في طلب السنن"^(٦). ومن هنا نلاحظ أن الإسلام جعل خروج المرء لطلب العلم نظيراً لخروجه للجهاد في سبيل الله تعالى.

وقال أبو علي: "قطب العلم فريضة على كل مسلم، وقد أوجب الله الرحلة في طلب العلم"^(٧). وقال أبو بكر: "والطلب المفروض على كل مسلم إنما هو طلب العلم الذي لا يسع جهله فتجوز الرحلة بغير إذن الأبوين إذا لم يكن ببلد الطالب من يعرفه واجبات الأحكام، وشرائع الإسلام، فأما إذا كان قد عرف علم مفترض عليه، فتكره له الرحلة إلا بإذن أبويه"^(٨).

(١) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ١٠٢.

(٣) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ١٠٢ وانظر أيضاً كتابه الرحلة في طلب الحديث، ص ٨٧ - ٨٨.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ص ٢٥.

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم ٢٢٦، ص ٣٩، وقال الألباني:

هذا حديث صحيح.

(٦) اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٨٠.

(٧) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص ٣٨١.

(٨) المصدر السابق نفسه، ص ٣٨١.

قلت: كما أن القرآن الكريم دعا وأوجب الاستزادة من العلم، ومن أسباب ووسائل
تحصيل العلم والاستزادة منه الرحلة في طلبه، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).
ومن فضل الرحلة ما ورد عن النبي ﷺ - أنه قال: " وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ
اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " (١)، وما ورد عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: "إن الله يدفعُ البلاء عن هذه
الامة برحلة أصحاب الحديث" (٢).

لذا تعد الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل
العلمي (٣)، قال ابن الصلاح: "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى
غيره" (٤).

المطلب الثالث: فوائد الرحلة

لقد كان للرحلة في طلب الحديث في عهد النبي ﷺ - وصحابته - رضي الله عنهم -
فوائد كثيرة منها:

١. لقد كان للرحلة أثر كبير في شيوع العلم والحديث، وانتشاره في أمصار الإسلام
المترامية الأطراف، حتى أصبحت أمصار الإسلام كأنها بلد واحدة بل كأنها أفراد
أسرة واحدة (٥).

٢. أسهمت الرحلة في جمع الحديث النبوي الشريف وتمحيصه والتثبت فيه، فكان
للصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين أثر جليل في المحافظة على السنة النبوية الشريفة
وجمعها (٦).

٣. تفرق علم الصحابي في الأمصار: إن كثرة رحلة العالم عامل مهم في تفرق وتوزع
علمه في الأمصار، فما يحلُّ ببلدٍ إلا ويأخذ عنه أهل ذلك البلد ويستفيدون من علمه،
ولعله قد لا يتيسر لكثير من أهل تلك البلاد الرحلة إليه ولو لم يرحل العالم لخسروا
علمه، ولم ينتشر عندهم، لذا لم يتفرق علم الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمصار إلا بسبب
رحلات كثير منهم إليها، واستيطانهم لها، وخروج بعضهم للفتوحات والمراطة
بالتغور، فانتشر علمهم في تلك الأماكن والبلاد، وأفاد الناس منهم (٧).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم ٢٦٩٩، ص ٦٨٤.

(٢) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ١٠٢.

(٣) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١٧.

(٤) ابن الصلاح، مقننة ابن الصلاح في علوم الحديث.

(٥) الصباغ، الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتيبه، ص ٤٢.

(٦) الخطيب، السنة قبل التدوين، ط ١٨٢. وانظر عتر: معالم السنة النبوية، ص ١٧.

(٧) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ٤٧٦-٤٧٧.

٤. لم يصلنا هذا التراث الضخم من المصنفات الحديثية إلا بفضل هؤلاء الرجال من الصحابة - ﷺ - ومن تبعهم من التابعين الذين قضوا أعمارهم في جمع السنة النبوية الشريف وحفظها، وبذلوا في سبيل ذلك كل جهد قدروا عليه فكانوا - بحق - خير أمة أخرجت للناس، وكانوا جديرين بكل تقدير وإكرام، فهم وصية رسول الله - ﷺ - لأصحابه أن يتوصوا بهم خيراً^(١)، فعن أبي هارون العبدى قال: «كُنَّا نَأْتِي أَبَا سَعِيدٍ فَيَقُولُ مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّ رَجُلًا يَأْتُوكُمْ مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا»^(٢).

٥. امتزاج علم الأمصار المختلفة وتقليل أثر العصبية والمنافسة في الحديث بين الأمصار^(٣).

وهكذا نجد كيف كانت همة صحابة رسول الله ﷺ، وكيف هانت عليهم الدنيا وصغرت أمامهم الشدائد العظائم في سبيل المحافظة على حديث سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فضحوا بالغالي والنفيس، وقطعوا المفاز والقفار في طلب الحديث الواحد، في وقت لم تكن فيه سيارات ولا طائرات بل كانت ركبوتهم الخيل والجمال حيث يقطعون بها الفيافي المخيفة ما بين سهول وجبال وتلال وأسود ونئاب، وكثير ما كانت تلفحهم الصحاري بقيضها وتقرسهم الفيافي بقرها، ويغشاهم الليل بظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، وكل هذه المخاطر تهون في سبيل حفظهم وجمعهم لحديث رسول الله ﷺ^(٤).

قلت: ومما سبق يتجلى لنا أن الرحلة كانت سبباً هاماً من أسباب جمع الحديث وتحصيله ثم نشره في الآفاق، مما كان لها الفضل الكبير في المحافظة على الحديث الشريف، من أن يشوبه شوب، أو يخالطه ما ليس منه، فكانت الرحلة وسيلة من الوسائل التي استخدمها الصحابة - ﷺ - في تطبيق منهجهم، والتثبت والتحري في توثيق إسناد الحديث النبوي الشريف، وتبليغه لمن بعدهم كما سمعوه من الرسول ﷺ.

وسار التابعون على نهج الصحابة - ﷺ - في الرحلة فعن أبي العالية الرياحي قال: «كُنَّا نَسْمَعُ الرُّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَلَمْ نَرْضَ حَتَّى رَكِبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَسْمَعُهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»^(٥).

(١) عتر، معالم السنة النبوية، ص ٦٧.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الامتناع بمن طلب العلم، حديث رقم ٢٦٥٠، ص ٤٢٩، قال أبو عيسى: قال علي بن عبد الله: قال يحيى بن سعيد كان شعبة يضعف أبا هارون العبدى قال يحيى بن سعيد ما زال ابن عون يروي عن أبي هارون حتى مات، وقال الألباني: هذا حديث حسن.

(٣) العمري، بحوث في تاريخ السنة الشريفة، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٤) أبو زهوه، الحديث والمحدثون أو غناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١١١ - ١١٣.

(٥) الدارمي، سنن الدارمي، باب الرحلة في طلب العلم، حيث رقم ٥٧٠، ج ١، ص ١٤٤.

وعن أحمد بن حنبل أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلو؟ فقال: بلى والله شديداً
لقد كان علقمة والأسود يبلغنا الحديث عن عمر - رضي الله عنه - فلا يقنعنا حتى يخرجنا إلى
عمر فيسمعانه منه^(١). لذا لم يقتصر هم المحدثين في طلب الحديث النبوي الشريف، على
الحضر وسماعه من شيوخ مدينتهم أو قطرهم، وإنما رحلوا في طلبه إلى ما هو حولهم من
الديار، ثم واصلوا الرحلة إلى أقاصي البلدان^(٢).

المطلب الرابع: الرحلة إلى النبي ﷺ

نشط المسلمون في طلب حديث رسول الله - ﷺ - ونشره منذ عصر النبوة ليفوزوا
وينالوا الثواب العظيم، وليضمنوا بذلك طريقاً موصلاً إلى الجنة مهما كلفهم هذا العمل من
مشقة وتعب، وبذل للأموال والمهج، ومفارقة للأهل والوطن، في سبيل جمعه وتنشيطه وتنقيته
من الدخيل عليه، ثم العمل به^(٣). لذا كانت الرحلة إليه أشرف رحلة إلى أشرف خلق الله
تعالى، حيث يُنقل عنه هدي الله تعالى لعباده ويتشرف بقلائه والجلوس معه، ولقد حرص
الصحابه - رضوا - إلى الرحيل إليه للسؤال عن بعض المسائل التي كانت تقع وتعرض لهم^(٤).

لذا كانت الرحلة في طلب الحديث الشريف موجودة وقائمة في عهده ﷺ، فكان أغلب
من يسمع برسالة الإسلام، يرحل أو يرسل من ينوب عنه إلى رسول الله ﷺ، ليرسم القرآن
الكريم، ويتفهم تعاليم الإسلام، ثم ينصرف ويعود إلى قومه وأهله بعد أن يعلن إسلامه كما فعل
ضمام بن ثعلبة، فالرحلة في عهده - ﷺ - كانت من أجل معرفة تعاليم الإسلام^(٥)، لذا كان
المرجع الأول لكثير من أهل الأمصار الإسلامية.

ولما كانت المدينة المنورة محط أنظار طلبة الحديث في العهد النبوي وبعده، كان
الصحابه إذا ما حاربهم أمر، أو أرادوا أن يستفهموا عن أمور دينهم، رحلوا إلى رسول الله ﷺ؛
ليجدوا الجواب الشافي لما يطلبونه، أو ينشدونه^(٦)، فالرحلة في عهده - ﷺ - بهذا المفهوم
كانت عامة، تشمل مبادئ الدين الحنيف من قرآن كريم وسنة شريفة، فبعد أن فتحت مكة أقبلت
وفود العرب من سائر أنحاء الجزيرة العربية، فكان - ﷺ - يرحب بهم، ويزودهم بنصائحه
وإرشاداته، ويعلمهم الإسلام^(٧).

ومثل هذا النوع من الرحلات كثير جداً؛ لأن كثير من الصحابة - رضوا - كان يقصد
النبي - ﷺ - ويرحل إليه ليتشرف بقلائه والجلوس معه، ويحمل عنه وصية أو خطبة، أو حديثاً،

(١) الزهراني، تكوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص ٣٩.

(٢) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ١١٣.

(٣) معتوق، صالح يوسف، علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، مؤسسة الريان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٢٤.

(٤) عتر، معالم السنة النبوية، مكتبة، ص ٦٠.

(٥) الخطيب، السنة قبل التكوين، ص ١٧٦.

(٦) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٦٢.

(٧) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ١٢٤.

وكثير منهم رحلوا لسؤال النبي - ﷺ - عن مسألة اشكلت عليهم^(١). ومن امثلة رحلات الصحابة - ﷺ - إلى الرسول ﷺ ما يأتي:

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لَهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ لَجَاءَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ... الحديث"^(٢). وفي لفظ البخاري عن أنس قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَتَانَا فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَتَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَيْبُضُ الْمُتَكِيُّ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ أَلَا اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْهَدُكَ بِاللَّهِ أَلَا اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْهَدُكَ بِاللَّهِ أَلَا اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْهَدُكَ بِاللَّهِ أَلَا اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَانَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي وَأَنَا ضِمَامُ بَنِي ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ"^(٣). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "فما سمعنا بوافد قوم يقول أفضل من ضمام"^(٤).

٢. وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَابِرِ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطُوعَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصِيَامُ رَمَضَانَ قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطُوعَ قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطُوعَ قَالَ فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أُنْقُصُ قَالَ

(١) عتر، نور الدين، استدرارك الزيادات على كتاب الرحلة مما لم يذكره الحافظ الخطيب في كتاب الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٨٧.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، حيث رقم ١٢، ص ١٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه، حديث رقم ٦٣، ص ٢٣.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١، ص ٢٨٩.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ يَقُولُ ^(١)، وعلمنا كيف كانت الوفود تأتي إليه من قبائل العرب التي كانت تقطن خارج المدينة المنورة ليسألوا عن أمور دينهم، وعمما يعترضهم من مسائل خاصة بهم، كما في رحلة عقبة بن الحارث من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ليسأل عن امرأة أرضعته، وأرضعت معه زوجته في الصغر ^(٢).

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَغْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْرَاتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا أَلْوَاهَا قَالَ خُمُرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَكْبَى كَانَ ذَلِكَ قَالَ أَرَاهُ عِرْقٌ نَزَعُهُ قَالَ فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ" ^(٣). ومن الصحابة من كانوا بعيدي الموطن والإقامة عن رسول الله - ﷺ - إلا أن بعدهم لم يقف مانعاً وحاجزاً أمام الإفادة من رسول الله - ﷺ - وتحمل حديثه الشريف، فكان أحدهم كلما طرأت له حاجة أو أمر إلى سماع حكم شرعي منه - ﷺ - شد رحاله، وقطع مسافات شاسعة لا يوقفه شيء حتى يأتيه ويعرض مسألته وحاجته، ثم يعود أدراجه إلى موطنه، ولا يشعر بتكلف كبير وعناء في سبيل ذلك ^(٤)، ومن أمثلة ذلك ما ورد "عن عقبة بن الحارث" أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت إني قد أرضعتُ عُقْبَةَ وَإِنِّي تَزَوَّجْتُهَا لَهَا عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي فَرَكِبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ لَهَا فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَلَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ" ^(٥).

٤. وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني - رضي الله عنهما - أنهما قالوا: " إِنْ رَجُلًا مِنَ الْأَغْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُ بِكَتَابٍ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ فَأَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَذِّنْ لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْ قَالَ إِنْ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَرَكَيْتُ بِأَمْرَاتِهِ وَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرُّجْمَ فَأَقْدَبْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرُّجْمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ الْوَلِيدَةَ وَالْغَنَمَ رَدًّا وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام وقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْبَاهُ إِلَّا يَسْبُدُوا أَنَّهُ يُخْلِيهِمْ لَهُ الْيَتِيمَ﴾ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ مِنْ رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَكُمُ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَ فِيكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٥)، حديث رقم ٤٦، ص ١٩.

(٢) الخرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٦٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض، حديث رقم ٦٨٤٧، ص ١٣٥٨.

(٤) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ٢٧.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، حديث رقم ٨٨، ص.

عَامِ اغْدَا يَا أَنَسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَرْجُمُهَا قَالَ فَعَدَا عَلَيْهَا فَأَعْتَرَفَتْ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَتْ» (١).

٥. ولم تقتصر الرحلة على الأفراد فحسب بل رحلت الوفود إليه ليتعلموا أحكام دينهم فمن هؤلاء وفد عبد القيس، وغيرها من الوفود التي قدمت إليه في السنة التاسعة للهجرة فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ قَالُوا رَبِيعَةٌ قَالَ مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَائِنَا وَلَا نَدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ فَمُرْنَا بِأَمْرِ فَصَلِّ لِنُخْبِرَ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَسَأَلُوهُ عَنِ النَّاشِرَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَذَهُ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَذَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنِ الْخَنَثِ وَالذَّبَاءِ وَالْتِفِيرِ وَالْمُرْقَةِ وَرَبِّمَا قَالَ الْمُقْبِرِ وَقَالَ اخْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ" (٢).

والأمثلة كثيرة يصعب حصرها، لكن هذه بعض الأسئلة التي تبين حرص الصحابة - على تعلم الدين الحنيف وشرائعه.

المطلب الخامس: أسباب الرحلة في عهد النبي ﷺ

لقد كان للرحلة في عهد النبي ﷺ - أسباب عديدة منها (٣):

١. الدخول في الإسلام واعتناقه:

إذا ما رجعنا إلى كتب الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية الشريفة، فإننا سنجد تلك الرحلات التي كان يقوم بها الناس، فرادى، وعلى شكل وفود، لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما كان الهدف منها إعلان إسلامهم، وأكثر ما كان ذلك بعد فتح مكة المكرمة، وتحديدًا في السنة التاسعة للهجرة "عام الوفود"، ومن وفد إليه من أجل إشهار إسلامهم أمام النبي - ﷺ - وتعلم أحكام الدين الجديد: ديلم الحميري الجيشاني، وفيروز بن الديلمي، والمنذر بن عائد، والعداء بن خالد بن هوذة، وقيس بن زيد الجذامي، ومعاوية بن خديج التجيبي، ومعاوية بن حيدة بن معاوية، وغيرهم كثير (٤).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب من أمر غير الإمام بإقامة الحد غائباً عنه، حديث رقم ٦٨٣٥، ٦٨٣٦، ص ١٣٥٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم ٥٣، ص ٢٠ - ٢١.

(٣) أقالنة، المكي، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى، كتاب الأمة، سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٩٦ - ٩٩.

(٤) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٢٠٧.

٢. التعرف على الدين الإسلامي من منبعه ومصدره:

رحل الناس إلى الرسول - ﷺ - من أجل التعرف على الدين الإسلامي من مصدره بعدما سمعوا به، كما هو شأن وحال الأعرابي، الذي روى خبره وقصته طلحة بن عبيد - رضي الله عنه - إذ قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى إذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع قال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع قال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع قال فاذبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق" (١). ومثله ما رواه أبو رفاعه حيث قال: "انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتني بكرسي حسبت قوائم حديدا قال فقعده عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته قائم آخرها" (٢).

٣. التعرف على الأحكام الدينية في الوقائع التي تعرض لهم:

لقد رحل بعض الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل التعرف على بعض الأحكام التي كانت تعرض لهم، أو السؤال عن بعض الحوادث التي حدثت، ومن أمثلة هذا الهدف ما رواه أبو هريرة، وزيد بن خالد الجهني، حيث قالوا: "جاء أعرابي فقال يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقام خصمه فقال صدق اقض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابي إن ابني كان عسيفا على هذا فزكى بامرأته فقالوا لي على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ثم سألت أهل العلم فقالوا إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي ﷺ لأقضي بينكما بكتاب الله أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وأما ألت يا أنيس لرجل فأغد على امرأة هذا فأرجمها فغدا عليها أنيس فزجمها" (٣). ومنه: رحلة عدي بن حاتم الطائي إلى رسول - ﷺ - مع وفد طيء وحرصه على سؤاله والتثبت منه، روى البخاري بسنده إلى عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه قال: "سألت النبي ﷺ عن المعراض فقال إذا أصاب بحدّه فكل وإذا أصاب بعرضه فقتل فلا تأكل فإنه قيد قلت يا رسول الله

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة في الإسلام، وقوله: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب

الزكاة في الإسلام، وقوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ دِينَهُمْ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

سورة البينة، آية رقم (٥)، حديث رقم ٤٦، ص ١٩.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، حديث رقم ٨٧٦، ص ٢٠٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطالحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٦٩٦، ٢٦٩٥)،

ص ٥٣٣.

أَرْسِلْ كُلِّي وَأَسْمِي فَأَجِدُ مَعَهُ عَلَى الصَّيْدِ كَلْبًا آخَرَ لَمْ أَسْمَ عَلَيْهِ وَلَا أَذْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَ قَالَ لَا تَأْكُلْ إِنَّمَا سَمَّيْتُ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى الْآخَرِ" ^(١). فالرحلة إذن كانت في عهده - ﷺ - عامة لتعلم أحكام الدين الجديد وتعليمه للناس، وليست متخصصة في طلب الحديث النبوي الشريف وحده كما آل إليه حالها فيما بعد في العصور اللاحقة ^(٢).

٤. الرحلة طلباً للعلو الإسناد:

ومنه رحلة ضمام بن ثعلبة موفد بني سعد إلى النبي ﷺ، فقد جاء عن أنس بن مالك أنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاقَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ - ﷺ - مُتَكَيِّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ أَلَلَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَلَشُّدُّكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَلَشُّدُّكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَلَشُّدُّكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَانَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ" ^(٣).

قال الحاكم: "وفيه دليل على إجازة طلب المرء العلو من الإسناد، وترك الاقتصار على النزول فيه، وإن كان سماعه عن الثقة، إذ البدوي لما جاءه رسولُ رسول الله ﷺ، فأخبره بما فرض الله عليهم، لم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه إلى رسول الله ﷺ، وسمع منه ما بلغه الرسول عنه، ولو كان طلب العلو في الإسناد غير مستحب، لأنكر عليه المصطفى - ﷺ - سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه، ولأمره بالاعتصار على ما أخبره الرسول عنه" ^(٤)، وقال: "وفي طلب الإسناد العالي سنة صحيحة" ^(٥). ثم قال: "فأما طلب العالي من الأسانيد فإنها مسنونة كما ذكرناه، وقد رحل في طلب الإسناد غير واحد من الصحابة" ^(٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد المعراض، حديث رقم ٥٤٧٦، ص ١١٨.

(٢) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ١٤٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه، ص ١١٤، حديث رقم ٦٣، ص ٢٣.

(٤) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٣ - ١١٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١١٥.

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ١١٢.

٥. التثبت من صحة الحديث الشريف:

ويستفاد ذلك من حديث ضمام بن ثعلبة السابق ذكره، حيث قال ابن حجر مستتباً الفوائد الموجودة في الحديث: "وفي هذا من الحديث من الفوائد غير ما تقدم العمل بخبر الواحد، ولا يقدح فيه مجيء ضمام مستتباً لأنه قصد اللقاء والمشافهة كما تقدم عن الحاكم، وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا كما وقع في حديث ابن عباس^(١). إذن أتى ضمام من أجل التثبت والتوثيق فلم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه إلى رسول الله - ﷺ - وسمع منه ما بلغه الرسول عنه^(٢)

المطلب السادس: رحلة الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ

لم تقف جهود الصحابة - ﷺ - من أجل حفظ السنة النبوية الشريفة وصيانتها عند الشروط التي طلبوها، أو إجازتهم التحديث لنفر معين، بل تعداها إلى السفر وتحمل المشاق، لسماع حديث من رواية ليتأكدوا من صحة تلك الرواية ونسبتها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبحكم طبيعة الحياة فقد أخذ عمر الصحابة - ﷺ - في النهاية فيقربهم إلى الله - عز وجل - بعد أن بلغوا رسالتهم وأدوا الأمانة إلى من بعدهم على أكمل وجه، وكان لابد لصغار الصحابة في السن من أن يتحملوا من بعدهم هذه الأمانة فهاجروا في جوف الصحراء القاحلة يطلبون ديار المحدثين وليتم لهم صدق التثبت والتحري من نسبة الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣).

فهذه هي همة صحابة رسول الله - ﷺ - هانت عليهم الدنيا وصغرت أمامهم العظائم الشداد في سبيل المحافظة على سنة المصطفى - ﷺ - فضحوا براحتهم وركبوا الأخطار وقطعوا المفاوز والقفار في طلب الحديث الواحد^(٤)، إذن زاد اهتمام الصحابة - ﷺ - بالرحلة بعد وفاة الرسول - ﷺ - عندما تفرقوا في الأمصار بعد الفتوحات الإسلامية.

وعلى ضوء ذلك فإني سأتناول هذا المطلب في موضوعين هما:

١. الرحلة الداخلية.

٢. الرحلة الخارجية.

١. الرحلة الداخلية:

لما توفي الرسول - ﷺ - وانتقل إلى الرفيق الأعلى نشط بعض الصحابة - ﷺ - في جمع أحاديثه - ﷺ - من إخوانهم الصحابة الآخرين، فكان منهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يذهب إلى بيوت الصحابة - ﷺ - ليسألهم عن الحديث النبوي الشريف ويجلس

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ٥ - ص ٦.

(٣) مثلي، السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٩٥.

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١١٠ - ١١١.

الساعات الطوال أمام بيوتهم وعلى أبوابها من أجل أن يأخذ الحديث النبوي الشريف وتلفح وجهه رمال الصحراء الحارقة وهو متوسد لردائه ينتظر خروج الصحابي حتى يسأله^(١).

فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: " لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فَلَانُ هَلُمَّ فَلَنَسْأَلَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ - لِإِلَهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ. فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ فَإِنْ كَانَ لَيُتْلَغَى الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ قَاتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ الثَّرَابَ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْ قَاتِيكَ؟ فَأَقُولُ: لَا أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ فَاسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: لَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَى وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَقْسَى أَغْفَلَ مِنِّي^(٢).

وهكذا بقيت الرحلة الداخلية بعد وفاة الرسول - ﷺ - حتى النصف الأول من الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه - بالخلافة سمح للصحابة - ﷺ - بالهجرة وجوز لهم أن يقطنوا ويستوطنوا الأمصار. فتفرق الصحابة - ﷺ - في البلدان، وكل واحد منهم سمع من الرسول - ﷺ - أحاديث لم يسمعها غيره، وذلك لكونه ربما شغلته بعض المشاغل، أو خصه بوصية أو نصيحة، أو أرسله بأمر وبين له حكماً، أو غير ذلك من الأسباب التي ذكرناها في أسباب تفاوتهم في كثرة الحديث وقلته. من أجل ذلك كله كان من اللازم على الصحابة الرحلة من أجل الحفاظ على حديث رسول الله ﷺ، فرحلوا في طول البلاد وعرضها، فكانت الرحلة الخارجية^(٣).

٢. الرحلة الخارجية:

تعد الرحلة في طلب الحديث بعد وفاة الرسول - ﷺ - من أهم الوسائل التي استخدمها الصحابة - ﷺ - أجمعين - في تطبيق منهجهم، والتثبت والتحري في توثيق إسناد الحديث النبوي الشريف.

لهذا بعد أن كانت الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف في داخل المدينة المنورة من بيت إلى بيت ومن حي إلى حي أصبحت في زمن يستلزم السفر من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد، لذا رحل الصحابة - ﷺ - في طلب الحديث النبوي الشريف وتجشموا عناء السفر

(١) الجبوري، أبو اليقظان عطية، مباحث في تكوين السنة المطهرة، دار الندوة الجديدة، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ١٨٤.

(٢) الدارمي، سنن الدارمي، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، حديث رقم ٥٧٢، ج ١، ص ١٠٣.

(٣) الجبوري، أبو اليقظان عطية، مباحث في تكوين السنة المطهرة، دار الندوة الجديدة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ١٨٤.

في سبيل ذلك^(١)، وربما رحل صحابي بعد أن استقر له المقام في بلد، إلى بلد آخر ليضيف إلى سماعه سماع صحابي آخر شاركه في رواية حديث عن الرسول ﷺ^(٢). وإليك بعضاً من نماذج وصور رحلة الصحابة - ﷺ - بعضهم إلى بعض بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

أ. روي عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب يحدث عن جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ -، فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري فأتيت منزلة وأرسلت إليه أن جابراً على الباب، فرجع إلى الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج إلي فاعتقته واعتقني، قال: قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله - ﷺ - في المظالم لم أسمعه أنا منه، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس شك همام، وأوماً بيده إلى الشام حفاة عراة غرلاً بهما"، قال: قلنا ما بهما؟ قال: "ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ويسمعه من قرب: أن الملك الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة. ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بظلمة حتى اللطمة". قال: قلنا له كيف وإنما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً قال: "بالحسنات والسيئات"^(٣).

قال الحاكم النيسابوري رحمه الله: "وجابر بن عبد الله، على كثرة حديثه، وملازمته رسول الله - ﷺ - رحل إلى من هو مثله، أو دونه، مسافة بعيدة، في طلب حديث واحد"^(٤). هكذا تجشم جابر - رضي الله عنه - وعناء السفر ومتاعب الطريق شهراً كاملاً في بقاء غير معبدة الطريق، لا يستأنس فيها برفيق، وليس على طول الطريق أنيس ولا زاد ولا ماء، وقد هجر دياره، وأهله، وماله، طول شهر كامل ذلك كله من أجل خشيته أن يموت هو أو يموت عبد الله بن أنيس دون أن يحفظ الحديث الشريف الذي سمعه من النبي ﷺ^(٥).

ب. وروي عن ابن جريج قال سمعت أبا سعد الأعمي يحدث عطاء بن أبي رباح قال: أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر، فلما قدم مصر وأخبروا عقبة فخرج إليه قال: حدثنا ما سمعته من رسول الله - ﷺ - في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "من ستر مسلماً على خزية ستره الله يوم القيامة" فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلّ رحله^(٦). فقال أبو أيوب:

(١) الجبوري، مباحث في تكوين السنة المطهرة، ص ١٨٤.
(٢) زررور، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية مدخل ومقارنات، ص ٥٨.
(٣) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١٠٩ - ١١١.
(٤) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٩.
(٥) شلبي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٩٦.
(٦) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١١٨ - ١١٩.

صدقت ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة وما حلّ رحله فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر^(١). قال الحاكم النيسابوري رحمه الله: "فهذا أبو أيوب الأنصاري على تقدم صحبته، وكثرة سماعه من رسول الله ﷺ، رحل إلى صحابي من أقرانه، في حديث واحد، لو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه"^(٢).
 إذن: لم تجشم أبو أيوب متاعب السفر من المدينة إلى مصر؟ إنه لم يتجشم السفر طلباً للنزهة والسياحة أو للمال أو للوظيفة... الخ، ولكن من أجل حديث واحد لم يبق أحد من سامعيه غير مسلمة بن مخلد أمير مصر^(٣). ونلاحظ أيضاً: كيف أن الصحابي نزح من المدينة المنورة التي هي مهبط الوحي وملاذ الحديث النبوي الشريف إلى مصر في طلب حديث سمعه زميله عن النبي ﷺ^(٤). قال الحاكم: "وجابر بن عبد الله على كثرة حديثه وملازمته النبي - ﷺ - رحل إلى من هو مثله أو دونه مسافة بعيدة، في طلب حديث واحد"^(٥).

ج. وعن عبد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب النبي - ﷺ - رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتُك زائراً، ولكن سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله - ﷺ - حديثاً رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا، وساق الحديث^(٦).

هكذا نجد الصحابة - ﷺ - حريصين كل الحرص على سماع حديث رسول الله - ﷺ - فكانوا يرحلون إليه في حياته وبعد وفاته. فقد ورد عن أبي الدرداء قوله: "لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه"^(٧). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبليغيه الإبل لاتبعتة"^(٨). وعن أهمية الرحلة في الحديث النبوي الشريف يقول ابن عمر رضي الله عنهما: "قل لطالب العلم يتخذ نعلين من حديد"^(٩).

وكان لرحلة الصحابة - رضي الله عنهم - أثر عظيم في حفظ السنة النبوية الشريفة والتثبت فيها كما أثروا في التابعين وسنوا لهم السنة الحسنة بل وأقروهم عليها. فكان التابعون يرحلون إليهم طلباً للأخذ المباشر عن راوي الحديث من الصحابة - ﷺ - وفي هذا يقول أبو

(١) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٧

(٢) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٨.

(٣) شلبي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ٩٦.

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١١٤.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٩.

(٦) البغدادي، الخطيب، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٣٩٥ هـ -

١٩٧٥ م، ص ١٢٤ - ١٢٥. وقال نور الدين عتر: إسناده صحيح.

(٧) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروحي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي - بيروت، [ط: بدون]، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٠ م، ج ١، ص ٣٩٩ - ٤٠٠. والغماد بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد، بالضم، والكسر أشهر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جُدعان التميمي القرشي، انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٩.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٣٩. وانظر البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٤٠٢.

(٩) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١١٩.

العالية رفيع ابن مهران الرياحي (ت ٩٣هـ): "كُنَّا نَسْمَعُ الرُّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمْ نَرْضَ حَتَّى رَكِبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَمِعْنَاهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ".^(١)

وعن كثير بن قيس قال: "قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدُّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي فَقَالَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَلَّا تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ قَالَ لَا قَالَ أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ قَالَ لَا قَالَ مَا جِئْتَ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَتَبِعُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَّاتُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا مَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّهِ وَالْإِثْرِ".^(٢)

المبحث الثالث

الدقة في رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ والمعنى

التمهيد

لم يكن من الصعب العسير على الصحابة - ﷺ - أن يحفظوا الحديث النبوي الشريف لفترة زمنية طويلة ثم يؤدوه بلفظه كما سمعوه. ولو أن الفارق الزمني كان كبيراً بين التحمل والأداء^(٣)، وذلك لكونهم رزقوا حوافظ عظيمة شهد لهم بها القاضي قبل الداني والعدو قبل الصديق.

فقد تلقى الصحابة - ﷺ - السنة النبوية الشريفة على اعتبار أنها جزء من الدين الذي يدينون به، كيف لا والقرآن الكريم يحث على طاعة الرسول - ﷺ - والتحذير من مخالفة أمره ونهيه لقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. ومن هنا أحس الصحابة - ﷺ - بالحاجة الملحة والضرورية إلى أخذ السنة والعناية الفائقة بتحملها وصيانتها وحفظها وتسليمها إلى من بعدهم من التابعين، وكذلك حرصوا على عدم الخطأ والغلط في التحمل والأداء، لأنهم عرفوا وأدركوا خطورة الزيادة والنقصان على حديث الرسول - ﷺ - القائل: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَدًّا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٤). لهذا شَمَرُوا عن ساعد الجد وجدوا غاية الجد وأخذوا بكافة الوسائل

(١) الذارمي، سنن الذارمي، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، حديث رقم ٥٦٧، ج ١، ص ١٠٢.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٢، ص ٤٣٤، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٣) ياسوف، أحمد زكريا، الصحابة حُرَّاس الحديث النبوي، دار اقرأ، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٨٧.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

التي تحقق لهم تحمل السئة تحملاً صحيحاً، وأداءها لمن بعدهم أداءً سليماً صحيحاً، لا تبديل فيه ولا تغيير، ولا زيادة فيه ولا نقصان^(١).

ولا يكاد يخفى على أحد حرص الصحابة - ﷺ - على التثبت في قبول الأخبار وروايتها، حيث وردت روايات كثيرة وصحيحة تروي لنا ورعهم وخشيتهم ودقتهم عندما كانوا يروون حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الواحد منهم لا يروي الحديث إلا بعد الاستيثاق من ضبط حروفة وفهم معناه، وكان الواحد منهم كذلك إذا سئل ودُّ لو أن أخاه كفاه مؤونة السؤال، حتى إن بعض الصحابة - ﷺ - كان يأبى أن يروي شيئاً عن رسول الله - ﷺ - خوفاً من الزيادة والنقصان. وكان بعضهم يرى جواز رواية الحديث بالمعنى وأن هذا الفعل لا يخالف الاستيثاق^(٢).

ولا ينكر عاقل حفظ الصحابة - ﷺ - لحديث النبي - ﷺ - لما تميزوا به من ذاكرة قوية، وصفاء أذهان، وحرص على تطبيق ما يتلقونه، ونشره فيما بعد، ولما تميز به النبي - ﷺ - من شمائل في توجيهه للحديث من جهة ثانية وأساليبه التعليمية، حيث إنه لم يكن يسرد الحديث سرداً متتابعاً، ولم يكن يطيل الحديث، وكان يعيده مرّات ليحفظ عنه، بالإضافة لما أوتي من جوامع الكلم وقوة البيان.

بيد أن نقل الحديث الشريف بلفظ النبي - ﷺ - من لدن الصحابة - ﷺ - إلى عصر التكوين أمرٌ لم يكن بالصعب عليهم ولا بالمستحيل^(٣). ولقد هاب الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم - الحديث عن النبي - ﷺ - وتبديل اللفظ المسموع منه وحضّ النبي - ﷺ - على ذلك وأمر بإيراد ما سمع منه كما سمع^(٤).

ومن أجل ذلك كله لم تطرح مسألة رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ أو الترخيص في روايته بالمعنى كقضية في زمن الصحابة - ﷺ -، لاستطاعتهم المحافظة على لفظ الحديث النبوي الشريف؛ وذلك لتلقيهم إياه عن رسول الله - ﷺ - مباشرة، أو عن بعضهم البعض، والنادر عن بعض التابعين النقات، ولقرب عهدهم بالتلقي عنه - ﷺ - فلم تتقل نقول كثيرة في هذه المسألة غير أنها وجد فيها مذهبان:

١. مذهب يتشدد في الحفاظ على اللفظ النبوي الشريف دون زيادة أو نقصان.

٢. مذهب يرخص ويجوز روايته بالمعنى^(٥).

لذلك سأحاول أن أعرض هذين المذهبين وأقوال الصحابة - ﷺ - فيهما.

(١) البشير، عصام أحمد، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، المدينة للتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص٤٣.

(٢) الشاذلي، عبد الرزاق بن خليفة، ونوح السيد محمد السيد، مناهج المحققين في رواية الحديث بالمعنى، بيروت - لبنان، دار

ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٤٣.

(٣) بقاعي، الاجتهاد في علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، ص٥٣٨.

(٤) اليحصبي، عباس بن موسى، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١،

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٧٦.

(٥) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص٢٠٩ - ٢١١.

المطلب الأول: تعريف الرواية باللفظ والمعنى

أولاً: تعريف الرواية باللفظ

أ. تعريف اللفظ لغة:

لفظ: اللام، والفاء، والطاء: كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم^(١). وقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظاً - ولفظت الشيء من فمي إذا: اللفظ بالكلام مستعار من لفظ الشيء من الفم^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ (ق: ١٨). ومنه حديث النبي ﷺ: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل^(٣). أي أظهر ونطق به. ومعنى هذا كله: أن يتقيد الراوي لما سمع، وأن يضبطه إلى حين أدائه على وجهه^(٤).

ب. تعريف الرواية بالاصطلاح:

بدأننا بتعريف الرواية باللفظ لأنها هي الأصل والرواية بالمعنى رخصة لا تجوز إلا بعد نسيان اللفظ وعدم استحضاره، وإليك تعريفات الأساتذة لها: عرقها أبو شعبة فقال: هي أن يؤدي الراوي المروي على لفظه الذي سمعه من غير تحريف ولا تغيير^(٥). وعرقها الأهل فقال: هي أن يؤدي الراوي الحديث بحروفه على النحو الذي يتحمله عن روى عنه دون تغيير منه أو تبديل أو زيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير^(٦). وعرقها عبد الله شعبان فقال: هي أداء لفظ الحديث النبوي من غير تغيير أو تبديل، زيادة أو نقصان، تقديم أو تأخير^(٧). قلت: وكلها بمعنى واحد ولعل تعريف أبو شعبة أشمل وأوسع والله أعلم.

ثانياً: تعريف الرواية بالمعنى

الرواية بالمعنى: ذكر العلماء لها عدة تعريفات وإليك هي:

١. عرقها أستاذي أمين القضاة - حفظه الله ورعاه - فقال: هي أن يروي الراوي الحديث قاطعاً بفهم المعنى، ويعبر عما فهم بعبارة يقطع بأنها تدل على ذلك المعنى الذي فهمه من غير أن تكون الألفاظ مترادفة^(٨).
٢. وعرقها محمد محمد أبو شعبة حيث قال: وهي تأدية الراوي لمروياته بألفاظ من عنده كلاً أو بعضاً مع المحافظة على المعنى بحيث لا يزيد ولا ينقص منه شيئاً^(٩). قلت: بل لا يغير؛ لأن الزيادة والنقصان شيء وارد لا محالة.

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٧، ص ٢٥٩.

(٢) الأصفهاني، المفردات، ص ٤٥٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، حديث رقم ٣٠٦٠، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

(٤) علي، عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، ص ٢٨٣.

(٥) أبو شعبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ٤٠.

(٦) الأهل، مصطلح الحديث ورجاله، ص ٤٢.

(٧) علي، عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، ص ٢٨٣.

(٨) القضاة، أمين، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٣٨٤.

(٩) أبو شعبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ٤٠.

٣. وعرفها الأهل فقال: وهي أن يؤدي الراوي الحديث بالفاظ من عنده مع المحافظة على معناه بحيث لا يزيد فيه شيئاً ولا ينقص منه شيئاً ولا يحرف ولا يبدل المعنى^(١).

٤. وعرفها الشايحي و السيد نوح فقالا: هي أن يعمد الراوي إلى تأدية معاني الحديث بالفاظ من عنده وذلك كأن يغيب عنه عند روايته للحديث لفظه، مع استحضاره وحفظه لمعناه، فيعبر عن المعنى بالفاظ تؤديه^(٢).

قلت: وكلها تصب في بوتقة واحدة ولعل تعريف أستاذي الدكتور أمين القضاة أشمل وأوضح لشمول تعريفه وعدم التكرار فيه وإحاطته بكل المحترزات. والله أعلم.

المطلب الثاني: الصحابة القائلون بوجوب رواية الحديث باللفظ

قالت طائفة من السلف وأهل التحري في الحديث: لا تجوز الرواية على المعنى، بل يجب تأدية اللفظ بعينه من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا حذف، ولم يفرقوا أصحاب هذا المذهب بين العالم بمعنى الكلام وموضوعه وما ينوب منه مناب بعض وما لا ينوب وبين غير العالم بذلك^(٣).

وذهب القائلون بهذا القول إلى التشديد، فلم يجيزوا تقديم حرف على حرف، ولا تقديم كلمة على أخرى، ولا زيادة حرف أو حذفه ولا إبدال حرف بحرف، ولا تنقيح خفيف ولا تخفيف ثقيل، ولا رفع منصوب ولا نصب مجرور أو مرفوع، ولو لم يتغير المعنى في ذلك كله. وقد فصل ذلك كله الخطيب البغدادي^(٤). وقد نحا إلى هذا المذهب كثير من الصحابة - رضي الله عنهم - مثل: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وزيد بن أرقم، وأبو أمامة الباهلي:

١. أبو بكر الصديق (ت ١٣هـ): قال علي القاري في شرحه لشرح نخبة الفكر: "وقد قلّ رواية المتورعين من الصحابة كالصديق"^(٥). أي برواية الحديث باللفظ.

٢. أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي (ت ٢٣هـ): دعا عمر بن الخطاب إلى التحري في نقل الحديث، فعن أبي مجلز قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من سمع حديثاً فحدث به كما سمع فقد سلم"^(٦).

٣. أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت ٥٧هـ): عن بشير بن نهيك قال: كنت عند أبي هريرة أكتب ما سمعت منه، فإذا أردت أن أفارقه جئت بالكتاب فقرأته عليه، فقلت: ليس هذا ما سمعته منك. قال: نعم^(٧). وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه -

(١) الأهل، مصطلح الحديث ورجاله، ص ٤٢.

(٢) الشايحي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٦.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد البخاري، فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، شرح النفاذه وعلق عليه صلاح محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٢١٠. وانظر: اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٧٦.

(٤) البغدادي، كتاب الكفاية في علم الرواية، ص ١٧١ - ١٧٣.

(٥) القاري، شرح شرح نخبة الفكر، ص ٤٩٩.

(٦) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، باب من قال باتباع اللفظ، ص ٥٣٨. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام

القرآن، ج ١، ص ٤١٢.

(٧) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٦٥، وانظر البغدادي، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٨٧.

الذي كان يظنه بعض الناس أنه كان يطلق لسانه من غير وعي ضابط، أو يطلق خياله في التأليف من غير تقوى رادعة، وهو الذي أغمي عليه مرة كلما هم بالتحديث، ووقع على وجه مغشياً عليها فلما أفاق حدث، لأنه كان يتصور زمن سماعه للحديث النبوي الشريف، ويمكن أن يوضع سبب آخر وهو أنه أراد تمام اللفظ وهيئة الحركات فاستعصى عليه الأمر، لأنه تعلم أن يؤدي اللفظ كما هو بحرفيته بكل سهولة، فتعاضدت ثلاثة عوامل: الحنين والشك من اللفظ والحزن على مقدرة الذهن، فكان الأغماء^(١). فأبو هريرة سيد الرواة الأثبات، وإليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأدائه بحروفه^(٢).

٤. عبد الله بن عمر العدوي (ت ٧٣هـ):

أ. فقد ورد عن محمد بن علي أنه قال: كان ابن عمر إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه ولم يجاوزه ولم يقصر عنه^(٣).

ب. وعن أبي جعفر الباقر أنه قال: "لم يكن من أصحاب رسول الله - ﷺ - أحد إذا سمع من رسول الله - ﷺ - لا يزيد فيه ولا ينقص مثل عبد الله بن عمر"^(٤).

ج. ولم يسمح لعبيد الله بن عمير وهو يقص عن رسول الله - ﷺ - قوله: "مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين، فقال ابن عمر: "ويلكم لا تكذبوا على رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله - ﷺ -: مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين"، وفي رواية أخرى عن عبد الله عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما مثل الشاة بين الغنمين". فقال عبد الله بن عبيد بن عمير هي واحدة إذا لم تجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، فلا يضررك إن قدمت شيئاً أو أخرته، فهو واحد"^(٥).

د. وجاء في صحيح مسلم أن ابن عمر روى حديثاً مرفوعاً يتضمن أركان الإسلام فسمعه رجل فأشار عليه بتقديم لفظ الحج على صيام رمضان فرد عليه ابن عمر بأنه حدث كما سمع من رسول الله ﷺ. فعن ابن عمر عن النبي - ﷺ -، أنه قال: "بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج، فقال رجل: الحج وصيام رمضان. قال: لا. صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ"^(٦).

(١) ياسوف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ٩٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٥.

(٣) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧١.

(٤) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧١.

(٥) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٦) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، حديث رقم ١٩، ص ١٨.

هذا وقد أثبت الإمام مسلم الروايتين عن ابن عمر بتقديم الحج مثل الرواية التي عارضها، وحمل ذلك النووي على روايته الحديث من وجهين ونسيان أحدهما عندما عارض الرجل، وعزا ابن حجر اختلاف النقل عن ابن عمر إلى الراوي عنه، وكلامها لم يشكك في نقده الرجل وهو المقصود هنا^(١).

قلت: نلاحظ تشدد ابن عمر الشديد في المحافظة على لفظ النبي ﷺ.

٥. أبو أمامة الباهلي صُدِّي بن عجلان (ت ٨٦هـ):

أ. قال حبيب بن عبيد: كان أبو أمامة يحدث بالحديث كالرجل الذي يؤدي ما سمع^(٢).

ب. وقال أيضاً: "إن كان أبو أمامة ليحدثنا الحديث كالرجل الذي عليه أن يؤدي ما سمع"^(٣).

٦. زيد بن أرقم (ت ٦٦هـ): عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قلنا لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد"^(٤).

٧. الزبير بن العوام (ت ٣٦هـ): عندما سئل لماذا لا تحدث عن رسول الله - ﷺ - كما يحدث فلان وفلان، فقال: أما إنني لم أفارق رسول الله - ﷺ - ولكني سمعته يقول: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٥).

٨. أبو قتادة (ت ٣٨هـ): قال عبد الرحمن بن كعب لأبي قتادة رضي الله عنه: "حدثني بشيء سمعته عن رسول الله ﷺ، قال: "أخشى أن يزل لساني بشيء لم يقله رسول الله ﷺ"^(٦). فهنا لم يفرق الصحابي بين الكذب المقصود وغير المقصود، فأي تغيير في اللفظ هو تقول على النبي ﷺ^(٧).

٩. أنس بن مالك (ت ٩٣هـ): كان يتقي في حديث رسول الله ﷺ ما بين النبي والذي ونحوهما^(٨).

قال ابن حجر: "ووقع في رواية عتاب مولى هرمز سمعت أنساً يقول: "لولا أنني أخشى أن أخطئ لحدثتك بأشياء قالها رسول الله ﷺ" الحديث أخرجه أحمد بإسناد، فأشار إلى أنه لا يحدث إلا ما تحققه ويترك ما يشك فيه. وحمله بعضهم على أنه كان يحافظ على الرواية

(١) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ٢١٠.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٢.

(٣) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٢.

(٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٥، ص ٢١، وقال الألباني: صحيح. وانظر الشاذلي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٥٣.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٦) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم ٣٨٤، ص ٢١٣، وقال الحاكم هذا على شرط مسلم وفيه الفاظ صعبة شديدة ولم يخرجها، وقال الذهبي: وله شاهد بإسناد آخر عن أبي قتادة.

(٧) ياموف، الصحابة حراس الحديث النبوي، ص ٩٣.

(٨) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٨.

باللفظ فأشار إلى ذلك بقوله: "لولا أن أخطئ". وفيه نظر، والمعروف عن أنس جواز الرواية بالمعنى كما أخرجه الخطيب عنه صريحاً وقد وجد في رواياته ذلك كالحديث في البسمة، وفي قصة تكثير الماء عند الوضوء، وفي قصة تكثير الطعام^(١).

١١. صهيب الرومي.

١٢. المنقح التميمي.

فكان هؤلاء يتشددون في الرواية باللفظ حتى حملهم هذا على أن يكفوا عن التحديث ما دام غيرهم يقوم بهذه المهمة خوفاً من التزيد والنقصان^(٢). وغير هؤلاء من الصحابة - ﷺ - الكثير ممن ذهبوا ومالوا إلى الالتزام والتقيد برواية الحديث النبوي بلفظه دون زيادة أو نقصان أو تبديل أو تقديم أو تأخير، لأن الرواية باللفظ هي الأصل والرواية بالمعنى رخصة.

المطلب الثالث: أدلة القائلين بجواز رواية الحديث باللفظ من الصحابة ﷺ

لقد اعتمد واستند القائلون بهذا الرأي من الصحابة - ﷺ - على عدة أدلة هي:

١. ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب حيث قال: قال النبي - ﷺ -: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به" قال: فرددتها على النبي - ﷺ - فلما بلغت: "اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: لا ونبيك الذي أرسلت"^(٣).

وجه الدلالة: أنه - ﷺ - قد أنكر على البراء بن عازب تبديله كلمة "الرسول" مكان "النبي" في الحديث النبوي الشريف مما يدل على وجوب رواية الحديث النبوي الشريف بلفظه دون تغيير أو زيادة، أو نقصان عندهم^(٤)، وقال الرامهرمزي: أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ، وقال: فأذاها كما سمعها^(٥).

الاعتراض على الدليل: إن في الاستدلال بهذا الحديث نظر، لأنه وإن تحقق بالقطع أن المعنى في اللفظين متحد، لأن الذات المحث عنها واحدة، فالمراد يفهم بأي صفة وصف بها الموصوف، فيحتمل أن المنع لكون ألفاظ الأنكار توقيفية ولها من الخصائص والأسرار ما لا يدخلها في القياس، لذا وجب المحافظة اللفظ الذي وردت به، وبالجمله فإنه يستحب أن تورد

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٦٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، حديث رقم ٦٣١١، ص ١٢٦٢ - ١٢٦٣.

(٤) خلف، تنوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ٣٦١.

(٥) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٣١.

الأحاديث باللفظ دون المعنى كما ورد عن الحسن وغيره، لأن ذلك أسلم وأفضل، كما ذكر ذلك ابن سيرين وغيره^(١).

وقال الخطيب البغدادي: "وأما رد النبي - ﷺ - على الرجل في الحديث الثاني قوله: "وبرسوك إلى "ونبيك الذي أرسلت" فإن النبي - ﷺ - أمدح من الرسول، ولكل واحد من هذين النعتين موقع، ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة، واسم النبي لا يتناول إلا الأنبياء خاصة، وإنما فضل المرسلون من الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة معاً فلما قال: "الذي أرسلت" وبيان آخر وهو أن قوله "وبرسوك الذي أرسلت" جاء النعت وهو النبوة، ثم قيده بالرسالة حين قال "الذي أرسلت" وبيان آخر وهو أن قوله: "وبرسوك الذي أرسلت" غير مستحسن لأنه مجتزأ بالقول الأول أن رسول فلان عن أن يقول "الذي أرسله" إذ كان لا يفيد القول الثاني إلا المعنى الأول وكان قوله، و"نبيك الذي أرسلت" يفيد الجمع بين النبوة والرسالة، فلذلك أمره النبي ﷺ ورده إليه^(٢).

وذكر علة ذلك محمد الصباغ فقال: رد رسول الله ﷺ الرجل إلى قوله الذي علمه إياه بقوله لأنه دعاء، والدعاء أمر تعبدية، وللألفاظ أسرار في الدعاء لا يباح لعبد أن يغيرها، ألا ترى أنه لا يجوز للمرء أن يغير لفظ التحيات في الصلوات إلى ما يقابلها، وما ذكره القرطبي شيء جميل يضم ما ذكرنا، وإن كان الذي ذكرنا هو المقدم في الاحتجاج والله أعلم^(٣). قلت: وليس كل دعاء كالتحيات؛ لأنه له خصوصية في الصلاة.

٢. ما رواه ابن مسعود عن النبي - ﷺ - حيث قال: قال رسول الله ﷺ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ قَرُبُ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبُّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ"^(٤).

وجه الدلالة: قوله - ﷺ - "كما سمعه" دليل على أنه لا يجوز تبديل وتغيير ولا زيادة ونقصان وحذف. فهذا نص صريح وواضح في الترغيب في الأداء والتبليغ على أفضل وأحسن وجوه الأداء، وهو نص كذلك في الحضر والحث على الحفظ أو اعتماد الرواية والحفظ يمكن مقابله بالنهي عن الكتاب^(٥).

وأداء الحديث كما سمع هو أداء اللفظ المسموع. ونقل الفقه إلى من هو أفقه منه، معناه أن الأفقه قد يتقطن بفضل معرفته من فوائد اللفظ لما لا يتقطن إليه غير الفقيه الذي رواه^(٦). وإذا كان المبلغ أوعى من السامع وأفقه منه، وكان السامع غير فقيه ولا ممن يعرف المعنى، وجب عليه تأدية اللفظ ليستتبط معناه العالم الفقيه^(٧). فالأفطن ربما فطن بفضل فقه

(١) الشيباني ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٦٥.

(٢) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٣٦، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣١٣.

(٣) الصباغ، محمد، الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته وكتبه، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ١٧٩.

(٤) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السامع، حديث رقم ٢٦٥٧، وقال الألباني: صحيح.

(٥) زرزور، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعية الإمامية مدخل ومقارنات، ص ٥٣.

(٦) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٠٥.

(٧) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٠٥.

من فوائد اللفظ بما لا يفطن له الراوي لأنه ربما كان دونه في الفقه^(١). قال القاضي عياض: "فإن نظر الناس وأفهامهم متباينة، وفوق كل ذي علم عليم. كما قال رسول الله ﷺ: "ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه". فإذا أدى اللفظ أمن الغلط، واجتهد كل من بلغ إليه فيه، وبقي على حاله، كمن يأتي بعده وهو أنزه للراوي وأخلص للمحدث"^(٢). وهذا أمر مشاهد وملحوس^(٣). "فإننا لما جربنا رأينا أن المتأخر ربما استنبط من فوائد آية أو خبر ما لم يتنبه له أهل الأعصار السالفة من العلماء المحققين، فعلمنا أنه لا يجب في كل ما كان من فوائد اللفظ أن يتنبه له السامع في الحال وإن كان فقيهاً ذكياً. فلو جوزنا النقل بالمعنى فربما حصل التفاوت العظيم مع أن الراوي يظن أن لا تفاوت"^(٤).

الاعتراض على الدليل: إن الأداء كما سمع، ليس مقصوراً على نقل الحديث النبوي الشريف باللفظ، بل النقل بالمعنى في غير تغيير ولا تبديل ولا تحريف أداء كما سمع، فإنه أدى المعنى كما سمع لفظه، وفهمه منه، ونظيره أن الشاهد والمترجم إذا أدى المعنى من غير زيادة ولا نقصان، يقال إنه أدى كما سمع، وإن كان الأداء بلفظ آخر. ولو سلمنا أن الأداء كما سمع مقصوراً على نقل اللفظ، فلا دلالة في الحديث النبوي الشريف على عدم جواز روايته بالمعنى، غايته أنه دعاء للناقل باللفظ، لكونه أفضل، ولا نزاع في الأفضلية^(٥).

قال أبو عيسى الترمذي: "اقتضى العلماء الأداء وتبليغ العلم، فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ التي بلغت أسماعهم بأعينها بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير كانوا يستودعونها الصحف، كما فعل رسول الله ﷺ بالقرآن، فكان إذا نزل الوحي دعا الكاتب فكتبه مع توكل الله له بجمعه وقرآنه فقال: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٧). وقال: ﴿وَلِئَلَّا

لَمْ يَحْضَرُوا﴾ (الحجر: ٩). فكان الوحي محروساً بكتبه، ولو كانت هذه الأحاديث سبيلها هكذا لكتبها أصحاب رسول الله ﷺ، فهل جاعنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك"^(٦).

ثم إن هذا الدليل يكاد يكون لنا لا علينا، إذ أن هذا الحديث لكونه مع ما قيل إنه ﷺ لم يحدث به سوى مرة واحدة روي بألفاظ مختلفة^(٧).

قال السخاوي عن هذا الحديث: "إنه روي بألفاظ مختلفة: الله، ومن سمع، ومقالتني، وبلغه، وأفقه، ولا فقه له، مكان نصر الله، وامرأ، ومنا حديثاً، وأداه وأوعى وليس بفقيه، ثم

(١) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٣٠٠.

(٢) البهسي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) الشاذلي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٦٠.

(٤) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٣٠٠.

(٥) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٣٨١ - ٣٨٢. وانظر: الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٣٠٠.

(٦) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٧) الشاذلي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٦٢.

قال: لاسيما وفيه ما يرشد إلى الفرق بين العارف، وغيره بقوله: قرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه إلى من هو أفقه منه^(١).

وقال الخطيب البغدادي: أما الحديث الأول: "تضر الله امرأ... فهو حجة عليكم لأنه قد علل فيه ونبه على ما يقول بقوله - ﷺ - قرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه وإلى من هو أفقه منه، وكأنه قال: إذا كان المبلغ أوعى من السامع وأفقه وكان السامع غير فقيه ولا ممن يعرف المعنى وجب عليه تأدية اللفظ ليستنبط معناه العالم الفقيه، وإلا فلا وجه لهذا التعليل إن كان حال المبلغ والمبلغ سواء، على أن رواية هذا الخبر نفسه قد روه على المعنى فقال بعضهم رحم الله بدل نضر الله، ومن سمع بدل امرأ سمع، ومقالتني بدل مني حديثاً، بلغه بدل أداة، قرب مبلغ أفقه من مبلغ بدل قرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه لا فقه له بدل ليس بفقيه، والفاظ سوى هذه متغايرة تضمنها هذا الخبر، وقد ذكرنا طرق الاستقصاء باختلاف ألفاظها في كتاب أفرناه لها، والظاهر يدل أن هذا الخبر نقل على المعنى، فلذلك اختلفت ألفاظه وأن كان معناها واحداً^(٢).

٣. ما رواه سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٣). وما رواه أنس بن مالك: قال، قال رسول الله ﷺ: " مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "^(٤).

وجه الدلالة: فمن قام بتبديل لفظ مكان لفظ آخر يخاف ويخشى عليه أن يشمل الوعيد في الحديث النبوي الشريف، لأنه عزا للنبي ﷺ لفظاً لم يقله^(٥). قلت: وفيه أيضاً حث وحض من النبي - ﷺ - على حفظ أحاديثه النبوية الشريفة وعلى وعيها وتبليغها كما هي دون زيادة أو نقصان، وفيه أيضاً طلب التثبت فيما يروون عنه ﷺ.

٤. ما رواه أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: "من حدث حديثاً كما سمع فإن كان صدقاً وبراً فله، وإن كان كذباً فعلى من ابتداه"^(٦).

وجه الدلالة: إن من أدى كما سمع فله الأجر والثواب، وإن من أدى غير ما سمع فعليه الوزر والعقاب.

(١) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٢١٥.
(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٠٢. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣١١.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٩، ص ٣٣.
(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث رقم ١٠٨، ص ٣٣.
(٥) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٢١٠.
(٦) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٧٩٦١، البغدادي، في الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٢، وقال محقق الكتاب: في إسناد جعفر بن الزبير وهو متهم بالكذب.

الاعتراض على الدليلين الثالث والرابع: إن رواية الحديث بالمعنى لا تدخل ضمن الوعيد بدخول النار لكون رواية أي شيء بالمعنى لا يسمى كذباً، ولأن المعنى المراد توصيله إلى ذهن السامع أصله حديث النبي - ﷺ - والاختلاف إنما واقع بتبديل لفظ مكان لفظ آخر، وليس من المعقول أن نسمي عملية تبديل الألفاظ كذباً لأنه لو جوزنا ذلك لاتهمنا الصحابة - ﷺ - الذين يجوزون ذلك والعياذ بالله^(١)، لأن ذلك هو الذي يشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين، وكثيراً ما كانوا ينقلون المعنى الواحد في الأمر الواحد بألفاظ مختلفة، وما ذلك إلا لكون معولهم كان على المعنى دون اللفظ^(٢). ويدل عليه روايتهم القصة الواحدة بألفاظ مختلفة^(٣).

٥. ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال في آخر حديث وفد عبد القيس: " احْفَظُونُ وَأَخْبِرُوا بِهِنَ مَنْ وَرَاءَكُمْ "^(٤).

وجه الدلالة: أنه - ﷺ - أمر بالحفظ والوعي أولاً قبل التبليغ والأداء للآخرين. فهذه الأحاديث تدل على أن نقل اللفظ الذي نطق به الرسول - ﷺ - مطلوب ومراد لا سيما وأننا عرفنا أن بعض الصحابة - ﷺ - رحل لسمع الحديث ممن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥).

المطلب الرابع: أسباب اختلاف الصحابة - ﷺ - في ألفاظ الحديث

يعود سبب اختلاف الصحابة - ﷺ - في ألفاظ الحديث إلى أسباب عديدة منها^(٦):

١. تعدد مجالس الرسول - ﷺ - وكثرتها، فقد يتناول موضوعاً واحداً في مناسبات مختلفة ويجيب السائلين بما يتناسب مداركهم: إن من الخطأ الشائع أن يعزى اختلاف ألفاظ الأحاديث النبوية الشريفة إلى الرواية بالمعنى وحدها، بل كان لمجالسه - ﷺ - المتعددة في الأزمنة والأمكنة المختلفة، والحوادث والأحوال، وأصناف السامعين والمستفتين، والمتخاصمين والمتقاضين، والوافدين القادمين والمبعوثين، أثر كبير في ذلك، فكانت ألفاظه - ﷺ - تختلف في كل ذلك إيجازاً وأطناباً، وضوحاً وخفاءً، تقديماً وتأخيراً، وزيادة ونقصاناً، وكل ذلك بحسب ما تقتضيه الحال ويدعو إليه المقام، فمثلاً قد يسأل عن أفضل الأعمال فيجيب كل سائل بجواب غير جواب صاحبه، أو عن أفضل الجهاد فيذكر لكل سائل نوعاً من أعمال البر غير ما يذكره للسائل الآخر، أو عن أحب أنواع الصدقة فيذكر

(١) الشايجي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٦٧.

(٢) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص ٢١٤. وانظر: العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، ط ١، ١٢٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، ص ٢٢٦.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب التلوي، ص ٣١٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم ٥٣، ص ٢٠ - ٢١.

(٥) بقاعي، الاجتهاد وفي علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٦) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٢٠٧ - ٢١٠. وانظر: الشايجي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٧. وانظر أيضاً الخطيب: السنة قبل التكوين، ص ١٥٧.

لهذا غير ما يذكره لذاك، أو أن يسأل عن معنى البر والأثم فتتعدد أجوبته بتعدد السائلين، وهكذا، فيظن من لا علم عنده أن هذا من باب التعارض، أو عدم ضبط الرواة، وواقع الأمر أنه - ﷺ - كان طبيب النفوس فيجب كل إنسان عن مسألته بما يناسبه، وبما يكون أنفع له أو للناس في جميع الظروف و الظروف الذي كان فيه الاستفتاء.

٢. من باب تعليم النبي - ﷺ - أصحابه - ﷺ - وإشارة إلى جواز الجميع وأن في الأمر سعة وتيسيراً على الأمة: فإذا ما نظرنا إلى ألفاظ الأذان والإقامة والتشهد، والأنكار في الصلوات وبعدها، والأدعية فيها وفي غيرها، والرواة في الجمع عدول ضابطون، فيظن من لا علم له عنده إن هذا من باب التناقض، أو من باب عدم الضبط، أو من الرواية بالمعنى، والواقع أنه من باب تعليم النبي ﷺ أصحابه ﷺ.

٣. اقتصار الصحابة - ﷺ - على مواطن الاستشهاد مع المحافظة على اللفظ المسموع.

٤. قد يستفتي الرسول - ﷺ - أكثر من واحد في واقعة واحدة، فيعنتي كل واحد بألفاظ مختلفة، وعبارات متفاوتة، تؤدي الغاية المقصودة.

٥. أن يكون الحديث طويلاً نوعاً ما، فيضعف الراوي عن حفظ اللفظ بنصه، فيؤديه بالمعنى. هذا وقد بحث أستاذي أمين القضاة وشرف القضاة - حفظهما الله ورعاهما - أسباب تعدد روايات متن الحديث الصادر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعزياً ذلك إلى أسباب منها:

١- اتفاق المعنى وتعدد اللفظ.

٢- القيام بالعزل بأكثر من طريقة.

٣- الناسخ والمنسوخ

٤- ما قاله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي وبعد الوحي.

٥- اختلاف حال المخاطبين.

٦- تعدد الموصوف.

إن الأصل في تفاوت الروايات صدورهم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - بألفاظ متعددة إلا إذا ثبت أنه مروى بالمعنى^(١).

ولا خلاف بن أهل العلم في أن المحافظة على لفظ الحديث النبوي الشريف ونصه كما ورد عن رسول الله - ﷺ - أمر جليل، يحرص عليه أشد الحرص، وأنه الأولى بكل ناقل، والأجدر بكل راو^(٢).

(١) انظر: القضاة، شرف، محمود، والقضاة أمين محمد، تعدد الروايات في متون الحديث النبوي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، ٢٠، ملحق ١٩٩٣م، صص ٣٧٠ - ٣٧٥.

(٢) انظر: الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ١، ص ٥١.

المطلب الخامس: الصحابة القائلون بجواز رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى

ذهب جمهور الصحابة - ﷺ - إلى جواز ورخصة رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى، ومن أشهر الصحابة القائلين بهذا المذهب:

١. حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ): عن جابر بن عبد الله قال: قال حذيفة: "إننا قوم عرب نورد الأحاديث، فنقدم ونؤخر"^(١).

٢. عائشة بنت أبي بكر الصديق (ت ٥٧هـ): عن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: "قالت لي عائشة رضي الله عنها: يا بُنيَّ يبلغني عنك أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلت لها: أسمع منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافاً؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك"^(٢).

قلت: والذي وجدته عائشة - رضي الله عنها - اختلافاً في الطريق يؤدي إلى اختلاف في اللفظ، وسبب ذلك لأن الحديث قد تكرر في أكثر من موقف بالفاظ أخرى، فيسمعه عروة من خالته على شكل ويسمعه من صحابي آخر على شكل مغاير، ولليل ذلك أنه لم يقل: فأسمعه منك على غيره بل قال: فأسمعه على غيره أي من غيرها وليس منها.

٣. أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان (ت ٦٣هـ):

أ. عن أبي نضرة المنذر بن مالك قال: قلت لأبي سعيد الخدري ﷺ: "إنك تحدثنا عن رسول الله - ﷺ - حديثاً عجيباً، وإننا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص؟ قال: أردتم أن تجعلوه قرآناً؟ لا، لا، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"^(٣).

ب. عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: "كنا نجلس إلى النبي - ﷺ - عسى أن نكون عشرة نفر نسمع الحديث فما منا اثنان يؤديانه غير أن المعنى واحد"^(٤).

٤. عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ): قال الشعبي عامر بن شراحيل: "قلت لابن عباس: إنك تحدثنا بالحديث اليوم، فإذا كان من الغد، قلبته! قال: فقال وهو غضبان: أما ترضون أن نحفظ لكم معاني الحديث، حتى تسألونا عن سياقها"^(٥).

٥. زرارة بن أبي أوفى العامري (ت ٩٣هـ): قال: لقيت عدة من أصحاب النبي - ﷺ - فاختلفوا عليّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى"^(٦).

(١) انظر: السنخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٢، ص ٢٠٨، وانظر: القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٣٧٨.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ما ينبغي في روايته وحمله، ج ١، حديث رقم ٢٣٤، ص ١٣١.

(٤) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٠٥.

(٥) الرامهرمزي، المحقق الفاصل بين الراوي والواعي، ص ٥٣٧.

٦. واثلة بن الأسقع (ت ٩٣هـ): قال محكول: "دخلنا على واثلة بن الأسقع فقلنا يا أبا الأسقع حدثنا حديثاً سمعته من الرسول - ﷺ - ليس فيه وهم ولا نسيان، فقال: هل قرأ أحد منكم الليلة من القرآن شيئاً؟ قالوا: نعم. قال فهل زبتم ألفاً أو وائوا؟ فقلت إنا نزيد وننقص وما نحن بأولئك في الحفظ، فقال هذا القرآن بين أظهركم، وأنتم تدرسونه بالليل والنهار فكيف، ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله - ﷺ - مرة أو مرتين؟ إذا حدثتكم على معناه فحسبكم" (٢). قلت: فهذا نلاحظ أن واثلة - ﷺ - كان يرى جواز رواية الحديث بالمعنى قياساً على اختلاف القراءات في القرآن الكريم.

٧. أنس بن مالك (ت ٩٣هـ):

أ. قال محمد بن سيرين: كان أنس بن مالك قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، قال: وكان مما إذا حدث عنه قال: أو كما قال (٣).

ب. وعن محمد بن سيرين قال: كان أنس بن مالك إذا حدث حديثاً عن النبي - ﷺ - ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله ﷺ (٤).

٨. أبو الدرداء (ت ٣٢هـ):

أ. عن أبي إدريس الخولاني قال: "رأيت أبا الدرداء إذا فرغ من الحديث عن رسول الله ﷺ قال: هذا، أو نحو هذا، أو شكله" (٥).

ب. وعن ربيعة بن يزيد، عن أبي الدرداء قال: "كان إذا حدث بالحديث عن رسول الله ﷺ قال: "اللهم إلا هكذا، فكشكله واللفظ لحديث معن" (٦).

٩. أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت ٥٧هـ) (٧).

١٠. عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ):

أ. عن عبد الله بن مسعود قال: "سأل رجل النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله إنك تحدثنا حديثاً لا نقدر أن نسوقه كما سمعناه فقال: إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث" (٨).

ب. وعن أبي عمرو الشيباني، قال: كُنْتُ أَجَالِسُ ابْنَ مَسْعُودٍ حَوْلًا، لَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - اسْتَقْبَلَتْهُ الرُّعْدَةُ، وَيَقُولُ: "هَكَذَا أَوْ نَحْوَهُذَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا أَوْ مَا شَاءَ

اللَّهُ". شبهه (٩).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢١٤. وانظر: الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٣١.
(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٠٤. وانظر: البغدادي، الجامع لإخلاق الراوي وآداب السامع حديث رقم ١١٠٠، ص ٢٤٨ - ٢٤٩. وانظر أيضاً: الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٣٣.
(٣) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ١١١٦، ص ٢٥٢.
(٤) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ١١١٧، ص ٢٥٢.
(٥) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ١١١٤، ص ٢٥٢.
(٦) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ١١١٥، ص ٢٥١ - ٢٥٢.
(٧) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٢٧٥.
(٨) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٠٩ - ٣١٠.
(٩) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٨، حديث رقم ٨٥٣٥، ص ٢٥.

ج. وفي رواية عنه: "أنه حدث يوماً عن رسول الله - ﷺ - فارتعد وارتعدت ثيابه ثم قال أو نحو هذا" (١).

د. وعن عامر قال كان عبد الله لا يقول: قال رسول الله ﷺ، فإذا قال: قال رسول الله - ﷺ - قال: هكذا أو نحو من هذا أو قريباً من هذا وكان يرتعد" (٢).
فالصحابة أرباب اللسان وأعلم خلق الله بمعاني الكلام، لم يكونوا يقولون ذلك إلا تخوفاً من الزلل والخطأ، لمعرفة بما في الرواية على المعنى من الخطر (٣).
وهؤلاء الصحابة نقل عنهم جواز ورخصة الحديث بالمعنى، وهناك آخرون من الصحابة ممن لم ينقل عنهم المنع نقلوا مروياتهم بالمعنى فيعدون من المجيزين (٤).

المطب السادس: أدلة القائلين برواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى من الصحابة

لم يكن الصحابة بدعاً في رواية الأحاديث بمعناها، بل وجدوا دليلاً في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله - ﷺ - وإليك هذه الأدلة:

١. عن عبد الله بن مسعود قال: "سأل رجل النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله إنك تحدثنا حديثاً لا نقدر أن نسوقه كما سمعناه. فقال إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث" (٥).

٢. عن عبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثي عن أبيه عن جده قال: "قلنا لرسول الله - ﷺ -: بابينا أنت وأما يا رسول الله، إنا لنسمع الحديث فلا نقدر على تأديته كما سمعناه. قال: إذا لم تحلو حراماً ولم تحرموا حلالاً فلا بأس" فذكر ذلك للحسن فقال: لولا هذا ما حدثنا" (٦).

٣. عن خالد بن ذريك عن رجل من أصحاب النبي - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: من تقول علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله وهل لهما عينان؟ قال ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبْعِدُونَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ لَأَمَّا تَغِيظُوا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١٢)، فأمسك القوم أن يسألوه، فأنكر ذلك من شأنهم وقال ما لكم لا تسألوني؟ قالوا: يا رسول الله سمعناك تقول: من تقول علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، ونحن لا نحفظ الحديث كما سمعناه، نقدم حرفاً ونؤخر حرفاً ونزيد حرفاً

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، ج ١، حدیث رقم ٣٨٠، ص ٢١١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شواهد فيه عن عبدالله، ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرطهما.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، حدیث رقم ٣٨١، ص ٢١٢، وقال الحاكم صحيح ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

(٣) الأبناسي، برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أيوب الشافعي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تحقيق أبو عبد الله محمد على سمك، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٤) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ٢١٨.

(٥) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٩٩ - ٢٠٠، قال المنذري: ورواته ثقات، ج ١، ص ٩٨.

(٦) القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص ٢٧٧ - ٢٧٨. أخرجه الطبراني وفيه سليمان بن أكيمة الليثي، قال السخاوي عن هذا الحديث: حديث مضطرب وقال محقق الكتاب: صحيح الإسناد وله شواهد، انظر السلسلة الصحيحة، رقم ١٤٧٢.

وننقص حرفاً، قال ليس ذلك أردت إنما قلت من تقول عليّ ما لم أقل يريد عيبي
وشين الإسلام أو شيني وعيب الإسلام^(١).

وفي رواية أخرى عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "من كذب علي متعمداً
فليتبوا مقعده بين عيني جهنم" فشق ذلك على الصحابة فقالوا: يا رسول الله إنا نحدث عنك
بالحديث فنزيد فيه وننقص. فقال: ليس ذلكم، إنما أعني الذي يكذب عليّ يريد عيبي وشين
الإسلام^(٢). قالوا: يا رسول الله أولجهم عينان^(٣)؟ قال: "ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل:
﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا مَا تَنَطَّلُوا عَنْ بَوَاقٍ﴾ (الفرقان: ١٢) فهل تراهم إلا بعينين"^(٤).

المطلب السابع: بيان القول الراجح من هذه الأقوال

بعد عرض أقوال الصحابة - ﷺ - في مسألة رواية الحديث النبوي الشريف باللفظ
والمعنى، نجد أنهم جميعاً متفقون على حسن الأداء وعدم القول على الرسول ﷺ، لكن هنالك
أمران يجب التفريق بينهما وهما: التفريق بين ما روي عن النبي - ﷺ - على أنه من أفعاله،
وما يروي عنه - ﷺ - على أنه من أقواله، وفي رواية أصحابه عنه ﷺ.

فالأحاديث الفعلية، والتقريرية، والوصفية لا تدخل في مبحث رواية الحديث بالمعنى
في عصر الصحابة ﷺ، وفيما يرويه الصحابة - ﷺ - عن رسول الله - ﷺ - إذ لم يصدر عن
رسول الله - ﷺ - أقوال وألفاظ يجب عليهم روايتها باللفظ، وإنما صدرت أفعال رأوها فعبّر
كل واحد منهم عن مشاهدته بلفظ من عنده، ومن هنا فلا يقال أنهم رَوَوْا الأحاديث الفعلية
بالمعنى.

ثم أضف إلى ذلك أنه هؤلاء الصحابة - ﷺ - هم الحلقة الأولى والجيل الذي بلغ الغاية
والمنتهى في الفصاحة، والبلاغة والبيان، والقدرة على وصف أدق الأشياء غموضاً وخفاءً
بأبلغ العبارات وأوجز الألفاظ، من هنا تحداهم الله تعالى بالقرآن العظيم، وعلى ضوء ذلك فهم
مأمونون على رواية ما صدر عنه - ﷺ - من أفعال وتقريرات بألفاظ مطابقة مؤدية للمعنى
الذي أرادوا التعبير عنه، وروايتها حسب مشاهدتهم للألفاظ^(٥).

وبهذا قال القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٥٤هـ): "إن هذا الخلاف إنما يكون في
عصر الصحابة ومنهم، وأما من سواهم، فلا يجوز لهم تبديل اللفظ بالمعنى وإن استوفى ذلك
المعنى..... والصحابة بخلاف ذلك، فإنهم اجتمع فيهم أمران عظيمان: أحدهما: الفصاحة
والبلاغة، إذ جبلتهم عربية، ولغتهم سليقة، والثاني: أنهم شاهدوا قول النبي - ﷺ - وفعله
فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة، واستيفاء المقصد كله، وليس من أخبر كمن عاين. ألا
تراهم يقولون في كل حديث: "أمر رسول الله - ﷺ - بكذا" ونهى رسول الله - ﷺ - عن كذا ...

(١) البغدادى، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٠٠، و ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: هذا الحديث لا يصح.

(٢) ابن الجوزي، الموضوعات، م ٢، ص ١٠٦.

(٣) الجوزجاني، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عبد الجبار الفيرولائي، نشر إدارة البحوث
الإسلامية والدعوة والإفتاء، ط ١، ١٩٨٣م، كتاب العلم، باب التحديث، حديث رقم (٨٧)، ص ٩٢-٩٣.

(٤) سورة الفرقان، آية رقم (١٢).

(٥) الشايحي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث المعنى، ص ٧٢.

ولا يذكرون لفظه؟ وكان ذلك خبراً صحيحاً ونقلًا لازماً، وهذا لا ينبغي أن يترتب فيه منصف لبيانه^(١).

وهذا ما قال به محمد بن هارون الروياني (ت ٣٠٧هـ) وعلي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) الذي نقل السخاوي عنهما فقال "لا يجوز لغير الصحابة خاصة لظهور الخلل في اللسان بالنسبة لمن بعدهم بخلاف الصحابة، فهم أرباب اللسان، وأعلم الخلق بالكلام"^(٢). وقال ابن العربي: "الخلاف في هذه المسألة إنما يتصور بالنظر إلى عهد الصحابة والتابعين، لتساويهم في معرفة اللغة الجبلية الذوقية، وأما من بعدهم فلا تشك أن ذلك لا يجوز، إذ الطباع قد تغيرت، والفهم قد تباينت، والعوائد قد اختلفت، وهذا هو الحق، والله أعلم"^(٣). وبهذا يتبين أنه إنما جَوَزَ الصحابة رواية الحديث الشريف بالمعنى لأمرين اثنين هما:

الأول: كونهم من أرباب اللسان الواقفين على ما فيه من أسرار البيان.

الثاني: سماعهم أقوال النبي - ﷺ - مع مشاهدتهم لأفعاله ووقوفهم على أحواله بحديث وقفوا على مقصده جملة وتفصيلاً^(٤)، فإذا رَوَوْا بالمعنى استوفوا مقاصده كله، مع ملاحظة أنهم لم يكونوا يروون بالمعنى إلا حيث لم يستحضروا اللفظ، وأما إذا رَوَوْا بالمعنى أشاروا في أكثر الأحيان إلى ذلك فصارت النفس مطمئنة لما يروونه بالمعنى، بخلاف من بعدهم من التابعين وغيرهم فإنهم لم يكونوا في معرفة اللسان والوقوف بالطبع على أسرار البيان مع عدم سماعهم لشيء من أقواله - ﷺ - ولا مشاهدتهم لشيء من أفعاله ولا وقوفهم على حال من أحواله^(٥). قال الخطيب البغدادي: "ورواية حديث رسول الله - ﷺ - وحديث غيره على المعنى جائزة عندنا، إذا كان الراوي عالماً بمعنى الكلام وموضوعه، بصيراً بلغات العرب ووجوه خطابها، عارفاً بالفقه واختلاف الأحكام، مميزاً لما يحيل المعنى وما لا يحيله وكان المعنى ظاهراً معلوماً، وأما إذا كان غامضاً محتملاً فإنه لا يجوز رواية الحديث على المعنى، ويلزم إيراد اللفظ بعينه وسياقه على وجهه، وقد كان في الصحابة - رضوان الله عليهم - من يتبع رواية الحديث عن النبي - ﷺ - بأن يقول: "أو نحوه"، "أو شكله"، أو كما قال رسول الله ﷺ، والصحابة أرباب اللسان، وأعلم الخلق بمعاني الكلام، ولم يكونوا يقولون ذلك إلا تخوفاً من الزلل، لمعرفتهم بما في الرواية على المعنى من الخطر"^(٦).

وبهذا تضيق دائرة رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى عند الصحابة - ﷺ - - لتقتصر فقط على أحاديثه القولية، ثم إن هنالك عوامل ساعدتهم على الحفظ مثل تكراره ﷺ، وإعادته اللفظ ثلاثاً حتى يحفظ، مع ما أوتيته - ﷺ - من جوامع الكلم وغيرها من عوامل

(١) المتبوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، ص ٣١٦.

(٢) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث ج ٢، ص ٢١٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان ومكة الفزالي، ج ١، ص ٤١٤.

(٤) الحفناوي، دراسات أصولية في السنة النبوية، ص ٢٨٥ - ٢٨٦، وانظر الشاذلي ونوح، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٤٣.

(٥) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٣٠٨.

(٦) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ٣٣.

الحفظ التي سنذكرها في مطلب أسباب تفوق الصحابة في الحفظ، ولا يعني ورود الحديث بأكثر من لفظ أنه روي بالمعنى، وذلك لتعدد مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا مع ملاحظة تحري الصحابة - ﷺ - في حفظ كلامه - ﷺ - حتى توقف الكثير منهم عن الرواية خوفاً من الزيادة والنقصان.

"وهكذا نجد أن رواية الصحابة - ﷺ - تكاد تخلو من الرواية بالمعنى، أما الأحاديث الفعلية والتقريرية الوصفية فلأنها لا تدخل في الموضوع أصلاً لأنهم هم الذين تلفظوا وعبروا عن مشاهدتهم لأحوال وأفعال الرسول - ﷺ - ابتداءً وأما القولية فلما سبق بيانه من حال النبي - ﷺ - في تلفظه، وإعادته لكلامه وإيجازه وتأنيه، ومن حال أصحابه - ﷺ - في حرصهم على حفظه وورعهم عند أدائه وروايته"^(١).

وفي الختام أقول: إن رواية الحديث الشريف بالمعنى جائزة لأنه؛ لو كان أداء الحديث النبوي الشريف بألفاظه هو المطلوب دون معناه لأمر النبي - ﷺ - الصحابة - ﷺ - أن يكتبوه كما كتب القرآن الكريم، وإن جواز رواية الحديث بالمعنى ليس في الأمور التعبدية، أو في ألفاظ الإنكار التوقيفية لأنه ربما كان في اللفظ سرٌّ لا يحصل بغيره^(٢)، وعلى هذا فإن المجيزين للرواية بالمعنى استثنوا الأحاديث التي تتعلق بالعقائد كذات الله وصفاته، والأحاديث التي يتعبد بها كأحاديث الإنكار والشهد والأحاديث التي تشتمل على جوامع كلمة ﷺ^(٣).

قال محمد عجاج: "والحق أننا نرى هذا فيما كان عليه الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم، فلم يتصرفوا إلا في وصف الأحوال والمشاهد والوقائع ومع هذا كان كثير منهم يحتاط ويقول بعد رواية الحديث النبوي الشريف "أو كما قال" "أو نحو هذا" "أو شبهه"، كما كان يفعل عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأنس بن مالك وغيرهم"^(٤).

وبعد هذا العرض يمكننا أن نحكم أن رواية الحديث بالمعنى كانت للضرورة، وكانت بقدر الحاجة، وخاصة بعدما عرفنا ورع الصحابة - ﷺ - ودقتهم في رواية الأخبار وتحفظهم وتثبتهم مما يسمعون أو يروون. وهذا يرجح أن الرواية بالمعنى إن وقعت تاريخياً من بعض الصحابة - ﷺ - فإنما كانت بألفاظ قريبة جداً من ألفاظه - ﷺ - لأنهم عاصروا التنزيل وشاهدوا رسول الله - ﷺ - وسمعوا منه وتخرجوا من مدرسته واستضاءت قلوبهم بتوجيهه وعنايته. ومع كل ذلك كانوا على جانب عظيم من البيان والفصاحة والبلاغة، وهم أعلم الأمة بلغة العرب، لم يتسرب اللحن إلى كلامهم، ولم تتغير سليقتهم ولسانهم الذي امتزج بالأمم والشعوب الأخرى. وعلى ضوء ذلك من النادر جداً أن نرى اختلافاً فيما نقلوه عنه - ﷺ - من

(١) الشاذلي ونوح، مناهج المحققين في رواية الحديث بالمعنى، ص ٧٣.

(٢) المياطي، شهاب الدين محمد بن محمد البدر، صفوة الملح بشرح منظومة البيقوني في متن المصطلح، تحقيق نور الدين طالب، دار النوادر، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٢٤٦.

(٣) أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) الخطيب، أصول الحديث وعلومه، ص ٢٥٢.

جوامع الكلم أو مما يتعبد بلفظه كصيغ الأذان والإقامة والدعاء والتشهد وغير ذلك^(١). ثم أضف إلى ذلك الأسباب التي أدت إلى اختلاف اللفظ الذي ذكرت سابقاً.

وأخيراً، فإن الصحابة - رضوا الله عنهم - كانوا في غاية الاحتياط والتثبت وهم يحملون إلينا سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى كان الصحابة الأجلاء أمثال ابن مسعود وأنس وأبي الدرداء - رضوا الله عنهم - إذا روي الحديث قالوا تحريراً من تبديل لفظ أو تغييره، "أو نحو هذا، أو شبهه، أو قريباً منه، حتى بلغ من احتياطهم إلزام راوي الحديث النبوي الشريف أن يقول عقب كل حديث كلمة" أو كما قال" أو كلمة تؤدي هذا المعنى^(٢).

المبحث الرابع

المذاكرة والمزاورة والمدارسة للحديث النبوي الشريف

تمهيد:

إن الله تعالى اختص الأمة الإسلامية بحفظ القرآن الكريم والعلم عن ظهر قلب، وقد كان من قبلنا من الأمم يقرأون كتبهم من الصحف، ولا يقدرون على الحفظ، فيروون عن صحف لا يعرف من كتبها، ولا من نقلها. وليس في أمم من الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله وتقريراته على وجه يحصل به الثقة بالإسناد المتصل الذي يرويه الثقة عن الثقة إلى أن يصل الأمر إليه - رضوا الله عنهم - إلا نحن المسلمين.

ولما كانت هذه المزية لا يمكننا المحافظة عليها إلا بدوام الدراسة والمذاكرة، قام الصحابة - رضي الله عنهم - بها ليبقى الحديث النبوي الشريف محفوظاً في حرز مكين^(٣).

لذا لم يكتف الصحابة بمجرد الأخذ عنه - رضوا الله عنهم - سماعاً أو كتابة، وإنما عمدوا إلى حفظ وتثبيت هذا الذي أخذوه عنه بواسطة المذاكرة والمدارسة، وبواسطة التطبيق العملي والتنفيذ^(٤).

وطريق إحكام المحفوظ كثرة الإعادة، والناس في ذلك متفاوتون في قدرتهم على الحفظ، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، لذا ينبغي له أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ^(٥)، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنِ عَاهَدَ عَلَيْهَا

(١) الخطيب، السنة قبل التكوين، ط ٢، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣.

(٢) محمود، علي عبد الحليم، التعريف بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو علم الحديث رواية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٥٥.

(٣) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٨٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استنكار القرآن وتعاذه، حديث رقم ٣١، ص ٥، ص ٩٠٩.

(٥) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٧٥.

أَمْسَكْهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ^(١). إذن لا شك أن المذاكرة كان لها الأثر الكبير في حفظ السنة النبوية الشريفة في الصدور، وحمايتها من النسيان والضياع.

ومن هنا حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على المذاكرة باعتبارها أسلوباً من الأساليب التي تحفظ الحديث النبوي الشريف وتضبطه، وتصونه من الخلل الذي يطرأ على حفظ الصدور وضبطه^(٢)، كما حرصوا على نصيح طالبي الحديث النبوي الشريف بالمداممة عليها^(٣).

المطلب الأول: مفهوم المذاكرة

١. المذاكرة لغة:

المذاكرة من الذكر وهو الحفظ للشيء وتذكره، والذكر والذكرى بالكسر نقيض النسيان.

وكذلك الذكر بالضم - واستنكر الرجل: ربط في أصبعه خيطاً ليذكر به حاجته، والتذكرة: ما تستنكر به الحاجة، واستنكر الشيء: درسه للذكر، والاستنكار: الدراسة للحفظ، والتذكر: تذكر ما أنسيته، وذكرت الشيء بعد النسيان، وتذكرته، وأذكرته غيري، ونكرته بمعنى^(٤).

قلت: نلاحظ أن لفظ المذاكرة يدور حول معنى حفظ الشيء، واستحضاره وتعهده وعدم نسيانه.

ب- المذاكرة في الاصطلاح:

إن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة جداً، حيث نجد أن مراد المحدثين من ذلك هو حفظ الحديث، واستحضاره وعدم نسيانه، ودراسته بقصد ضبطه، وتحصيل الفوائد الخاصة بروايته، وبناء على ذلك عرّف أستاذي محمد عيد الصّاحب المذاكرة فقال:

المذاكرة: هي مراجعة الراوي للحديث، واستنكاره إياه على وجه يقصد منه حفظه، وضبطه وعدم نسيانه^(٥).

وعرّفها إبراهيم الطويلة بقوله: "هي إعادة المعلومات واستنكارها وتكرارها على سبيل التثبيت والحفظ"^(٦).

قال أحمد سيف: "والمذاكرة بما يحفظه الإنسان أو يقتنع به، من مادة المفاعلة التي تقع بين طرفين أو أكثر، وقد تستعمل من طرف واحد، إذا أريد بها معنى الكثرة في بذل الوسع

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استنكار القرآن وتعاذه، حديث ٥٠٣١ رقم، ص ١٢٢.

(٢) الصّاحب، محمد عيد، المذاكرة وأثرها في الرواية، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، م ٢٦، ملحق، ١٩٩٩، ص ٥٤١.

(٣) إقليد، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى، ص ٧٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، م ٥، ص ٤١٩.

(٥) الصّاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٤٢.

(٦) الطويلة، الجوانب التعليمية في كتاب العلم من صحيح البخاري وشروح الحافظ ابن حجر العسقلاني، رسالة ماجستير في

جامعة اليرموك - الأردن، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٦٥.

في الحفظ والتذكر، وتكون حينئذ مستعملة في غير بابها^(١)، والمذاكرة تكون بين اثنين فصاعداً، على ما تقتضيه صيغة "المفاعلة" من اشتراك الاثنين فأكثر في الفعل الواحد^(٢).
قلت: والمذاكرة هي عبارة عن تحصيل المعلومات وتخزينها في الذاكرة ويكون استنكارها ومراجعتها مع النفس أو الغير.

المطلب الثاني: فضل المذاكرة

للمذاكرة مكانة عظيمة في المجال التعليمي عامة وعند المحدثين خاصة، ونستطيع أن نلتمس جذورها في عهد المعلم الأول - ﷺ -، ومدى رسوخها في عهد الصحابة - ﷺ - أجمعين - ومن ثم في عهد من تبعهم من التابعين ومن بعدهم بإحسان إلى يوم الدين.
حيث أنها تعد وسيلة من الوسائل المهمة في ترسيخ الحديث النبوي في الذهن، وفهم فقهه وهي منهج السلف والخلف، معلمين ومتعلمين، طلبة وعلماء^(٣)، وهي وسيلة من وسائل الصحابة - ﷺ - في تطبيق منهجهم في حفظ الحديث وضبطه، وصيانتته من الخل.
والتعليم يقتضي مراجعة طالب العلم للعالم ليفهم ويتعرف على الحقائق، لذا يؤكد ابن حجر أن للطالب الحق في مراجعة المعلم ليتم الفهم وتتوضح الصورة " وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح".

ولما كان النسيان آفة تعترى بني البشر، كانت المذاكرة شكلاً من أشكال التثبيت والحفظ، وصورة من صور تأكيد الضبط، والعلاج الناجع للوهم والخطأ والنسيان الذي لا يخلو منه البشر، ولما كانت المذاكرة من أهم الوسائل التي تكفل حفظ الحديث وضبطه، وصيانتته من العوارض التي تخل بتحملة وأدائه، بحيث يكون نقله وضبطه، وصيانتته من العوارض التي تخل بتحملة وأدائه، بحيث يكون نقله نقلاً دقيقاً محرراً، وتتوفر فيه دواعي القبول له والاحتجاج به، اتجه الصحابة إليها لحفظ حديث رسول الله ﷺ، لذا هيا للحدث المذاكرة بصورها المتعددة^(٤)، قال ابن عباس "تذكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم، فإنه ليس مثل القرآن، القرآن مجموع محفوظ، وإنكم إن لم تذكروا هذا الحديث يفلت منكم، ولا يقولن أحدكم: حدثت أمس، لا أحدث اليوم بل حدثت أمس وحدث اليوم وحدث غداً"^(٥)، ولفضل المذاكرة وعظمتها ثوبه الصحابة الكرام بها غير ما مرة، وفي هذا يقول ابن عباس أيضاً: "تذاكر العلم بعض ليله أحب إلي من إحيائها"^(٦). بل وجعلوها موازنة للصلاة، قال ابن مسعود ﷺ: "الدراسة صلاة"^(٧).

(١) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ٢٤٨.
(٢) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ١٦٤.
(٣) أقالينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٢.
(٤) الصاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٤١.
(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٢٤.
(٦) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٩٥.
(٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٢٢.

لذا فإنها تعد من أهم جوانب إعداد الطالب الحديثي لدى المحدثين بعامه، حثهم الطالب على مذاكرة محفوظاته، وتعاهد مروياته، فإن ذلك من أهم دواعي تثبيت العلم وتقريره، وترسيخ المحفوظ وتحريره؛ فإن كلمة مرة ليست مستقرة، وإن من غوائل العلم نسيانه، ومن عاهاته إهمال العالم إياه حتى يذهب عن ذهنه، وهذا ما حذر منه ابن شهاب الزهري حيث قال: "إن للعلم غوائل؛ فمن غوائله: أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله"^(١)، وقال أيضاً: "إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة"^(٢)، ولا ريب أن أعظم آفات العلم النسيان الحادث عن غفلة التقصير، وإعمال الثواني، فعلى من ابتلي به أن يستدرك نقصه بكثرة الدرس، ويوقظ غفلته بإدامة النظر، فقد قالوا: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكثف نفسه"^(٣) ومن هنا فإن من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم، فلذلك كثر حثهم على إحياء الحديث بمذاكرته وإدامته بمدارسته^(٤). كما أن التعليم يقتضي مراجعة طالب العلم للعالم ليفهم المقصود والمراد ويتعرف على الحقائق، لذا يؤكد الحافظ ابن حجر أن للطالب الحق في مراجعة المعلم الفهم وتتوضح الصورة "وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح"^(٥)، ثم إن المذاكرة تساعد على دوام التعلم؛ لأن الذي يتذكر يتعرف على ما تنكره وهذا يساعد على دوام التعلم مدة أطول ويساعد على استيعاب المادة المراد استنكارها وعلى سهولة ربط أجزائها ببعض^(٦).

المطلب الثالث: المذاكرة في عهد النبي - ﷺ - وأهدافها

كانت للمذاكرة دور كبير في الحفظ والتفقه، وقوة الضبط منذ أيام الرواية الأولى، بحيث أنها سارت جنباً إلى جنب مع التلقي عنه ﷺ.

ومن هنا حرص الصحابة - رضوا - على تلقي حديثه الشريف وسماعه، حيث علموا وأدركوا أنه جزء من الوحي الذي أوتي به ﷺ، وأنه بعض العلم الذي جاء به من عند الله تعالى، وأكثر من ذلك، أنه البيان لكتاب الله، الذي يعد أصل الدين والشرع.

ولو تتبعنا تاريخ المذاكرة لوجدناها أنها كانت موجودة في المجلس الذي كان يعقده - ﷺ - عند وجود فسحة لذلك، كقيامه لحاجة، أو بعد انقضاء وانفضاض المجلس مباشرة وهو الأغلب والأعم، أو بعد فترة زمنية قريبة أو بعيدة، بحسب ما تقتضيه الحاجة، أو يسمح به الوقت^(٧).

(١) الزمهرمي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٧١.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، حديث رقم ٦٨٥، ج ١، ص ٤٤٣.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، ج ١، ص ٥٠.

(٤) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧١.

(٦) الطوالة، الجوانب التعليمية في كتاب العلم من صحيح الإمام البخاري وشروح الحافظ ابن حجر المسقلاني، ص ٦٥.

(٧) الصاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٤٤.

لذلك وجدنا أن للمذاكرة في عهده - عليه السلام - كان لها مدلول وأهداف خاصة تختلف أو تتفق عما بعدها من مراحل وإليك هذه الأهداف^(١).

١. الحفظ:

وهذا هو الهدف الأظهر، ويظهر هذا الهدف في كثير من النصوص الواردة عنهم بحيث تكون المذاكرة مباشرة بعد انتهاء الرسول - عليه السلام - من التحديث، كما جاء عن أنس - رضي الله عنه - حيث قال: "كنا قعوداً مع النبي - عليه السلام - فعسى أن نكون قدر ستين رجلاً، فيحدثنا الحديث، ثم يدخل لحاجته، فنراجع به بيننا، هذا، ثم هذا، فنقوم كأنما زرع في قلوبنا"^(٢). ويقول أيضاً: "كنا نكون عند النبي - عليه السلام - فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه بيننا حتى نحفظه"^(٣).

فهنا نلاحظ أن مذاكرة الحديث النبوي الشريف صحبت روايته، وأن المذاكرة كانت تتم في مجلس العلم الذي كان يعقده عليه السلام، ويوضح أن المراجعة للحديث النبوي الشريف كان الهدف منها هو حفظ الحديث النبوي الشريف، بالرغم من كثرة عددهم، وأن الجميع قد حفظوا الحديث النبوي الشريف، واستقر في قلوبهم استقراراً لا يكون معه مجال للشك أو الريبة، والوهم، والنسيان^(٤).

وقد تكون المذاكرة في غير مجلسه عليه السلام، بحيث يذاكر الصحابي لوحده ومع نفسه كما كان مع أبي هريرة - رضي الله عنه - حيث كان يذاكر الحديث النبوي الشريف في جزء من الليل، بحيث كان يجزيء الليل إلى ثلاثة أجزاء، منها ثلث للنوم وثلث للقيام، وثلث يتذكر فيه حديث النبي عليه السلام^(٥).

وفي هذا يقول أبو زهو: "قالصحابه رزقوا حوافظ قوية، وقرائح وقادة، ساعدتهم كثيراً على حفظ الحديث وضبطه، وهم يعلمون أن الحديث أصل من أصول الدين، فضبطوه بالمذاكرة، وتعهدوه بالدرس والتعليم، حتى تثبتوا منه كل التثبيت"^(٦).

٢. التفقه:

إن الهدف المتوخى من حفظ الحديث النبوي الشريف يرتبط بفهم معانيه الجليلة والدقيقة، لكي يطبق ويترجم إلى الواقع، فمن حفظ وفهم كان كوردة لها رائحة زكية، وأما من وقف عند حدود الحفظ دون معرفة المعاني، فإنه مثل وردة لا رائحة لها.

(١) أقلينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٣.

(٢) البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، باب ذكر الرواية عن التابعين والمخالفين في مثل ذلك، ص ١٤٩.

(٣) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، م ١، ص ٤٦.

(٤) الصاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٤٤٢.

(٥) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، م ٢، ص ٣١٩.

(٦) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بنقل السنة، ص ١٥٢.

لذا وجدنا الصحابة - ﷺ - يتناولون الحديث الشريف بالدرس والمذاكرة قصد فهم روح تعاليم وتشريع الإسلام السمحة ^(١). ومن ذلك ما رواه الجارود - ﷺ - أنه قال: "يَتِمَّا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَفِي الظَّهْرِ قَلَّةٌ إِذْ تَذَاكُرُ الْقَوْمُ الظَّهْرَ... الحديث" ^(٢).

ومنه أيضاً ما ورد عن حذيفة بن أسيد - ﷺ - أنه قال: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ تَذَاكُرُ فَقَالَ مَا تَذَاكُرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ... الحديث" ^(٣).

ونلاحظ هنا في عهده ﷺ، أنه إذا كانت المذاكرة من أجل الحفظ موكولة غالباً إلى الصحابة ﷺ، أما إذا تعلق الأمر بالنفقه، فإنه يشرف عليها الرسول - ﷺ - مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة، كما في بعض الأحيان والحالات التي يبلغه فيها فهم أحد الصحابة لآية أو حديث، فالرسول ﷺ، أما أن يقره أو ينكر عليه ذلك ^(٤)، ومثال هذا ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ فَأَعَادَ أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ وَلَمْ يُعِدِ الْآخَرُ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ أَصَبْتَ السُّنَّةَ وَأَجْزَأُكَ صَلَاتُكَ وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ لَكَ الْآخِرُ مَرَّتَيْنِ" ^(٥)، ومثله أيضاً ما رواه أبو هريرة - ﷺ - أنه قال: "تَذَاكُرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ" ^(٦)، ومثله أيضاً ما رواه جبير بن مطعم - ﷺ - حيث قال: "تَذَاكُرْنَا غُسْلَ الْجَنَابَةِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ... الحديث" ^(٧).

ومنه ما رواه أبو هند البجلي قال: كنا عند معاوية وهو على سريرته، وقد غمض عينيه، فتذاكرنا الهجرة، والقائل من يقول: انقطعت، والقائل منا يقول: لم تنقطع، فاستتبها معاوية فقال: ما كنتم فيه؟ فأخبرناه، وكان قليل الرد على النبي ﷺ، فقال: "تَذَاكُرْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" ^(٨). والأمثلة على ذلك كثيرة يضيق المقام بذكرها، لذا اكتفينا بما دلل على هذا الموضوع.

(١) أقلاينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٣، ص ٤٤.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٢٠٧٧٣، ج ٥، ص ٨٠.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم ٢٩٠١، ص ٧٣٣.

(٤) أقلاينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٧٨.

(٥) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطهارة باب في المتيمم يجد بعدما يصل في الوقت، حديث رقم ٣٣٨، ٢٦٢، وقال الألباني، صحيح.

(٦) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم ١١٧٠، ص ٢٨٢.

(٧) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، م ٤، ص ٨١.

(٨) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، م ٤، ص ٩٩.

المطلب الرابع: المذاكرة في عهد الصحابة - ﷺ - وأهدافها

سار الصحابة على هدية - ﷺ - يتدارسون ويدرسون القرآن الكريم والحديث الشريف في حلقات العلم، وعرف الصحابة قيمة المذاكرة، لذا وجدناهم حرصوا عليها حرصاً لا مثيل له، وكانوا ينصحون طلابه بالمحافظة والمداومة عليها. ومما يدل على ذلك ويؤكد عنايتهم بموضوع المذاكرة، وأن هذا كان منهجاً لهم، أقوالهم الكثيرة التي وصلت إلينا، وتبين مدى الحاجة والضرورة الملحة للمذاكرة من أجل حفظ وصيانة الحديث، وصفاء الرواية^(١)، وإليكم بعض أقوالهم هذه:

١. قول علي ﷺ: "تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَتَزَاوَرُوا ، فَإِنَّكُمْ إِن لَّا تَفْعَلُوا يُذْرَسَ"^(٢).

٢. قول عبد الله بن مسعود ﷺ: "تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ حَيَاتَهُ مُذَاكِرَتُهُ"^(٣).

٣. قول أبي سعيد الخدري ﷺ: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَهْجُ الْحَدِيثَ"^(٤).

٤. وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "رددوا الحديث واستذكروه، فإنه إن لم تنكروه ذهب، ولا يقولن رجل لحديث قد حدثه قد حدثته مرة، فإنه من كان سمعه يزداد به علماً، ويسمع من لم يسمع"^(٥) وغيرها من الأقوال الكثيرة التي يصعب حصرها.

وبعد دراسة موضوع المذاكرة عند الصحابة ﷺ، وجدت أنهم كانوا يذكرون الحديث النبوي الشريف لعدة أهداف يبتغون تحقيقها تتجلى في الأمور الآتية^(٦):

١. الحفظ والتذكر:

إذا كان الصحابة - ﷺ - في عهد الرسول - ﷺ - يقومون بحفظ الحديث النبوي الشريف ومذاكرته، فإنه من باب أولى أن يقوموا بمذاكرته بعد وفاته ﷺ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى نقلته من ذهن الصحابي، فعن علي ابن أبي طالب - ﷺ - أنه قال: "تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَتَزَاوَرُوا ، فَإِنَّكُمْ إِن لَّا تَفْعَلُوا يُذْرَسَ"^(٧). وعن ابن مسعود - ﷺ - قال: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْحَدِيثِ حَيَاتُهُ"^(٨). وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال: "تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ مَذَاكِرَةَ الْحَدِيثِ تَهْجُ الْحَدِيثَ"^(٩).

(١) الصحاح، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٤٥.
(٢) الدارمي، السنن، كتاب المقنعة، باب مذاكرة العلم، م ١، ص ١٥٥.
(٣) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب المقنعة، باب مذاكرة العلم، م ١، ص ١٥٥.
(٤) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب المقنعة، باب مذاكرة العلم، م ١، ص ١٥٣.
(٥) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٩٤.
(٦) قلادة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٥.
(٧) الدارمي، سنن الدارمي، باب مذاكرة العلم، ج ١، ص ١٥٠.
(٨) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم ٣٢٨، ج ١، ص ١٩٥.
(٩) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم ٣٢٦، ج ١، ص ١٩٥، وقال الحاكم: وقد روي في الحث على مطالبة الحديث عن: علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود بأحاديث صحيحة على شرط الشيخين، وقال الذهبي: وروي موقوفاً.

قلت: نستطيع أن نخلص من النصوص السابقة الذكر، إن للمذاكرة أهمية عظيمة في الحفظ والتذكر، سيما إذا ما عرفنا قلة الكتابة آنذاك مقارنة مع الرواية الشفوية، مع مراعاة وجود بعض الصحابة الذين كانوا يكرهون كتابة الحديث النبوي الشريف .

والمحافظة على الحديث النبوي الشريف تتوجب المداومة على التحديث، وهذا لا يتأتى إلا بالمذاكرة، وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: " تَذَكَّرُوا هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ الْقُرْآنِ مَجْمُوعٌ مَحْفُوظٌ ، وَإِلَيْكُمْ إِنْ لَمْ تَذَكَّرُوا هَذَا الْحَدِيثَ يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ حَدَّثْتُ أَمْسٍ فَلَا أَحَدَّثْتُ الْيَوْمَ ، بَلْ حَدَّثْتُ أَمْسٍ وَلْتَحَدَّثْ الْيَوْمَ وَلْتَحَدَّثْ غَدًا " (١).

٢. التفقه ونشر العلم:

إن فوائد المذاكرة تفنق النظر، واستنباط الأحكام التي يكون المرء عنها غافل في بداية أمره، وبها يسع أفق المحدث، ولذا قالوا: العلم يزداد بالإنفاق. ثم إنه قد يحضر المحدث مجلساً فيسمع حديثاً لم يسمع به من قبل، فينتفع به، فإنه " رُبُّ حَامِلٍ فَقَّهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ وَرُبُّ حَامِلٍ فَقَّهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ " (٢). قال ابن عباس رضي الله عنه: " رُدُّوا الْحَدِيثَ وَاسْتَذَكِّرُوهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ تَذَكِّرُوهُ ذَهَبَ ، وَلَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ لِحَدِيثٍ قَدْ حَدَّثَهُ قَدْ حَدَّثْتُهُ مَرَّةً ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ سَمِعَهُ يَزْدَادُ بِهِ عِلْماً وَيَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ " (٣).

قلت: ومن المعروف أن يقوم السامع للحديث النبوي الشريف بتطبيق ما ورد عن رسول الله - ﷺ - وبذلك ينتشر الحديث النبوي الشريف بين أفراد المجتمع، لأن المسلمين حريصون كل الحرص على تطبيق هدية والسير على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٣. تصحيح الأخطاء:

وهذا أيضاً لا يتأتى إلا بالمذاكرة، وذلك كان يسمع الصحابي حديثاً من صحابي آخر قد وهل عن جزء في المتن مثلاً، فتغير معناه، فيحكم أحد الصحابة بالخطأ على رواية الصحابي الأول ويصححها له. ومثال ذلك، عندما قال ابن عمر ؓ: " الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ "، لما ذكروا ذلك لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "يرحم الله أبا عبد الرحمن، إنما قال: الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ" (٤)، وعندما ذكر لها أيضاً قول ابن عمر عن رسول الله - ﷺ -

(١) الذارمي، سنن الذارمي، باب مذاكرة العلم، ج ١، ص ١٤٧.
(٢) الشيباني، سنن الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، حديث رقم ٢١٦٣٠.
(٣) الذارمي، سنن الذارمي، ج ١، ص ١٤٧.
(٤) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، حديث رقم ٢٤٢٩٢ و ٢٦١٠٩.

في قتلى بدر، قالت: " وَهَلْ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ يَغْلِبُونَ أَنْ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ " (١). ومعنى وهل: أي غلط (٢).

قلت: وبهذا يتضح لنا أَنَّ الصَّحَابَةَ - ﷺ - كانوا حريصون كل الحرص على ضبط ألفاظ الحديث الشريف ضبطاً دقيقاً يصل إلى درجة الوقوف عند الحرف الواحد، وهذا ما لاحظناه في موضوع الرواية باللفظ والمعنى وكما لاحظناه في موضوع رحلتهم - ﷺ - أجمعين.

٤. معالجة القضايا:

ففي المذاكرة معالجة لبعض القضايا المختلفة، سواء أكانت حديثية أو فقهية أو غيرها. ومثال ذلك: ما رواه الإمام أحمد بسنده عن العلاء، قال: " دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَقَامَ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ذَكَرْنَا تَعْجِيلَ الصَّلَاةِ أَوْ ذَكَرَهَا فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَأَفِّقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَأَفِّقِينَ يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ فَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ أَوْ عَلَى قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا " (٣).

ولما كان للمذاكرة دور رائد، سواء على صعيد التعليم أو الذب عن السنة النبوية الشريفة، استمرت المذاكرة بعد الصحابة - ﷺ - فسار التابعون ومن بعدهم على منهجهم وأخذوا بوصيتهم، وعملوا على مذاكرة الحديث حتى أوصوا تلاميذهم باعتماد هذا الأسلوب من أساليب تثبيت الحفظ وزيادة الضبط، وعرفوا أن آفة العلم ترك المذاكرة، لذا اقتدوا بهم وحذروا أنفسهم ومن بعدهم من ترك المذاكرة، خوفاً من الوقوع في المحذور، ومحافظة على الحديث (٤). وفي هذا يقول عطاء بن أبي رباح "كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه... فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث" (٥).

المطلب الخامس: صور مذاكرة الحديث

لقد تنوعت صور المذاكرة في عهد الصحابة - ﷺ، فكانت على ثلاث صور هي: المذاكرة مع النفس، والمذاكرة مع الأقران، والمذاكرة الجماعية، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن المحدثين اتبعوا كل وسيلة ممكنة، من أجل حفظ الحديث الشريف وتثبيته في الصدور، وحمايته من العوارض التي تعثر به كالنسيان أو الوهم أو الخلط، لذا كانت المذاكرة من أقوى أسباب حفظ الحديث الشريف وضبطه، ويمكن حصر صور المذاكرة في عهد الصحابة - ﷺ - بما يلي (٦):

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٩٢٩، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٣) المسجستاني، منن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في وقت صلاة العصر، حديث رقم ٤٠٣، ص ٧٠، وقال الألباني: صحيح.

(٤) اقلاينة، النظم التعليمية عن المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٧، ٥٦.

(٥) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، رواية عبد الله بن جعفر بن درستوي النحوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء

العمري، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١ هـ، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.

(٦) الصاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٤٧.

أ. المذاكرة مع النفس:

وهي أن يردّد الطالب ما يحفظه، ويكرره في دخيلة نفسه، ويستحضره في ذهنه وعلى لسانه حتى يستيقن من رسوخ مادته وثبوتها، بحيث يشعر من نفسه أنه بإمكانه استحضارها متى شاء^(١). وهذه الصورة تقوم على أن يدرس المتلقي ما تلقاه من حديث مع نفسه، فيتحفظ ما تحمله حتى يثبت في صدره. ومثالها: ما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً أصلي، وثلثاً أنام، وثلثاً أنكر فيه حديث رسول الله ﷺ^(٢).

ب. المذاكرة مع الأقران:

قال محمد الثاني عمر موسى: "وهي أن يحرص الطالب على مذاكرة قرين له اشتركا في الأخذ عن شيوخ معينين، أو في أبواب علم معينة، ليستفيد كل من خبرة الآخر ومعرفته بأبواب العلم، ونفائس الفوائد، ويكون ذلك عوناً له على تثبيت المعلوم عنده، وترسيخ المحفوظ لديه، وقد يكون عند أحدهما ما ليس عند الآخر، فيحفزه ذلك على طلب المزيد، أو يصحح أحدهما للآخر ما عسى أن يقع فيه من غلط ووهم، أو يشتبه فيما قد يشك أو يتردد فيه من ألفاظ أحاديثه، وغير ذلك من الفوائد التي تتضمنها المذاكرة من هذا النوع"^(٣).

وقال النووي رحمه الله: "يذاكر بمحفوظاته من ذلك من يشتغل بهذا الفن، سواء كان مثله في المرتبة، وفوقه، وتحتة، فإن بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر، ويتأكد ويتقرر، ويزداد بحسب كثرة المذاكرة، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أياماً"^(٤).

وهذا النوع كان سائداً منذ عهده - رضي الله عنه - حيث جاءت العديد من الآثار التي تدل على تذاكر الصحابة - رضي الله عنهم - فيما بينهم للحديث النبوي الشريف ومسائل العلم، فقد كانوا أسوة في تطبيق هذا الأسلوب وسلوك هذه الجادة، ومن أمثلة ذلك:

١. ما رواه أحمد بسنده عن المقدم بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه، أنه "جَلَسَ مَعَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَالْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيِّ فَتَذَاكُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِعُبَادَةَ يَا عُبَادَةُ كَلِمَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي غَزْوَةِ كَذَا"^(٥).

(١) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ١٦٦.

(٢) البغدادي، الجامع لأخلاق والأدب وأدب السامع، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١، ص ٤٧ - ٤٨.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، م ٥، ص ٣١٦ - ٣٢٦، وإسناده صحيح.

٢. وعن شقيق بن سلمة قال: كان عبد الله وأبو موسى جالسين، وهما يتذاكران الحديث، فقال أبو موسى: قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامٌ يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُظْهَرُ فِيهَا الْهَرَجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ"^(١).

٣. وعن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قدم زيد بن أرقم ﷺ، فقال له عبد الله بن عباس يستذكركه: كيف أخبرتني عن لحم صيد أهدى إلى رسول الله ﷺ - وهو حرام؟ قال: قال: "أَهْدَى لَهُ غُضُوٌّ مِنْ لَحْمٍ صَيْدٍ فَرَدُّهُ فَقَالَ إِنَّا لَا نَأْكُلُهُ إِلَّا حُرْمًا"^(٢).

٤. وما رواه أبو داود من أن سمرّة بن جندب، وعمران بن حصين رضي الله عنهما تذاكرا، فحدث سمرّة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله ﷺ - سكتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣) (الفاتحة: ٧) فحفظ ذلك سمرّة، وأنكر عليه عمران بن حصين، فكتب في ذلك إلى أبي بن كعب فكان في كتابه إليهما، أو في رده عليهما: "أَنَّ سَمُرَةَ قَدْ حَفِظَ"^(٤).

٥. وجلس يوماً أبو هريرة وابن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن "تَذَاكُرُوا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا الْحَامِلِ تَضَعُ عِنْدَ وِفَاةِ زَوْجِهَا... الحديث"^(٥).

ج. المذاكرة الجماعية

وهو من مذاكرة الحديث: أي التحديث به للناس وتذكرهم بما فيه من العلم والفقه والدين. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الواقدي من أنه: "كان من الأنصار سبعون رجلاً شبيهة بسمون القراء، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية من المدينة فتدارسوا وصلوا، حتى إذا كان وجاء الصبح، استعذبوا من الماء وحطّبوا من الحطب... الحديث"^(٥).

ومنه قول أنس ﷺ: "كنا نكون عند النبي ﷺ - فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه"^(٦). فهذه الآثار وغيرها تدل على مدى حرص الصحابة - ﷺ - في حفظ السنّة والتثبت فيها، باعتبارها وسيلة وأسلوباً من أساليب حفظ الحديث وضبطه، وتدلنا أيضاً على مدى همة الصحابة - ﷺ - وصرفهم أوقاناً بالليل والنهار، في حلهم وترحالهم، وفي حربهم وسلمهم، من أجل مذاكرتهم الحديث، كي لا يغيب عن أذهانهم، لأنهم كانوا يعدون الحديث أمانة في أعناقهم عليهم أن يبلغوه إلى من بعدهم كما سمعوه منه - ﷺ - كما تدلنا

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤، ص ٣٩٢، وإسناده صحيح.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحریم الصيد للمحرم، حديث رقم ١١٩٥، ص ٢٨٩.

(٣) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب السكتة عند الافتتاح، حديث رقم ٧٧٩، ص ١٠٥، وقال الألباني: ضعيف.

(٤) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، حديث رقم ١١٩٤، ص ٢١٣، وقال الألباني: صحيح.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ١، ٣٤٧.

(٦) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ص ٢٣٦.

أيضاً على أنه كان من ديدن الصحابة أنهم كانوا يتذكرون الحديث فيما بينهم، وإن لم يوجد أحد يذاكر الصحابي قام الصحابي يذاكر الحديث مع نفسه، ولذا أوصى الصحابة - ﷺ - تلاميذهم وطلابهم بمذاكرة الحديث، وبينوا لهم أن ترك مذاكرة الحديث سبب لضياعه أو نسيانه^(١).

المطلب السادس: أهمية المذاكرة

تعتبر المذاكرة من أهم الوسائل والضوابط التي استخدمها الصحابة - ﷺ - في توثيق السنة الشريفة للوصول إلى صحة المتن الشريف^(٢)؛ لذلك لم يكتف الصحابة - ﷺ - بنقل الأحاديث الشريفة وروايتها، بل كانوا يتدارسونها فيما بينهم لكي يحيطوا بجميع معانيها ومراميها، كما أنهم طلبوا من طلابهم تدارسها أيضاً^(٣)، فعن عطاء قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا سمعت مني حديثاً فتذكروه بينكم"^(٤)، وعن علي - ﷺ - أنه قال: "تزاوروا وتحثثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس"^(٥)، وعن ابن مسعود أنه قال: "تذكروا الحديث فإن حياته مذاكراته"^(٦). ومن هنا فإن المذاكرة في الحديث سنة قد درج عليها الصحابة منذ زمن النبي ﷺ، واستمروا وحافظوا عليها؛ وذلك لما لها من أثر في حفظ الحديث الشريف وتثبيتته في الصدور^(٧).

لذا فإن أهمية الشيء تكمن في آثاره، ولما كان للمذاكرة تلك الآثار العظيمة والجليلة اهتم بها الصحابة والتابعون من بعدهم عملاً بها، وحثاً عليها منذ عهد النبي ﷺ، فقد كان الصحابة - ﷺ - يتذكرون ويتدارسون الحديث النبوي الشريف بعد سماعهم له من النبي ﷺ - كي يحفظوه^(٨)، وفي هذا يقول أنس ﷺ: "كنا نكون عند النبي ﷺ، فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه"^(٩).

وقد اعتبر الصحابة - ﷺ - المذاكرة من أعظم العبادات، وفي هذا يقول عون بن عبد الله بن عتبة "لقد أتينا أم الدرداء فتحدثنا عندها، فقلنا أملكناك يا أم الدرداء؟"^(١٠). فقالت: ما أملكتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مذاكرة العلم، أو قالت: من مذاكرة الفقه^(١١). كما أن للمذاكرة دور بارز وعظيم في حفظ الحديث النبوي الشريف وضبطه، وصيانته من الخلل والعوارض التي تؤدي إلى ضعفه، كما كان لها دور

(١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٩٣.

(٢) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ٣٦٧.

(٣) كولن، السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ص ٦١.

(٤) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ٤٦٧، ص ١١٣.

(٥) المصدر السابق، باب كيفية الحفاظ عن المحدث، حديث رقم ٤٦٦، ص ١١٣.

(٦) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجاسه، ص ٤٢٤.

(٧) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٣١.

(٨) حياتي، مجلس المذاكرة عند المحدثين أهميته وآثاره ومدى اعتماد المحدثين عليه، ص ٥٧.

(٩) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم ٤٦٤، ص ١١٣.

(١٠) هي: أم الدرداء الكبرى، صحابية من فضليات النساء وعقلانهم ونوات الرأي منهم، انظر ابن حجر: الإصابة في تمييز

الصحابة، ج ٨، ص ٧٣.

(١١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ١٠٢.

مهم في تمييز الرواة ونقد مروياتهم، وتحصيل الفوائد المتعددة الخاصة بالحديث النبوي الشريف^(١).

ونظراً لأهمية المذاكرة وخطورتها فقد عقد العلماء لها أبواباً مستقلة ومن هؤلاء: الإمام الذارمي في مقدمة سننه حيث قال: باب مذاكرة العلم^(٢)، كما جعل الحاكم النوع الثالث والثلاثين في كتابه "معرفة علوم الحديث" في موضوع المذاكرة فقال: "هذا النوع من هذه العلوم: مذاكرة الحديث والتميز بها والمعرفة عند المذاكرة بين الصدوق وغيره، فإن المجازف في المذاكرة يجازف في التحديث"^(٣). إذن المذاكرة من الأمور التي تتوقف عليها عملية الإعداد، وتوجيه طالب الحديث إلى أهمية المذاكرة في إعداده العلمي وما ينبغي أن يراعيه في ذلك، ليحسن الأخذ، ويجود التحصيل، ويكون تعلمه قائماً على أساس سليم من الفهم والإدراك والإقناع الذاتي، يقول جعفر بن محمد: "القلوب ثرب، والعلم غراسها، والمذاكرة ماؤها، فإذا انقطع عن الثرب ماؤها، جف غراسها"^(٤). ويقول ابن مهدي: "إن مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار، إذا غاب عن السوق خمسة أيام، تغير بصره"^(٥). أي: معرفته بالأشياء وأمانها. من أجل ذلك كله حرص الصحابة - رض الله عنهم - على المذاكرة لما فيها من حفظ للحديث وصيانته من الخلط والغلط والخطأ، فتدارسوا وتذاكروا وحثوا تلاميذهم على ذلك فأصبح الحديث في حرز مكين لا يتقلت منه شيء.

المطلب السابع: آثار المذاكرة

للمذاكرة أهمية عظيمة، وذلك لما لها من ضرورة حتمية وآثار جليلة، لأنها سر حياة العلم بجميع أنواعه وفنونه الذي به يتم إعمار الأرض مادياً ومعنوياً، لأن كل طالب علم لابد له بعد أن يتلقى مسألة من المسائل أن يتثبتها وذلك لا يكون إلا بالمذاكرة سواء أكانت بينه وبين نفسه، أو مع من هو مثله، أو مع من هو أعلى منه درجة، ليزيد في علمه وبغير ذلك تتوقف الحياة العلمية. لذلك اهتم بها الصحابة - رض الله عنهم - أكبر اهتمام لآثارها الجليلة، والتي من أهمها^(٦):

١. فيها حياة سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "تذاكروا الحديث فإن حياته مذكراته"^(٧). وقال أبو سعيد

(١) الصحاح، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥٠.

(٢) الذارمي، سنن الذارمي، كتاب المقدمة، باب مذاكرة العلم، ص ١٥٣.

(٣) الحاكم: معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٤٢٣.

(٤) سيف، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، ص ٢٤٧.

(٥) الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٦) حيّاتي، محمد، مجلس المذاكرة عند المحدثين أهميته وآثاره ومدى اعتماد المحدثين عليه، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة العلوم

الإنسانية والاجتماعية، م ١، عدد ٢، ١٩٩٤م، ص ٥٤.

(٧) الزاهر مزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص ٥٤١.

الخدري رحمه الله: "تَذَكُّرُوا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ" ^(١). ففيها إحياء للعلم الذي آفته النسيان.

٢. الزيادة في العلم : إذ أن صنع المذاكرة يظهر زيادة علم عند بعض المتذاكرين لا توجد عن البعض الآخر فتحفظ عنهم، وفي هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "رُدُّوا الْحَدِيثَ وَاسْتَذْكُرُوهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ تَذْكُرُوهُ ذَهَبَ ، وَلَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ لِحَدِيثٍ قَدْ حَدَّثَهُ قَدْ حَدَّثْتُهُ مَرَّةً ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ سَمِعَهُ يَزْدَادُ بِهِ عِلْمًا وَيَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ" ^(٢).

٣. تقييم الأحفظ والأضبط، ووضع كل منهم في مكانه المناسب، وذلك مما يثري الحياة العلمية بفتح باب التنافس، إذ بالمذاكرة يظهر مدى حفظ كل من المتذاكرين ومدى ضبطه والمكانة المناسبة واللائقة له. ومثاله: ما رواه أبو داود من أن سمرة بن جندب، وعمران بن حصين - رضي الله عنهما - تذاكرا، فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله - ﷺ - سكتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿عَبَّ حفظ عن رسول الله - ﷺ - سكتتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿عَبَّ في ذلك إلى أبي بن كعب، فكان في كتابه إليهما، أو في رده عليهما "أَنْ سَمَرَةَ قَدْ حَفِظَ" ^(٣). ومثاله أيضاً: ما حصل مع ابن عمر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما: عندما قال ابن عمر رضي الله عنه: "الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ" فلما ذكروا ذلك لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "يرحم الله أبا عبد الرحمن" إنما قال: الشهر يكون تسعًا وعشرين". ومثله أيضاً عندما قال ابن عمر - رضي الله عنهما - في قتل بدر، فقالت: "وَهَلْ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ" ^(٤).

٤. وضع المسائل العلمية في مسارها الصحيح كي تؤدي دورها المثمر، وذلك بكشف الأخطاء وتصويبها أو التذكير بما نسي ^(٥). ومثالها: ما رواه أبو داود بسنده عن العلاء، قال: " دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَقَامَ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ذَكَرْنَا تَعْجِيلَ الصَّلَاةِ أَوْ ذَكَرَهَا فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَأَفِّقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٥٤٦.

(٢) الذارمي، منن الذارمي، باب المذاكرة، حديث رقم ٦٠٦، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) سورة الفاتحة، آية رقم (٧).

(٤) المسجلتان، منن أبي داود، كتاب الصلاة، باب السكنة عند الإفتتاح، حديث رقم ٧٧٩، ص ١٠٥، وقال الألباني: ضعيف.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجلائز، باب الميت يعتب بكماله عليه، حديث رقم ٩٢٩، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٦) أقلاينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ٥٧.

الْمُتَافِقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَافِقِينَ يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ فَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ أَوْ عَلَى قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ^(١).

٥. حفظ الحديث: تعد المذاكرة من أهم الوسائل التي تعمل على حفظ الحديث الشريف وضبطه وإتقانه وربما كان ذلك أهم أثر يتحقق بالمذاكرة، بل نستطيع القول إن الغاية الأولى والهدف الأسمى من مذاكرة الحديث الشريف، هي طلب حفظه وتحصيل ضبطه، وهذا واضح من خلال الأقوال الكثيرة التي جاءت عن الصحابة - رضي الله عنهم - في الحث على المذاكرة وبيان أثرها، ومن هذه الأقوال، وقد تقدم الكثير منها ما يلي: ^(٢)

أ. قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تداروا وتذاكروا هذا الحديث أن لا تفعلوا يدرس" ^(٣).

ب. قول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "تداوروا وتذاكروا، فإن الحديث يذكر الحديث" ^(٤).

ج. قول ابن عباس رضي الله عنهما: "تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ

الْقُرْآنِ مَجْمُوعٌ مَحْفُوظٌ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ... الحديث" ^(٥).

د. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَرَوِيَ حَدِيثًا فَلْيُرَدِّدْهُ ثَلَاثًا" ^(٦).

هـ. قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تزاوروا وأكثروا ذكر الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يندرس الحديث" ^(٧).

وغيرها كثير من الأقوال التي صدرت عن الصحابة - رضي الله عنهم - في أهمية المذاكرة وأثرها في الحفظ ويظهر من استخدام لفظ "الحياة والموت" في عبارة أهل العلم، أثر المذاكرة في تذكر ما فات واسترجاع ما نسي وضبط ما تم حفظه ^(٨).

٦. نقد الرواية والكشف عن علتها: ومن الفوائد العظيمة التي تحصل بالمذاكرة نقد الرواية، والكشف عن علتها، وبيان خطأ الراوي ووهمه ^(٩). ومن أمثلة ذلك: ما رواه الإمام مسلم بسنده عن مجاهد قال "دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الصُّحَى فِي الْمَسْجِدِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فَقَالَ بَدْعَةٌ فَقَالَ

(١) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في وقت صلاة العصر، حديث رقم ٤١٣، ص ٧، وقال الألباني صحيح.

(٢) الصحاح، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥١.

(٣) الزاهر مزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٥٤٥.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٥٤٥.

(٥) الدارمي، سنن الدارمي، باب مذاكرة العلم، حديث رقم ٦٠٥، ص ١٥٤.

(٦) الدارمي، سنن الدارمي، باب مذاكرة العلم، حديث رقم ٦١٤، ص ١٥٦.

(٧) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجاسه، ص ٤٢٤.

(٨) الصحاح، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥١.

(٩) الصحاح، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥٣.

لَهُ عُرْوَةٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ أَرْبَعُ عُمَرَ إِخْدَامُنَ فِي رَجَبٍ ...
الحديث " (١).

يقول أستاذي محمد عيد الصّاحب - حفظه الله ورعاه - (٢): "يبين هذا المثال، كيف كان الكشف عن خطأ الراوي حال المذاكرة، وكان عروة قد أدرك خطأ ابن عمر، هو ومن كان معه في المجلس عند سؤاله، والدليل على أن السؤال كان من قبيل المذاكرة، قول عروة: "فكرهنا أن نكذبه وتردّ عليه"، حيث يرشد ذلك إلى علمهم بمسألة عمر النبي ﷺ، ولهذا ما كان منهم إلا التوجه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لبيان خطأ ابن عمر، لأنها تقابله في العلوم والمكانة، والحاضرون دونهما في ذلك".

المبحث الخامس

معايشة النبي - ﷺ - والتعلم منه وتبليغ ما عندهم من العلم وعدم الكتمان

تمهيد

حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على حضور مجالس النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانوا يلزموه ولا يتخلفون عنه لا في حضر ولا سفر إلا اللهم في بعض الأحيان لقضاء بعض حوائجهم المعيشية فكانوا يذهبون للزراعة أو للتجارة أو نحوها، ومع ذلك كانوا حريصين على ما فاتهم من دروس النبي صلى الله عليه وسلم - فإذا ما حضروا سألوا واستفسروا.

لذا فإن معاصرة الصحابة - رضي الله عنهم - سهلت عليهم أن يتثبتوا في الحديث الشريف، وبقوا على ما أشكل عليهم من السنن وذلك بالرجوع إليه فيبدد الشكوك والأوهام، ويقضي على كل اختلاف يعرض لهم، ومن هنا فقد عرضت هذا المبحث من خلال المطالب التالية: معايشة الصحابة للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمكث عنده، وبيان مكانة العلم وفضل تعلمه وتبليغه للناس، وبيان حرمة كتمان العلم، واليكم بيان ذلك كله:

المطلب الأول: معايشة النبي - ﷺ - والمكث عنده

كان الصحابة - ﷺ - يراقبون كل حركاته وأقواله وأفعاله بكل دقة وتأن، وكانوا حريصين كل الحرص على حفظ ما يسمعون منه، وعلى العمل والتطبيق بما يتعلمونه، ولذلك ما كانوا يتركون فرصة للتعلم إلا واستغلوها (٣).

(١) الفشنري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان عمر النبي ﷺ وزمّته، حيث رقم ١٢٥٥، ص ٣١٠.

(٢) الصّاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥٣.

(٣) الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تكوينه، ج ٢، ص ٣٣٠.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "كنا قعوداً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعسى أن نكون ستين رجلاً فيحدثنا الحديث، ثم يريد الحاجة، فنتراجعه بيننا، فنقوم كأنما زرع في قلوبنا"^(١). وقصة سليط - رضي الله عنه - في حرصه الشديد على ملازمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - معروفة وفيها: "إذ أقطع له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرضاً فكان يخرج إليها ثم يرجع فيقال له: "لقد نزل بعدك من القرآن كذا وكذا، وقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كذا وكذا قال: فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن هذه الأرض التي أقطعتنيها قد شغلتنني عنك، فاقبلها مني، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك"^(٢).

ولقد كان بعضهم يأتيه - صلى الله عليه وسلم - من شقة ومكان بعيد، ويعايشه أو يمكث عنده فترة زمنية أو بصفة دائمة، يتعلم فيها أحكام هذا الدين، وشرائعه وعباداته، ثم يعود إلى أهله وعشيرته يعلمهم ويفقههم الإسلام^(٣). عن مالك بن الحويرث، قال: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فِي تَفَرُّجٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَحِيماً رَافِقاً فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهْلِنَا قَالَ ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"^(٤).

ولما كثرت المهاجرون بالمدينة المنورة، ولم يكن لهم دار، ولا مأوى، أنزلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - المسجد النبوي، وسماهم أصحاب الصفة^(٥)، فكان يجالسهم، ويأنس بهم ويعلمهم، ويربيهم على عيئه، وهم بدورهم كانوا يبلغون، وينقلون عنه كل ما يسمعون ويشارهونه، وكان - صلى الله عليه وسلم - بمعونة أثرياء المهاجرين والأنصار، يوفرون لهم حدود الكفاية الضرورية من الطعام والشراب، والملبس والمسكن وقد سرد أبو نعيم في كتابه "حلية الأولياء" جملة هؤلاء، فزادوا عن المائة وكانوا يكثرون ويقلون بحسب من يتزوج منهم، أو يموت أو يسافر لغزو، أو استفتاء، أو نحو ذلك.

ومما لا شك فيه أن هذه المعاشية من قبل أضياف الإسلام سواء أكانت دائمة أو وقتية كان له أعظم الأثر في إرث الكثير من الحديث النبوي الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تعليمه وتبليغه، ونشره، وتوريثه لغيرهم من الناس^(٦).

وهذا ما كان من وفد عبد القيس عندما جاءوا وعلمهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال لهم حين ودَّعهم: " احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ"^(٧). بل أكثر من هذا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبلغ الشاهد الغائب واختم بما قاله أبو هريرة رضي الله عنه: " وَإِنْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِشَبَعِ بَطْنِهِ

(١) اليعصبي، الإلماع في معرفة الرواية وتقييد السماع، ص ١٤٢.

(٢) أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٥٣، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٥٧.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد، حديث رقم ٦٢٨، ص ١٣٠.

(٥) الصفة: مكان مظلل في آخر المسجد النبوي، أعد لنزول الغرباء فيه، ممن لا مأوى له ولا أهل، انظر ابن الأثير: النهاية في

غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٦) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث الشريف، ص ٥٧ - ٥٨.

(٧) البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، حديث رقم

٨٧، ص ٢٩.

وَيَخْضَرُ مَا لَا يَخْضَرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ^(١). والذي يهمننا من هذا هو بيان حرص الصحابة -
 ﷺ- على معايشة النبي ﷺ، وحرصهم على تبليغ الغائبين الكتاب العزيز، والسنة النبوية
 الشريفة، وحرص الغائبين على تعلم ما فاتهم من الرسول - ﷺ- والسؤال عنه^(٢).

المطلب الثاني: مكانة العلم والعلماء وفضل تعلمه وتبليغه

لقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء وطلاب العلم، وحسبنا في ذلك أن أول ما نزل
 من القرآن الكريم كان فيه أمر وحض على تعلم القراءة التي هي إحدى وسائل العلم، وكان فيه
 ذكر للعلم وللعلم الذي يكتب به، وما ذلك إلا تنويه وتذليل على شرف العلم وأهميته وفضله،
 قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُم مِّنَ الْبَنَاتِ اللَّاتِي خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهِنَّ مَنَافِعَ وَمَالًا ۚ فَمَن يُغْنِي عَنْكُم مِّنَ ذَلِكَ شَيْئًا ۚ بَلْ لَّيْسَ بِكُم مِّنَ الْفَاعِلِينَ ۝١٠٠﴾ (العلق: ١-٥). وقال تعالى: ﴿وَالْقَالِمُونَ﴾ (ن: ١-٢).

ونجد أن القرآن الكريم يشيد بالعلم والعلماء، ويحث على التفكير والتدبر والنظر في
 ملكوت السموات والأرض الذي هو ميدان العلم، وقلما نجد آية من آيات الله تعالى تخلو من
 لفته إلى ذلك: لقوم يتفكرون، لقوم يعلمون، لقوم يعقلون، لآيات لأولي الألباب، وهكذا^(٣).
 ثم نجده يعلو من شأن العلماء ويرفع درجتهم عالياً ويجعل الفارق كبيراً بينهم وبين
 غيرهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١). وقال
 تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩). ونجده أيضاً لا
 يأمر النبي - ﷺ- أن يطلب من شيء إلا العلم، فيقول له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

وقد بينت السنة شأن العلم والعلماء وطلبة العلم، فهذا النبي - ﷺ- يقول في شأن
 العلماء ويجعلهم ورثة الأنبياء: "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
 وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^(٤).

وحدث الرسول - ﷺ- على طلب العلم والتفقه في الدين فقال: "من يرد الله به خيراً يفقهه
 في الدين وإنا أنا قاسم ويغطي الله"^(٥). وجعل التنافس الحق والمشروع في المال الذي ينفقه

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص ٣٥.

(٢) الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٣) البغاء، مصطفى ديب، الكافي في علوم الحديث، دار العلوم الإنسانية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ١٦.

(٤) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤١، ص ٤٠٣، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم ١٠٣٧، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

صاحبه في وجوه الخير، والعلم المقترن بالتعليم والعمل فقال: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا" (١).

ودل وأرشد إلى كل علم نافع يفيد ويطلع المسلمين على اللغات، ويمكنهم من معرفة علوم غيرهم، حتى يأمنوا شرورهم (٢)، فأمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود، وقال له: "يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فأني والله، ما آمن يهود على كتابي" وفي رواية: "إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية، قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً" (٣). وحث ورغب على تبليغ العلم، وأرشد إلى طرائق البلاغ والأداء، وأوصى بطلبة العلم ونشر العلم والمعرفة، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يأمرهم بأن يرحبوا بطلاب العلم، فيقول: "سَيَأْتِيَكُمُ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَقْتُمُوهُمْ قُلْتُ لِلْحَكَمِ: مَا أَقْتُمُوهُمْ قَالَ عَلَمُوهُمْ" (٤).

ولم يقف الأمر عند الوصية بالعمل والحث عليه وبيان فضله، بل جاء الأمر بوجوب طلب العلم وتبليغه (٥)، فقد قال - رضي الله عنه -: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلَّدِ الْخَزَائِرِ الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ" (٦). وكما حذرهم من كتمان العلم فقد حثهم وشجعهم على تبليغ ما سمعوه وبشرهم بأن لهم الثواب العظيم مثل أجور من تبعه، قال - رضي الله عنه -: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْآخِرِ مِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" (٧).

ولم تقف جهود الصحابة في خدمة الحديث على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - عند مجرد التقييد والحفظ بل تعدت ذلك إلى التبليغ والنشر للناس كافة إلا ما جاء النهي منه - رضي الله عنه - بعدم تبليغه، وكانوا يرون أن أولى الناس سماعاً للخير الذي عندهم، وانتفاعاً به، إنما هو أهلوه وذوهم، ونلمح هذه الظاهرة من خلال مراجعة مرويات الصحابة، إذ نجد مشاركة أولادهم، وأهلبيهم، وذويهم غيرهم من الناس في نقل هذه المرويات عنهم، وحسبنا دليلاً عملياً واحداً على صحة هذه الظاهرة: أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط لها حديثان في الكتب الستة رواهما عنها

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمه من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، حيث رقم ٨١٦، ص ١٩٤.

(٢) القطان، مناع، مباحث في علوم الحديث، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ط ٢.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٧٥.

(٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم، حديث رقم ٥٤٧، ص ٢٤٥، وقال الألباني: هذا حديث حسن.

(٥) البغاء الكافي في علوم الحديث، ص ١٨.

(٦) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم ٢٢٤، ص ٣٩، وقال الألباني: صحيح.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم ٤٨٣١، ج ١٣، ص ١٦٤.

مع غيره ابنها حميد بن عبد الرحمن بن عوف. ومن هنا فقد حرصوا أشد الحرص على نقل هديه - ﷺ - إلى الناس كافة كما ورثوه عنه مرة بالقول، وثانية بالسلوك وبالفعل، وثالثة بهما معاً، وإن كلفه ذلك ما كلفهم، وما الأحاديث القولية، والفعلية، والمسلسلة^(١) إلا خير شاهد على ما نقول^(٢).

وكان من أخلاقيات العلم العلماء في الإسلام: الحرص على نشر العلم وتعليمه وتبليغه إلى الناس كافة، فلا خير في علم يكتُم، كما لا خير في أموال تكتنز، فإنما جعل العلم لينشر ويعم به النفع، كما جعل المال لينفق. وكان - ﷺ - يحض ويحرص أصحابه - رضي الله عنهم - على تبليغ ما يسمعون منه، لينتفع به من بعدهم زماناً، ومن وراءهم مكاناً إلى يوم القيامة^(٣). ففي آخر أيامه وفي حجة الوداع تحديداً ألقى خطابه العظيم عن الإسلام ثم قال في آخر الخطبة "ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"^(٤)، وعن زيد بن ثابت قال: قال الرسول ﷺ: "نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ قُرْبَ حَامِلٍ فَقَبِلَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَقَبِلَهُ لَيْسَ بِفَقِيهِ"^(٥). وقوله - ﷺ - في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"^(٦)، وقوله أيضاً لوفد عبد القيس لما قدموا إليه: "اخْفِظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنِ وَرَاءَكُمْ"^(٧).

وهكذا كان الصحابة - ﷺ - من أشد الناس حرصاً على نشر العلم، وبذل الحديث لطلابه، سمت بهم الهمة إلى أعلى مما نظن^(٨)، وما فعلوا ذلك إلا امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله - ﷺ - في أن يأخذ كل واحد منهم العلم عن فوقه، ويبلغه إلى من دونه، إذ في فعل هذا بقاء العلم وإظهاره، ومعرفة أحكام الدين وإشهاره.

ومن هنا فقد بوب البخاري في كتاب العلم "بَابُ يُبَلِّغُ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"، وأورد قول النبي ﷺ: "لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"^(٩). وفي باب رفع العلم وظهور الجهل قال ربعة: "لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه، وفسر الحافظ ابن حجر مراده "ينشر العلم في أهله

(١) الحديث المسلسل: هو ما تتابع رجال إسناده عند روايته على صفة أو حال معينة، إما من الراوي، وإما من المروي، وصفة أو حال الراوي قد تكون قولية، وقد تكن فعلية ومثاله: مسلسل التشبيك باليد الذي أخرجه الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) نوح، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص ٧٩ - ٨١.

(٣) القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٧٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: "رُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"، حديث رقم ٦٧، ص ٢٤.

(٥) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣٦٦٠، ص ٤٠٤، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، ص ٦٩١.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، باب تحريض النبي ﷺ وقد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، حديث رقم ٨٧، ص ٢٩.

(٨) السلوم، أحمد بن فارس، حفظ الله السنة وصور من حفظ العلماء لها وتنافسهم فيها، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٨٧ - ٨٨.

(٩) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣٦٦٠، ص ٤٠٤.

لئلا يموت العالم قبل ذلك لئلا يؤدي إلى رفع العلم أو أن ينشهر العالم نفسه ويتصدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه ولا يهين نفسه بأن يجعله عرضاً للعنصرية^(١).

ولما أعطى الرسول ﷺ - علياً الراية ، قال علي: " يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَّا فَقَالَ الْفُؤَادُ عَلَى رِجْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ... الحديث" ^(٢).

المطلب الثالث: حرمة كتمان العلم

لكل شيء زكاة، وزكاة العلم نشره وتبليغه للناس، كما أن زكاة الجسد الصوم كما قال بعض أهل العلم: "ولا يهلك العلم إلا أن يكون سراً"^(٣)، والعلم من أفضل النعم التي أكرمنا الله تعالى بها، وهو السراج المنير الذي يضيء للناس، وبه يميز ويعرف الإنسان الخير من الشر، والصحيح من الخطأ، والحلال من الحرام، والطيب من الخبيث، لذلك حرم الإسلام كتمان العلم، ومن أجل ذلك جاء القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ببيان فضل العلم وفضل العلماء، في الوقت الذي حذر فيه الله - عز وجل - وهادي البشرية ومعلمها الأول - صلى الله عليه وسلم - من كتم العلم وعدم نشره للناس^(٤). فكنتم العلم يولد نقصانه حيث تزداد بركته ونماؤه بنشره وتبليغه والدعوة إليه، لذا أوجب الله تعالى على رسوله التبليغ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا

الْمُذَنَّبُونَ ۖ قُفُّوا نَذِيرٌ ۚ وَرَبُّكَ فَكِّيزٌ ۚ وَرَبُّكَ فَطَفِيرٌ ۚ وَالرُّجُفَ فَهَجُزٌ ۚ﴾ (المذثر: ١-٥). وقد حذر الله تبارك وتعالى العلماء من كتمان العلم وحجبه عن الناس، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ

الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ ۚ﴾ (البقرة: ١٥٩).

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: " مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٥)، وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - ﷺ - أنه قال: "من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجاماً من نار، ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجاماً من نار"^(٦).

وقال ابن مسعود ؓ: "أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم"^(٧). لقد حرم النبي - ﷺ - على

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ج ٢، حديث رقم ٢٤٠٦، ص ١٨٧٢.

(٣) الديلمي، ناصر مصطفى، الأساس في الخطب والمواعظ، مراجعة وتقديم محمود الحامد وعبدو الحريري، دار البشير، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٨١.

(٤) محسن، محمد سالم، السراج المنير في الثقافة الإسلامية، دار الجيل، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، ص ٩٤.

(٥) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، حديث رقم ٣٦٥٨، ص ٤٠٤، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٦) التميمي، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، مسند ابن عباس، حديث رقم ٢٥٨٥، ج ٤، ص ٤٥٨.

(٧) عثيمين، محمد بن صالح، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، مراجعة وإشراف المؤلف، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٣٢٣.

الصَّحَابَةُ - ﷺ - كتمان ما علموه من الحديث الشريف ولا سيّما إن ستلوا عما علموه وتعلموه، أو اقتضت الحال والضرورة أن يصرحوا بما لديهم من علم، فكان أحدهم يذكر الأحاديث النبوية التي خصه بها رسول الله - ﷺ - خوفاً من الوقوع بالإثم، إن كتم ما كان قد سمعه وحده من رسول الله ﷺ^(١)، كما كان مع معاذ بن جبل - ﷺ - وغيره كما سنرى بعد قليل.

يقول القرطبي رحمه الله: "أخبر الله تعالى أن الذي يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى ملعون والمراد كل من كلمة الحق فهي عامة في كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه واستدل العلماء بهذه الآية على وجوب تبليغ العلم الحق وتبيان العلم على الجملة دون أخذ الأجرة عليه، وأن العالم إذا قصد كتمان العلم عصي، أي يتبرأ الله منهم ويبعدهم من ثوابه ويقول عليكم لعنتي، وأصل اللعنة في اللغة الإبعاد أو الطرد قال قتادة: والمراد "باللاعنون"... الملائكة والمؤمنون. وقال مجاهد وعكرمة هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجذب بذنوب علماء السوء الكائمين فيلعنونهم"^(٢).

لذا أدرك الصحابة - ﷺ - أهمية السنة النبوية الشريفة وقيمتها وضرورتها وأدركوا وعرفوا وجوب نقلها وتبليغها، وكما كانوا ينتشون ويسعدون من حث الرسول - ﷺ - لهم كانوا يتخوفون ويرتجفون عندما يسمعون وعيده وتهديده وتخويفه، كما أنهم في الوقت ذاته يسمعون تهديد القرآن الكريم لمن يكتم شيئاً من العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتِهِ فَأُولَٰئِكَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَلَكِنْ كَتُمُوا وَبَيَّهْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٩). فهذه الآيات ومثلها كانت تخوفهم وترعبهم، لذلك أقبلوا على الكتاب العزيز وعلى السنة النبوية الشريفة يفهمونها ويقومون بتبليغها إلى الناس^(٣). طاعة لرسول الله - ﷺ - عندما قال في خطبة الوداع "يُبْلَغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُلْغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"^(٤).

ومن هنا فإن الصحابة كانوا على علم بالقرآن الكريم، والسنة الشريفة، كانوا أسبق الناس إلى الائتمار بأمره والانتهاز بنهيهِ، ولقد علموا وعرفوا ما وعد الله به كاتم العلم من لعن وطرد، وإبعاد من رحمته، فكانوا إذا علموا شيئاً من سننه - ﷺ - بادروا إلى تعليمه وإبلاغه خروجاً من التبعة وابتغاءً للرحمة، فسرعان ما ينتشر بين الناس، فإن نسي بعض منهم، فربّ مبلغ أوعى من سامع، فمن البعد بمكان أن يضيع شيء من شيء من سننه أو يخفى على عامة المسلمين^(٥).

(١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٨٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الكريم، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٦.

(٣) كولن، محمد فتح، السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، ط ٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، حديث رقم ٦٧، ص ٢٤.

(٥) الخولي، تاريخ فنون الحديث النبوي، ص ٣٤.

إذن فكأنم العلم مقترف لكبيرة من الكبائر التي يتوجب على صاحبها توبة مشروطة^(١)، لذا فهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة هي التي جعلت الصحابة - ﷺ - يحرصون أشد الحرص على تبليغ ما يحملون في صدورهم من علم الدين، فعن أبي صالح مولى عثمان، قال: " سَمِعْتُ عُثْمَانَ - ﷺ - يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كَتَمْتُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كَرَاهِيَةً تَفَرِّقُكُمْ عَنِّي ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْوَهُ لِيَخْتَارَ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ مَا بَدَأَ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ : رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ " ^(٢).

ولخوفهم العظیم من الأثم المترتب على كتمان ما علموه من السنة، ولحرصهم الشديد في أدائها وتبليغها من أجر عظيم، ما كان يصدهم شيء عن تبليغ السنة مهما كلفهم ذلك، فقد ورد عن أبي ذر الغفاري، عندما نهى الخليفة عثمان - ﷺ - عن الفتيا ولكنه رغم إيمانه بوجوب طاعة الخليفة وولي الأمر رأى أن طاعته في هذا الأمر خاصة غير ملزمة لأنه - ﷺ - أمر بالتبليغ وعدم كتمان العلم^(٣)، ولما اجتمع الناس عليه في موسم الحج يستفتونه وقف عليه رجل من قريش ثم قال له: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقب أنت علي؟ لو وضعتُ الصنصنمة على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننتُ أَلَيَّ أَلْفِ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَلْفِدْتُهَا ^(٤).

ومثله أبو هريرة - ﷺ - عندما قال: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْ لَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا " ^(٥). ثُمَّ يَتْلُوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ...﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠)، ومثلها قوله تعالى أيضا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧). ومثله ما رواه يزيد بن هرمز عن ابن عباس أنه قال: "كتب نجلي إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: إن الناس يقولون: إن ابن عباس يكتتب الحرورية، ولولا أنني أخاف أن أكتم علما ما كتبت إليه وذكر الحديث" ^(٦). فقد فعلها اليهود وكتموا العلم مقابل حطام الدنيا الفانية كالرياسة الكاذبة والأموال، فكانت تجارة كاسدة، وبوارا حلوا داره وأحلوه قومهم لما كتّموا العلم ونبذوه وراءهم ظهريا^(٧).

(١) أدلبي، الأساس في الخطب والمواظع، ص ٨١.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، م ١، حديث رقم ٥٥٨، ص ٥٦١، وقال محققه: حديث حسن.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط ١، ص ٢١٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ص ٢٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص ٣٥.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٢٠-٢١، وقال محققه إسناد صحيح.

(٧) الطاهر، الوصايا النبوية، ص ٦٧٢.

قال ابن الأثير: "الممسك عن الكلام ممثل بمن أجم نفسه بلجام والمعنى: أن الملجم نفسه عن قول الحق والإخبار عن العلم، يعاقب في الآخرة بلجام من نار، وذلك في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه، ويتعين عليه فرضه، كمن رأى كافراً يريد الإسلام، فيقول: علموني: ما الإسلام؟ وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا لحين الصلاة وقت حضر وقتها، يقول علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام، يقول: أفقوني، ارشدوني، فإنه يلزم في مثل ذلك أن يعرف الجواب، فمن منعه استحق الوعيد، وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا يلزم تعليمها"^(١).

قال القرطاضي: "وإنما قال ابن الأثير ما قال، لأن وقت العالم وجهده لا يتسعان لتبليغ كل علم وإجابة كل سائل، فحاجة المتعلم، وأهلية العالم، وطاقته، وأهمية الموضوع، ووجود من يقوم بالأمر عداه أو عدمه، كل هذا يحدد: متى الجواب ومتى لا يجيب".

ثم قال وإني ألمح في الحديث النبوي الشريف أن الوعيد مستحق لمن أجم نفسه عن الحديث أي: تعمد وتقصّد السكوت طمعاً أو خشية من الناس وبهذا يكتّم الشهادة والعلم^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٤٠). وهذا أيضاً ما أنكره القرآن الكريم على أهل الكتاب حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ (آل عمران: ١٨٧).

وحث الإسلام على نشر نوافل العلم، وتبليغها لأهلها بأي وسيلة من وسائل النشر والبلاغ شفاهاً أو كتابة، فالقلم أحد اللسانين، ولا سيما إذا جاء من يطلبها حرصاً عليها ورغبة فيها، فعندئذ لا يسع من يعلمها ويحملها إلا أن يبلغها ويؤديها كما حملت وأديت إليه، حتى يتوارث العلم ويحيا، وهذا من فروض الكفاية، قد يتعين على بعض العلماء لأهليته الخاصة للإفادة منه.

ومن هنا كان حرص الصحابة - رضوا - على تبليغ بعض أحاديث نبوية شريفة سمعوها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخشوا أن يفهمها الناس على غير وجهها، فكانوا يخبرون بها في آخر حياتهم تحرجاً وخوفاً من إثم كتم العلم خشية على موت الحقيقة العلمية معهم^(٣). ومن هؤلاء الصحابة - رضوا - على سبيل المثال لا الحصر: أبو أيوب الأنصاري - رضاه - أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لَوْ كُنَّا أَتَيْنَاكُمْ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُتَّبِعُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ"^(٤). ومثله عن معاذ بن جبل - رضاه - عندما كان رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ لَيْتَكَ يَأ"

(١) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، حديث رقم ٥٨٣٧، ج ٨، ص ١٢ - ١٣.

(٢) القرطاضي، الرسول والعلم، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) القرطاضي، الرسول والعلم، ص ٧٩.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، حديث رقم ٢٧٤٨، ص ٦٩٥.

رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ أَخْبِرْ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبِرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا ^(١).

ونجد ابن عباس - رضي الله عنهما - يرشد ويهدي، ويوجه طلاب الحديث وينصحهم بقوله: "إخواني تتاصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضاً فإن خيانة الرجل في علمه أشد من خيانة في ماله" ^(٢)، ومن هنا فكتمان العلم ملوم فاعله، ومنموم فاعله. وهكذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتورعون عن الرواية حتى لا يقعوا في الكذب لكنهم كانوا يبلغون ما يسمعون للناس خشية أن ينالوا عقوبة من يكتم العلم، وهكذا كان التابعون من بعدهم، حيث حملوا الراية عن الصحابة - رضي الله عنهم - فبلغوا أتم البلاغ، وكان ذلك منهم مشوباً بخوف من عاقبة كتمان العلم.

مسألة: متى يجوز حجب بعض المعلومات؟

قال القرضاوي: يجوز للعالم أن يحجب بعض المعلومات عن بعض الناس، لمصلحة يراها أو يقدرها هو ولو سئل عنها، لما يترتب على نشرها وتبليغها فساد كبير أكبر من نفع العلم بها، وقد يدع الجواب عن مسألة تأديباً للسائل المتعنت، أو إرشاداً وتوجيهاً له إلى الاشتغال بما هو أهم وأنفع وأجدر أن يتعلم ^(٣) مصداقاً لقوله ﷺ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" ^(٤).

ومثال على هذه المسألة ما ذكره أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -

ﷺ - وَغَائِبِينَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَيَّنْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَيَّنَّتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ" يَكْنِي بِذَلِكَ عَنِ الْقَتْلِ ^(٥).

قال ابن حجر: حمل العلماء الوعاء الذي لم يبيئته على الأحاديث التي فيها تعيين لأسماء أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ^(٦). وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يَكْنِي عَنْ بَعْضِهِ وَلَا يَصْرَحُ بِهِ خَشْيَةً عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السَّيِّئِينَ، وَإِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ" يُشِيرُ إِلَى خِلَافَةِ يَزِيدَ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَمَاتَ قَبْلَهَا بِسَنَةِ ^(٧). وقال ابن حجر: "وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخفى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم" ^(٨)، وذكر القاضي عياض رحمه الله ضابطاً لذلك فقال: "وذلك فيما ليس تحته عمل لا في حد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة - رضي الله عنهم - كثير

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم ١٢٨، ص ٣٧.

(٢) القاري، على القاري على شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر في أصول الحديث، ص ٢٥٧.

(٣) القرضاوي، الزموس والعلم، ص ٨٠ - ٨١.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب التَّهْنِي عَنْ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، حديث رقم ٥، ص ٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ١٢٠، ص ٣٥.

(٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٩.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٩.

(٨) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٢٥.

من ترك الحديث بما ليس تحتَه عمل ولا تدعوا إليه ضرورة أو لا تحمله عقول العامة أو خشيت مضرتَه على قائله أو سامعه^(١). ثم إن هذه الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على نَم من كتم العلم^(٢).

إذن تبين لنا أن هنالك قدراً آخر من الحديث النبوي الشريف لم يبيته الصحابة - ﷺ - في الناس بل كتموه لأنه فوق مقدور أفهامهم^(٣).

كما وأنه ينبغي أن يستأنن الطالب أستاذه ومعلمه عما يتردد فيه خاصة إذا كان لديه علم خاص خصه به أستاذه أو حول مسألة فيها دقة، وحذر، فهذا معاذ بن جبل - ﷺ - يستأنن الرسول - ﷺ - في أن يخبر الناس بما قاله رسول الله - ﷺ - في خبر شهادة التوحيد حيث قال: "مَا مِمَّنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا"^(٤).

فهذا الأسلوب التعليمي له دوره الكبير وقيمتَه العلمية التربوية فينعكس على شخصية الطالب العلمية وكفاءته وأدائه المتميز، يقول الحافظ ابن حجر ذاكراً بعضاً من فوائد هذا الحديث: "وفيه جواز استفسار الطالب عما يتردد فيه واستئذانه في إشاعة ما يعلم به وحده"^(٥).

هكذا رأينا كيف كانت سرعة استجابة الصحابة - ﷺ - على نشر الحديث النبوي الشريف وعدم كتمه وكيف تعاملوا مع الأحاديث النبوية الشريفة التي تعلوا على فهم العامة، فكان درساً للتابعين ومن بعدهم في كيفية التعامل معها أو مع مثلها.

المبحث السادس

ظهور مجالس ومدارس الحديث النبوي الشريف

تمهيد

كان لاتساع الخلافة الإسلامية شرقاً وغرباً، وفتح كثير من البلاد ودخول أهلها الإسلام أثرٌ كبير في ظهور مجالس ومراكز، ومدارس للتحديث والعلم، ومن هنا كان لازماً على خلفاء المسلمين وولاة أموره، أن يبعثوا إليهم من يعلمهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - أمور دينهم وتعاليم الإسلام، على أن كثيراً من صحابة رسول الله - ﷺ - قد نزحوا إلى تلك الأمصار المترامية من تلقاء أنفسهم معلمين ومربين، ومرشدين ودعاة إلى تعاليم الإسلام الحنيف، ومنهم من طاب له المقام في ذلك البلد فاستوطن به حتى مات فيه.

وبنزول الصحابة - ﷺ - تلك الأمصار أصبحت معاهد ومراكز ومجالس للتحديث ولتعليم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، يجتمع حولهم طلاب العلم يغترفون من

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٩.

(٣) المرسي، كتابة الحديث النبوي وجمعه وتكوينه، ص ٩٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعمل قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم ١٢٨، ص ٣٧.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٠.

بحارهم الفياضة يحفظون عنهم ما حفظوه عن رسول الله - ﷺ - حتى تخرج على أيديهم طلاباً كانوا فيما بعد حماة للسنة النبوية الشريفة ورواة للحديث النبوي الشريف^(١).
ومن هنا كان لا بد لي من أعرف هذه المجالس، والمراكز، والمدارس، وأن نتعرف على بعض معلمها من الصحابة - ﷺ - وإليكم ذلك:

المطلب الأول: مفهوم المجالس والمراكز والمدارس الحديثية

أولاً: مجالس التحديث

أ. المجلس لغة:

جلس: الجلوس القعود، والجلسة، هي: الهيئة التي يجلس عليها، أو الحال التي يكون عليها المجالس.

والمجلس هو موضع الجلوس^(٢)، وفي التنزيل، قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَعُّفٌ

أَلْمَجْلِسِ فَاسْجُرُوا﴾ (المجادلة: ١١)، يعني به مجالس النبي ﷺ.

والمجالس: جمع مجلس، وهو مكان الجلوس، ومنه مجلس العلم ومجالس العلم، والطائفة من الناس تخصص للنظر فيما يناط بها من أعمال^(٣). ويسمى الدرس مجلساً، اسم المكان الذي ألقى فيه، والمجلس هو أول مصطلح استخدم للتعبير عن تجمعات علمية، أو فصول دراسية^(٤).

ب. مجلس التحديث اصطلاحاً:

ومجلس التحديث نعني به هنا: تعليم الصحابة - ﷺ - للمتعلم أو المتعلمين، في زمان ومكان معينين، وأحياناً دون تحديد مكان وزمان معينين، وإنما يحدد مكان المجلس وزمانه نوع المجلس، وسياق الحديث موضوع التعليم^(٥).

ثانياً: المراكز الفكرية

وهي تلك الأمصار التي انتقل إليها الصحابة - ﷺ - أو استقروا فيها، ونشروا فيها علمهم، وكانت مقصد ارتحال طلبة العلم والحديث النبوي الشريف، وتلاقيهم؛ لوجود الصحابة - ﷺ - فيها، فتتلمذوا على أيديهم وتكوّن جيل من العلماء حمل مشعل العلم بعدهم، وتتابع الحلق العلمية في هذه الأمصار جيلاً بعد جيل.

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، م ٢، ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٣٠.

(٤) الضامري، عبد الرحمن إبراهيم شريف، مجالس النبي ﷺ التربوية في العهد المدني، رسالة ماجستير في جامعة اليرموك - اردن، قدمت سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٧.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٧.

ومن هنا فقد اختلفت مناحي هذه المراكز العلمية وتباينت، تبعاً لتباين مصادر العلم وطرق اجتهاد الصحابة فيها وتفاوت قدراتهم وأفهامهم في الاستيعاب والاجتهاد في النوازل^(١). لذا سار الصحابة على هدي نبيهم فأنشأوا حلقات ومجالس التحديث في الأمصار الإسلامية، سائرين على خطى الحبيب - ﷺ - عندما كان يعقد لهم الحلقات في دار الأرقم في مكة المكرمة.

والآن سأنذكر بعض حلقات ومجالس التحديث لبعض الصحابة - ﷺ - في بعض الأمصار الإسلامية؛ لإلقاء الضوء على أثر هذه الحلقات وأهميتها في نشر السنة النبوية الشريفة في تلك الأمصار، حيث اهتم الصحابة - ﷺ - بتعليم التابعين كتاب الله تعالى، وتفسيره، وسنة رسول الله ﷺ، والفقه ... وتكونت حلقات عديدة في الأمصار الإسلامية نذكر منها بعض الحلقات، وإليكم ذلك كله:

١. ابن عباس رضي الله عنهما: كان يغشى الناس في رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم، وكان يحدثهم في بيته حتى يضيق الطريق بهم فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب من شدة الزحمة، ويعد مجلسه من المجالس المشهورة بتنوعها وشموليتها يقول عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً وأعظم خشية، أن أصحاب الفقه عنده يسألونه، وأصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النحو عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه^(٢)، ولكثرة تلاميذه فقد وزع دروسه على أيام الأسبوع، فجعل يوماً للفقه، ويوماً للتفسير، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لأيام العرب^(٣).

٢. أبي بن كعب ؓ: كان يعلم في المدينة المنورة وكانت حلقاته تعقد في المسجد النبوي، وكان تعليم القرآن الكريم من أكثر الموضوعات التي أخذت حيزاً كبيراً في حلقاته، وكانت حلقاته تعقد بعد الصلوات المفروضة^(٤)، ولعلمه الغزير ولشهرة حلقاته التي كان يعقدها قدم إليه الطلبة من جميع أرجاء الجزيرة والعراق ومن هؤلاء جندب بن جنادة وقيس بن عباد الذي قدم المدينة المنورة للقاء الصحابة ؓ، وكان يحب الجلوس إلى أبي^(٥).

٣. أبو موسى الأشعري ؓ: وكانت حلقاته تعقد في مسجد البصرة، وكان وقتها بعد صلاة الصبح، فإذا صلى استقبل الصفوف رجلاً، رجلاً يقرئهم^(٦)، وفي هذا يقول أبو رجاء العطاردي: ما كان يجري في تلك الحلقات العلمية فيقول: "كان أبو موسى

(١) انظر مطابقة، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب ؓ، ص ٨٥.

(٢) انظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٣٣٢-٣٣٤.

(٣) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٠٤.

(٤) انظر ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٥) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢٥٢.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٩٠.

الأشعري يطوف عليها في هذا المسجد، مسجد البصرة يعقد حللاً يقرئ القرآن، ومنه أخذت هذه السورة^(١) ﴿أَفَرَأَيْتَ لَكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١). ومن هنا نلاحظ أنه ما أن حلَّ فيها حتى بدأت حلقاته العلمية تعقد، والتف حوله أهل البصرة، يأخذون عنه العلم، ويقرئهم القرآن الكريم.

٤. فضالة بن عبيد بن نافذ رحمه الله: حيث كان له الفضل في تعليم أهل الشام، وكانت تعقد له حلقات الحديث النبوي الشريف والفقه والمواعظ^(٢).

٥. معاذ بن جبل رحمه الله: كان معلماً في اليمن حيث كان يحث نفسه وغيره على مزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر، ثم كان معلماً في الشام حيث بقي يدرس في حمص ثم انتقل إلى فلسطين إلى أن توفي فيها بطاعون عمواس، وكنت له فيها حلقات في القرآن الكريم والفقه^(٣)، وقد وصف أبو مسلم الخولاني حلفته فقال: حيث يحيط الناس بمعاذ يتكلم ويحدث كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ.

٦. عبادة بن الصامت رحمه الله: حيث كان في فلسطين وجعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على قضاء فلسطين، فكان أول قضائها، نزل بيت المقدس وعلم بها^(٤)، وكانت حلقاته زاخرة بالفقه والحديث والوعظ، فأخذ عنه الكثير من التلاميذ أمثال أنس بن مالك وأبو أمامة الباهلي، وأبو مسلم الخولاني^(٥). وغيرهم.

٧. أبو الدرداء عويمر بن زيد رحمه الله: حيث كان مقرئ الشام ومعلمها بلا منازع وكان له الفضل في سنّ هذه الحلق التي يقرأ فيها. وفي هذا يقول أبو عبيد بن مشكم: قال لي أبو الدرداء أعدد من يقرأ عندي، يعني في مجلسنا هذا فعددت ألفاً وست مائة ونيفاً، فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة، لكل منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء قائماً يستقونه في حروف القرآن يعني المقرئين، فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء، وكان أبو الدرداء يبتدئ في كل غداة إذا انفلت من الصلاة، فيقرأ جزءاً من القرآن، وأصحابه محدقون به، يستمعون من ألفاظه، فإذا فرغ من قراءته قام كل رجل منهم إلى موضعه، وجلس على العشرة الذين أضيفوا إليه^(٦).

٨. عمرو بن العاص وابنه عبد الله رضي الله عنهما: حيث افتتح هذه الحلقات في مصر في جامعة، وكان القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والفقه هو محور

(١) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢٥٦.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٥١، وانظر الذهبي تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٠.

(٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٥.

(٤) المصدر السابق، مجلد عبادة بن أوفى، ص ٤٨٦.

(٥) مطابقة، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار الإسلامية في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ١٠٦.

(٦) المقرئ، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر - بيروت، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ١، ص ٣٣٢، وانظر أيضاً أبو زهو الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٧.

الدراسات فيها، حتى إن بعضهم كان يدون أقضية عبد الله بن عمرو وفتاويه مثل شفى بن مانع الأصبحي، وكان من أوائل من درّس فيه عبد الله بن عمر بن العاص، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدرس فيه الحديث النبوي الشريف ^(١).

٩. سلمان الفارسي رضي الله عنه: حيث كان يعقد مجالس التحديث في المسجد النبوي، والذي كان يلتف حوله في المسجد نحو من ألف شخص، يسمعون منه حديث رسول ﷺ ^(٢). وكان يجلس مع الناس بين الركن وزمزم، فيتحدث إليهم عن شرف الحجر الأسود وعظم مكانته عند الله تعالى ^(٣)، ولا شك أن الحديث في مثل هذا المجلس كان يتشعب يتناول مختلف المواضيع، وتحصل المذاكرة، وينتبهز الناس الفرصة فيسألون أصحاب الرسول ﷺ - عن الحلال والحرام، وما إلى ذلك من أمور الدين والدنيا.

١٠. عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قد بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - إلى أهل الكوفة ليقوم بمهمة تعليم أهلها أحكام الدين الحنيف، مع أنه كان بحاجة إليه ولكنه فضل وأثر أهل الكوفة على نفسه، ولعظيم أثره بالكوفة يقول عامر الشعبي: "ما دخلها - يعني: الكوفة - أحد من أصحاب محمد ﷺ - أنفع علماً، ولا أفقه صاحباً منه"؛ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ^(٤).

١١. شداد بن أوس رضي الله عنه: كان في فلسطين وتصدر المسجد الأقصى لمهمة التدريس بعد أن كان والياً بحمص أولاً ثم نزل فلسطين وسكن القدس، ووصفه أبو الدرداء بقوله: "كل أمة فقيه، وفقه هذه الأمة شداد بن أوس رضي الله عنه (ت ٥٨هـ).

١٢. عبيد بن مخمر المعافري رضي الله عنه: يكنى أبا أمية، رجل من أصحاب النبي ﷺ - شهد فتح مصر وكان أول من أقرأ القرآن الكريم بمصر ^(٥).

١٣. جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ومن الحلقات المقامة في المسجد النبوي الشريف والتي كان لها جهد بارز في توجيه الوافدين إلى العلم، وترشيدهم إلى الفضلية والخير حلقة جابر بن عبد الله رضي الله عنه - حيث كانت حلقة تعقد في المسجد النبوي الشريف، حيث كان يجلس فيه بعد الصلاة ويأتي إليه الطلاب ويجلسون إليه يستمعون ^(٦)، فعن هشام بن عروة قال: "رأيت لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد يؤخذ عنه" ^(٧).

١٤. علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخل اليمن داعياً للإسلام ومعلماً لسنة النبي ﷺ - وحاكماً، وقد جاء ناس من اليمن إلى رسول الله ﷺ - فقالوا: أبعث فينا من يفقهنا في الدين

(١) مطابقة، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار الإسلامية في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ١٠٦.

(٢) الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٣، ص ٧٤٢.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٥٦، ص ٨ - ١١.

(٤) ابن عساكر، مجلد عبادة بن أوفى، ص ١٣. وانظر أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٨٨.

(٥) المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ١، ص ٣٣٢.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٨ - ٣٩.

(٧) البيهقي، أبو بكر، المنخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، حديث رقم ١٤٠، ص ١٥٨.

ويعلمنا السنن، ويحكم فينا بكتاب الله فقال: انطلق يا علي إلى أهل اليمن ففهم في الدين وعلمهم السنن وحكم فيهم كتاب الله^(١).

١٥. أبو هريرة رضي الله عنه: كانت حلقاته تعقد في المدينة المنورة في المسجد النبوي الشريف، فقد رحل شفي بن مائع الأصبحي أبو عثمان إلى المدينة، وصادف أبا هريرة - رضي الله عنه - يحدث الناس، فجلس في الحلقة حتى انفض المجلس، واقترب هذا الغريب من أبي هريرة - رضي الله عنه - يسأله مزيداً من العلم، وقد أخرجها الترمذي فقال: عن شفي بن مائع الأصبحي أنه: "دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو هُرَيْرَةَ فَذَنُوتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ أَلَسْتُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ ... الحديث"^(٢).

١٦. عمران بن الحصين رضي الله عنه: فقد بعثه الفاروق - رضي الله عنه - إلى البصرة يفقههم في أمور الدين، فعن هلال بن يساف قال: "قدمت البصرة، فدخلت المسجد فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية، مستند إلى أسطوانه في حلقة يحدثهم، قال: فسالت من هذا؟ فقالوا: عمران بن الحصين"^(٣).

وغير هؤلاء كثير يضيق المقام بذكرهم جميعاً، وعلى هذه السنة الحميدة سار التابعون ومن بعدهم من أهل العصور، "ومن هنا فإنه بدا واضحاً أثر انتقال الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الأمصار حيث إنهم حولوها إلى مراكز إشعاع علمي وفكري، قامت على أصول هذا الدين من كتاب وسنة، وما توصلوا إليه من قواعد وأصول بنوا عليها الأحكام والمسائل التي اقتضتها طبيعة الحياة الشرعية وتقدمها، على أنه تجدر الإشارة هنا إلى انتقال الصحابة وجلسهم في هذه المراكز وتدريسهم فيها، قد أوجد طبقات من القراء والفقهاء والمحدثين، الذين كانوا امتداداً لهم من بعدهم، وهذا يعد دفعا واضحا للعملية التعليمية والفكرية والتربوية"^(٤).

وهكذا وجدنا كيف أن الناس كانوا يبحثون عن الصحابة - رضي الله عنهم - ويتعلقون حولهم للأخذ عنهم، ويرحلون إليهم من البلدان البعيدة، متحملين في ذلك المشاق، والمصاعب، ومن جانب آخر، نرى الصحابة - رضي الله عنهم - بدورهم يتوجهون إلى الأمصار الإسلامية، بقصد توعية الناس، على شكل بعثات علمية، يعلمونهم ما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، وفصائل الأعمال، يلقون دروسهم في الطرقات، والمساجد، حتى يستفيد أكبر قدر ممكن من الناس، وعلى هذا لم

(١) الهندي، علاء الدين المتقي بن حسان الدين البرهان فوزي، كنز العمال في سنن الأئمة والأعمال مؤسسة الرسالة، [ط: بدون]، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، حديث رقم ٣٦٣٦٩، ج ١٣، ص ١١٣.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٠.

(٤) مطالعة، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ١١٤ - ١١٥.

يكن الضحابي يقتصر علمه على الطلبة فقط، بل كان في متناول العامة والخاصة، وما على المرء إلا أن يحضر الحلقة للتزود بخير الزاد^(١).

ثالثاً: المدارس الحديثية

أ. المدرسة لغة:

وهي من مادة "درس" الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء، فالدرس: الطريق الخفي^(٢)، وقال ابن الأثير: "تدارسوا القرآن" أي أقرأوه وتعهّدوه لئلا تنسوه، يقال: درس يدرس درساً ودراسة، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء^(٣). والدُّرس بالفتح حصّة مما يدرس، والمدرسة: المكان الذي يتخرج فيه الطلبة^(٤).

المدارس والمدرّس: الموضع الذي يدرس فيه والمدرّس: الكتاب، والمدرّس: البيت الذي يدرس فيه القرآن، والمدرّس: صاحب دراسة كتبهم، ومفعّل ومفعّل من أبنية المبالغة؛ ومنه الحديث الآخر: حتى أتى المدارس، وهو البيت الذي يدرسون فيه، ودارست الكتب وتدارستها وأدرستها: أي درستها وفي الحديث: تدارسوا القرآن أي أقرأوه وتعهّدوا لئلا تنسوه^(٥).

قلت: مما سبق يدور معنى درس إلى تعهد الشيء وعدم نسيانه وإلى المكان الذي يدرس به.

ب. المدرسة اصطلاحاً: لها معنيان هما:

١. البناء والمكان المخصص:

وهي على ذلك: "مؤسسة تربوية ذات مبنى خاص، وقاعات مخصصة للتدريس، وخزانات للكتب وما إلى ذلك، وذات نظم خاصة يدرس بها منهجاً متفقاً عليه، وعلى أيدي شيوخ أو معلمين موقوفين عليها، وعدد الطلبة في المدرسة محدد"^(٦). وقال محمد الثاني: كلمة "المدرسة" من حيث الأصل إذا أطلقت تبادر إلى الذهن معنى المكان المخصص المحاط بالبناء يجتمع فيه طلاب العلم للأخذ عن العلماء على منهج معين وصورة معينة^(٧).

ثم قال مهدي المخزومي: فليست المدرسة إلا أستاذاً مؤثراً، وتلاميذاً متأثرين، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد، ونهجوا للوصول إليه منهجاً جديداً^(٨).

قلت: وليس المقصود بالمدرسة الحديثية ذلك البناء والغرف الصفية فإنها لم تكن موجودة بعد، يقول الشيخ أبو زهو: "ولا يقنع في خاطرك أنه كان هناك مدارس ومعاهد

(١) أقلاينة، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ١١٣.

(٤) البستاني، عبد الله، البستان معجم لغوي في مجلد واحد، مكتب لبنان، ص ٣٤٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٣٠.

(٦) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ٢٠٨.

(٧) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلمه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ص ١١.

(٨) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ٢٠٨.

بالمعنى المعروف عندنا الآن، ذات نظم خاصة ومكتبات وقاعات للمحاضرات وما إلى ذلك، بل كان القوم على البساطة الأولى فقد كان الصّحابي يحمل علمه في صدره ويعيه بقلبه وكانت المساجد في الغالب هي دور العلم ومعاهد الحديث يجلس الصّحابي في المسجد وحوله حلقاته من أتباعه وتلاميذه يستمعون له ويحفظون عنه ويسألونه ويستفتونه وهو في كل ذلك لا يخرج عن كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - أو الرأي المستند إلى أصل صحيح منها ولما يكون ذلك^(١).

٢. أوسع من البناء والمكان المخصص:

- وقد تعددت تعريفاتها وإليك هذه التعريفات مع بيان الراجح منها من وجهة نظري:
- تعريف أستاذي أمين القضاة - حفظه الله ورعاه - حيث قال: "الشيخ، والتلاميذ، والمنهج يسبرون عليه"^(٢).
 - تعريف محمد طاهر الجوابي حيث قال: بالنظر في تاريخ رواية الحديث ومراكز نشره أمكننا أن نعرف المفهوم الذي استعملت فيه "مدرسة الحديث"، ووجدنا أنها أطلقت على عدة معان منها:
 - أريد بها نشر الحديث النبوي الشريف ورسم القواعد الأولى لروايته، وتمّ هذا في مدرسة المدينة المنورة في زمن كبار الصّحابة ﷺ.
 - أطلقت على نشر الحديث النبوي الشريف وتقنين قواعد نقده سنداً وممتناً، انطلاقاً من الأسس التي رسمها الصّحابة - ﷺ - بالمدينة المنورة مع تطويرها والتوسع فيها استجابة لما اقتضته الظروف البيئية، وكان هذا بمدرسة المدينة المنورة في القرن الثاني الهجري وبمدرسة العراق بمراكزها الأربعة: الكوفة، والبصرة، وواسط، ثم بغداد.
 - عني بها: الصّحابي المحدث الذي انتقل إلى مصر من الأمصار، ونشر فيها حديثه وفق المنهج الذي رسم من قبل بالمدينة المنورة، فاشتهر وكثر تلاميذه وكان مصدر الرواية. وهذا النوع من المدارس تفاوتت أهميته تبعاً لحفظ أهل مصر، ومعرفتهم بقواعد التحديث.
 - روعي في هذا التصنيف لمدارس الحديث عنصر الزمان والمكان، حيث تأثرت بهما في تحديد منهجها وفي تسميتها، فقيدت بإمكانة معينة، أما في واقع الأمر، فمدرسة الحديث واحدة في أصلها متطورة في شكلها بالنسبة لطرق التحمل. قلت: وهذا ما ذهب إليه أستاذي محمد العمري - حفظ الله ورعاه - في إحدى محاضرات مادة النقد عند المحدثين.

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠١.

(٢) القضاة، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، ص ٣٦٦.

كذلك فإن قوانين الرواية: من صفتها وشروط الرواية وجرحه والإسناد وأنواعه ونقل المتن متشابهة. وفي القرن الثاني الهجري نشطت الرحلة في طلب الحديث، فندر أن يكون من بين المحدثين من لم يرتحل، وظلت مدارس الحديث مقيدة ببعض الأمصار لكونها موطن كثير من المحدثين، بيد أن أغلبهم سواء في ذلك من كان في مصر مشهور أو غير مشهور ارتحلوا، وأخذوا عن بعضهم بعضاً، فتكون ما يمكن تسميته بالمدرسة الحديثية، فدعم ذلك اتحاد المنهج، فمدرسة الحديث واحدة في أصول منهجها وفي هدفها، متطورة الوسائل في تبليغ الحديث النبوي الشريف وصيانة متنه وإسناده^(١).

هذا وقد نقل محمد بن عزوز تعريف الجوابي حرفياً دون زيادة أو نقصان دون إلى أن يشير إلى مرجعه في ذلك^(٢).

قلت: ولعله قد ذكر ذلك لكنه قد اسقط من الطباعة، ومعنى أنه نقله حرفياً ولم يخالف أو يعلق أنه موافق لهذا التعريف تماماً والله أعلم.

- تعريف محمد الثاني عمر موسى: قال محمد الثاني في معنى المدرسة الحديثية هي: "دراسة فترة معينة من الزمن في بلد معين توافر فيه علماء درس عليهم جمع غفير من التلاميذ، وقصدهم طلاب العلم من كل فج، فأخذوا منهم وتأثروا بهم، ونشروا آراءهم ومناهجهم واختياراتهم العلمية ودوتها العلماء بعد ذلك في كتبهم". ثم قال: "فأصبح إطلاق كلمة "المدرسة" يحمل معنى عرفياً درج عليه الباحثون، وكتب به رسائل كثيرة في معاهد علمية متعددة بعنوان "مدرسة الحديث في بلد كذا" أو "مدرسة الإمام الفلاني" وهكذا. ثم رجح تعريفه بقوله: "ومما سبق من بيان إطار الدراسة وطبيعتها تبين أنني إنما أردت بالمدرسة الحديثية المعنى الذي تواضع عليه الباحثون وهو معنى لا يحمل - في نظري - أي محذور شرعي أو لغوي، وتبين المراد منه من السياق الذي ورد فيه^(٣). قلت: هذا شرح وليس تعريف؛ لأن فيه حشواً كثيراً.

- تعريف محمد زهير الدقاسمة: قال هي: "جماعة من الأفراد بينهم جوامع أو خصائص مشتركة تميزهم عن غيرهم في علم من العلوم أو فن من الفنون دون ارتباط بزمان أو مكان، وأن المدرسة الحديثية هي: جماعة من الرواة والمحدثين بينهم خصائص مشتركة تتعلق بوسائل تبليغ الحديث وصيانتها - رواية ودراية - دون النظر إلى زمان أو مكان، أي يمكن أن يراد بالمدرسة معنى أشمل وأبعد من مجرد

(١) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٧ - ١٨.
(٢) عزوز، محمد، مدرسة الحديث في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري عصر الأئمة: ابن تيمية والمزي والذهبي والبرزالي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٢ - ١٣.
(٣) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ج ٢، ص ١١.

بناء يحصل فيه التدريس، حتى إن الإمام الزرقاني عبّر عن المدارس بالطبقات فقال: طبقة أهل مكة، طبقة أهل المدينة، طبقة أهل العراق^(١).

التعريف المختار:

من خلال النظر في تعريفات الأساتذة الكرام وجدت أن أشمل تعريف هو: تعريف محمد الدقاسمة، مع ملاحظة أنه هو نفسه تعريف أستاذي أمين القضاة إلا أن أستاذي اقتصر على الأركان الثلاثة " الشيوخ، التلاميذ، المنهج" .

المطلب الثاني: أشهر المدارس الحديثية في عهد الصحابة

تمهيد

لم ينتقل الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى إلا والإسلام عمّ الجزيرة العربية كلها، واتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة، فكان للصحابة - رضوان الله عليهم - دور كبير في هذه الفتوحات فنشروا الإسلام، وفتحوا أمصاراً كثيرة استوطنوها وشيدوا المساجد يعلمون فيها القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتخرج من حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم والإيمان من بعدهم وحفظوا السنة النبوية الشريفة، فنشأت في هذه الأمصار الإسلامية مدارس حديثية عظيمة تشع منها أنوار الإسلام وعلومه، أساتذتها الصحابة الكرام وتلاميذها وطلابها التابعون وهذه المدارس لها أهمية كبيرة في تلقي القرآن الكريم وسماع الحديث، وتخرج علماء غدوا مرجعاً للأمة في السنة الشريفة^(٢). وبانتقال أغلب الصحابة من العاصمتين المقدستين انتقل الحديث الشريف إلى العواصم الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولم يعد منحصر في المدينة المنورة ومكة المكرمة - كما كان - فصارت الرحلة إليه من أوجب الواجبات على طلاب العلم^(٣). ومن هنا كان لتفرق الصحابة - رضوان الله عليهم - في تلك الأمصار عاملاً مهماً في انتشار الحديث في ربوع العالم الإسلامي، فكان لاتساع الدولة الإسلامية وتراخي أطرافها أثر كبير في رحلة الصحابة إليها معلمين ومرشدين، مما جعل الخلفاء الراشدين والأمراء من الصحابة أن يقيموا في تلك الأقاليم والأمصار دوراً ومدارس، ومراكز للحديث الشريف يمدون بها أصحاب تلك البلاد من سنة رسول الله - ﷺ -، فاقبل عليهم الناس ينهلون من علمهم الذي حملوه عن رسول الله ﷺ، فكان الواحد منهم مدرسة معاً متكاملة في الفقه والقراءات والتفسير والحديث رواية ودراية^(٤).

إن كانت الرواية عن الصحابة - رضوان الله عليهم - ميسورة لأهل البلاد التي استقر فيها أولئك الصحابة، حتى غدت حواضر هذه البلاد معاهد علم لتعليم القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن

(١) الدقاسمة، محمد زهير عبد الله المحمد، المدارس الحديثية: الدلالة والمضمون، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م ٢٤، العدد الثاني ٢٠٠٨م، ص ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٢) معنوق، علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص ١٢٤.

(٣) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ١٨١، وانظر أيضاً الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ١١٥ - ١١٦.

(٤) الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ص ٢٩٩.

هنا فإنني سوف أنكر بإيجاز أهم مدارس الحديث النبوي الشريف التي كانت موجودة في ذلك العهد، مع بيان العاملين والقائمين عليها في الأمصار الإسلامية وإليكم أهم هذه المدارس^(١):

١. المدينة المنورة:

لاشك أن النبي - ﷺ - هو المؤسس الأول لهذه المدرسة بل للدين كله فكان مسجده مقر قيادته للأمة ديناً ودنياً وعلماً وعملاً^(٢)، ومما لاشك فيه أن للمدينة المنورة مكانتها العلمية المهمة والتميزة التي لا يسموا إليها غيرها من بلدان الإسلام في القرنين الأول والثاني الهجريين^(٣)، فهي دار الحديث الأولى، ودار الهجرة التي استقبلت النبي - ﷺ - ومعه أصحابه - ﷺ - وشهدت الجانب التشريعي طوال حياة النبي - ﷺ - وفي مساجدها وبيوتها تلقى المسلمون تعاليم الإسلام السمحة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف^(٤)، وفي هذا يقول الإمام مالك في رسالته إلى الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ): "موطن هجرة رسول الله - ﷺ - وبها أسس الدولة الإسلامية، وبها نزل القرآن، وأحل الحلال وحرم الحرام، ورسول الله - ﷺ - بين أظهر أهلها يحضرون الوحي والتزيل ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه"^(٥). ففي المدينة المنورة كان المهاجرون يحبون المقام بها ويكرهون التحول عنها إلى مكة المكرمة أو غيرها^(٦)، ففي المدينة المنورة حدث الرسول - ﷺ - جلّ أحاديثه، وفيها بلغ الصحابة ما نقلوه عنه، فأدوا ما تحملوه عنه من أحاديث، وفي المدينة وضعت القوانين الأولى للرواية: من التثبت فيها، ونقد المتن، وبداية اعتماد الإسناد، والتفتيش عن أحوال الرجال، ومراعاة المستوى لطلاب الحديث الشريف والرحلة في طلبه^(٧).

وما زالت المدينة المنورة بعد وفاته - ﷺ - هي عاصمة الدولة الإسلامية، وقلب الإسلام النابض، ومركز الخلافة الراشدة، ومقر كبار الصحابة - ﷺ -، لذا كانت غنية بالصحابة - ﷺ - الذين أخذوا الحديث النبوي الشريف عن رسول الله - ﷺ - والذين تفرغوا للعلم والتحديث، وكانوا لا يغادرونها إلا لحاجة ملحة حكومية أو معاشية أو تعليمية^(٨)، قال محمد بن عمر: "لا نعلم أحداً من المهاجرين من أهل بدر رجع إلى مكة المكرمة يعني بعد وفاة النبي - ﷺ - فنزلها غير أبي سبرة فإنه رجع إلى مكة بعد وفاة النبي - ﷺ - فنزلها ففكر ذلك له المسلمون وولده ينكرون ذلك ويدفعون أن يكون رجع إلى مكة فنزلها بعد أن هاجر فيها ويغضون من ذلك"^(٩).

- (١) زر زور، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية مداخل ومقارنات، ص ٥٥.
- (٢) الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ص ٣٠٩.
- (٣) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ص ١٨١.
- (٤) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة - ﷺ -، ص ٩٤.
- (٥) اليحصبي، عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ج ١، ص ٦٤.
- (٦) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٢.
- (٧) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٩.
- (٨) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٢.
- (٩) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٣٢٨.

وقال الحاكم: "تفرق الصحابة من المدينة بعد النبي - ﷺ - وانجلانهم عنها ووقع كل منهم إلى نواحي متفرقة، وصبر جماعة من الصحابة كما حثهم المصطفى - ﷺ - على المقام بها"^(١).

ولذلك أثر واستقر في المدينة المنورة بعد وفاته - ﷺ - كبار الصحابة - ﷺ - الذين رسخوا في العلم، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث^(٢)، وممن استبقاه الخلفاء الراشدون لمشورتهم ولنشر العلم في المدينة المنورة^(٣). ممن كانت لهم مكانة عليه في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والفقه والفرائض^(٤).

ومن أشهر علمائها من الصحابة الذين كانت لهم قدم في الحديث النبوي الشريف والفقه: "أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح"^(٥). وغير هؤلاء كثير يضيق المقام عن ذكرهم، وهم جميعاً بمثابة النهر الفياض الذي ينهل ويأخذ منه من دخل في الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن أشهر تلاميذها: سعيد بن المسيب (ت ٩٠هـ)، وقبصة بن ذؤيب (ت بعد سنة ٨٠هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت (ت ١٠٠هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦هـ)^(٦)، وغيرهم كثير من حفاظ السنة النبوية الشريفة الذين كان لهم المرجع الأول في الحديث النبوي الشريف والفتوى. وهكذا كانت المدينة المنورة دار الهجرة، ودار السنة الشريفة وأصل العلم والأثر الصحيح لأنها كانت مأوى أعلم الصحابة، وأشدهم ملازمة للنبي ﷺ^(٧).

٢. مكة المكرمة:

إن لمكة المكرمة قدسية عظيمة في نفوس المسلمين، ففيها بيت الله الحرام، وهي مهبط الوحي، وقد مكث فيها الرسول - ﷺ - مدة ثلاثة عشر عاماً، حتى تمت الهجرة إلى المدينة المنورة، وكان لها أثر كبير في نشر الحديث النبوي الشريف في مواسم الحج، حيث كان يلتقي

(١) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ١٠٩.

(٢) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ٩٤.

(٣) الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ص ٣٠٩.

(٤) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٣٢.

(٥) ابن حبان، محمد البستي، مشاهير علماء الأمصار، اعتنى به فلا شهر، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٣-٤.

(٦) الخليلي، أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٩.

(٧) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٥٥.

كثير من التابعين بصحابة النبي ﷺ، ثم حمل التابعون ما قد سمعوه من الصحابة - ﷺ - إلى بلدانهم^(١).

ولما فتح الرسول - ﷺ - مكة المكرمة خلف فيها معاذ بن جبل - ﷺ - يعلم أهلها الحلال والحرام ويفقههم أمور الدين، ويقرئهم القرآن الكريم، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وحلماً وسخاء، شهد مع النبي - ﷺ - المشاهد كلها وكان يعد من أعلم الصحابة - ﷺ - بالحلال والحرام^(٢).

قال الذهبي: "كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصر الصحابة، وكذلك في أيام التابعين"^(٣)، وذلك لأن الصحابة ما كانوا ليسكنوها ويفارقوا مجاورة النبي - ﷺ - في المدينة، كما أن أهل مكة كلهم من الطلقاء الذين لم يصاحبوا النبي - ﷺ - ويلزموه فترة طويلة، وبالتالي قلَّ ما أخذوا عنه من علم^(٤).

وقد كان زعيم هذه المدرسة ورأسها: حبر الأمة وترجمان القرآن الكريم ابن عم رسول الله ﷺ: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) بالطائف، بعد رجوعه من البصرة، وإليه يعود الفضل فيما كان لمكة المكرمة من شهرة علمية.

ومن أشهر الصحابة الذين نزلوا مكة المكرمة: "عياش وعبد الله ابنا أبي ربيعة المخزوميان، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن السائب المخزومي قارئ الصحابة بمكة، وعثاب بن أسيد وكان خليفة رسول الله - ﷺ - وآله بها، وأخوه خالد بن أسيد، والحكم بن أبي العاص، وعثمان بن طلحة، وعقبة بن الحارث، وشيبة بن عثمان الحجبي، وصفوان بن أمية، وأبو محذورة، ومطيع بن الأسود، وعبد الله بن مطيع، والمهاجر بن قنفذ، وسهيل بن عمرو، وعمير بن قنادة الليثي، وكرز بن علقمة، وتميم بن أسد، والأسود بن خلف، وأبو شريح الكعبي، وعبد الله بن حبشي، وعبد الله بن صفوان، ولقيط بن صبرة، وإياس بن عبد المزني"^(٥). وغيرهم كثير يصعب حصرهم. إلا أن مكة المكرمة تراجعت مرتبتها كثيراً عن المدينة المنورة لعدم سُكنى الصحابة لها بعد وفاة الرسول ﷺ، الذين آثروا جواره، فكان بمكة طلقاء الصحابة الذين لم يلزموا الرسول - ﷺ - طويلاً^(٦).

ومن أشهر التلاميذ الذين تخرجوا من هذه المدرسة: مجاهد بن جبر المكي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن أبي ملكية، وطاووس بن كيسان، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم كثير^(٧).

(١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٢٩.

(٢) أبو زهو، الحديث والحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٣.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، الأمصار نوات الآثار، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٧.

(٤) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ١٦٥.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

(٦) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٦٤.

(٧) الذهبي، الأمصار نوات الآثار، ص ١٧.

وهذا لا ننس ما لمكة المكرمة والمدينة المنورة من أثر كبير امتازت به على جميع أقطار العالم الإسلامي ففيهما ينعقد المؤتمر الإسلامي في كل عام ويأتي إليه المسلمون من كل فج عميق لتأدية مناسك الحج ولا يخفى ما لهذا المؤتمر والاجتماع من أثر كبير في نشر العلوم والمعارف، ويلتقي فيه رواة الحديث النبوي الشريف وحملة العلم بعضهم ببعض يعرضون فيه الأحاديث وينقحون به الأسانيد فيستكمل الراوي علمه بالحديث النبوي الشريف ورجاله^(١). وبهذا يظهر أن مكة المكرمة في العلم تابعة للمدينة المنورة، بل هي من المدينة المنورة كالفرع من الأصل، فالمدينة المنورة هي الموطن الأصلي للعلم، وأهل العلم بها أكثر من غيرها^(٢).

٣. اليمن:

ومن دور الحديث المهمة التي انتشرت في الأقطار والأمصار في زمن الصحابة دار الحديث باليمن، فهي كمثلا من دور الحديث الأخرى تتعدد مهامها من دعوية وتعليمية وقضائية، وجهادية وغيرها، وفي ذلك تستقي من حديث المصطفى - ﷺ - مما تعلمه الصحابة ونقلوه إليها^(٣). وكان الإسلام قد دخل اليمن مبكراً، إذ بعث الرسول - ﷺ - بعض أصحابه إليها مثل معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري ليدعوهم إلى الإسلام، ويفقهوهم فيه، وقد دخل بسببهما كثير من أهل اليمن في الإسلام، وجاءوا رسول الله - ﷺ - مبايعين^(٤). وقد بقي معاذ بن جبل فيها واستمر إلى زمن خلافة الصديق، فعاد إلى المدينة المنورة وتوجه إلى الشام، وبعث عليها أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه -، فولاه جهة منها أي: على خلاف منها، وانتقل إليها صحابة آخرون^(٥).

ولم يكن لهذه المدرسة أثر كبير حيث أن اليمنيين أنفسهم كانوا قد ارتحلوا من اليمن للمشاركة في الفتوحات في تلك الفترة، وكان أكثر وجهتهم إلى بلاد الشام، فهي لم تكن مثل كبريات المدارس الحديثية^(٦).

ومن أشهر الصحابة الذين دخلوها أو سكنوها : البراء بن عازب، ومسعود بن سنان الخزاعي، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو بن عوف المزني، وعمرو بن شأس الاسلمي، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، والعلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمي^(٧)، وكذلك دخلها من كبار الصحابة أيضاً علي بن أبي طالب وخلق كثير من صحابة رسول الله - ﷺ - أثروا مدرسة الحديث باليمن.

(١) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، ج ١، ص ٢٩.

(٣) خلف، تكوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم -، ص ٩٨.

(٤) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٧١.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٦١.

(٦) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٢٥.

(٧) الحميري، عبد الله بن بجاش بن ثابت، الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة، ط ١، مكتبة الرشد - السعودية،

١٤١٠ هـ، ج ٣، ص ١٩٧٢.

وقد تخرج على يد هؤلاء الصحابة الإجلاء - ﷺ - كبار من التابعين، قال الذهبي: "دخلها معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، أصله من تهامة اليمن، وخرج منها أئمة التابعين، وتفرقوا في الأرض، وكان بها جماعة من التابعين كوهب بن منبه، وأخوه قدامة بن منبه، وطاووس بن كيسان الهمداني وهمام بن منبه وغيرهم" (١).

٤. البصرة:

لقد نزل البصرة كثير من جلة الصحابة رضوان الله عليهم، قال ابن حبان "دخل البصرة جماعة من جلة الصحابة في الغزوات والتجارات والسعي في أمور المسلمين والقصد في صلاحهم..." (٢). ومن أشهر من نزل البصرة من الصحابة ﷺ: "عنبه بن غزوان، وعمران بن حصين، وأبو برزة الأسلمي، محجن بن الأدرع، وعبد الله بن مغفل المزني، ومعل بن يسار، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبو بكر، وأنس بن مالك وتوفي وهو ابن مائة وسبع سنين وهشام بن عامر، وأبو زيد الأنصاري عمرو بن أخطب، وأبو زيد الأنصاري ثابت بن زيد، ومجاشع بن مسعود وأخوه مجالد، وعائذ بن عمرو المزني، وقرة بن إياس المزني، وعبد الله بن الشخير، ومعاوية بن حيدة، وقبصة بن المخارق، وعياض بن حمار، وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس، وصعصعة بن ناجية، وعثمان والحكم ابنا أبي العاص، والأسود بن سريع، وسليم بن جابر الهُمجيمي، وعرفجة بن أسعد، وأبو العشاء الدارمي، وجارية بن قدامة، والعداء بن خالد، وعبد الله بن سرحبس، وميسرة الفجر، وسلمان بن عامر الضبي، وسلمة بن المحبق" (٣).

ويعد الصحابي الجليل أنس بن مالك إمام هذه المدرسة وزعيمها، قام ببناء صرح السنة الشامخ فيها، فهو من كبار المحدثين والحفظة الكرام والنقلة الأمانة على السنة المطهرة بعد رحيل المصطفى ﷺ (٤). قال الذهبي: "تزلها أبو موسى الأشعري، وعمران بن الحصين، وابن عباس، وعدة من الصحابة، وكان خاتمهم خادم رسول الله ﷺ، وصويحبه أنس بن مالك رضي الله عنه" (٥).

وقد تتلمذ على هؤلاء من كبار التابعين: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو العالية الرياحي، وجابر بن زيد، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وغيرهم (٦). وهكذا كانت مدرسة الحديث بالبصرة مكتظة بالصحابة - رضي الله عنهم - فأمدوا أهلها بكل ما حفظوه من حديث رسول الله ﷺ.

(١) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ٤٧.

(٢) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٤٣ - ٤٩.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٤) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ٤٣ - ٤٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٤٤، وانظر الحاكم: معرفة علوم الحديث، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٦) حول هذه المدرسة كتبت رسالة نكتورها في الحديث بعنوان: مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري لأستاذي الدكتور أمين القضاة حفظه الله ورعاه، سنة ١٩٨٠ م، وهي الآن مطبوعة.

٥. الكوفة^(١):

تعد مدرسة الكوفة من أهم مدارس الحديث بعد مدرسة المدينة المنورة، وذلك الكثرة من نزل بها من الصحابة، وقد مصرت الكوفة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين فتحت العراق للمسلمين، ولقد سكن الكوفة عدد كبير من جلة أصحاب رسول الله ﷺ^(٢)، حيث فتح العراق في عهد الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فأصبحت مع البصرة قاعدتي الجيوش الإسلامية التي انطلقت لفتح بلاد فارس، وخراسان والهند^(٣)، ولقد "دخل الكوفة من أصحاب النبي - ﷺ - ألف وخمسون منهم ثلاثون بدرين"^(٤). وقال ابن سعد: نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر^(٥). ولقد مات كثير من الصحابة زمن الفتح ودفنوا فيها.

وقد كانت الزعامة في هذه الدار إلى إمامها الصحابي الجليل ذو الهجرتين: عبد الله بن مسعود الذي سيّره الفاروق عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلم الناس أمور دينهم ثم أمره عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على الكوفة، فكان له أثر كبير في نشر العلم والحديث الشريف فيها، ومن قبله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي كان أكثر الصحابة تأثيراً فيها، حيث جعلها مقراً لخلافته.

ومن أشهر الصحابة الذين سكنوها أو استوطنوها أو دفنوا فيها: "علي بن أبي طالب، سعد بن أبي وقاص، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عبد الله بن مسعود، خباب بن الارت، سهل بن حنيف، أبو قتادة بن ربعي، سلمان الفارسي، حذيفة بن اليمان، عمار بن ياسر، أبو موسى الأشعري، أبو مسعود الأنصاري، البراء بن عازب، عبد الله بن يزيد الخطمي، النعمان بن مقرن، وأخوه معقل بن مقرن، النعمان بن بشير، المغيرة بن شعبه، جرير بن عبد الله البجلي، عدي بن حاتم الطائي، عروة بن مضر الطائي، عبد الله بن أبي أوفى، أشعث بن قيس، جابر بن سمرة، حذيفة بن أسيد الغفاري، عمرو بن الحمق، سليمان بن صرد، وائل بن حجر، صفوان بن عسال، أسامة بن شريك، عامر بن شهر، عرفة بن شريح، نافع بن عتبة بن أبي وقاص، ثعلبة بن الحكم، عروة البارقي، جندب بن عبد الله البجلي، سمرة بن جندب، قطبة بن مالك، حبش بن جنادة، يعلى بن مرة الثقفي، عمارة بن ربيعة، طارق بن عبد الله المحاربي، خزيمة بن ثابت، بشير بن الخصاصية، قيس بن أبي غرزة، حنظلة الكاتب، المستورد بن شداد، أبو الطفيل، أبو حذيفة، هؤلاء أكثرهم بالكوفة دفنوا"^(٦).

(١) حول هذه المدرسة كتبت رسالة دكتوراه في الحديث بعنوان: مدرسة الحديث في الكوفة حتى القرن الثالث الهجري لأستاذي الدكتور شرف القضاء حفظه الله ورعاه، سنة ١٩٨٠ م، وهي غير مطبوعة.

(٢) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٥٩.

(٣) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليه، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٤) الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج ٢، ص ٥٣٣.

(٥) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٤.

(٦) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ١٩١.

وغيرهم خلق كثير من الصحابة الذين كانوا بمثابة الشمس تضيء لأهل الكوفة الطريق إلى الله تعالى من خلال الاغتراف من معين علمهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف^(١). وقد تخرج على يد هؤلاء الصحابة جمهور غفير من التابعين منهم: علقمة بن قيس والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق بن الأجدع، الهذاني وعبيدة بن عمرو السلماني، والحارث بن قيس الجعفي، وعمرو بن شرحبيل الهذاني^(٢). وغيرهم كثير يصعب حصرهم. قال الذهبي وهو يتحدث عن الكوفة: "نزلها جماعة من الصحابة كابن مسعود، وعمار بن ياسر، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخلق من الصحابة، ثم كان بها من التابعين كعلقمة، ومسروق، وعبيدة، والأسود، ثم الشعبي، والنخعي"^(٣).

وغيرهم كثير كان لهم دور بارز في نشاط مدرسة الحديث في العراق عامة والكوفة خاصة.

٦. الجزيرة:

قال الحاكم: وممن نزل الجزيرة من الصحابة: "عدي بن عميرة الكندي، ووابصة بن معبد الأسدي، والوليد بن عقبة بن أبي معيط"^(٤). ثم ذكر عدداً من التابعين من أهل الجزيرة، وعداً منهم: "ميمون بن مهران، وعمرو بن ميمون بن مهران، وكثير بن مرة الحضرمي"^(٥) وغيرهم كثير.

٧. الشام

تعد مدرسة الحديث في الشام من أهم المدارس الحديثية التي كان لها أثر كبير في نشر الحديث الشريف، والمحافظة عليه فقد كانت الشام أحد المراكز التي اتخذها الصحابة قاعدة لانطلاقات جيوش الفتح الإسلامي، قال الذهبي واصفاً مدرسة الشام: "هي دار قرآن وحديث وفقه"^(٦)، وبهذا فهي لا تقل أهمية عن سابقتها من دور الحديث الأخرى، فقد نزل الشام عدد كبير من الصحابة عسر استقصائهم كانوا ضمن جيوش الفتح الإسلامي، قال الوليد بن مسلم: "دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ"^(٧)، وهي المدرسة التي لم يستقر لها شيخ خاص، بل كانت ملتقى العلماء الغادين والرائحين؛ لأنها وجدت في مدينة السلطة والحكم، فكان يفد عليها أو يلتقي فيها شيوخ أجلاء^(٨). وقد نزلها عدد كبير من الصحابة توزعوا في بلاد الشام: فأقام عبادة بن الصامت في حمص، وأبو الدرداء الأنصاري، وبلال مؤذن الرسول - ﷺ - في دمشق، ومعاذ بن جبل في فلسطين، وكان هؤلاء هم حجر الزاوية في الحركة

(١) خلف، تكوين وتوثيق السُّنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة، ص ٩٦.

(٢) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السُّنة والمحافظة عليها، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٤) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١٩٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٦) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ٢٦.

(٧) السخاوي، فتح المغيب شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ١١٣.

(٨) شلبي، السُّنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ١٧٨.

العلمية ونشر السنة المحمدية في ربوع تلك البلاد^(١). يقول أحمد أمين: "وكان هؤلاء أول مؤسسي المدرسة الدينية بالشام"^(٢).

ومن أشهر من نزل الشام واستطون ودفن فيها: "أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، وعبادة بن الصّامت، ومعاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وأبو الدرداء، وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم، والفضل بن العباس بن عبد المطلب مدفون بالأردن، وأبو مالك الأشعري، وعوف بن مالك الأشجعي، وثوبان، وشداد بن أوس، وفضالة بن عبيد، وعمرو بن عبسة، والحارث بن هشام ومعاوية بن أبي سفيان، ووائل بن الأسقع، وبسر بن أبي أرطاة، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وقباث بن أشيم، والعرباض بن سارية، وعبد الله بن بسر المازني، وعتبة بن عبد السلمي، وعبد الله بن حوالة، وكعب بن مرة، وكعب بن عياض، والمقدام بن معدي كرب، وأبو هند الداري، وسلمة بن نفييل، وعُضيف بن الحارث، وعطية بن عمرو السعدي، فروة بن عمرو الجذامي"^(٣).

وقد تخرج على أيدي هؤلاء الصّحابة الكرام كبار علماء الشام من التابعين، منهم: أبو إدريس الخولاني عاخذ الله، ومكحول بن أبي مسلم الدمشقي، وعمر بن عبد العزيز، وغطيف بن عبد الله، وميمون بن مهران، وعاصم بن بشر السلولي، وحكيم بن عمير، ورجاء بن حيوة الكندي وغيرهم^(٤).

وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم سواء أكان ذلك من الصّحابة أم من التابعين، كانوا بمثابة الزهور يشتم منها أهل الشام رياحين حديث المصطفى ﷺ^(٥).

٨. مصر:

وهي من المدارس المهمة لكثرة من دخلها من الصّحابة - ﷺ - والذين شددت إليهم الرّحال لسماع الحديث منهم، وقد افتتحت مصر في عهد الفاروق - ﷺ - وكان الفاتح لها عمرو بن العاص ﷺ، وسكنها خلق كثير من الصّحابة ينشرون أحكام الدين وتعاليمه، وكثر العلم بها في زمن التابعين^(٦)، وكان من أشهر الصّحابة حديثاً فيها: عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث امتاز عن غيره من سائر الصّحابة بكتابة ما يسمعه من رسول الله ﷺ^(٧)، وقد نزل بها خلق كثير من الصّحابة عدا عبد الله بن عمرو وقام بمهمة التعليم وتفقّه على أيديهم كثير من أهل البلاد منهم: عقبة بن عامر الجهني، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومحمية بن جزء، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفاري، وأبو سعد

(١) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٦.

(٢) أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي - بيروت ط ١٠، ١٩٦٩م، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٤) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١١١، ص ١١٩.

(٥) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصّحابة ﷺ، ص ٩٧.

(٦) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ٢٨.

(٧) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٧.

الخير، ومعاذ بن أنس الجهني وغيرهم كثير حتى لقد أفردهم محمد بن الربيع الجيزي بالتأليف فبلغ عددهم مائة ونيفاً وأربعين صحابياً، كما أورد أحاديثهم في تأليفه ذلك^(١).

بل "أوصل عددهم السيوطي إلى ثلاثمائة وثلاثة وخمسين صحابياً، وصحابة، كان أولهم أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري، وآخرهم سودة بنت أبي ضُبَيْش الجهنية، وكان عبد الله بن الحارث آخر من مات بمصر من الصحابة"^(٢).

ومن أشهر من نزل مصر من الصحابة: "عقبة بن عامر الجهني، وعمر بن العاص، وعبد الله بن عمرو، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومحمية بن جزء، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفاري، وأبو سعد الخير، ومعاذ بن أنس الجهني، ومعاوية بن حديج، وزباد بن الحارث الصدائي، ومسلمة بن مخلد، وسُرْق، وأبو فاطمة الإيادي، وأبو حمقة، وأبو الشموس البلوي"^(٣). وغيرهم كثير يصعب حصرهم.

وقد تخرج على أيديهم كثير من التابعين منهم: أبو الخير مرشد بن عبد الله اليزني، ويزيد بن حبيب وبكير بن عبد الله الأشج^(٤). وغير هؤلاء كثير نزلوا مصر وسكنوها وأمدوا أهلها بحديث النبي - ﷺ - وكان لهم الأثر البالغ في نشر الحديث والسنة في جميع أنحاء مصر.

٩. شمال إفريقية والمغرب:

لقد وصل عمرو بن العاص إلى برقة وطرابلس سنة (٢١هـ) في عهد الفاروق - ﷺ، فاستأذن الخليفة بفتح إفريقية فلم يأذن له، فعاد إلى مصر، فكان عمرو وأصحابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب، وعندما تولى الخلافة عثمان بن عفان أذن لأميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح بغزو إفريقية، وكان ذلك سنة (٢٥هـ) ثم أمده بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن جعفر، والحسن والحسين وعبد الله بن الزبير، ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة فتابعوا فتح البلاد^(٥). ثم خرج لفتح المغرب معاوية بن حديج سنة (٣٤هـ)، وكان معه جماعة من المهاجرين والأنصار، قال سليمان بن يسار: "غزونا إفريقية مع ابن حديج، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير. ثم تولى عقبة بن نافع المغرب الأقصى، ووطد أركان الإسلام في شمال إفريقية"^(٦).

وقد نزل في إفريقية من الصحابة مسعود بن الأسود البلوي، أحد الصحابة الذين بايعوا الرسول - ﷺ - تحت الشجرة، والمسور بن مخرمة، والمقدام بن الأسود الكندي، أحد الصحابة السابقين في الإسلام، وبلال بن حارث بن عاصم المزني صاحب لواء مزينة يوم الفتح، وجبله

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص ٢١.

(٢) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ١٨٨.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٥٣٨.

(٤) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١١٩ - ١٢٢.

(٥) الخطيب، أصول الحديث مصطلحه وعلومه، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٦) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٤٢.

بن عمرو بن ثعلبة، أخو ابن مسعود البصري، كان مناضلاً من فقهاء الصحابة، وسلمة بن الأكوخ، المشهور وغيرهم كثير^(١).

ودخل إفريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عامر بن هشام، معبد أخو عبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن الأسود، وعكرمة مولى ابن عباس، وأرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية منهم: حبان بن أبي جيلة وإسماعيل بن عبيد الله الأعمش وغيرهم، ممن نشروا تعاليم الإسلام في إفريقية^(٢)، وأمدوها بما استقوه من سنة رسول الله ﷺ. إلا أن أثرهم العلمي فيها كان قليلاً، نظراً لعدم استقرارهم، ورجوعهم المبكر بعد الغزو إلى المشرق، ولانشغالهم أيضاً خلال وجودهم بالجهاد والقتال، فلم يتهيأ لأهل إفريقية الاستفادة القصوى منهم في تلك الفترة^(٣).

١٠. خراسان:

عرف ابن حبان البستي خراسان فقال: "أما خراسان فهو اسم يقع على بلدان العجم جملة، وإن كان كل ناحية منها لها اسم منفصل، تعرف به لأن كل بلد الغالب على أهله الرطانة فهو داخل في جملة بلدان العجم، فكما لا يخرج تباين اللغات بين القبائل وبلدان العرب بعضها عن الاسم الواقع عليها، كذلك لا يخرج سائر اللغات في الفارسية من أهل البلدان التي يسكنها العجم من الاسم المشتمل عليها"^(٤).

وقد نزل بعض الصحابة خراسان، واستقر بعضهم فيها، ومات بها، ومن أشهرهم: "بريدة بن حصيب الأسلمي مدفون بمرور، وأبو برزة الأسلمي، الحكم بن عمرو الغفاري، عبد الله بن خازم السلمى مدفون بنيسابور برستاق جوين، فثم بن العباس مدفون بسمرقند"^(٥). وقد تخرج على يد هؤلاء الصحابة طائفة من التابعين منهم: عبد الله بن بريدة، وأخيه سليمان بن بريد، ويحيى بن يعمر^(٦)، وعدة من التابعين غيرهم أثروا في مدرسة الحديث الشريف بخراسان فاستفاد منهم أهلها كغيرهم من دور الحديث النبوي الشريف في الأمصار الأخرى.

(١) التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد، طبقات علماء إفريقية، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، طبع في الجزائر، ١٣٣٢هـ، ص ١٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠.

(٣) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٦٩.

(٤) ابن حبان، مشاهير على الأمصار، ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ٥٣٩.

(٦) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ٨٤، وانظر الحاكم: معرفة علوم الحديث، ص ٢٤٩.

١١. قزوين:

كان لمدرسة الحديث النبوي الشريف في قزوين أهمية عظيمة لا تقل عن غيرها من المدارس الأخرى، إذ تهدف جميعها إلى نشر الإسلام وتعاليمه، وأحاديث المصطفى ﷺ، إلى جانب القرآن الكريم^(١).

وقد نزل قزوين بعضاً من الصحابة - ﷺ - والتابعين، فمن الصحابة رضي الله عنهم: البراء بن عازب، وسعيد بن العاص، ونزل عبد الله بن عمرو بن العاص حاموران، وسعيد بن العاص شيروان، وسعيد بن العاص شيروان، وعبد الله بن عباس فيروزورام وكانوا يتزاورون، وكان لسعيد بنون: عمرو ويحيى وعنبسة، كما نزلها سلمان الفارسي، وراويّة الإسلام أبو هريرة الدوسي. وغيرهم كثير ممن نزلوا قزوين من الصحابة رضي الله عنهم. وأما التابعون فمنهم إبراهيم بن يزيد النخعي، وسعيد بن جبيرة، وشمر بن عطية، وشهر بن حوشب، وطلحة بن خويلد، وغيرهم فعمروا البلاد بالعلم والإيمان، وشيدوا المساجد والبنيان^(٢).

وهكذا نجد الصحابة - ﷺ - قد نقلوا السنة النبوية الشريفة عن رسول الله - ﷺ - وبلغوها وكانوا أمناء في التحمل والأداء عن رسول الله - ﷺ - فجزاهم الله عنا خير الجزاء. هذه هي أشهر المدارس والمراكز الحديثية الأولى التي نشأت وتأسست على أيدي أصحاب رسول الله - ﷺ - في وقت مبكر والتي كانت وسيلة من أهم الوسائل لنشر الحديث النبوي الشريف^(٣)، وهذه نبذة قصيرة وموجزة عن مدارس الحديث النبوي الشريف في أشهر الأمصار الإسلامية. لذلك العهد تدل على مكانة هؤلاء الصحابة - ﷺ - وتابعيهم في نشر الحديث النبوي الشريف وروايته^(٤)، أردنا من خلالها التعرف عليها لما لها من علاقة في التلاحق الحديثي والعلمي بينهما.

وكان لانتشار مدارس الحديث النبوي الشريف وكثرتها في الأمصار الإسلامية المفتوحة أثر كبير على تدوين السنة النبوية الشريفة من قبل أهل تلك البلاد عندما كانوا يسمعونها من أصحاب النبي ﷺ، وخاصة أن أهل تلك الأمصار المفتوحة كانوا أهل حضارات متقدمة، وأن الكتابة والتدوين عندهم كان أمراً معروفاً وشائعاً^(٥).

ومما تقدم يتبين لنا بوضوح أن الصحابة - ﷺ - لم يألوا جهداً، ولم يدخروا وسعاً في تبليغ السنة النبوية الشريفة كما صدرت من فم رسول الله - ﷺ - نقية، دون تحريف أو تكليس

(١) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ١٠٠.

(٢) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ١٢٦.

(٣) النعمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٤٣.

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ١٠٨.

(٥) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، ص ١٠١.

أو تشويهه^(١). وأن المدن والأمصار الإسلامية تشرفت بمدارس الصحابة - ﷺ - الذين تفرقوا يعلمون الناس سنة رسول الله ﷺ.

على أن مما يجدر التنبيه عليه: أن هنالك مدارس أخرى لا تقل أهمية أو شأنًا عن هذه المدارس وجدت في ذلك العهد لم نذكرها خشية الإطالة، أو أن هنالك بعض المدارس ترجع إلى إقليم مهم وهو إقليم خراسان.

ومن هنا فإن تلك المدارس الحديثية خلقت تراثاً علمياً في علم الحديث رواية ودراية فأصبحت ملجأً وملاذاً للمتخصصين في علم الحديث إلى يومنا هذا^(٢)، وبهذا الانتشار المدرسي المعلم للسنة الشريفة الحققة الصافية ينتهي الدور الأول من تدوين السنة النبوية، بما عند الناس من سنة محفوظة في الصدور أو تدوين خاص، مثل الصادقة، وصحيفة أبي شاة، ولم تحظ الفترة، كما أنها لم تساعد على أن تدون السنة الشريفة تدويناً رسمياً مثملاً دون القرآن الكريم^(٣).

المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على انتشار السنة النبوية في الآفاق

انتشرت السنة النبوية الشريفة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى من بعثته ﷺ، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سراً في المدرسة الأولى دار الأرقم بن أبي الأرقم، يتلقون تعاليم ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ويقرؤون القرآن الكريم، ويؤدون العبادات بعيداً عن أعين قريش، وما لبث أن صدع الرسول - ﷺ - بأمر الله تعالى، وكثر المسلمون، وعم الإسلام جمع أنحاء الجزيرة العربية، وكان - ﷺ - في جميع مراحل الدعوة إلى الله يبلغ الناس، ويفتيهم ويقضي بينهم، ويخطبهم ويسوسهم في السلم والحرب، في الشدة والرخاء، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبّقونها، ومن هنا فقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة المطهرة والحديث الشريف في الآفاق منها^(٤):

١. نشاط الرسول ﷺ، وجده في تبليغ دعوته ونشر الإسلام: لم يترك الرسول - ﷺ - وسيلة ولا منهجاً للدعوة إلى الله تعالى إلا استفاد منها، ولا سبيلاً من السبل إلا سلكه، فعرض نفسه على القبائل، وتحمل الصعاب وصنوف العذاب والأذى، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام، فلم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً وطاقة في تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة حتى عز الإسلام وقويت دولته، وفي جميع تلك التطورات كانت السنة الشريفة تأخذ مكانها في نفوس المسلمين^(٥)، وقد تكلمنا عن منهجه وهديه - ﷺ - في الفصل الثاني وأفرقنا مبحثاً كاملاً في هدية وأساليبه في التربية والتعليم وكيف استفاد الصحابة - ﷺ - من منهجه وأسلوبه.

(١) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٤٣.

(٢) الكبيسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ١٩٢.

(٣) شلبي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ص ١٧٩.

(٤) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٧٢.

(٥) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٧٢.

٢. طبيعة الإسلام ونظامه الجديد، الذي جعل الناس يتساءلون عن أحكامه، وعن رسوله وأهدافه: لقد كان بعض من يسمع بالدعوة الإسلامية ورسالته يقبل على النبي - ﷺ - ويسأله عن الإسلام وتعاليمه ثم يعلن إسلامه، وينطلق إلى أهله وقومه ليبلغهم ما رأى ويخبرهم ما سمع^(١).

٣. نشاط صحابة رسول الله ﷺ، واندفاعهم في طلب العلم وحفظه وتبليغه للناس^(٢): وقد تكلمت عن ذلك مفصلاً في الفصل الثاني في المبحث الرابع في كيفية تلقي الصحابة - ﷺ - للحديث النبوي الشريف، وتناولت ذلك أيضاً في الفصل الثالث في المبحث الأول التثبت والتحري في طلب الحديث النبوي الشريف، فأغنى ذلك عن التكرار.

٤. دور أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في خدمة الحديث النبوي الشريف: لقد كان لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فضل عظيم في تبليغ الدين، ونشر السنة النبوية بين الناس، وخاصة بين النساء، فكان من عادتهم أن يستعينوا ببعض أزواج النبي - ﷺ - لمعرفة الأحكام المتعلقة بشؤون الرجل مع زوجته لاختصاصهن بمعرفة أحواله العائلية الخاصة^(٣)، لذا كانت حجراتهن - رضي الله عنهن - مدارس يقصدها طلاب العلم، فيجد السائل عندهن جوابه، والمستفتي فتواه، والشاك يقينه^(٤)، ولقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله - ﷺ - عن أمورهن الخاصة، فيجدن عند أزواجه ما يشفي غليلهن، لأنهن على صلة دائمة به - ﷺ - يتعلمن منه الأحكام، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله، وربما في بعض الأحيان كان - ﷺ - يبين لأزواجه بعض الأحكام ثم يقمن هن بدورهن بتبليغه لعامة النساء، وكن - رضي الله عنهن - يراجعنه في الأمر حتى يحصل لهن كمال العلم فيه^(٥)، وكان من أشهر أزواجه بالعلم الغزير، وحرصها على فهم الأحكام عائشة رضي الله عنها، فعن ابن أبي مليكة أنه قال: "أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ - كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تُعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ"^(٦). فلقد عرف الصحابة - ﷺ - والتابعون سمو مكانتها وتعمقها في أحكام الإسلام، فكانت بعد وفاته - ﷺ - محط أنظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم في كثير من أمور دينهم^(٧).

وهكذا كان لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - مكانة جليلة لدى الصحابة - ﷺ - والتابعين، كيف لا وقد امتدحهن الله تعالى في القرآن العظيم، فقال عز وجل ﴿يَلِيسَ آلَ النَّبِيِّ كَسَرٌ

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٧٢.

(٢) الخطيب، السنة قبل التتوين، ص ٦٩.

(٣) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، ج ٢، ص ٢٧.

(٤) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ٤٥.

(٥) البغاء، الكافي في علوم الحديث، ص ٢٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، حديث رقم ١٠٣، ص ٥١٠.

(٧) الخطيب، علم أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٧٢.

كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيَّتُنَّ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشُكَّرُ فِي يَوْمِ تَكُونُ مِنَ ابْنَتِ اللَّهِ وَلِلْكَمَّةِ﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٤).

كما أَنَّ النَّاسَ يَسْتَكْرُونَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ أَحَدٌ أَوْ يَسْتَفْتِيَهُمْ فِي الْأَحْوَالِ الْخَاصَةِ مَعَ وَجُودِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي هَذَا يَقُولُ مِرْوَانُ: "كَيْفَ نَسَالُ وَفِينَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي حَدِيثٍ: تَرَكْتُ الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ" (١). وَاعْتَبَرُ ذَهَابَ إِحْدَاهُنَّ حَدَثًا جَلِيلًا يَبْعَثُ عَلَى الْحُزَنِ، بَلْ عَدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: "قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مَاتَتْ فَلَانَةُ لِبَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ - فَسَجَدَ فَقِيلَ لَهُ أَسْجُدْ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا فَإِنَّ آيَةَ أَكْثَرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ" (٢).

٥. الصَّحَابِيَّاتُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ

لَمْ تَكُنْ مَجَالِسُهُ - ﷺ - قَاصِرَةً عَلَى الرِّجَالِ بَلْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ نِسَاءٍ يَحْضُرْنَ الْمَسْجِدَ أَيْضًا وَيَسْتَمِعْنَ إِلَى حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣)، وَمِنْ هُنَا كَانَ لِلنِّسَاءِ دَوْرٌ وَأَثَرٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَنَقْلِهَا وَتَبْلِيغِهَا لَا يَقِلُّ عَنْ أَثَرِ الصَّحَابَةِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ مِنْ مَنْهَجِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعْلِيمُ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُنَّ مَكْلَفَاتُ الرِّجَالِ، بَلْ إِنْ كَثُرَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ تَخْصِيصُ دَوْنِ الرِّجَالِ، كَأُمُورِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالْعِدَّةِ وَالرِّضَاعِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ (٤)، وَقَدْ حَرَّصَ أَشَدَّ الْحَرَصِ عَلَى التَّعْلِيمِ، وَعَلَى حُضُورِ مَجَالِسِ النَّبِيِّ ﷺ - وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ ﷺ: "قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ - غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا... الْحَدِيثُ" (٥)، كَمَا أَنَّهُنَّ كُنَّ يَشْهَدْنَ بَعْضَ الْمَوَاسِمِ كَصَلَاةِ الْعِيدِ وَيَسْتَمِعْنَ إِلَى أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ - ﷺ - أَنَّهُ خَطَبَ بِالرِّجَالِ يَوْمَ الْعِيدِ، وَبَعْدَمَا فَرَّغَ تَخْطَى صَفُوفَ الرِّجَالِ حَتَّى أَتَى صَفُوفَ النِّسَاءِ فَخَصَّهْنَ بِمَوْعِظَةٍ وَأَمْرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، وَحَثَّهْنَ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِنَّ، وَحَذَّرَهُنَّ مِنَ النَّارِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، فَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: "أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - خَرَجَ وَمَعَهُ بَلَالٌ فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ... الْحَدِيثُ" (٦).

(١) النِّسَاءِيُّ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ تَرْكِ الْوُضُوءِ مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ، حَدِيثٌ رَقْمُ ١٨٥، ج ١، ص ٣١٠، وَقَالَ الْأَبْيَانِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٢) التِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ الْمُتَاقِبِ، بَابُ فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدِيثٌ رَقْمُ ٣٨٩١، ص ٦٠٠، وَقَالَ الْأَبْيَانِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) أَبُو زَهْوٍ، الْحَدِيثُ وَالْمَحْدُوثُ أَوْ عُنَايَةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، ص ٥٥.

(٤) الْبَغَاءُ، الْكَافِي فِي عُلُومِ الْجَدِيدِ، ص ٢٤.

(٥) الْبَخَارِيُّ، صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَّةٍ فِي الْعِلْمِ؟، حَدِيثٌ رَقْمُ ١٠١، ص ٣٢.

(٦) الْبَخَارِيُّ، صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ عِظَةِ الْإِمَامِ النِّسَاءِ وَتَعْلِيمِهِنَّ، حَدِيثٌ رَقْمُ ٩٨، ص ٣١.

وهكذا كان لهؤلاء الصحابييات رضي الله عنهن- أثر كبير في حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية، كان من الصعب أن يسأل الصحابة - ﷺ - عنها رسول الله ﷺ^(١).

٦. رسله - ﷺ - وبعوثه وولاته:

أصبحت المدينة المنورة بعد الهجرة مركز الخلافة الإسلامية، وقاعدة للدعوة تتبعث منها الهداية إلى البشرية قاطبة وتتحطم على إثرها أصنام الشرك، وتتقوض أمامها عروش الطغيان، فمن المدينة المنورة انطلق رسل الرسول - ﷺ - إلى القبائل المجاورة والنائية، يدعونهم إلى دين الإسلام، ويعلمونهم أحكامه ونظمه، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبي ﷺ^(٢).

وبما أن دين الإسلام دين الله تعالى للناس كافة، ورسوله - ﷺ - مأمور أن يبلغ وحي الله تعالى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧). ولذلك كان - ﷺ - يرسل بالكتب والرسائل إلى الأمراء والملوك يدعوهم وأقوامهم إلى الدخول في دين الله تعالى أو إلى عقد العهود والمواثيق بينه وبينهم^(٣).

فمن ذلك كتابه إلى هرقل الذي جاء فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَذْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ... الحديث"^(٤)، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وكذلك كان - ﷺ - يرسل البعوث تدعو الناس إلى الإسلام، فإذا استجاب هؤلاء كان على المسلمين أن يعلموهم أمر دينهم وسنة نبيهم - ﷺ - وكان يكتب لهم بذلك كتباً يعلمون الناس ما فيها، ومن أمثلة ذلك، ما قال لمعاذ بن جبل - ﷺ - عندما وجهه لليمن فقال له: "اذْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمَهُمْ... الحديث"^(٥). وقد كانت بعوثه وولاته - ﷺ - خير من يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة، وفي السنة السادسة كثرت بعوثه - ﷺ - فقد وجه بعد صلح الحديبية رسله إلى الملوك والأمراء، يحملون إليهم كتبه، ففي يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذي بعث إليهم.

(١) الخطيب، السنة قبل التكوين، ص ٧٠.

(٢) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٧٤.

(٣) البغاء، الكافي في علوم الحديث، ص ٢٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧، ص ٩، - ١٠.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم ١٣٩٥، ص ٢٧٥.

وكذلك أرسل رسله إلى قيصر الروم وإلى أمير بصرى وإلى الحارث بن أبي شمر وإلى أمير دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل، يدعوهم إلى دين الإسلام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وأرسل رسله إلى عُمان واليمامة وغيرها، وكان رسله يجيبون عن تساؤلات الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، ويبينون لهم دين الإسلام وغاياته وأهدافه على ضوء ما يزودهم به الرسول - ﷺ - من التوجيه والإرشاد، وكان - ﷺ - يولي على كل قوم قبلوا دين الإسلام كبيرهم ويمدهم بمن يعلمهم ويفقههم أمور دينهم.

٧. غزوة الفتح:

ومما ساعد على انتشار الحديث النبوي الشريف تلك المواقف العامة التي حضرها السواد الأعظم من المسلمين، ووقف فيها النبي - ﷺ - مواقف متعددة، يخطب في الناس ويعظهم ويعلمهم أمور دينهم، وهم أولئك الرعيل الأول الذين أحبوا رسول الله - ﷺ - وقدموه على النفس والمال والولد والوالد، فكانوا آذاناً صاغية لما يقول، وقلوباً واعية لما يأمر به أو ينهى عنه^(١).

ففي السنة الثامنة للهجرة نقضت قريش عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله - ﷺ - القبائل المسلمة أن تحضر رمضان في المدينة المنورة، وانطلق إلى مكة المكرمة بعشرة آلاف مجاهد فقوض الوثنية وحطم الأصنام، وقام خطيباً في ألوف المسلمين والمشركين، فغفا عن أعدائه الذين حاربوه وآذوه، ثم أعلن كثيراً من الأحكام فأقبل المسلمون يبايعون رسول الله ﷺ.

وكان لهذا اللقاء الأثر العظيم في نشر السنة والحفاظ عليها، حيث أتاح فرصة واسعة أمام كثيرين ممن جاؤوا من مختلف البلاد، فتيسر لهم عرض أمورهم على النبي ﷺ، وسؤاله عن الأمور المشككة وأحوال الدين العظيم، ومعرفة كل ما يحتاجون إليه من أمور الإسلام، ومثل هذا اللقاء يسهل تناقل أخبار الدعوة وأمورها وأحكامها وكل ما يتعلق بها.

فكان فتح مكة المكرمة والفتح الأعظم، حدثاً تاريخياً عظيماً، نقلته جموع غفيرة، ونقلت معه خطبة النبي - ﷺ - إلى الآفاق، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوا من إرشاد وتوجيه إلى أهلهم وذويهم في مكة المكرمة وغيرها^(٢).

٨. حجة الوداع:

كان لحجة الوداع أثر عظيم في نشر الحديث النبوي الشريف^(٣)، حيث خرج رسول الله - ﷺ - في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، إلى مكة المكرمة وحج بالناس،

(١) البغاء، الكافي في علوم الحديث، ص ٢٦.

(٢) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٧٦.

(٣) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ١٣٤.

وكان جمع عظيم قد حضرها بلغ ما يزيد على أربعين ألفاً من رجل وامرأة^(١)، حيث وقف - ﷺ - بعرفات الرحمة وخطب بهذه الجموع الغفيرة خطبة عظيمة وجامعة، بين فيها كثيراً من الأحكام الغزيرة والسنن الكثيرة، ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الإسلام، ولكثرة الناس في ذلك اليوم، اتخذ ربعة بن أمية ابن أبي الصلت مبلغاً عنه ﷺ^(٢)، وهي خطبة بين فيها - ﷺ - مناسك الحج، فلم يترك شيئاً لم يكن بينه للناس إلا بينه وأظهره، وغيرها من شعائر الإسلام، ويضع قواعد الدين ويرسي أسسه، وينص على أمهات الأمور، ويوصي بالنساء خيراً، وفي كل موقف يقول للناس، وقد رفع يديه إلى السماء^(٣). "أَلَا هَلْ بَلَغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ... الحديث"^(٤).

فكانت هذه الخطبة من إحدى المشاهد الكبرى التي ساهمت في نشر السنة الشريفة التي كانت في آخر سني حياته ﷺ، وكانت هذه الخطبة من أهم العوامل في انتشار السنة النبوية الشريفة بين القبائل العربية، حيث إنه حضر هذا الموسم خلق كثير جاءوا من مختلف النواحي، ونقلوها إلى الآفاق^(٥)، طبقاً لما جاء فيها من قوله ﷺ: "أَلَا لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ"^(٦).

٩. الوفود بعد فتح مكة وحجة الوداع:

بعد أن فتح الله مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة أقبلت وفود العرب من سائر أنحاء الجزيرة العربية يبايعون رسول الله - ﷺ - وينضمون تحت لواء الإسلام، وتتابع هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع وكانت أغلبها في السنة التاسعة للهجرة حتى إن ذلك العام سمي بعام الوفود، وكان - ﷺ - يرحب بالوافدين إليه، ويعلمهم أمور الإسلام، ويزودهم بنصائحه وإرشاداته، وكانت بعض الوفود تقيم عنده أياماً ثم تعود إلى قبائلها تبليغهم الدين الإسلامي الحنيف، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة الذي علمه النبي - ﷺ - الإسلام، فعاد إلى قومه ودعاهم فأسلموا، ووفد عبد القيس، ووفود بني حنيفة وطى وكندة وأزد شنودة، ووفد رسول ملوك حمير، الذين أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى النبي ﷺ، فبعث إليهم كتاباً يخبرهم أنه علم بإسلامهم، وحثهم على طاعة الله تعالى والتمسك بدينه العظيم، وفيه وصيته لهم برسله وبعوثه، ويوصيهم الخير في الرعية، كما جاءت وفود همدان وتجب - قبيلة من كندة - ووفود ثعلبة وبني سعد بن هذيم، وغيرها من الوفود التي يضيق المقام عن ذكرها^(٧).

(١) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ٣، ص ١٢١.

(٢) أبو زهر، الحديث والمحدثون أو غناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٦٢.

(٣) البغاء، الكافي في علوم الحديث، ص ٢٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حَجَّةُ الْوَدَاعِ، حديث رقم ٤٤٠٦، ص ٨٦٣.

(٥) الخطيب، السنة قبل التكوين، ص ٧٣.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب لِيُبْلَغَ الْعِلْمُ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ، حديث رقم ١٠٥، ص ٣٣.

(٧) الخطيب، السنة قبل التكوين، ص ٧٣ - ٧٤.

ومن هنا فقد كان النبي - ﷺ - يرى في هذه الوفود الخير الكثير، فيكرمهم ويعلمهم، وكانوا يسألونه ويجيبهم ، وقد سمعوا حديثه وانصتوا له، وشهدوا بعض مواقفه وشاركوه في العبادة، ورأوا كثيراً من تصرفاته، فكان لهذه الوفود أثر عظيم في نقل السنة النبوية الشريفة وحفظها وانتشارها انتشاراً عظيماً في الآفاق^(١).

وفي هذا نلاحظ أن الوفود كانت تقدم على النبي - ﷺ - لتتله من معين العلم وتتفقه في دين الله تعالى وتقف على أحكام الشريعة ثم يرجعون إلى أوطانهم يعلمون ممن وراءهم في قبائلهم وعشائرهم، فهذه الوفود إلى جانب تلك البعوث التي كان يرسلها النبي - ﷺ - كان لها أكبر الأثر في نشر السنة النبوية الشريفة وحفظها في جميع أنحاء الجزيرة العربية^(٢).

وهكذا كان الصحابة بعامة - رضوا - من أشد خلق الله تعالى حرصاً على نشر السنة النبوية المطهرة ، والحديث النبوي ، وبذله لطلابه، سمت بهم الهمة إلى أعلى مما تظن. وهكذا هم الخلفاء الراشدين بخاصة كان لهم الدور الأكبر في جمع السنة النبوية الشريفة ونشرها، يتجلى ذلك بتفتيشهم عنها، وسؤالهم عن شرائدها، فكانوا لا يفتنون إلا بالسنن، فإذا وقعت معضلة جمع الخليفة أصحاب النبي ﷺ، أو أرسل من ينادي في الناس بمن عنده علم عنها، فكانت تدار في بيوتهم ومجالسهم منتديات حديثة، ومذاكرات سنية، تتمخض عن كثير من الأحاديث النبوية الشريفة المفارقة في صدور حفاظها^(٣).

أجل أولئك أصحاب النبي ﷺ، الذين حفظوا سنته النبوية الشريفة، ووجهوا الأمة إلى السبيل القويم، وحملوا الرعاية والرعية على تطبيق أحكام الإسلام، وأبوا أن يماروا في دين الله تعالى، صادعين بالحق، لا يخافون فيه لومة لائم^(٤).

(١) البغاء، للكافي في علوم الحديث، ص ٢٧

(٢) أبو زهرو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٦١ - ٦٢

(٣) المعلوم، حفظ الله السنة وصور من حفظ العلماء لها وتناقلهم فيها، ص ٨٧ - ٨٨.

(٤) الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٨٣ - ٨٤.

الفصل الثالث

الضبط والوهم عند الصحابة ؓ

المبحث الأول: الضبط والوهم عند الصحابة ؓ مفهومه ونشأته وعوامل

ضهوره

المبحث الثاني: حكم توهيم الصحابي، وكيفية ثبوته، ومن الذي يحكم عليه

بالوهم؟

المبحث الثالث: بعض مظاهر ووسائل تثبت الرسول - ﷺ - والصحابة -

ؓ - والتابعين من الصحابة ؓ

المبحث الرابع: الضبط أسبابه، ومقاييسه، وكيفية معرفته

الفصل الثالث

الضبط والوهم عند الصحابة ؓ

تمهيد

حرص الصحابة- رضي الله عنهم- على الحفاظ سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- من خلال العناية الفائقة بها وذلك بوضع الأسس والمقاييس التي تحافظ عليها ممن يريد النيل منها ، وقد تمثل توثيق الصحابة للحديث الشريف في وسائل تحقق لهم أخذ سنة النبي - صلى الله عليه وسلم- أخذاً صحيحاً ومن ثم أداءها أداءً سليماً، من غير زيادة ولا نقصان، ومن أهم هذه الوسائل حرص على سماع الحديث والتشدد في حفظه، والتشدد مع رواته، فكانت هذه الوسائل توثق الحديث خارجياً أو ما عرف بعد بمسمى النقد الخارجي للحديث. وإلى جانب هذه الوسائل كانت هناك وسائل أخرى تهتم بتوثيق متن الحديث الشريف من حيث النظر فيه مرتبطاً بذلك بعرضه على النصوص والأصول الإسلامية ومدى ملاءمته أو معارضته لها وهو ما يعرف بالنقد الداخلي للحديث الشريف. ومن أهم هذه الوسائل عرض الحديث على القرآن الكريم وعرضه على السنة، وعرضه على القياس، وكنت قد بدأت الحديث عن وهم الصحابة لا عن ضبطهم لأنَّ الضبط عندهم أمر ثابت بالاستقراء وهو الأصل، والوهم عارض ونادر جداً، ومن هنا فإني تناولت هذا الفصل من خلال المباحث التالية: مفهوم الضبط والوهم ، حكم توهيم الصحابي وكيفية ثبوته، وبعض مظاهر ووسائل تثبت النبي- صلى الله عليه وسلم- والصحابة - رضي الله عنهم- والضبط والوهم أسبابه ومقاييسه، واليكم بيان ذلك كله:

المبحث الأول

الضبط والوهم عند الصحابة ؓ مفهومه ونشأته وعوامل ظهوره

تمهيد

يعد الضبط من أساسيات وقواعد قبول الحديث الشريف أو رده ؛ لذا اهتم الصحابة - ؓ - والمحدثون من بعدهم به.

فإذا كان الصحابة- ؓ - كلهم عدول بلا ريب فهل كلهم من أهل الحفظ والإتقان؟، وهل عدالتهم توجب الحفظ والضبط؟، يقول الصنعاني: "ولكن بالنظر إلى الضبط والحفظ لا يخلو عن الإشكال إذ الحفظ وعدمه من لوازم البشرية لا ينافي الصُّحبة بل لا ينافي النبوة فقد صح عنه- ﷺ - أنه نسي في صلاته وغيرها فكيف يجعل كون الراوي صحابياً أبلغ من الموصوف بأوثق الناس ونحوه والصُّحبة لا تنافي النسيان وعدم الحفظ بل قد ثبت في صحيح

البخاري نسيان عمر لقصة التيمم وتذكير عمّار له بها ولم يذكر بل قد ثبت أنّه قال ﷺ : "رحم الله فلاناً لقد ذكرني البارحة آية أنسيتها"^(١).

ويقول عبدالله الجديع: "وأما ضبط الصحابي لما روى أنّ أحدهم يجوز عليه الوهم كما يجوز على غيره ولكن قرب العهد بالنبي ﷺ، وطريق تلقي العلم عنه، بالسَّماع المباشر، أو بالرؤية، مع تكرار ورود العلم عليه، يضعف احتمال الوهم، بخلاف من بعدهم بعدما كثرت الوسائط. ومع ذلك فإن حفظ الصحابي تعرض للتقّد، وبدأ ذلك في الصحابة - ﷺ - أنفسهم، ووقع من بعض من جاء من بعدهم من الأئمة على ندرة"^(٢).

لذلك سنتعرف في هذا المبحث على مفهوم الضبط والوهم، والتقّد، والكذب، وعن نشأة التقّد وغايته، وعوامل ظهوره، وأشهر الصحابة - ﷺ - الذين تكلموا فيه، وإليك بيان ذلك كله:

المطلب الأول: مفهوم الضبط

أ. الضبط لغة:

يقال ضبط الشيء حفظه، والرّجل ضابط أي حازم، والضبط لزوم الشيء وحبسه^(٣). وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرّجل ضابط أي حازم ومنه الأضبط الذي يعمل بكلتا يديه، أي أنه أعطى اهتمامه ومشاعره كلها لما يحفظه ويشغل به^(٤). قلت: ممّا سبق يتضح لي أنّ مادة ضَبَطَ بالتحريك تدور حول معنى: القوة، والحفظ، والحزم، والشدّة.

ب. الضبط عند المحدثين:

إنّ العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة من حيث ملاحظة الأخذ والإمساك الشديد والمحافظة على الممسك بحيث لا يفلت ولا يضيع، كما أنه يلتقي معه في معنى الحزم ولزوم الشيء.

وعرفه ابن الأثير، فقال: "... هو عبارة عن احتياط في باب العلم، وله طرفان: طرف وقوع العلم عند السَّماع، وطرف الحفظ بعد العلم عند التكلم حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن شيئاً معتبراً كما لو سمع صياحاً لا معنى له، وإذا لم يفهم اللفظ بمعناه على الحقيقة لم يكن ضبطاً، وإذا شك في حفظه بعد العلم والسَّماع لم يكن ضبطاً ثم الضبط نوعان: ظاهر وباطن، فالظاهر: ضبط معناه من حيث اللغة، والباطن: ضبط معناه من حيث تعلق الحكم الشرعي به، وهو الفقه، ومطلق الضبط الذي هو شرط الرّأوي هو الضبط ظاهراً عند الأكثر، لأنه يجوز

(١) الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ١، ص ١١٢ - ١١٤.

(٢) الجديع، تحرير علوم الحديث، ص ٢٢٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة ضبط، ج ٤، ص ٢٥٤٩.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس، المحيط، ج ٢، ص ٣٧٠.

نقل الخبر بالمعنى ... فتلحقه تهمة تبديل المعنى بروايته قبل الحفظ، أو قبل العلم حين سمع ولهذا قلّت الرواية عن أكثر الصحابة - ﷺ - لتعذر هذا المعنى ...^(١).
قلت: ذكر ابن الأثير الضبط بمعناه الاصطلاحي، وخص منه ضبط الصدر دون ضبط الكتاب.

ثم جاء ابن حجر وعرف الضبط بنوعيه فقال: "والضبط: ضبط صدر: وهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، وضبط كتاب: وهو صيانته لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدّي منه"^(٢).

المطلب الثاني: مفهوم الوهم

أ. الوهم لغة:

وهم بكسر الهاء: غلط وسها، وأوهم من الحساب كذا: أسقط، وكذلك في الكلام والكتاب، وقال ابن عربي: "أَوْهَمَ وَوَهَمَ، وَوَهَمَ سَوَاءً، وَهَمَ فِي الصَّلَاةِ وَهَمًا، وَوَهَمَ كِلَاهِمَا: سَهَا"^(٣). وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "وهم في الحساب أوهم وهما إذا غلطت فيه وسهوت، ووهمت في الشيء - بالفتح - أهم وهما إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره"^(٤). وقال الأزهرى: "يقال: وَهَمْتُ فِي كَذَا وَكَذَا، أَيْ غَلِطْتُ، وَوَهَمَ إِلَى الشَّيْءِ يَهْمُ، إِذَا ذَهَبَ وَهْمُهُ إِلَيْهِ"^(٥).

قال عبد الفتاح أبو غدة: يقال في اللغة: "وَهَمَّ بِسُكُونِ الْهَاءِ، وَوَهَمَ بِفَتْحِهَا، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ فِي الْمَعْنَى وَالِاسْتِعْمَالِ، فَالْوَهْمُ بِالسُّكُونِ هُوَ مَا سَبَقَ الذَّهْنَ إِلَيْهِ مَعَ إِرَادَةِ غَيْرِهِ، وَالْوَهْمُ بِالْفَتْحِ هُوَ مَا أَخْطَأَ فِيهِ الْمَرْءُ وَجَهَ الصَّوَابَ، مَعَ إِرَادَتِهِ ذَلِكَ الْخَطَأَ، لِأَنَّ الصَّوَابَ فِي نَظَرِهِ وَعِلْمِهِ"^(٦).

والمعنى الثاني هو مقصود المحدثين وهو الأكثر شيوعاً في عباراتهم التقليدية في كتب العلل والرجال عند ذكرهم خطأ الراوي للحديث النبوي، فيقولون: في حديثه وَهَمَ أَيْ غَلَطَ، وفي أحاديثه أَوْهَام: أغلط، ويقال: كثير الوهم، ويهم في الشيء بعد الشيء، ونحو هذه العبارات.

ولكن الشائع والمعروف في استعمال المحدثين أنهم إذا أخبروا عن غلط الراوي بلفظ الفعل، قالوا في الماضي: "وَهَمَ"، وفي الفعل المضارع "يَهْمُ" فيجمعون في هذا الاستعمال بين البابين، وهو ما يقول فيه الصرفيون: من باب تداخل اللغتين، فيقولون في تضعيف الراوي مثلاً: "صدوق يَهْمُ"، فيستعملون فعل "يهم" في موضع "يؤهم"، ثم قال الشيخ عبد الفتاح: وما

(١) ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول، ج ١، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) ابن حجر، نزهة النظر، شرح نخبة الفكر، ص ٦٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، مادة وهم، ص ٦٤٣ - ٦٤٤.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ١٤٩.

(٥) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ٢٠٥٤ - ٢٠٥٥.

(٦) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٦، ص ٤٦٦.

رأيت في كلامهم إلى الآن "يَوْهَمُ"^(١). ثم قال الشيخ: "ويستعمل المحدثون في مقام التَّغْلِيظِ أيضاً لفظ "الْوَهْلُ" باللام في آخره مع فتح الهاء، بمعنى "الْوَهْمُ" بفتح الهاء تماماً، وهما في اللغة بمعنى واحد ومن باب واحد"^(٢). حيث جاء في "الصَّحاح" في معنى "وهل": "وَهْلٌ فِي الشَّيْءِ وَعَنِ الشَّيْءِ يَوْهَلُ وَهَلًا، إِذَا غَلِطَ فِيهِ وَسَهَاءٌ، وَوَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالْفَتْحِ أَهْلٌ وَهَلًا، إِذَا ذَهَبَ وَهْمُكَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ تَرِيدُ غَيْرَهُ، مِثْلُ وَهَمْتُ"^(٣). قلت: ومنه قول عائشة - رضي الله عنها - عن ابن عمر رضي الله عنه: "وَهْلَ ابْنُ عُمَرَ"^(٤).

وعلى ضوء ذلك: أثر المحدثون وغيرهم في مقام التَّخْطِئَةِ لفظ "وَهْمٌ" و"يَهْمٌ" و"الْوَهْمُ"، و"الْوَهْلُ" و"أَوْهَامٌ"، على لفظ "غَلِطَ" و"يَغْلِطُ" و"الْغَلَطُ" و"أَغْلَاطٌ"، لوضوح المعنى في "غَلِطَ" ومشتقاته، وغموض المعنى في "وَهْمٌ" ومشتقاته، ولاشتراكه في المادَّة في لفظ "الْوَهْمُ" بالسكون الذي هو أخف مدلولاً من "الْوَهْمُ" بالفتح، فيكون اللفظ جرحاً وأدب نقداً"^(٥).

ب. الوهم اصطلاحاً:

لم يُعرَّف الوهم تعريفاً اصطلاحياً في القديم، وإنما أطلقه النقاد على كل خلل أصاب الرواة في ضبطهم الأسانيد والمتون وأكثر ما ذكر فيه بأنه: "أن يروي الراوي على سبيل الخطأ والتوهم فيصل الإسناد المرسل ويرفع الأثر الموقوف ونحو ذلك"^(٦).

ويعرف حصول الوهم بجمع الطرق والمقارنة بينها من حيث الوصل والإرسال ومن حيث الرفع والوقف، وتوثيق الرواة الناقلين ووجوه حفظهم، فما ظهر الوهم فيه من الروايات فهو "المعلل"^(٧).

يقول الوريكات: لم يُعرَّف الوهم تعريفاً اصطلاحياً في القديم، وإنما أطلقه النقاد على كل خلل أصاب الرواة في ضبطهم الأسانيد والمتون^(٨)، وقالوا بأنه: "هو رواية الحديث على سبيل التوهم، أي بناء على الطرف المرجوح من الشك"^(٩).

ثم عرّفه بقوله: "خلل في ضبط الراوي للأخبار"^(١٠).

وعلى ضوء ذلك فالوهم يتعلق بالخلل في ضبط الراوي بنوعيه، ضبط الصدر، وضبط الكتاب، وهذا يتطلب أن يكون سماعه للرواية كما يجب، وفهمه لها فهماً دقيقاً، وحفظه لها حفظاً كاملاً لا مجال للتردد فيه، وثباته على هذا كله من وقت سماعه إلى وقت أدائه،

(١) استدرارك الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وتعليقه على كتاب الرِّقْع والتَّكْمِيل في الجرح والتَّعْدِيل للكنوي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ص ٥٥٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٥٥١.

(٣) الجوهرى، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ١٨٤٦.

(٤) مسند الصحابة في الكتب الستة، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب، ج ١٤، ص ٢٢٤.

(٥) للكنوي، الرِّقْع والتَّكْمِيل في الجرح والتَّعْدِيل، ص ٥٥٣.

(٦) ابن حجر، نزاهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص ٤٤ - ٤٥.

(٧) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٢٩.

(٨) القاري، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، ص ٤٣٣.

(٩) العبد اللطيف، ضوابط الجرح والتَّعْدِيل، ص ١٥٦.

(١٠) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٢٩.

وذلك لاحتمال وهم الراوي حتى في المراحل الأخيرة من الرواية عند إدخاله لها في تصانيفه وكتبه؛ لأن الوهم كما يكون في الحفظ والقول يكون في الكتابة أيضاً^(١).

المطلب الثالث: مفهوم النقد

أ. النقد لغة:

مصدر نقد ينقد نقداً، وتنقاد، وانتقاداً، والفاعل ناقد، والجمع نقاد. قال ابن فارس: "النون والقاف والدال، أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه"^(٢). والأصل في معناها هو "النقد" و"الانتقاد" واشتق منها "التمييز" و"النظر إلى الشيء" قالوا: نقد الطائر الحب، أي: النقطة واحداً واحداً. ويقال: نقد الرجل الشيء بنظره ينقده نقداً، ونقد، ونقد إليه، أي: اختلس النظر نحوه، وناقذت فلاناً: إذا ناقشته في الأمر^(٣).

والنقد والانتقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، يقال: نقد الدراهم وانتقدها: أخرج منها الزيف، ونقد الجوزة ضربها^(٤).

أنشد سيبويه فقال:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصيارف

قلت: ومدار هذه اللفظة في اللغة يدور حول معنى النظر الفاحص الدقيق، لمعرفة جيد الأشياء من رديئها.

ب. النقد في اصطلاح المحدثين:

والمراد بنقد الحديث النبوي الشريف هنا معرفة الصحيح من الزائف من النصوص الحديثية أو التاريخية والأدبية^(٥). أي تمييز صحيحه من سقيمة، وإنما يتم ذلك بالنظر إلى سند الحديث النبوي الشريف ومتمه، فإذا صح السند، واستقام المتن، صح الحديث النبوي الشريف، وإن لم يتحقق ذلك فإن على الناقد أن يبين لنا مدى الصحة ومدى الضعف، وهل يحتاج بالحديث النبوي الشريف أو لا يحتاج به وهذه هي مهمة الناقد^(٦).

وبالتأمل في المعنى اللغوي للنقد يتضح لنا أنه في كل استعمالاته يتضمن الكشف عن الشيء وفحصه، وتمييز جيده من رديئه، وهذا يتضح في نقد الدراهم، وهو كذلك في النقد بمعنى المناقشة لأنها تكشف عن رأي المتناقشين، وفي الغالب ما تسفر عن ترجيح رأي وتضعيف آخر أو رفضه. وقريب من هذا: "نقد الجوزة" بمعنى ضربها ليأخذ ما بداخلها أو

(١) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٢٩ - ٣١.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة نقد، ج ٥، ص ٤٦٧.

(٣) الجوهري، الصحاح، مادة نقد، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة نقد، ج ٦، ص ٤٥١٧ - ٤٥١٨.

(٥) بو مريح، طه بن علي التونسي، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، بيروت - لبنان، دار ابن حزم،

ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٨٥.

(٦) المرسي، كمال الدين عبد الغني، اتجاه مدرسة الرأي في نقد الحديث النبوي "أبو زرعة - أبو حاتم - ابن أبي حاتم، دار

المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ٢٠٠٣م، ص ١٩٥.

يطرحه، وبهذا المعنى اللغوي استعمل المحدثون النقد، وإن كانوا لم يتعرضوا في وضوح إلى تعريفه^(١).

وعلى ضوء ذلك فقد عرفه أستاذي الدكتور محمد العمري - حفظه الله ورعاه - بما يلي:

"هو علم يبحث في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وبيان عللها والحكم على رواياتها جرحاً وتعديلاً بالفاظ مخصوصة، ذات دلائل معلومة عند أهل الفن"^(٢).

وقد كان مبتنى هذا المنهج عند المسلمين ونشأته على علم الحديث النبوي الشريف، فكما هو معلوم أن الحديث هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في الشريعة الإسلامية الغراء، لذا استوجب نقله التحري والتثبت والتمحيص لما يُبنى عليه من أحكام الحلال والحرام^(٣).

فالنقد إذاً ليس بمعنى الانتقاد المبين لعيب أو نقص، فكلام المصطفى ﷺ، الذي ثبتت عصمته بالكتاب العزيز، والأدلة العقلية القاطعة، لا يدخل في مجال ما ينتقد، إنما "النقد" هنا هو انتقاد الطرق التي وصلت من خلالها الرواية عن النبي ﷺ، وذلك بواسطة القواعد والشروط التي يجب أن تتوفر في هذه الطرق، ليغلب على الظن صدقها وصحتها، فإذا ثبتت صحتها قلنا أن هذا "الطريق" أو "الإسناد" صحيح، والذي وصلنا بواسطته صحيح، أي أن نسبته إلى قائله صحيحة، وإذا لم يثبت صحة "إسناد" قلنا إن إسناده غير صحيح، والذي وصلنا بواسطته غير صحيح، أي أن نسبته إلى قائله غير صحيحة^(٤). فهذا العلم وثمرته يحقق بذلك غاية عظيمة جداً تقوم على "الصون عن الخلل في نقل الحديث"^(٥).

وقال محمود مغراوي بعد تعريف الأعظمي للنقد وتوضيح ذلك: أن تمييز الروايات الصحيحة من غيرها، يتم بدراسة سند ومتن الحديث النبوي الشريف، وإصدار الحكم عليه بالقبول أو الرد، وذلك ببيان أحوال الرواة من حيث الجرح والتعديل لهم، وهذا النوع من الدراسة يفضي إلى نوعين من علوم الحديث النبوي الشريف هما:

النوع الأول: علم الجرح والتعديل، والمراد به بيان أحوالهم، من حيث قبول رواياتهم، أو ردها، بالفاظ مخصوصة، دقيقة الصياغة، ومحدودة الدلالة، كما يبحث في مراتب تلك الألفاظ، مما له أهمية في نقد الحديث النبوي الشريف سنداً ومتناً، ويعني بأسماء الرواة وأنسابهم، وأعمارهم، وأوقات ولادتهم ووفياتهم، وسماعهم من شيوخهم... الخ.

(١) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ٩٤.

(٢) العمري، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ص ١١.

(٣) بومريخ، المنهج النقدي عند الحفاظ ابن عبد البر من خلال الشهيد، ص ١٨٥.

(٤) الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ٣٠ - ٣١.

(٥) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٣١.

النوع الثاني: علم علل الحديث؛ والمقصود به بيان ما يعتري الحديث من اختلاف، أو انقطاع، أو نكارة، أو تدليس، أو إرسال ووصل، أو وقف ورفع، وغيرهما من علل الحديث المتعلقة بالسند والمتن، أو بأحدهما^(١).

المطلب الرابع : مفهوم الكذب وما يراد به عند الصحابة ؓ

إنَّ ما ورد على لسان أحد الصحابة - ؓ - نفى ما رواه نظيره، أو قوله في مثله: كذب فلان ...، أو نحو هذا من العبارات فالمراد به أنَّه أخطأ أو نسي، لأنَّ الكذب عند أهل السنة هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، عمداً أو نسياناً أو خطأ ولكن الإثم يختص بالعمد وحاشا الصحابة الأبرار أن يتعمد أحدهم ذلك - ؓ - ورضوا عنه^(٢).

فالكذب إنَّ صح أنه ورد ذكره على لسان بعض الصحابة - ؓ - فإنه يعني الخطأ، فقد قال النووي لدى شرحه حديث النبي ﷺ: "مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٣). وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، عمداً كان أو سهواً، هذا مذهب أهل السنة^(٤).

إنَّ لم يكن المراد من التكذيب المعنى الاصطلاحي؛ وهو عدم مطابقة الخبر للواقع تعمداً من المتكلم، وإنَّما يقصد به مطلق الخطأ، وذلك لغة أهل الحجاز^(٥)، وقال أيضاً: فيه إطلاق ذلك على غلبة الظن، أو المراد بقوله كذبت أي أخطأت لأنَّ أهل الحجاز يطلقونه على الخطأ، قال ابن حبان البستي: "أهل الحجاز يسمون الخطأ كذباً"^(٦). وقال ابن حجر: "أهل الحجاز يطلقون الكذب على ما هو أعم من العمد والخطأ"^(٧)، وقال في معنى كذبت: "فيه إطلاق ذلك على الظن، أو المراد بقوله: كذبت أي أخطأت لأنَّ أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ"^(٨).

وهذا الإطلاق صدر منه - ؓ - في غزوة خيبر بعد أن قتل عامر بن سنان الأكوع ؓ، فقال ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع للنبي ﷺ: لَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ

(١) مغراوي، محمود، منهج النقد عند الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج١، ص١٩٦ - ١٩٧.

(٢) أبو غدة، عبد الفتاح، لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٣٦.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب تغليب الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣)، ص٥.

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١، ص٢٢٧.

(٥) حيَّاني، لمحات في دقة المحققين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، ص١٩٣.

(٦) ابن حبان، محمد بن أحمد، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٣، ص٤٩٦ في ترجمة بُرد مولى سعيد بن المسيَّب.

(٧) ابن حجر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٢، ص٤٩٠، وانظر هدي السَّاري مقدمة فتح الباري، صحيح البخاري، ص٤٢٧.

(٨) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩، ص٣٣.

قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - كَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قُلَّ عَرَبِيٌّ مَنَى بِهَا مِثْلَهُ (١).

وهذا الإطلاق شائع بين الصحابة - ﷺ - أيضاً ثم هو معروف عند التابعين؛ فقد قال عبادة بن الصامت - ﷺ -: "كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ" يريد به مسعود بن أوس (٢)، وقيل: سعد بن أوس النجاري البصري، لأنه أفتى بأن الوتر واجب (٣).

وقال أنس بن مالك - ﷺ - لما سأل عاصم بن سليمان الأحول عن القنوت قبل الركوع أم بعده قائلاً: فُلَانَا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَكَلْتُ قُلْتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ كَذَبَ إِمَّا قَتَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا... الحديث (٤).

قال الخطابي معلقاً على قول عبادة - ﷺ -: "كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ". قال: "يريدا خطأ أبو محمد لم يرد به تعدد الكذب الذي هو ضد الصدق لأن الكذب إنما يجري في الأخبار. وأبو محمد هذا إنما أفتى فتياً ورأى رأياً فأخطأ فيما أفتى به وهو رجل من الأنصار له صحبة والكذب عليه في الأخبار غير جائز والعرب تضع الكذب موضع الخطأ في كلامها فتقول كذب سمعي وكذب بصري أي زلّ ولم يدرك ما رأى وما سمع ولم يحط به قال الأخطل: كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِي غَلَسَ الظُّلَامُ مِنَ الرَّبَّابِ خَيْالاً

ومن هذا قول النبي - ﷺ - للرجل الذي وصف له العسل صدق الله وكذب بطن أخيك، وإنما أنكر عبادة أن يكون الوتر واجباً وجوب فرض كالصلوات الخمس دون أن يكون واجباً في السنة، ولذلك استشهد بالصلوات الخمس المفروضات في اليوم والليلة (٥). وقد استعمل الكذب هاهنا مجازاً حيث هو الصدق، والكذب مختص بالأقوال فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع في العسل كذباً (٦)، لأن الله تعالى قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل: ٦٩).

وقال ابن عبد البر: ومعنى قوله: كذب كعب: أي غلط كعب، وهذا هو معروف للعرب في أشعارها ومخاطباتها. فمن ذلك قول أبي طالب: كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ يُزَيُّ مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُوْنَهُ وَنَنَاضِلْ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤١٩٦، ص ٨٢٧.
(٢) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي، الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنته "الموطأ" من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق حسان عبد المثنان ومحمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء، ط ٤، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٢، ص ٣٧٠.
(٣) الشُّجْستائي: سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب فيمن لم يوتر، حديث رقم ١٤٢٠، وقال الألباني: صحيح.
(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده، حديث رقم ١٠٠٢، ص ١٩٨.
(٥) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي، معالم السنن وهو شرح سنن الإمام أبي داود، منشورات المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٠١ - ١٩٨١ م، بيروت - لبنان، ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٦) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٤، ص ١٥٩.

ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق؟ إنما هو من باب غلط الإنسان فيما يظنه، فكأنه قال: كذبكم ظنكم، ومثل هذا أقول زفر بن الحارث العبسي: كذبتُم وبيت الله لا تقتلونه ولمّا يكن يومٌ أغرُّ محجّلٍ، وقال بعض شعراء حمدان: كذبتُم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائمٌ، ومن هذا ما رواه حمّاد بن زيد، عن أيوب، قال: سألتُ سعيد بن جبير عن الرجل يأذن لعبده في التزويج: بيد من الطلاق؟ قال: بيد العبد. قلت: إن جابر بن زيد يقول: بيد السيّد. قال: كذب جابر، ومن هذا قول عبادة في "الموطأ": كذب أبو مُحَمَّدٍ، فمعنى قول عبد الله بن سالم: كذب كعب: أي، أخطأ ظنُّه، وقوله: صدق كعب: أي أصاب^(١)، ثم قال: واختصار ذلك أن معنى قوله: كذب أبو مُحَمَّدٍ. أي: غلط أبو مُحَمَّدٍ ووهم. وقد مضت الشواهد على ذلك فيما تقدم، والحمد لله^(٢).

وقال ابن عبد البر أيضاً: "كذب: أي أخطأ وسمّاه كذباً لأنّه يشبهه في كونه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق"^(٣).

وقد ذكر ابن عبد البر أمثلة عديدة من كلام الصحابة - ﷺ - والتابعين رحمهم الله تعالى في قول بعضهم في بعض في كتابه "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في رواية حملته"^(٤). ثم قال: "وقد كان بين أصحاب رسول الله - ﷺ - وجلة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا، ولكن أهل العلم والفهم والفقهاء لا يتلفتون إلى ذلك؛ لأنهم بشرٌ يغضبون ويرضون، والقول في الرضا غير القول في الغضب"^(٥).

وقال ابن الأثير: "كذب أبو مُحَمَّدٍ" أي أخطأ، سمّاه كذباً، لأنه يشبهه في كونه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق وإن اختلفا من حيث النية والقصد؛ لأن الكاذب يعلم أن ما يقوله كذب، والمخطئ لا يعلم، وهذا الرجل ليس بمخبر، وإنما قاله باجتهاد أداه إلى أن الوتر واجب، والاجتهاد لا يدخله الكذب وإنما يدخله الخطأ، ومنه حديث عروة قيل له: إن ابن عباس يقول: إن النبي - ﷺ - لبث بمكة بضعة عشرة سنة، فقال: كذب أي أخطأ، ومنه قول عمر لسمرة حين قال: المغمى عليه يصلي مع كل صلاة صلاة حتى يقبضها، فقال: كذبت، ولكنه يصليهنّ معاً أي أخطأت، وقد تكرر في الحديث^(٦).

وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما، في حق نوف: "كذب عذُرُ الله"^(٧)، قال ابن التين: "لم يرد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله، لكن قلوب العلماء تتفرّج إذا سمعت غير الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام بقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مراده"^(٨)، وقال القسطلاني: "خرج منه مخرج الزجر والتحذير لا القدح في نوف، لأن ابن عباس قال ذلك في حال غضبه وألفاظ الغضب تقع على غير الحقيقة غالباً وتكذيبه له لكونه قال غير الواقع ولا

(١) ابن عبد البر، الاستنكار، ج ٢، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وما ينبغي في رواية حملته، ج ١، ص ١٢٣.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وما ينبغي في رواية حملته، ج ٢، ص ١٠٨٧ - ١١١٩.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وما ينبغي في رواية حملته، ج ٢، ص ١١٠٢.

(٦) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٤، ص ١٥٩.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، حديث رقم ١٢٢، ص ٣٥ - ٣٦.

(٨) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٧.

يلزم منه تعمده" (١). وقال السهارةفوري: "أي غلط ولم يصب في ظني أبو محمد" (٢)، ومنه أيضاً: ما قيل لعروة بن الزبير: "إن ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: إن رسول الله - ﷺ - لبث بمكة بعد أن بعث ثلاثة عشرة سنة، فقال: كذب؛ إنما أخذه من قول الشاعر". قال أبو عمر: والشاعر هو أبو قيس صرمة بن أسن الأنصاري، ويقال: ابن أبي أسن هو القائل: ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقي صديقاً موثقاً" (٣).

وقال الذهبي في ترجمة الأعرور في كتابه "سير أعلام النبلاء" بعد حكايته قول الشعبي: حدثني الحارث وكان كذاباً، قال: فأما قول الشعبي: الحارث كذاب، فمحمول على أنه عني بالكذب، الخطأ لا التعمد، وإنا فلماذا يروي عنه ويعتقده بتعمد الكذب في الدين (٤).

إنَّ هذه الردود الموضوعية لا يمكن أن تصل إلى مستوى التكذيب الحقيقي، بل إنها مظاهر انتصار الحقيقة الدينية، وهي مناقشات علمية تصبُّ في مضمار ضبط الحديث النبوي الشريف، تتضاءل عند هذه المناقشات النوازع الشخصية، وتتجلى الموضوعية العلمية بأسلوب يخلو من التجريح. ومن هنا فقد استعمل الصحابة - ﷺ - كلمة الكذب وفق أصلها المعجمي، وإن اشتهر استعمالها فيما بعد في منافاة الصدق، بل إنَّ لهم مستنداً في الحديث النبوي الشريف فيما نحوه، حيث لا يمكن الأخذ بتفسير الكذب على منافاة الصدق (٥)، إذ قال ﷺ: "كذب أبو السنابل ليس كما قال قد حلت فانكحي وذلك في صدد رده على أبي السنابل الذي قال لسبيعة بنت الحارث وقد وضعت حملها بعد وفاة زوجها بأيام: إنك لا تحلين حتى تمكثي أربعة أشهر وعشراً...، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال كذب أبو السنابل، ليس كما قال (٦)، أي أخطأ الحكم وغلط فيه، قال ابن حجر: أي أخبر بما هو باطل في نفس الأمر (٧).

قلت: وبعد فإنه يجب التوقف وعدم التعجل في الحكم عند وجود مثل هذه الألفاظ، لأنَّ ما سبق مسوغ واضح للتوقف في ذلك، ثم إنَّ القرينة هي التي توضح المقصود من الكذب والله أعلم.

المطلب الخامس: بداية النقد الحديثي ونشأته

ليس نقد الرواة بالأمر الهين والسهل، فإنَّ التَّأقُّد لا بد أن يكون واسع الإطلاع على الأخبار المروية، عارفاً وعالماً بأحوال الرواة السابقين وطرق الرواية، خبيراً بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم، وبالأسباب والعوامل الداعية إلى التساهل والكذب ثم يحتاج إلى معرفة

(١) القسطلاني، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) السهارةفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، تاريخ [النشر: بدون]، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وما ينبغي في رواية حملته، ج ٢، ص ١١٠٣.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٣٥.

(٥) يامسوف، الصحابة خُراس الحديث النبوي، ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٦) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٤٢٧٣، ج ١، ص ٤٤٧.

(٧) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٩.

حال الرواة، وحال الشيوخ الذين يحدث عنهم إلى غير ذلك، ويكون مع ذلك متيقظاً، مرهف الفهم، دقيق الفطنة، مالكا لنفسه، لا يستملية الهوى^(١).

وتعود الجذور التاريخية لنشأة علم النقد والبحث، والتتقيب والتدقيق، في أحاديث النبي ﷺ - إلى عصره ﷺ^(٢)، كأولى خطوات النقد، حيث بدأ على شكل سؤال واستفسار لدى الرسول - ﷺ - نفسه، كان من باب الاستظهار والاستيثاق للوصول للطمانينة القلبية^(٣)، وإن كان هذا النقد على نطاق ضيق جداً إذ لم تكن الحاجة إلا من باب الحيلة والتثبت والتوثيق، فضلاً عن وجود المشرع بين ظهراني الصحابة - ﷺ - وتتزه هؤلاء عن الكذب ودواعيه^(٤)، إذ أن الصحابة ما كانوا يكذبون ولا يكذب بعضهم بعضاً، يقول البراء ﷺ: "ليس كلنا كان يسمع رسول الله - ﷺ - كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب"^(٥)، وقال أنس ﷺ: "ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله - ﷺ - سمعناه منه ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضاً"^(٦). فمن أمثلة توثيق الصحابة - ﷺ - عن المصطفى - ﷺ - ما يلي:

١. ما أخرجه البخاري بسنده عن الفاروق - ﷺ - أنه قال: "كُنْتُ أَنَا وَجَارَ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا تَتَاوَبُ التَّوَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَتَوَلَّى يَوْمًا وَأَتَوَلَّى يَوْمًا فَإِذَا نَزَلَتْ جَنَّتُهُ بِخَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَنَّمْ هُوَ لَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقْكِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَتْ لَا أَذْرِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقُلْتُ وَأَنَا قَاتِمٌ أَطْلَقْتَ بَسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ"^(٧). فهذا من الفاروق زيادة في التوثيق والتثبت.

٢. ومن ذلك: ما أخرجه مسلم بسنده عن ضمام بن ثعلبة - ﷺ - عندما جاء فقال: "يَا مُحَمَّدُ أَنَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَتُكْ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ.. الحديث"^(٨). فهذا ضمام أراد التوثيق والتثبت من كلام الرسول فلم يقنعه ذلك إلا بالقعود إلى رسول الله ﷺ.

(١) الضناوي، بوران، والحوث، كمال يوسف، مقدمة تحقيق كتاب الضعفاء والمتروكين، لأبي عبد الرحمن بن شعيب النعماني، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ١٥.

(٢) العمري، دراسات في منهج النقد عند الحديثين، ص ١١.

(٣) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ١٧٣.

(٤) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ١٠.

(٥) الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص ٢٣٥.

(٦) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٨٦.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم (٨٩)، ص ٢٩ - ٣٠.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، حديث رقم (١٠)، ص ١٧.

٣. ومن ذلك أيضاً: ما أخرجه البخاري بسنده عن الفاروق - رضي الله عنه - أنه قال: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَقْرَأُهَا فَكَذْتُ أَنْ أُعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبِيتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ... الحديث " (١).

٤. وما أخرجه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - حيث قال: " وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِيْذُنُ النَّبِيِّ - ﷺ - فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِنْ حَلٍّ وَلَبِستُ ثِيَابًا صَبِيغًا وَانْخَلْتُ فَأَلْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتُ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَلْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ « صَدَقْتَ صَدَقْتَ... » الحديث " (٢).

٥. وما أخرجه ابن ماجه بسنده عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَبَارَكَ وَهُوَ قَائِمٌ . فَذَكَرْنَا بِأَيَّامِ اللَّهِ . وَأَبُو الدَّرْدَاءِ أَوْ أَبُو ذَرٍّ يَغْمِزُنِي . فَقَالَ مَتَى أَنْزَلْتَ هَذِهِ السُّورَةَ . إِنْ لَمْ أَسْمَعْهَا إِلَّا الْآنَ . فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ أَسْكُتَ . فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ سَأَلْتُكَ مَتَى أَنْزَلْتَ هَذِهِ السُّورَةَ . فَلَمْ تَجِبْنِي ؟ فَقَالَ أَبِي لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَا لَغَوْتُ . فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ . وَخَبَّرَهُ بِالَّذِي قَالَ أَبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - (صدق أبي) " (٣).

٦. وما أخرجه مسلم بسنده عن أبي يحيى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ ». قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِسًا فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو قُلْتُ حَدَّثْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قُلْتَ « صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلَاةِ ». وَأَلْتِ تُصَلِّي قَاعِدًا قَالَ « أَجَلٌ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ » (٤).

٧. وما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يرَ بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وكذا، حديث رقم (٥٠٤١)، ص ١٠٣١ - ١٠٣٢.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٤٧، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، حديث رقم (١١١١)، ص ١٢٥، وقال الألباني: صحيح.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً، حديث رقم (٧٣٥)، ص ١٧٦.

اللَّهِ قَالَ تُكْفِرُونَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرُونَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُّ الرَّجُلِ الْحَارِمِ
مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْتَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ
عَلَيْهِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْتَبُ فَقَالَ أَيُّ الزَّيَانِبِ فَقِيلَ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَمْ انْذَكُوا لَهَا
فَإِنَّ لَهَا قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالْمُصَدِّقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ
فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ زَوْجُكَ
وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَيْهِمْ ^(١).

قال الأعظمي: "لا ريب أن الرواية ليست صريحة في أن ابن مسعود نسب هذا القول
إلى النبي ﷺ - لكن أصناف الصدقات ومن يجوز صرفها معروفة، وليس فيها الزوج، لذلك
على الأغلب أنه سمع هذا من النبي ﷺ ^(٢).

إنَّ دَائِرَةَ النِّقْدِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ - كَانَتْ ضَنْئِلَةً وَعَلَى نِطَاقِ ضَيْقٍ جَدًّا، لَمَّا كَانَ
عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ﷺ مِنَ الضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ، فَلَمْ يَكُونُوا بِحَاجَةٍ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - لِمَزِيدٍ
مِنَ التَّوَكُّيدِ وَالتَّوْثِيقِ؛ وَلَئِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ يَكْذِبٍ ^(٣).

لِذَا لَقَدْ نَشَأَ النَّقْدُ - وَلَوْ تَجَوَّزًا وَتَوْسَعًا فِي مَعْنَى الْكَلِمَةِ - كَمَا مَرَّ أَنْفَاءً فِي حَيَاةِ
الْمُصْطَفَى ﷺ - وَبَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا الرَّجُوعُ إِلَيْهِ ﷺ؛ لِذَلِكَ أَزْدَادُ
شُعُورِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بِالضَّرُورَةِ الْقُصُوفِ وَالْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ لِتَوْثِيقِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ وَحِمَايَتِهَا
مِنَ التَّلَاعِبِ وَصَيَانَتِهَا مِنَ التَّحْرِيفِ، وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِتِّبَاعُ سُنَّتِهِ، وَكَانَ بِالتَّالِي مَفْرُوضًا
عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُتَيَقِّنِينَ أَنَّ مَا أَخَذُوهُ هِيَ السُّنَّةُ الشَّرِيفَةُ ^(٤). وَأَخَذَ النَّقْدُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ - شُكْلًا
آخَرَ، دَعَاهُمْ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْحَيْطَةِ وَالتَّثَبُّتِ وَالْحَذَرِ، كَيْفَ لَا وَهُمْ الْأَمْنَةُ عَلَى السُّنَّةِ، تَبْلِيغًا
وَحِفْظًا.

وَعَمَلًا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ - صَارَ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ مِنَ
النَّصِيحَةِ لِلأَمَةِ، التَّثَبُّتُ فِي أَمْرِ الرِّوَايَةِ وَالتَّحَرِّيَ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ ^(٥)، فَقَدْ بَدَأَ التَّثَبُّتُ فِي الرِّوَايَةِ
مِنذُ عَهْدِ الصَّحَابَةِ ﷺ، فَكَانَ الصَّدِيقُ "أَوَّلُ مَنْ احْتَاطَ فِي قَبُولِ الْأَخْبَارِ" ^(٦) عَلَى حَسَبِ تَعْبِيرِ
الْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ: "أَلَا تَرَاهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِ أَمْرُ الْجَدَّةِ، أَخْبَرَهُ النُّقَّةَ مَا اكْتَفَى حَتَّى اسْتَظْهَرَ بِنَقَّةٍ آخَرَ
وَلَمْ يَقُلْ: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ" ^(٧).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم (١٤٦٢)، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ١٢.

(٣) البشير، أصول منهج النقد عند أصل الحديث، ص ١١.

(٤) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ١٢.

(٥) التونسي، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، ص ١٨٨.

(٦) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢.

(٧) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣.

ومثل الصديق فعل صاحبه الفاروق - ﷺ - حيث قال ابن حبان: "إن عمر وعلياً أول من فتنّا عن الرجال في الرواية، وبحثنا عن النقل في الأخبار ثم تبعهم ناس على ذلك" (١). وهو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب فروى الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات، فلم يؤذن له، فرجع فأرسل عمر في إثره، فقال: لم رجعت؟ قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "إذا سلم أحدكم ثلاثاً، فلم يجب فليرجع" (٢)، قال لتأتيني على ذلك بينية أو لأفعلن بك. فجاءنا أبو موسى منتقياً لونه، ونحن جلوس، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبرنا وقال: فهل سمع أحد منكم؟ قلنا: نعم، كلنا سمعنا، فأرسلوا معه رجلاً حتى أتى عمر فأخبره، أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر، ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد وفي ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذا الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفها أحد" (٣).

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ﷺ - الذي "كان إماماً عالماً متحريراً في الأخذ، بحيث يستحلف من يحدثه بالحديث"، فعن أسماء بن الحكم الفزاري أنه سمع علياً يقول: "كنت إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفه، فإذا حلف صدقته" (٤). ولم يكتف بحمل الحديث وأخذه حفاظاً على المصدر الثاني من التشريع الإسلامي، بل راعى ذلك حين تبليغ المروي، وأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم (٥) فقد صحّ عنه أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟" (٦). "فقد زجر الإمام علي - ﷺ - عن رواية المنكر، وحث على التحديث بالمشهور، وهو أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرقائق..." (٧).

والشواهد على شدة التحري والتثبت عند الصحابة - ﷺ - كثيرة يطول الكلام بسردها، فالصحابي كان شديد الحرص والتمسك بما سمعه من رسول الله - ﷺ - أو أخذه من فعله مباشرة دون واسطة، إذ لا تداني هذه الرواية أية رواية أخرى في قوة الثبوت والتأكد والتبين، لكن قد يقع للصحابي أن يسمع من صحابي آخر حديثاً عن النبي - ﷺ - فيتوقف فيه حيث لا يراه منسجماً مع ما فهمه ووعاه من معاني القرآن العزيز وما سمعه من فم رسول الله

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، حديث رقم (٦٢٤٥)، ص ١٢٤٩ - ١٢٥٠.

(٢) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، م ١، ص ٢٠.

(٣) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٦ - ٧.

(٤) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠.

(٥) التونسي، المنهج القدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، ص ١٨٩.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم ١٢٧، ص ٣٧.

(٧) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٣.

ﷺ، وهنا إما أن، يتوقف الصحابي في الرواية مجرد توقف سرعان ما يزول إذا تعدد من سمع نفس الرواية، وإما أن ينكرها إطلاقاً، حملاً لها على سهو الناقل وخطئه ووهمه^(١).

ولا يفوتني أن أشير وأنبه إلى أن اعتناء الصحابة - ﷺ - الشديد بالثبوت في الرواية صاحبه اهتمام كبير بمتن الحديث النبوي الشريف، وفحص معانيه، وأحسن مثال في ذلك قامت به أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - التي حازت علماً كثيراً في بيت النبوة، ولما تفردت به من ذكاء نادر وفكر واسع. وبعد انتقال الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، كان علم عائشة - رضي الله عنها - قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج، في كل ما اتصل بالدين من قرآن كريم، وحديث نبوي، وتفسير، وفقه، مما جعلها مرجع مشيخة من الأصحاب والأتباع، بل أنها عملت على الاستدراك على بعض الصحابة في فتاويهم، ورواياتهم للأحاديث النبوية وذلك كله بصحة النظر، وصواب النقد، وحضور الحفظ، وجودة النقاش^(٢)، وحسبك في ذلك كتاباً ماتعاً للزركشي اسمه "الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة".

فالقول: إن نقد المتن تأخر من حيث الزمن عن نقد السند قول لا تؤيده الأدلة ولا يثبت أمام البراهين العلمية^(٣).

كما قام بالنقد عدد من الصحابة - ﷺ - في حياة عمر وبعد وفاته، وأضافوا قواعد أخرى للنقد. وانتشرت أحاديث المصطفى - ﷺ - مع الفتح الإسلامي، وكان للعراق منها نصيب وافر، لذا نشأت مدرسة أخرى للنقد في العراق في جنب مدرسة المدينة المنورة^(٤).

المطلب السادس: الغاية من نقد ضبط الصحابة - ﷺ - بعضهم بعضاً

إن الصحابة - ﷺ - كانوا على عناية تامة، واهتمام بالغ بالسنة الشريفة، وذلك بفحص الروايات ونقدها باعتبار النظر إلى حال الراوي لاحتمال غلظه ووهمه وغفلته، وحيناً آخر باعتبار مخالفة المروي لما تقرر عندهم من القواعد المعلومة من الدين الحنيف. وفعلوا ذلك لا لمجرد رغبة علمية ونفسية جامحة^(٥)، أو مطمع شخصي، أو استجابة لعاطفة وميول إنما هي وفاء بواجب شرعي، وقيام بأمانة دينية ولأهداف أخرى أعمق وأدق. وجوز ذلك تورعاً، وصوناً للشرعية الغراء لا طعناً في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة، والتثبت والتحري في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك^(٦).

إن الهدف والغاية من هذا التوثيق هو: تنقية السنة النبوية الشريفة مما قد يعلق بها من الوهم والخطأ، أو التحريف والتزييف من غير الصحابي، ومن ثم تقديمها نقية صافية كي

(١) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرآن الثلاثة الأولى، ص ١٧٤.

(٢) بو سريح، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) خلف، نجم عبد الرحمن، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، ص ١٢ - ١٧ و ص ٣٠ - ٣٦.

(٤) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ١٣.

(٥) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٨.

(٦) خليفة، حاجي، كشف الظنون، دار الفكر - بيروت، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ج ١، ص ٣٩٠.

يستفيد منها المسلمون كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى^(١)، وصيانة السنة الشريفة والذب والدفاع عن حماها، وتمييزها من كل تحريف وشائبة؛ لتظل نقية خالصة من الأكدار، فيستلهم منها المسلمون تشريعهم وهدْيهم^(٢)، وما فعلوا ذلك إلا لعلمهم أنَّ السنة هي جزء من الدين الذي يدينون به، ففي القرآن الكريم حث وحض على طاعة الرسول - ﷺ - والتحذير من مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

ومن هنا فقد أحسَّ الصحابة - رضوا - بالحاجة الملحة إلى أخذ السنة النبوية الشريفة والعناية بحملها، وصيانتها، وتسليمها إلى من بعدهم من الأجيال اللاحقة، وحرصوا على عدم الوهم والغلط في الأخذ، وفي الأداء؛ لأنهم أدركوا وعرفوا خطورة الزيادة أو النقصان على حديث المصطفى - ﷺ - القائل: " مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ^(٣)، لذا جدوا غاية الجد وأخذوا بكافة الوسائل والأساليب التي تحقق لهم أخذ السنة النبوية أخذًا صحيحًا، وأداءها أداءً سليماً، لا تبديل فيه ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان^(٤).

لذا فإنه ينبغي أن لا يفهم من نقدهم اتهام بعضهم لبعض بل حرصهم على حفظ الحديث النبوي الشريف، مما جعل بعضهم ناقداً للآخر في خبر، وشاهداً بصدقه في خبر آخر، نقدت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أبا هريرة في أخبار، وصدفته في آخر، ونقده ابن عمر، وصدقه وشهد بعلمه، فغاية الصحابي هي صحة الخبر عن النبي - ﷺ - ومبادئ الصحابة - رضوا - في النقد توارثها من بعدهم أئمة الحديث النبوي الشريف، وبها وبغيرها من المقاييس والقواعد حفظت سنة النبي ﷺ^(٥).

المطلب السابع: عوامل ظهور علم النقد ودوافعه

اجمع أهل السنة في مختلف الأعصار والأقطار، على أنَّ السنة حجة في دين الله تعالى، ولها منزلة تلي منزلة القرآن العزيز، ومن ثم كان النبي - ﷺ - مأموراً بتبليغ كل ذلك وبيانه.

(١) جيهان، السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، ص ٧١.

(٢) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٨.

(٣) القيشري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣)، ص ٥.

(٤) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٤٣ - ٥٦.

(٥) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي، ص ٤٨٤.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧)،

كما نيطت به أمانة البيان أيضاً قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

ولعله من المسلم به أن الإيمان بهذا القرآن الكريم، إيمان بالسنة النبوية الشريفة؛ لأنها بيان له، وذلك في تفصيل مجملة، وإيضاح مشكله، وتخصيص عامة، وتقييد مطلقة... الخ. فلما كانت السنة النبوية الشريفة بهذه الأهمية، قام الصحابة - رضوا الله عنهم - بروايتها ونقلها بأمانة وإخلاص، خاصة وهم أول من طرق سمعهم قول الرسول ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (١)، وقوله أيضاً: "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه" (٢). وهذا الحافظ ذاته الذي حمل من جاء بعدهم من التابعين إلى يوم القيامة على الاعتناء بالسنة وروايتها، فرحلوا في طلبها، وبذلوا جهوداً مضنية في تدوينها، ونقدها، وذلك بالفحص عن النقلة والبحث عن أحوالهم من حيث الجرح والتعديل واضعين في اعتبارهم تجنب خطر ذلك الوعيد الشديد الوارد في حق من تساهل في رواية الحديث النبوي الشريف، وهو قوله ﷺ: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ" (٣)، ثم إنه بين حكم الكاذب بقوله: "وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" (٤).

ثم إن الله قد جعل هذا الدين هو خاتمة الأديان والرسالات وتعهد بحفظه وصونه من السقط والزلل، والتحريف، والتبديل، وصان كلام نبيه - ﷺ - من أن يكون مطية لأهل الأهواء والبدع، وصدق الله حينما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

فمن مقتضيات حفظ الكتاب العزيز حفظ السنة الشريفة؛ لأنها مبينة له ومفصلة لمجملة.

ومن هنا فإن الله تعالى حفظ القرآن العظيم في ألفاظه وكلماته منقولا بالتواتر، مدونا أحسن التدوين، فكذاك حفظت السنة الشريفة التي هي بيانه بأدق منهج علمي يمكن أن يوجد للتثبت والتحري من النصوص المروية وتمحيصها؛ وذلك بما كان من عمل الجهابذة النقاد الذين أحصوا على الرواة أنفاسهم، فيما مهدوا من سبل، وفيما سلكوا من مناهج، قوامها التحري والتثبت، والدقة العلمية الدقيقة، والضبط المتناهي، وفيما أثر عنهم من علوم دلالة

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن نبي إسرائيل، حديث رقم (٣٤٦١)، ص ٦٦١.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم (٢٦٥٨)، ص ٤٣٠، وقال الألباني: صحيح.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم (١)، ص ٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، ص ٦٩١.

٢٥٩

قال الغزالي: "والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلف أن عدالتهم "أي الصحابة" معلومة، بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم إلا إن ثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه بذلك وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل ... وقد زعم قوم أن حالهم كحال غيرهم من لزوم البحث، وقال قوم: حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات، ثم تغيرت الحال وسفكت الدماء فلا بد من البحث..."^(١).

قال ابن معين: "من لم يخطئ فهو كذاب" وقال أيضاً: "لست أعجب ممن يحدث فيخطئ، إنما أعجب ممن يحدث فيصيب. وقال ابن المبارك: وقد وهمت عائشة جماعة من الصحابة في رواياتهم للحديث وقد جمع بعضهم جزءاً من ذلك"^(٢).

قلت: هو بدر الدين الزركشي صنف كتاباً سمّاه: "الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة"، ثم إن العدالة للصحابة - ﷺ - ثابتة لهم أجمعين فلا مجال للطعن والبحث فيها؛ لأن الله تعالى عدلهم من فوق سبع سموات، وعدلهم الحبيب محمد ﷺ، لكن جانب الضبط هم فيه سواء مع غيرهم؛ لأنهم بشر يعترفهم الوهم، والخطأ، والنسيان، فمن هنا ظهر جانب النقد عند الصحابة ﷺ.

وبما أن الصحابة - ﷺ - بشر فقد ظهرت بوادر الوهم في عصرهم بالرغم مما كانوا يتمتعون به كسائر بني قومهم، من صفاء الذهن، وقوة الحافظة، فإنهم غير معصومين من الخطأ، لذا فربما وهم بعض الصحابة - ﷺ - في رواية بعض الأحاديث، ولكن الصحابة الآخرين ما كانوا ليسكتوا على الخطأ، بل كان بعضهم يصحح لبعض ما وهم وأخطأ فيه^(٣).

وبما أن الصحابة - ﷺ - بشر فإنهم يتفاوتون في الضبط والحفظ بحسب ما منحهم الله تعالى من نعمة الحفظ واليقظة، والانتباه، والتذكر، فإنه يعترفهم حالات من التغير من النشاط والضعف، والذهول وكبر السن، وما يصاحب ذلك من النسيان^(٤). وقد استفاض أن بعضهم أحفظ من بعض، وأن بعضهم ينسى، فكان موقفهم إذا سمعوا من أحدهم رواية لا تتفق مع ما يعرفونه ويعلمونه عن المصطفى - ﷺ - أن يبادروا إلى بيان الوهم فيها^(٥).

قلت: والهدف من ذلك هو صيانة الرواية من الوهم، والنسيان، والعوارض البشرية. ٣. ظهور الفتن، ونزوع الناس إلى الابتداع واستحلال الكذب، والوضع في الحديث الشريف^(٦).

(١) أمين، فجر الإسلام يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية، ص ٢٠٩.

(٢) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ٦٨.

(٤) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٨.

(٥) الوريكات، الوهم في روايات مختلف الأمصار، ص ٤٥.

(٦) العمري، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ص ١٥.

وقد جاء هذا العامل في المرحلة التالية للمرحلة الأولى، وهو عامل تقف وراءه مآرب شتى، وأغراض مختلفة، ومقاصد متعددة أدت إلى ظهوره، ومن أهمها التعصب بأنواعه المختلفة، وحب الانتصار لمذهب أو بدعة، أو الحقن على الإسلام وأهله ومن هؤلاء الزنادقة، أو من كان يتكسب بذلك كالقصاص والمتملقين للأمراء، أو ممن كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا من الزهاد الصالحين^(١)، فلقد أخرج عمر بن الخطاب القصاص من المسجد وطردهم شر طردة، وكذلك ما فعله ابنه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عندما جاء رجل قاص، وجلس قريبا منه في ناحية المسجد فطرده، ولكن القاص امتنع، فأرسل ابن عمر - رضي الله عنهما - إلى صاحب الشرطة، فأرسل له رجلا فطرده من المسجد^(٢).

وازداد شعور الصحابة - ﷺ - بالضرورة القصوى والحاجة الملحة لتوثيق السنة النبوية المطهرة، وحمايتها من التلاعب وصيانتها من التحريف؛ إذ لم يعد بإمكانهم الرجوع إلى معدنها الأصلي، ومنبعها الحقيقي بعد أن فقدوا شخص الرسول - ﷺ - وواروه التراب^(٣). وهكذا يكون الاهتمام بالحديث النبوي الشريف وبالإسناد والسؤال عنه في فترة مبكرة، وذلك في أعقاب الفتن والحروب التي بدأت منذ خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وأدت إلى التمزق والانفلات الهائل والضخم في كيان المجتمع الإسلامي، وظهور الأهواء السياسية المتعارضة، والآراء المتعصبة المتدافعة مما أدى إلى ظهور الكذب في الحديث النبوي الشريف، وجعل الصحابة - ﷺ - يتثبتون في مصادر الرواية، ويسألون عن الرجال الذين اشتركوا في نقلها^(٤)، قال محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ): "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ"^(٥). ومن أجل ذلك كله قبض الله تعالى لسنة نبيه ﷺ، رجالا لهم إمامة في هذا العلم ففحصوا الأحاديث وكشفوا ستورها وبيونها في كتبهم ونشروها بالسنتهم وخلصوا السنة الشريفة مما لصق بها، وتحقق وعد الله المكين بحفظه لكتابه العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظُّونَ﴾ بان حفظ أحكامه، وذلك بحفظ السنة الشريفة وقد وضعوا للحفاظ عليها القوانين السليمة والمبادئ القويمية، وتمت علوم الرواية والدراية، وبحثت حتى نضجت واحترقت^(٦). هذه العوامل مجتمعة وغيرها كانت من أهم الدوافع والحوافز التي دفعت الصحابة - ﷺ - للتأكد من ضبط الحديث النبوي الشريف.

(١) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٨.

(٢) الجبوري، مباحث في تكوين السنة المطهرة، ص ٥٣.

(٣) موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) التونسي، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، ص ١٩٠.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن النقات وأن جرح الرواة بما فيهم جائز، بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذنب عن الشريعة المكرمة، حديث رقم (٧)، ص ٧.

(٦) الجبوري، مباحث في تكوين السنة المطهرة، ص ٥٣.

ثم إن التأكيد على الإسناد والإلحاح في طلبه ازداد بعد جيل الصحابة - ﷺ - وكبار التابعين بين شيوع الوضع واتساع نطاقه على مر الزمن فأصبح الإسناد ضرورة لا مناص للمحدث من ذكره إذا أراد لروايته القبول^(١).

قلت: والهدف من ذلك كله هو صيانة الرواية من التزديد، والوضع، والافتئات. هذه العوامل مجتمعة وغيرها كانت من أهم الدوافع والحوافز التي دفعت الصحابة - ﷺ - للتأكد من ضبط الحديث النبوي الشريف.

المطلب الثامن: أشهر المتكلمين من الصحابة في الرجال

إن الكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن النبي - ﷺ - ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم؛ وجوزوا ذلك صوتاً وحفظاً للشريعة لا طعناً في الناس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة، والتثبت والتحري في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال فلماذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك.

وقد تكلم في الرجال جرحاً وتعديلاً خلق لا يتهاى حصرهم وعدّهم وقد سرد ابن عدي (ت ٣٦٥هـ) في مقدمة كتابه الكامل جماعة إلى زمنه^(٢).

يقول الحاكم: هذا النوع من علم الحديث معرفة الجرح والتعديل، وهما في الأصل نوعان، كل نوع منهما علم برأسه، وهو ثمرة هذا العلم والمرقاة الكبيرة منه، قد تكلمت عليه في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح بكلام شاف رضى كل من رآه من أهل الصنعة، ثم ذكرت في كتاب المزكبين لرواة الأخبار على عشر طبقات في كل عصر منهم أربعة وهم أربعون رجلاً.

فالطبقة الأولى منهم: أبو بكر وعمر وعلي وزيد بن ثابت فإنهم قد جرحوا وعدّلوا وبحثوا عن صحة الروايات وسقيماها". وفي رواية عبد الله بن مسعود بدلاً من زيد بن ثابت^(٣). يقول السخاوي: "وأما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم الهدى ومصابيح الظلم، المستضاء بهم في دفع الردى، لا يتهاى حصرهم، في زمن الصحابة - ﷺ - وهلم جرّاً سرد ابن عدي في مقدمة كاملة منهم خلقاً إلى زمنه^(٤)، فالصحابة الذي أوردتهم عمر، وعلي، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبادة بن الصّامت، وأنس، وعائشة، ونصريح كل منهم تكذيب من لم يصدقهم فيما قاله وسرد من التابعين عدداً كالشعبي، وابن سيرين، والسعيد بن المسيب، وابن جبير، ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف في متبوعهم إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم نقات، ولا يكاد يوجد في القرن الأول

(١) التونسي، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر، من خلال التمهيد، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) الخولي، مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، ص ١٤٧.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية اجناسه، ص ٢٢٥.

(٤) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المتكلمون في الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار القرآن الكريم - بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٨٤.

الذي انقرض في الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور (١) والمختار الكذاب (٢)... (٣).

والآن ساذكر أشهر الصحابة الذين تكلموا في الرجال، الذين ذكرهم ابن عدي في مقدمة كتابه "الكامل في ضعفاء الرجال"، مع زيادة عليه وضرب مثال لكل واحد منهم في نقده للرجال وإليك ذلك:

١. أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي (٤٠ ق. هـ - ت ٢٣ هـ):

عن أبي مخرمة أن أبا قرأ: "من الذين استحق عليهم الأوليان فقال له عمر كذبت، فقال له أنت أكذب، فقيل له تكذب أمير المؤمنين؟ فقال: أنا أشد تعظيماً لأمر المؤمنين منك، فقال: إني كرهت أني اصدق في تكذيب كتاب الله، وأكذب في تصديق كتاب الله، فقال له عمر: صدقت (٤).

٢. أبو الحسن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي (٢٣ ق. هـ - ت ٤٠ هـ):

عن عبد الله بن الحارث قال: اعترت مع علي بن أبي طالب في زمن عمر، أو في زمن عثمان فذكره، فدخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا: يا أبا الحسن جئنا لنسألك عن أمر يجب أن تجيبنا، قال: أظن المغيرة بن شعبه يحدثكم أنه أحدث الناس عهداً برسول الله؟ قالوا: أجل، من ذلك جئنا نسألك، قال: كذب، أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس (٥).

٣. أبو العباس عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي (٣ ق. هـ - ت ٦٨ هـ):

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبيرة، قال: قلت لابن عباس: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَّالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ بِمُوسَى الْخَضِرِ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ... الحديث (٦).

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن طاوس قال جاء هذا إلى ابن عباس - يعني: بشير بن كعب فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: "عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا. فَعَادَ لَهُ ثُمَّ حَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا. فَعَادَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَذْرِي أَعَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَلْكَرْتَ هَذَا أَمْ أَلْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَعَرَفْتَ هَذَا" (٧).

(١) هو أبو زهير، الحارث بن عبد الله الأعور، الهمداني، الحوتي، الكوفي، مات في خلافة ابن الزبير، وفي حديثه ضعف. انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج ١، ص ١٤١، وتهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) هو أبو إسحاق، المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكذاب، قتل سنة (٦٧ هـ)، ليست له صحبة، وأخباره غير مرضية، انظر الذهبي: لسان الميزان، ج ٦، ص ٦ - ٧، وانظر ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٥١٨ - ٥٢٠.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوضيح لمن تم التاريخ، دار الجيل - بيروت، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ١٦٣.

(٤) ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق وضبط ومراجعة لجنة من المختصين بإشراف الناشر، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٦١.

(٥) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ٦١.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيعلم العلم إلى الله، حديث رقم ١٢٢، ص ١٢٦. ونوف هو نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد ويقال: أبو رشيد ويقال غير ذلك، شامي، وهو ابن امرأة كعب الأحمار، روى عنه: علي وثوبان وكعب الأحمار وغيرهم، وعنه شهر بن حوشب وسعيد بن جبيرة وغيرهما، وقيل كان عالماً وكان إماماً لأهل دمشق ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان رواية للقصاص، انظر تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٩٠.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم (٧)، ص ٦.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " إِنْ كُنَّا لَنُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصُّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ. " (١).

٤. أبو يوسف عبد الله بن سلام الخزرجي الإسرائيلي الأنصاري (ت ٤٣هـ) (٢):
عن أبي هريرة قال: أتيت الطور فوجدت بها كعب الأحبار (٣)، فذكره بطوله فلقيت عبد الله بن سلام، فذكرت له أنني قلت لكعب: قال رسول الله: إن في الجمعة ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، فقال ذاك يوماً في كل سنة، فقال عبد الله بن سلام: كذب كعب، ثم ذكره إلى آخره (٤).

٥. أبو الوليد عبادة بن الصّامت الخزرجي الأنصاري (٢٨ ق. هـ - ت ٣٤هـ):
عن ابن محيريز أن رجلاً من بني كنانة لقي رجلاً من الأنصار، يقال له أبو محمد، فسأله عن الوتر، فقال: إنه واجب، فقال الكناني، فلقيت عبادة بن الصّامت فذكرت ذلك له، فقال: كذب أبو محمد، سمعت رسول الله يقول: خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من أتى بهن، لم يضيع منهن شيئاً، استخفافاً لحقهن، كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه (٥).

٦. أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري (١٠ ق. هـ - ت ٩٢هـ):
عن عاصم الأحول قال: سألت أنس بن مالك عن القنوت فقال: قد كان القنوت، قلت: قبل الركوع أو بعده؟ قال: قبله، قال: فإن فلاناً أخبرني أنك قلت بعد الركوع، قال: كذب، "إنما قننت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهراً فذكره" (٦).

٧. أم عبد الله أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية (٩ ق. هـ - ت ٥٧هـ):
عن ابن جريج، عن زياد أن أبا نهيك أخبره عن أبي الدرداء أنه خطب، فقال: من أدركه الصبح فلا وتر له، فذكر ذلك لعائشة فقالت: كذب أبو الدرداء، "كان النَّبِيُّ - ﷺ - يصبح فيوتر" (٧).

٨. عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ):
أنه قال لغلامه نافع: "لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس" (٨).

(١) الحاكم، كتاب المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، ص ١٦٨.

(٢) هو عبد الله بن سلام، بتخفيف اللام، أبو يوسف الإسرائيلي نسبة إلى نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام، حليف بن الخزرج، قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله، مخضرم، مات (٤٣هـ)، انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) أبو إسحاق كعب بن ماته الحميري، كان ثقة وهو مخضرم، ما في خلافة عثمان بن عفان، انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ٦٢.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٦٢ - ٦٣.

(٦) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ٦٣.

(٧) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٦٢.

(٨) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٢٧.

قلت: ولقد تكلم في الجرح عدد من الصحابة - ﷺ - غير هؤلاء، وجرحوا بعض الرواة بل ربما كذبوهم على رؤوس الأشهاد منهم: أبو معبد خالد بن مسعود الأسلمي (ت ٤٣هـ)، وعمران بن حصين (ت ٥٢هـ)، وأبو هريرة (ت ٥٩هـ)، وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ)، وأبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)، وغيرهم^(١).

قال الحاكم: "وأول من وقى الكذب عن رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق - ﷺ - لما جاءت الجدة تسأل ميراثها والقصة مشهورة. ثم عمر بن الخطاب - ﷺ - حبس جماعة من الصحابة، وقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ ثم علي بن أبي طالب - ﷺ - قال: كنت إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً فنعني الله بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني غيره عنه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر ﷺ، ثم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنا نحفظ الحديث، وحديث رسول الله - ﷺ - يحفظ، حتى ركبتم الصعب والذلول. ثم عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال لغلظه نافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس^(٢).

وقال الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق: "وكان أول من احتاط في قبول الأخبار"^(٣). وقال عنه أيضاً: "وإليه المنتهى في التحري وفي القول وفي القبول"^(٤)، وقال في ترجمة الفاروق: "وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل"^(٥). وقال ابن حبان: "إن عمر وعلياً كانا أول من فتنّا عن الرجال وبحثا عن النقل في الأخبار"^(٦).

قلت: ولعل مراده التوسع في التثبت، والتحري، والبحث عن أحوال الرجال، توسعاً لم يكن معهوداً من قبل، حتى غلب على ظن البعض أن عمر كان أول من فعل ذلك؛ لما ثبت من أولية أبي بكر في ذلك^(٧).

إن هؤلاء الصحابة - ﷺ - دعوا إلى التحري والتثبت في الحديث النبوي الشريف، ونبهوا من أخطأ إلى خطئه، وكلامهم في الرجال جرحاً وتعديلاً في عهد كبارهم يختلف عن كلامهم في عهد صغارهم، ففي الفترة الأولى كان هدفهم سنّ سنة التثبت والتحري في الحديث النبوي الشريف^(٨)، يقول ابن حبان رحمه الله: "قد أخبر عمر بن الخطاب أنه لم يتهم أبا موسى في روايته، وطلب البينة منه على ما روى تكذيباً له، وإنما كان يشدد فيه ليعلم الناس أن الحديث عن رسول الله - ﷺ - شديد، فلا يجيء من بعدهم من يجترئ فيكذب عليه ﷺ، أو يتقول عليه ما لم يقل حتى يدخل بذلك في سخط الله عز وجل"^(٩).

(١) الحاكم، كتاب المنخل إلى معرفة كتاب الإكليل، ص ١٦٨. ثم إن هذا القول مما لا يصح عن ابن عمر ﷺ، فإنه من رواية متروك عن ابن عمر، وقد فنده ابن حجر في غير ما موضع من كتبه، قال في هدي الساري: ص ٤٢٧: قول ابن عمر لم يثبت عنه، لأنه في رواية أبي خلف الجزار عن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر يقول ذلك، ويحيى البكاء متروك الحديث، قال ابن حبان: ومن المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح.

(٢) الحاكم، كتاب المنخل إلى معرفة كتاب الإكليل، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٣) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢.

(٤) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥.

(٥) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٦ - ٧.

(٦) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٧) العمري، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ص ١٢. وانظر البشير: أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ١١.

(٨) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٣٧.

(٩) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، ج ١، ص ٣٧ - ٣٨.

وأما في الفترة الثانية، فإن التحري والتثبت كان أدق وأعمق، والكلام في الرجال - رغم قلته - كان منه ما يعد جرحاً، ولعلي بن أبي طالب - ؓ - وجهة تصنيف لرواة الحديث النبوي الشريف - إن صحت نسبته إليه - يتضمن صنفاً من الرواة المجروحين في عدالتهم بالكذب، وصنفاً من الواهي، وصنفاً ممن سمعوا من الرسول - ﷺ - أمراً، ولم يسمعوا منه ما حدث به من النهي عنه فرووا المنسوخ ولم يعلموا الناسخ، وصنفاً أميناً، جمع بين الصدق والحفظ وفهم الحديث الشريف، وأدرك علاقته ببعضه، فأدى الأمانة^(١).

قال علي ؓ: "وإنما أتاك الحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر الإيمان، متصنع بالإسلام، ولا يتأثم، ولا يتحرج، يكذب على رسول الله - ﷺ - متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله. ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يديه، ويرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله - ﷺ - شيئاً يأمر به، ثم إنه نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به، وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه أنه منسوخ لرفضوه. وآخر رابع لم يكذب على الله، ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله ﷺ، ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه: لم يزد فيه، ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام، فوضع كل شيء في موضعه وعرف المتشابه ومحكمة"^(٢).

إن كلام الصحابة - ؓ - اقتصر على ناحية الحفظ والضبط، وباستثناء النص المنسوب إلى علي ؓ، والذي ليس لدينا ما نثبت به نسبته إليه، أو نفيه عنه، فإن من جرح في عصر الصحابة - ؓ - الأوائل في عدالته كان قليلاً^(٣)، قلت: وقد صدر التجريح في العدالة من ابن عمر - ؓ - في حق نافع لكنه لم يثبت، وكنت قد ذكرت هذه الرواية خوفاً من أن يظن ظان أن ذلك قد ثبت.

ثم تلا الصحابة - ؓ - وسار على دربهم واهتدى بهداهم التابعون وأتباع التابعون فمن بعدهم من أئمة المسلمين، فقد عدلوا وجرحوا رواة الحديث النبوي الشريف، ودون كلامهم في التواريخ، ونقل إلينا بنقل العدل عن العدل، فظهر بهذا الإجماع الذي ذكرناه أن الطريق إلى معرفة الحديث الجرح والتعديل، وأنه ليس بغيبية كما يتوهم عوام الناس^(٤). وقال أيضاً: "وكذلك جماعة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ثم عن أئمة المسلمين كانوا يبحثون وينقرون عن الحديث إلى أن يصح لهم"^(٥).

(١) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٣٧.

(٢) الموسوي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، حققه وزاد عليه محمد محي الدين عبيد الحميد، مطبعة الاستقامة، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٢، ص ٢١٤ - ٢١٧.

(٣) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ١٣٨.

(٤) الحاكم، كتاب المنخل إلى معرفة كتاب الإكليل، ص ١٦٨.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص ١٣٢.

المبحث الثاني

حكم توهيم الصحابي، وكيفية ثبوته، ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟

تمهيد

لقد كان الصحابة - ﷺ - عدولا بتعديل صاحب الشرع الحنيف، ثم باتفاق الأمة على ذلك، لا يتهمون بخيانة أو كذب، أو غش أو خديعة، بل هم أكرم من أن يذكر ذلك في حقهم لينفى.

وقد كان عامة الصحابة - ﷺ - أيضاً أهل إتقان وثبت - وهذا لا يخرجهم عن طبيعتهم البشرية من الخطأ والوهم والنسيان - وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين عايشوه بالليل والنهار، ورافقوه في الحضر والسفر، سامعين كلامه، ومشاهدين أفعاله، ومطبقين وممتثلين أوامره، ومجتنبين نواهيه، فضلاً عن الاصطفاء الذي حباهم به الله تعالى جلت حكمته ليحملوا لواء الإسلام، ويستعمروا الأرض تحت رايته^(١).

لذا سيكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب هي: حكم توهيم الصحابي، ومن الذي يحكم عليه بالوهم؟، كيفية ثبوت ذلك في حقه، وإليك ذلك كله:

المطلب الأول: حكم توهيم الصحابي

إن الصحابة - ﷺ - كانوا على عناية تامة، واهتمام بالغ بالسُّنة وذلك لعلمهم أن السُّنة جزء من الدين الذي يدينون به لذا لم يكن في الصحابة الملتفتين حول رسول الله - ﷺ - من يكذب عليه، فهم الذين فدوه بالنفس والنفيس، وبذلوا الغالي والرخيص، في سبيل نشر دينه، ونصرة دعوته، واختارهم الله تعالى لحمل الأمانة وتبليغ الرُّسالة لمن بعدهم^(٢).

وبما أن الصحابة - ﷺ - بشرٌ فإنهم يعتريهم الخطأ، والوهم، والغفلة، والنسيان، ولأنه يكاد لا يسلم بشر من الخطأ؛ لأنه فطرة الإنسان وشيء لا ينفك عنه، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه: ١١٥). إذن الإنسان مركب من الخطأ والنسيان، وبالتالي قد يخطئ الإنسان بالنسيان وقد يخطئ بالتعمد، لكن النتيجة في الحالتين واحدة بالنسبة لصدق الحديث وكذبه^(٣).

ومن هنا فإن الصحابة - ﷺ - كانوا يتفاوتون في الضبط والحفظ، فقد استفاد أن بعضهم أحفظ من بعض، لذا فقد ظهرت بوادر الوهم في عصرهم؛ ذلك لأنهم بشر، بالرغم ممّا كانوا يتمتعون به كسائر قومهم، من صفاء الذهن، وقوة الحافظة، فإنهم غير معصومين

(١) سعد، مباحث في علم الجرح والتعديل، ص ١١ - ص ١٢.

(٢) الألباني، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ٦٨.

(٣) الأعظمي، مقمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٧.

من الخطأ والوهم. ولكنهم ما كانوا ليسكتوا على الخطأ، بل كان بعضهم يصحح لبعض ما وهم فيه^(١).

وبما أننا أقررنا أن الصحابة - ﷺ - بشرٌ يجوز عليهم الخطأ، والوهم، والغفلة، والنسيان، وغيرها من العوارض البشرية، فهل يجوز الحكم عليهم بالوهم؟
بعد دراستي لهذا الموضوع وجدت إتفاق جمهور علماء المسلمين على جواز توهيم الصحابة - رضي الله عنهم - وإليك بيان ذلك كله:

ساق ابن رجب الكلام في "أخطاء الحفاظ" فقال: "وقد ذكر الترمذي حكم الأقسام الثلاثة فيما تقدم وذكر هاهنا حكم القسم الرابع وهم الحفاظ المتقنون الذين يقل خطائهم، وذكر أنه لم يسلم من الغلط والخطأ كبير أحد من الأئمة مع حفظهم، وهو كما قال... ثم قال: وقد قرأت بخط أبي حفص البرمكي الحنبلي الفقيه: ذكرت لأبي الحسن يعني الدارقطني جاء عمرو بن يحيى المازني في ذكره الحمار موضع البعير في توجه النبي - ﷺ - إلى خيبر، وأن أحمد لم يضعفه بذلك. فقال أبو الحسن: مثل هذا في الصحابة. قال: روى رافع بن عمرو المزني، قال: رأيت النبي ﷺ يخطب على بغله بمنى. وروى الناس كلهم خطبة النبي - ﷺ - على ناقه أو جمل. أفيضعف الصحابي بذلك؟ انتهى"^(٢).

قلت: فنلاحظ هنا أن أبا الحسن الدارقطني قد وهم الصحابي لكنه لم يضعفه، وذلك لكون الصحابة بشرٌ يعترفهم الخطأ، والوهم، والنسيان، وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء وعلى رأسهم الصحابة - ﷺ - أنفسهم، ثم التابعين، ومن بعدهم.

ومن هؤلاء الإمام الدارقطني حيث قال: "مثل هذا في الصحابة"^(٣)، وقال ابن تيمية: "وأما الغلط فلا يسلم منه أكثر الناس، بل في الصحابة من قد يغلط أحياناً وفيمن بعدهم"^(٤).

ومن ذلك: قول الصحابة - ﷺ - بعضهم ببعض، فقد قال ابن المبارك: ومن يسلم من الوهم، وقد وهمت عائشة جماعة من الصحابة في روايتهم للحديث وقد جمع بعضهم جزءاً من ذلك"^(٥).

قلت: وقد جمعه الإمام بدر الدين الزركشي في كتاب "الإجابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة". وتوهيم التابعي سعيد بن المسيب لابن عباس - رضي الله عنهما - في تزوج النبي - ﷺ - لميمونة وهو محرم^(٦).

(١) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٤٥.

(٢) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٤٣٥ - ٤٣٧.

(٣) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٤٣٦.

(٤) ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي،

دار عالم الكتب، [ط: بدون]، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٥٠.

(٥) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٤٣٦.

(٦) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٤٣٦.

وتوهيم الكرمانى لابن عباس - رضى الله عنهما - فى حديث وفد عبد القيس (١)،
وغيرها من الأمثلة التى ذكرت والتى ستذكر لاحقاً.

قلت: ومما يدل على جواز الحكم بالوهم على الصحابة - رضى الله عنهم - ما ورد
عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: "والله إن كنت لأرى أنى لو حدثت عن نبي الله يومين
متتابعين لا أعيد حديثاً ثم لقد زانني بطاً عن ذلك وكراهية أن رجلاً من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -
- شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا يحدثون بأحاديث ما هي كما يقولون! ولقد علمت
أنهم لا يألون عن الخير، فأخاف أن يشبه لي كما شبّه لهم" (٢).

فقله: يحدثون أحاديث ما هي كما يقولون" تصريح بوهم بعض الصحابة - رضي الله عنهم - فى
رواية الحديث النبوي الشريف.

وكذلك قول زيد بن أرقم رضي الله عنه: "والله لقد كبرت سني وقدم عهدي نسيت بعض الذي
كنت أعي من رسول الله وآله وسلم" (٣)، وفي رواية "سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحاديث
سمعتها وحفظتها ما يمنعني أن أحدث بها إلا أن أصحابي يخالفوني فيها" (٤)، وغيرها من
الأقوال.

إذن إن الصحابي وإن كانت عدالته ثابتة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة،
إلا أنه لا تثبت ولا تستوجب له تمام الضبط؛ لأنه يبقى بشرٌ قد يهمل، وقد يخطئ وينسى،
والعصمة لا تكون إلا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

هذا مع ملاحظة أن الصحابة - رضي الله عنهم - ما كانوا ليسكتوا على الخطأ، بل كان بعضهم
يصحح لبعض ما وهم فيه.

المطلب الثاني: من الذى يحكم على الصحابي بالوهم؟

من خلال دراستي لهذا الموضوع وجدت أن هنالك أكثر من ناقد وهم الصحابة - رضي الله عنهم -
وإليك ذلك كله مع المثال والراجع من وجهة نظري.

أولاً: الصحابي نفسه

ومثاله: ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: "يَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ
أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا فَتَنَازَعُوا وَلَمْ يَتَّبِعْنِي عِنْدَ بَيْتِي تَنَازَعُ فَقَالُوا هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ
- صلى الله عليه وسلم - قَالَ دَعُونِي فَأَلَذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَلَدَ بِخَوْفٍ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَكَسَيْتُ الثَّالِثَةَ... الحديث" (٥).

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٤٣٣، وإسناده صحيح.

(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٦٦، وإسناده صحيح.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١، ص ١٣١، ورجاله موثقون.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يتشفع إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم، حديث رقم ٣٠٥٣، ص ٦٠٨.

قلت: فهذا حكم ابن عباس على نفسه بالوهم بالنسيان في قوله: "وَكَسَيْتِ الثَّالِثَةَ".

ثانياً: حكم الصحابي على الصحابي بالوهم

مثاله: ما أخرجه أحمد بسنده عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: كانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - سكتان في صلاته وقال عمران بن حصين أنا ما أحفظهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب يسألونه عنه فكتب أبي أن سمرة قد حفظ ^(١).

ومثاله: ما خطأ به أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أبا هريرة - رضي الله عنه - في حديث "هل نرى ربنا يوم القيامة... قال أبو هريرة: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ ^(٢).

ومثاله أيضاً: ما استدركت به أم المؤمنين عائشة على الصحابة - رضي الله عنهم - فلقد استدركت على عمر بن الخطاب وابنه عبد الله في حديث "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ" ^(٣). واستدراكها على أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديث "مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلَا يَصُومُ" ^(٤). واستدراكها على علي بن أبي طالب، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم رضي الله عنهم ، وغيرهم ^(٥).

ثالثاً: حكم التابعي على الصحابي بالوهم

ومثاله: ما وهَّم به سعيد بن المسيب ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: "تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ميمونة وهو محرم" ^(٦).

رابعاً: حكم من بعد التابعي

ومثاله: ما وهَّم به الكرمانى ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله "من القوم، أو من الوفد؟". قال ابن حجر في شرح قوله: "لما أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: من القوم، أو من الوفد؟" الشك من أحد الرواة، إما أبو جمرة أو من دونه، وأظنه شعبة فإنه من رواية قرة وغيره بغير شك. وأغرب الكرمانى فقال: الشك من ابن عباس ^(٧).

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، حديث رقم ٨٠٦، ص ١٦١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته حديث رقم (١٢٨٧)، ص ٢٥٢.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حجة صوم من طلع عن الفجر وهو جنب، حديث رقم ١١٠٩، ص ٢٦٥.

(٥) لمزيد من الأمثلة انظر الزركشي: كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

(٦) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج ١، ص ٣٤٦.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧٢.

خامساً: الرَّاجِح من هذه الأقوال من وجهة نظري

الراجح من وجهة نظري هو: أنه لا يجوز توهيم الصحابي إلا من قبل الصحابة أو التابعين أو فقط، أما غيرهم فلا يجوز لهم ذلك؛ لعدم معاصرتهم لهم، ولأنهم هم الأعراف بحالهم وبعضهم فهم الذين عايشوا وعاصروا الوحي والتزيل، وبناءً عليه فهم الأقرب زماناً ومكاناً، وكذلك لما فيه من فتح للباب على مصرعيه في توهيم الصحابة، والظعن في حفظهم وبالنهاية الظعن في السنة النبوية الشريفة وردّها، لاسيما ما يسمى من أصحاب المدرسة العقلية الذين يردون كل حديث لا يوافق عقولهم. والله أعلم.

المطلب الثالث: بما يثبت وهم الصحابي؟

يثبت وهم الصحابي بطرق عدة منها:

أولاً: بإقرار الصحابي واعترافه بالخطأ وبمن هو أعلم أو أحفظ منه

مثاله: ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر، قال: سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول في قصصه: مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُبًّا فَلَا يَصُمُّ... الحديث^(١). فقال أبو هريرة: "هما أعلم"، وفي رواية: "لا علم لي إنما أخبرني مخبر"^(٢).
ومثاله: وما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة أنه - رضي الله عنه - قال: "قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا قَوْلَهُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ". أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَقَالَ: "إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ"^(٣).

ومثاله أيضاً: ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقول: "إنما الربا النسبيّة، وأنه لا بأس أن يباع الذهب بالذهب متفاضلاً، والفضة بالفضة متفاضلاً إذا كان يداً بيد وخالفه في ذلك أهل العلم من الصحابة"^(٤)، وتمسكوا في ذلك بأحاديث ثابتة منها: ما رواه أبو سعيد الخدري من أن النبي - ﷺ - قال: "لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ وَلَا تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ وَلَا تَبِيعُوا مِنْهَا شَيْئًا غَائِبًا بِتَاجِرٍ"^(٥). لذا روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه رجع عن قوله بذلك، فقد ذكر أبو سعيد الرقاشي: إن عكرمة مولى ابن عباس قدم البصرة فجلسنا إليه في المسجد الجامع، فقال: ألا تنهون شيخكم هذا - يعني الحسن بن أبي الحسن - يزعم أن ما تباع به المسلمون يداً بيد الفضة بالفضة والذهب بالذهب الزيادة فيه حرام، فأنا أشهد أن ابن عباس أحله. فقال أبو سعيد

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم (١٢٠٩)، ص ٢٦٥.

(٢) البزار، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، ج ٦، حديث رقم ٢١٦٦، ص ٦٦٣ وإسناده صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، حديث رقم (٨٠٦)، ص ١٦١.

(٤) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٧.

(٥) الأصمعي، الموطأ، كتاب البيوع، باب بيع الذهب بالفضة تيراً وعيناً، حديث رقم ٣٠، ص ٦٣٢ - ٦٣٣.

الرقاشي، قلت: ويحك أما تعلم أني كنت جالسا عند رأسه وأنت عند رجلي، فجاء رجل فقام عليك، فقلت: ما حاجتك، فقال: أردت أن أسأل ابن عباس عن الذهب بالذهب فقلت: اذهب فإنه يزعم أنه لا بأس به، فكشف عمامته عن وجهه، ثم جلس ابن عباس فقال: استغفر الله، والله ما كنت أرى إلا أن ما يتبايع به المسلمون من شيء يداً بيد إلا حلالاً حتى سمعت عبد الله بن عمر وعمر بن الخطاب حفظا من ذلك عن رسول الله - ﷺ - ما لم أحفظ فاستغفر الله" (١).

ثانياً: بسكوت الصحابي وعدم تعقيبهِ على من وهمه

مثاله: ما نقدت به أم المؤمنين عائشة عمر وابنه عبد الله - ﷺ - في حديث " إِنْ أَلَمِيتَ لَيُعَذَّبَنَّ بِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ " (٢). قال ابن عباس رضي الله عنهما (٣) " فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ عُمَرَ لَا وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنْ اللَّهُ يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِكَاءِ أَحَدٍ ». وَلَكِنْ قَالَ « إِنْ اللَّهُ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » قَالَ وَقَالَتْ عَائِشَةُ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤، وفاطر: ١٨). قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئاً" (٤). وفي رواية أحمد " لَمَّا قَالَ لَا وَلَا نَعَمْ. سَكَتَ " (٥).

قال ابن حجر في قوله: " وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئاً " قال الطيبي وغيره: ظهرت لابن عمر الحجة فسكت مذعناً. وقال الزين بن المنير: سكوته لا يدل على الإذعان فلعله كره المجادلة في ذلك المقام (٦)، قلت: بل ليس الأمر كذلك لأن ابن عمر لا يسكت على خطأ لو تيقن ذلك، وإنما سكت لعلمه بوهمه. قال القرطبي ليس سكوته لشك طراً له بعد ما صرح برفع الحديث، ولكن احتمل عنه أن يكون الحديث قابلاً للتأويل... (٧). قلت: ويرد عليه ما رد على الزين فإن ابن عمر وغيره من الصحابة لو لم يشك لا يسكت على حكم شرعي؛ لأنه دين، وإنما السكوت خوفاً من المماراة يكون في غير الأحكام الشرعية والعقدية. والله تعالى أعلم. ويؤيد ما قلت أن ابن الجوزي قد حمل سكوته على شكه فيما رواه، أو على تذكره بعد نسيانه (٨)، وهذا ما ذهب إليه الطيبي رحمه الله بداية. والله تعالى أعلم

(١) الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى الهمداني، الاعتبار في النسخ والمنسوخ في الحديث، دراسة وتحقيق طنطاوي جوهري مسند، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، حديث رقم (٢٦٠)، ج٢، ص٦٠٠، وقال المحقق: لم أقف على مصدر هذا الكلام، وأبو سعيد الرقاشي لم أقف على ترجمته، وبقية رجاله ثقات.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي - ﷺ - يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، حديث رقم (١٢٨٧)، ص٢٥٤.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٩٢٩، ص٢٢٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي - ﷺ - يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، حديث رقم (١٢٨٨)، ص٢٥٤.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٥٥.

(٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣، ص٢٠٣.

(٧) المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٢٠٤.

(٨) الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، ص١١٥.

ثالثاً: بالترجيح عند التعارض ويكون ذلك بأحد وجوه الترجيح التالية

١. أن يكون أحد الراويين مباشراً لما رواه والثاني حاكياً فالمباشر أعرف بالحال^(١):

مثاله: ما أخرجه أبو داود بسنده عن ابن عباس أنه قال: "إنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - تزوج ميمونة وهو محرم"^(٢). فبعضهم رواه أنه نكحها وهو حرام، وبعضهم رواه أنه نكحها وهو حلال، فمن رواه نكحها وهو حلال أبو رافع، ومن رواه أنه نكحها وهو حرام ابن عباس، وحديث أبي رافع أولى بالتقديم، لأن أبا رافع كان السفير بينهما وكان مباشراً للحال، وابن عباس كان حاكياً^(٣).

وقد وَهَّم سعيد ابن المسيَّب ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: تزوج الرسول - ﷺ - ميمونة وهو محرم، قال ابن عبد البر: "والرواية أنَّ رسول الله - ﷺ - تزوج ميمونة وهو حلال متواترة عن ميمونة بعينها، وعن أبي رافع مولى النَّبِيِّ - ﷺ - وعن سليمان بن يسار مولاها، وعن يزيد بن الأصم وهو ابن أختها، وهو قول سعيد بن المسيَّب وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبد الرحمن وابن شهاب وجمهور علماء المدينة أنَّ رسول الله - ﷺ - لم ينكح ميمونة إلا وهو حلال قبل أن يحرم. وما أعلم أحداً روى من الصحابة أنَّ رسول الله - ﷺ - نكح ميمونة وهو محرم إلا عبد الله بن عباس، ورواية من ذكرنا معارضة لروايته، والقلب إلى رواية الجماعة أميل، لأن الواحد أقرب إلى الغلط وأكثر أحوال حديث ابن عباس أن يجعل متعارضاً مع رواية من ذكرنا، فإذا كان كذلك سقط الاحتجاج بجميعها، ووجب طلب الدليل على هذه المسألة من غيرها فوجدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد روى عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه نهى عن نكاح المحرم وقال: "لا ينكح المحرم ولا ينكح"^(٤) فوجب المصير إلى هذه الرواية التي لا معارض لها، لأنه يستحيل أن ينهى عن شيء ويفعله، مع عمل الخلفاء لها وهم عمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - وهو قول ابن عمر فأكثر أهل المدينة"^(٥).

قال ابن قيم الجوزية: "قلت: لا حجة لهم برواية ابن عباس هذه لأنها مخالفة لرواية أكثر الصحابة ولم يروه كذلك إلا ابن عباس وحده وانفرد به، قال القاضي عياض: ولأن سعيد بن المسيَّب وغيره وهموه في ذلك وخالفته ميمونة وأبو رافع أنه نكحها وهو حلال وهو أولى بالقبول لأن ميمونة هي الزوجة وأبو رافع هو السفير بينهما فهما أعرف بالواقعة من ابن عباس لأنه ليس له من التعلق بالقصة ما لهما ولصغره حينئذ عنهما إذا لم يكن في سنَّهما ولا يقرب منه"^(٦).

(١) الحازمي، الاعتبار في النسخ والنسخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب المحرم يتزوج، حديث رقم (١٨٤٤)، ص ٢١٤، وقال الألباني: صحيح.

(٣) الحازمي، الاعتبار في النسخ والنسخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٥.

(٤) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب المحرم تزوج، حديث رقم (١٨٤٢)، ص ٢١٤، وقال الألباني: صحيح.

(٥) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ٣، ص ١٥٢.

(٦) أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٩٦.

٢. أن يكون أحد الراويين صاحب القصة فيرجح حديثه، لأن صاحب القصة أعرف بحاله من غيره وأكثر اهتماماً^(١):

مثاله: ما تم ترجيح حديث عائشة - رضي الله عنها - في صوم الجنب على حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٢). قال الشافعي: "فأخذنا بحديث عائشة وأم سلمة زوجي النبي - ﷺ - دون ما روى أبو هريرة عن رجل عن رسول الله - ﷺ - بمعان منها: أنهما زوجتاه، وزوجتاه أعلم بهذا من رجل إنما يعرفه سماعاً أو خبراً، ومنها أن عائشة مقدمة في الحفظ، وأن أم سلمة حافظة، ورواية اثنين أكثر من رواية واحد ومنها أن الذي روتا عن النبي - ﷺ - المعروف في المعقول والأشبه في السنة"^(٣). قلت: وعائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - هما أعرف من أبي هريرة لأنهما صاحبتا القصة مع النبي ﷺ. والله تعالى أعلم.

ومثاله: ما ورد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على عائشة، فقلت يا أمها، إن جابر بن عبد الله يقول: "الماء من الماء"^(٤). فقالت: "أخطأ جابر، أعلم مني برسول الله ﷺ؟ يقول: "إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل"^(٥)، أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل"^(٦). ووجوب الماء من الماء، كان رخصة في أول وبداية الإسلام، ثم نسخ ويبدو أن بعض الصحابة ظل متمسكاً بذلك لعدم العلم بالناسخ، مما جعل السيدة عائشة - رضي الله عنها - تروي الحديث الآخر، ثم تعقب بدليل عقلي، وهو: إذا كان الجماع الذي لا إنزال معه يوجب الحد، باعتباره كاملاً فكيف لا يوجب الغسل؟ وإيجاب الغسل دون إيجاب الحد؟^(٧).

٣. أن يكون أحد الراويين أحسن سياقاً لحديثه من الآخر وأبلغ استقصاء فيه، لأنه قد يحتمل أن يكون الراوي الآخر سمع بعض القصة فاعتقد أن ما سمعه مستقل بالإفادة ويكون الحديث مرتبطاً بحديث آخر لا يكون هذا قد تنبه له.

ولهذا من ذهب إلى الإفراد في الحج قدم حديث جابر^(٨) لأنه وصف خروج النبي - ﷺ - من المدينة مرحلة مرحلة ودخوله مكة وحكى مناسكه على ترتيبه وانصرافه إلى المدينة، وغيره لم يضبط ضبطه^(٩).

(١) الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنباً، حديث رقم (١٩٢٥ و ١٩٢٦)، ص ٣٧٤.

(٣) الشافعي، محمد بن إدريس، اختلاف الحديث، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٤) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء أن الماء من الماء، حديث رقم ١١٠، ص ٣٧، وقال الألباني: صحيح.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤١، حديث رقم ٢٥٠٣٧، ص ٤٨٧، وقال محققه: حديث صحيح.

(٦) الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة، ص ١٤٥.

(٧) الألباني، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٩) الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٦.

٤. أن يكون أحد الراويين أقرب مكاناً من رسول الله - ﷺ - فحديثه أولى بالتقديم، لأنه يكون أمكن من استيفاء كلامه وأسمع له^(١):
مثاله: من يرى الأفراد بالحج أفضل من القران يذهب إلى حديث ابن عمر أن النبي - ﷺ - أفرد بالحج^(٢). ويرجحه على حديث أنس أنه قرن^(٣). لما ذكر ابن عمر في حديثه قال: "كنت تحت جران^(٤). ناقة رسول الله - ﷺ - ولعابها بين كتفي"^(٥).

المبحث الثالث

بعض مظاهر ووسائل تثبت الرسول - ﷺ - والصحابة - ﷺ -
والتابعين من الصحابة ﷺ

تمهيد

لم يكن الصحابة - ﷺ - من نمط الأشخاص الذين يقبلون ويتبعون كل ما يسمعون، فمع أن قلوبهم كانت صافية ونقية إلا أنهم كانوا دقيقين جداً لا يقبلون شيئاً إلا بعد النظر والتمحيص، والتدقيق ولا سيما إن كان الموضوع متعلقاً بالسنة النبوية الشريفة، كيف لا؟ وهم الذين كانوا يسافرون من بلد إلى بلد ويقطعون المسافات الطويلة أياماً وليالي لتحقيق حديث واحد أو لسماع حديث واحد، وما كان الصحابة - ﷺ - ليفعلوا ذلك إلا حباً بالسنة النبوية الشريفة واقتداءً بهديه ﷺ في التثبت والتحري في الأخبار.

وبما أن الصحابة - ﷺ - كانوا يتفاوتون في التحمل والأداء، والحفظ والذاكرة، كما يختلفون في الرواية والدارية كأي واحد من بني البشر، وكان بعضهم يخطئ في السماع والحفظ كما يخطئ في الضبط والنقل، وكان بعضهم أفتق وأتقن وأدرك من بعضهم، ويستترك أو يصحح أخطاء الآخرين.

وفي بعض الأحيان كان يراجع بعضهم بعضاً فيما يروونه، إما للتثبت والتأكد لأن الإنسان قد يسهو وينسى، أو يغلط عن غير قصد وإما لأنه قد ثبت عنده مما يخالفه أو ما يخصه أو يقيده، أو لأنه يرى مخالفته لظاهر الكتاب العزيز أو لظاهر ما حفظه من سنة المصطفى - ﷺ - إلى غير ذلك من الأسباب.

لذلك لقد عاش النقد الحديثي أسعد أوقاته في عهدهم، فلقد كان بعضهم يردُّ على بعض حينما يستمعون إلى بعض متون الأحاديث المروية، والأحكام المتصلة بها، فمنهم من اعترض

(١) الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في الأفراد والقران بالحج والعمرة، حديث رقم ١٢٣١، ص ٣٠٦.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الأفراد والقران بالحج والعمرة، حديث رقم ١٢٣٢، ص ٣٠٦.

(٤) جران: باطن العنق، انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٦٣.

(٥) الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ في الحديث، ج ١، ص ١٣٧.

على رواية أخيه، ومنهم من استترك، ومنهم من كُتب، ومنهم من صحح رواية صحابي أو تابعي وفقاً لمنهجه أو مقياسه، وما ذلك كله إلا ليفهم الكتاب العزيز وحديث المصطفى - ﷺ - فهما صحيحاً مستقيماً^(١).

المطلب الأول: مظاهر ووسائل تثبت الرسول ﷺ

كان من الطبيعي أن يهتدي الرسول - ﷺ - بهدي القرآن الكريم ويتخلق بأخلاقه وآدابه، ولهذا نجد عدة أحاديث نبوية شريفة تدل وتفيد جميعها منهجاً واضحاً في التثبت والتحري والتأكد من قبول الأخبار، وعدم المسارعة في إصدار الأحكام إلا بعد الفحص الشديد، والنظر الدقيق، وهو نفس المنهج الذي دلت عليه الآيات القرآنية التي أوردتها في أصول منهج النقد عند المحدثين، ومن هنا فقد وردت أحاديث نبوية شريفة يمكن من خلالها أن يستنبط منها طرائق الكشف عن الضبط عند الرواة، ومن هذه الطرائق والوسائل ما يلي:

١. المقارنة: ومن أمثلة ذلك:

أ. ما أخرجه مسلم بسنده عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره "أن رسول الله ﷺ أتى يهودي ويهودية قد زنياً فأنطلق رسول الله - ﷺ - حتى جاء يهود فقال « مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَنْ زَنَى ». قَالُوا نُسُودٌ وَجُوهُهُمَا وَتَحْمِلُهُمَا وَتُخَالِفُ بَيْنَ وَجُوهِهِمَا وَيُطَافُ بِهِمَا. قَالَ « فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ». فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَأُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرُّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرُّجْمِ وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا... الحديث^(٢). ففي هذا الحديث نجد أن الرسول - ﷺ - لم يصدر الحكم بناء على ما سمعه من اليهود، بل قارن مقالتهم هذه بما في التوراة وهو كتابهم بشهادة حبر من أبحارهم، وكانوا كاذبين فيما قالوه ولادعوه؛ وفي هذا جواز مقارنة رواية الراوي مع ما في كتابه ليعلم هل ضبط ما حدث به من حفظه أم لا؟^(٣).

ب. وما أخرجه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: في قصة الإفك أنها قالت: " قَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبَتِ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ... الحديث^(٤). فهذا نوع من التمهيص، والتتقيب، والتحري، والبحث، وذلك بمقارنة بين عدة آراء مختلفة في إصدار الحكم النهائي، يقول ابن حجر مبيناً فوائد الحديث: "وفيه البحث عن الأمر المعقول ممن يدل عليه المقول فيه، والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين....

(١) أول، مقدمة تحقيق كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص ٤٣ - ٤٥.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، حديث رقم ١٦٩٩، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٣) مغراوي، منهج النقد عند الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ج ١، ص ٢٠٤.

ومنه التثبت في الشهادة^(١). وهذا المنهج هو الذي اتبعه الصحابة - ﷺ - في حياة المصطفى - ﷺ - وبعد وفاته كما سيتضح لنا الأمر لاحقاً.

٢. معرفة ضبط الراوي بشهادة الثقة

وتستفاد هذه الطريقة من الحديث الثبوي الشريف الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشِيِّ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ سَمَاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا قَالَ فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَكَهَا كَأَنَّهُ غَضَبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قَصُرَتِ الصَّلَاةُ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طَوْلٌ يُقَالُ لَهُ ذُرُّ الْيَدَيْنِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ لَمْ أُنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ فَقَالَ أَكَمَا يَقُولُ ذُرُّ الْيَدَيْنِ فَقَالُوا نَعَمْ ... الحديث^(٢).

فيظهر من هذا الحديث أَنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - استيقن من ضبط ذي اليدين بشهادة الصحابة - ﷺ - له بذلك^(٣)، يقول ابن تيمية: "إِنَّ عِلَّةَ الْحَدِيثِ إِذَا كَانَتْ مِنْ جِهَةِ الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ حِفْظِ الرَّاوي، فَإِذَا كَانَ قَدْ رَوَى مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ عَنْ رَجُلَيْنِ عَدْلَيْنِ أَدَّى كُلُّ مِنْهُمَا مِثْلَ مَا أَدَّى الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا حَفِظَ مَا حَدَّثَهُ وَلَمْ يَخْنِهِ حِفْظُهُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ؟ وَلِهَذَا لَمَّا خَشِيَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنْ لَا يَكُونَ ذُو الْيَدَيْنِ ضَبِطَ مَا قَالَهُ اسْتَشْهَدَ بغيره مِنَ الْحَاضِرِينَ^(٤)."

يقول العيني: "لم يكن سؤاله - ﷺ - منهم إلا لأجل استنباط خبره لكونه انفرد دون من صلى معه لاحتمال خطئه في ذلك، ولا يلزم ذلك رد خبره مطلقاً^(٥)."

وتستفاد هذه الطريقة من الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده عن فاطمة بنت قيس قالت: "سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُتَأَدِّي مُتَأَدِّي رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِثْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ «لَيْلَزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَاةً». ثُمَّ قَالَ «أَتَذَرُونِ لِمَ جَمَعْتُكُمْ». قَالُوا اللَّهُ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُنَّ عَلَى التَّمُتُّونَ﴾ إِلَى ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُنَّ عَلَى التَّمُتُّونَ﴾ سورة النور، الآيات قم (١٢-١٣)، حديث رقم ٤٧٥٠، ص ٩٥١ - ٩٥٤.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٤٣٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساجد، باب السهر في الصلاة والسجود له، حديث رقم (٥٧٣)، ص ٢٢٩.

(٤) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٨.

(٥) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، شرح العمدة في الفقه، تحقيق سعد صالح العطيشان، مكتبة العبيكان - الرياض، ط ١، ١٤١٣، ج ٤، ص ٤٣٣.

(٥) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ١٦، ص ٤٨٧.

وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ. قَالَ «إِلَى اللَّهِ مَا جَمَعْتُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُمْ لَأَنْ تَمِيمًا الدَّارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدُّجَالِ... الحديث»^(١).

فقوله ﷺ: "وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ" دليل على أن موافقة الراوي للنقات علامة على ضبطه مروية، والله أعلم^(٢).

٣. معرفة ضبط الراوي بالرجوع إلى مصدر الحديث، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ - أَلَمْ أُخْبِرْ أَلَمْ تَقُومِ اللَّيْلَ وَتَصُومِ النَّهَارَ قُلْتُ إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ قَالَ... الحديث^(٣). فيستفاد من هذا الحديث النبوي الشريف أنه يمكن الكشف عن ضبط الراوي بالعود بالخبر للمخبر عنه فيقارن حينئذ بين خبر الناقل وخبر القائل، وفي هذا فائدة عظيمة أشار إليها ابن حجر رحمه الله بقوله تعليقاً على هذا الحديث النبوي الشريف^(٤): "قوله ألم أخبر فيه أن الحكم لا ينبغي إلا بعد التثبت؛ لأنه - ﷺ - لم يكتف بما نقل له عن عبد الله حتى لقيه واستثبته فيه؛ لاحتمال أن يكون قال ذلك بغير عزم أو علقه بشرط لم يطلع عليه الناقل ونحو ذلك"^(٥)، وقال العيني: "معناه حمل الخطاب على الإقرار بأمر قد استقر عنده ثبوته"^(٦).

ب- ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي النّيح قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ قَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي قُرَيْشٍ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ إِنَّ سَيُوفَنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ وَإِنْ غَنَائِمَنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ. قَبْلَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ «مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ». قَالُوا هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ... الحديث^(٧). فهنا نلاحظ أن الرسول - ﷺ - لم يتسرع في إصدار الحكم بل كان متنبهاً متحريراً فرجع إلى مصدر الحديث، يقول القاضي عياض: "وفي هذا من ظهور صدق ما أخبر به النبي عليه السلام مما يكون"^(٨).

ففي هذه الأحاديث وغيرها دليل على أن علم النقد له أصل يرتكز عليه، ولم يأت من فراغ، فالتحرز في الرواية، والتثبت، والتحرر في قبول الأخبار كان يمثل في عهد النبي - ﷺ - اللبنة والنواة الأولى لهذا المنهج العلمي القويم وهو تمحيص الأخبار، كما أنها دلت على أن

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قصة الجساسة، حديث رقم ٢٩٤٢، ص ٧٤٤ - ٥٢.

(٢) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، حديث رقم ٥١٩٩، ص ١٠٦٣.

(٤) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٧.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٣، ص ٣٨.

(٦) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٥، ص ٥٠٦.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتبصر من قوي إيمانه، حديث رقم ١٠٥٩، ص ٢٥١.

(٨) اليحصب، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ١٠، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٦٨.

الوسائل التي استخدمها الصحابة - ﷺ - ومن بعدهم من التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين، كان - ﷺ - قد قعد لها الطرائق والأساليب فاهتدى الصحابة - ﷺ - بهدي النبي - ﷺ - واقتدى الخلف بسنة السلف فأصبح منهجاً علمياً فريداً.

المطلب الثاني: تثبت الصحابة - ﷺ - في سماعهم من الرسول ﷺ

لقد تتبعت الصحابة - رضي الله عنهم - طريقة واحدة للتثبت من خبر ما ينقل إليهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي طريقة الرجوع إليه صلى الله عليه وسلم ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله حيث قال: " وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بُذْنُ النَّبِيِّ -

ﷺ - فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِنْ حَلٍّ وَأَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَانْتَحَلَتْ فَأَلْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا

فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مُخَرَّشًا عَلَى

فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَلْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا

فَقَالَ « صَدَقْتَ صَدَقْتَ... الْحَدِيثُ »^(١).

٢. وما أخرجه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَمِ

أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا فَمَرَّ

عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ تُكْفِرْنَ اللَّغْنَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُّ الرَّجُلِ الْحَارِمِ مِنْ

إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ

فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْنَبُ فَقَالَ أَيُّ الزَّيَابِ فَقِيلَ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَمْ انْذُكُوا لَهَا فَأَذِنَ لَهَا

قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَرَعِمَ ابْنُ

مَسْعُودٍ أَلَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ... الْحَدِيثُ »^(٢).

٣. وما أخرجه ابن حبان بسنده عن عمرو بن أمية قال: " مر عثمان بن عفان - أو عبد

الرحمن بن عوف - بمروط فاستغلاه فمر به عمرو بن أمية فاشتراه وكساه امرأته سخيلة بنت عبيدة بن

الحارث بن المطلب فمر به عثمان - أو عبد الرحمن - فقال : ما فعل المروط الذي ابتعت ؟ قال عمرو

: تصدقت به على سخيلة الحارث بن المطلب فمر به عثمان - أو عبد الرحمن - فقال : ما فعل

المروط الذي ابتعت ؟ قال عمرو : تصدقت به على سخيلة بنت عبيدة بن الحارث فقال : أوكل ما

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم ١٤٦٢، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

- صنعت إلى أهلك صدقة ؟ قال عمرو : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ذلك فذكر ما قال عمرو
 لرسول الله - ﷺ - فقال ﷺ : (صدق عمرو كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم)^(١).
٤. وما أخرجه ابن ماجة بسنده عن أبي بن كعب حيث قال : " - أن رسول الله - ﷺ - قرأ
 يوم الجمعة تبارك وهو قائم . فذكرنا بأيام الله . وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني . فقال متى أنزلت
 هذه السورة . إني لم أسمعها إلا الآن . فأشار إليه أن أسكت . فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت
 هذه السورة فلم تخبرني ؟ فقال أبي ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت . فذهب إلى رسول الله -
 ﷺ - فذكر ذلك له . وأخبره بالذي قال أبي . فقال رسول الله - ﷺ - (صدق أبي)^(٢).
٥. وما أخرجه البخاري بسنده عن الفاروق أنه قال : " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ
 سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَقْرَأُهَا وَكَذْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ
 حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ... الحديث^(٣) .
٦. وما أخرجه البخاري بسنده عن الفاروق - ﷺ - أنه قال : " كُنْتُ أَلَا وَجَارَ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ
 فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ . وَكُنَّا تَتَنَاقَبُ التُّرُوقُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَنْزِلُ يَوْمًا
 وَأَنْزَلَ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَزَلُ صَاحِبِي
 الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوَيْتِهِ فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَنَّمْ هُوَ فَفَرَعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ
 عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَفَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَتْ لَا أَذْرِي ثُمَّ
 دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطْلَقْتَ نِسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ^(٤) .
٧. وما أخرجه البخاري عن أنس - ﷺ - أنه قال : "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي
 الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاقَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ - ﷺ -
 مُتَكَيِّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ
 - ﷺ - قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي

(١) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الرضاع باب التفقه، ذكر البيان بأن كل ما يصطنع المرء إلى أهله من الكسوة وغيرها يكون له صدقة، ج ١٠، حديث رقم ٤٢٣٧، ص ٤٩ وقال محققه : إسناده صحيح.

(٢) ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، حديث رقم ١١١١، ص ١٢٥، قال الألباني: صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا، حديث رقم ٥٠٤١، ص ١٠٣١ - ١٠٣٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم ٨٩، ص ٢٩ - ٣٠.

نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ
اللَّهُمَّ نَعَمْ... الحديث^(١).

فنلاحظ هنا أن في إقراره - ﷺ - لهذا السائل أن يقسم عليه أن يصدقه في كونه رسولا للتأكيد وتقرير الأمر، دليل على أنه يجوز استحلاف من يوثق بدينه للتأكد من صدق ما أخبر به^(٢)، وفي هذا يقول الإمام العيني رحمه الله في الأحكام المستفادة من هذا الحديث النبوي الشريف: "فيه الاستحلاف على الخبر لعلم اليقين"^(٣).

المطلب الثالث: تثبت الصحابي من الصحابي

لقد حرص الصحابة - رضوا - أيما حرص على التوثق والتثبت من الراوي للحديث النبوي الشريف؛ لأن الحديث عن رسول الله - ﷺ - شديد كما ذكر ذلك زيد بن أرقم - رضاه - فهم من ناحية على يقين من منزلة السنة من القرآن الكريم، وأن لا قيام للدين حق القيام إلا بالسنة النبوية الشريفة، وهم من ناحية أخرى على خوف بالغ من القول أو الكذب على رسول الله - ﷺ - لما يترتب على ذلك من الوعيد الشديد؛ لذا تنوعت مظاهر تثبت الصحابة - رضوا - من رواية بعضهم إلى بعض على أشكال عدة^(٤).

أولاً: طلب القسم والحلف

ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه ابن حبان في صحيحة بسنده عن علي - رضاه - أنه قال: "كنت إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً ينفعني الله بما شاء أن ينفعني حتى حدثني أبو بكر وكان إذا حدثني عن النبي - ﷺ - بعض أصحابه استحلفته فإن حلف صدقته... الحديث"^(٥).

٢. وما أخرجه مسلم بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت النبي - ﷺ - يقول يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم آية بروح القدس قال أبو هريرة نعم^(٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه، آية رقم (١١٤)، حديث رقم ٦٣، ص ٢٣.
(٢) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه وموانعه، ص ٩.
(٣) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣١.
(٤) حسان، تثبت الصحابة في الرواية، ص ١٣.
(٥) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب التوبة، حديث رقم ٦٢٣، ص ٣٨٩ - ٣٩٠، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.
(٦) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، حديث رقم ٤٨٥، ص ٦٣٧ - ٦٣٨.

٣. وما أخرجه ابن حبان بسنده عن شفي الأصبجي أنه دخل مسجد المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال : من هذا ؟ قالوا : أبو هريرة قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك بحقي لما حدثني حديثا سمعته عن رسول الله - ﷺ - عقلته وعلمته فقال أبو هريرة... الحديث^(١).

٤. ولما شك ابن عمر - رضي الله عنهما - بما رواه أبو هريرة في ثواب إتباع الجنازة انطلق أبو هريرة إلى عائشة - رضي الله عنها - وقال : " أنشدك الله أسمعت رسول الله - ﷺ - يقول من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط وإن شهد دفنها فله قيراطان ؟ فقالت : اللهم نعم " (٢).

٥. وما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة أنه قال : " أتني عمرُ بامرأةٍ تَشِمُ فَقَامَ فَقَالَ أَلَشِدُّكُمْ بِاللَّهِ مَنْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي الْوَشْمِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُمْتُ فَقُلْتُ... الحديث " (٣).

٦. وما ورد عن عبد الله بن الحارث عن أبيه " وَكَانَ الْحَارِثُ خَلِيفَةَ عُثْمَانَ عَلَى الطَّائِفِ فَصَنَعَ لِعُثْمَانَ طَعَامًا فِيهِ مِنَ الْحَجَلِ وَالْبَعَاقِبِ وَلَحْمِ الْوَحْشِ قَالَ قَبَعْتُ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَهُ الرَّسُولُ وَهُوَ يَخِيطُ لِأَبَاعِرَ لَهُ فَجَاءَهُ وَهُوَ يَنْقُضُ الْخِطَّ عَنْ يَدِهِ فَقَالُوا لَهُ كُلْ. فَقَالَ أَطْعِمُوهُ قَوْمًا حَلَالًا فَإِنَّا حُرْمٌ. فَقَالَ عَلِيٌّ - ﷺ - أَلَشِدُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ أَشْجَعِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَهْدَى إِلَيْهِ رَجُلٌ حِمَارٌ وَحْشٍ وَهُوَ مُحَرَّمٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ قَالُوا نَعَمْ " (٤).

ثانياً: طلب الشاهد واشتراطه على الرواية

ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - أنه قال : " كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ فَأَتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مُغَضَّبًا حَتَّى وَقَفَ فَقَالَ أَلَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « الْإِسْتِثْنَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أَدِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ ». قَالَ أَبِي وَمَا ذَاكَ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ ثُمَّ جِئْتُهُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ

(١) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ذكر البيان بأن من رأى في عمله يكون في القيامة من أولاً من يدخل النار نعوذ بالله منها، ج ٢، حديث رقم ٤٠٨، ص ١٣٥ - ١٣٦، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ذكر أبي هريرة الدوسي ﷺ، ج ٤، ص ٢٢٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا ووافقه الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، حديث رقم ٣٠٩٤، ص ٥٤٥.

(٤) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم، حديث رقم ٤٨٤٩، ص ٢١٥، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

أَلَى جَنَّتْ أَمْسٍ فَسَلِمْتُ ثَلَاثًا ثُمَّ الصَّرَفْتُ قَالَ قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ فَوَاللَّهِ لَأَوْجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنَكَ. أَوْ لَتَأْتِيَنَّ يَمَنٌ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا. فَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ فَوَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَخَذْتَنَا سِتًّا قُمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ. فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ هَذَا^(١).

٢. وما أخرجه البخاري بسنده عن هشام عن أبيه "أَنَّ عُمَرَ نَشَدَ النَّاسَ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - قَضَى فِي السَّقَطِ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ أَنَا سَمِعْتُهُ قَضَى فِيهِ بِغُرَّةِ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ"^(٢).

٣. وما ذكره الذهبي عن عبد الله بن أبي بكر قال: "كَانَ لِلْعَبَّاسِ بَيْتٌ فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَضَاقَ الْمَسْجِدَ عَلَى النَّاسِ فَطَلَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ الْبَيْعِ فَأَبَى فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي: لَتَأْتِيَنِي عَلَى مَا تَقُولُ بَبِينَةٍ، فَخَرَجْنَا فَإِذَا نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَذَرَهُمْ، قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَتْهِمْكُمْ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَتُتَبِتَ"^(٣).

ثالثاً: سؤال الراوي للتأكد هل سمعه من رسول الله ﷺ

ربما سأل بعضهم بعضاً عن الحديث فأجاب بما سمع من النبي ﷺ - وربما كرر أحدهم السؤال أو كرر الإجابة بالسَّماع أو أجاب بما يصل إلى درجة اليقين من السَّماع. فمن تكرر أراهم للسؤال والجواب معاً^(٤). ما ذكر عن أبي ذر - ﷺ - أنه قال لأبي بصرة الغفاري - ﷺ - أنت أَلَتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَادَكُمْ صَلَاةً صَلَّوْهَا فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ الْوُتْرُ الْوُتْرُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَلَتَ سَمِعْتُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَلَتَ سَمِعْتُهُ قَالَ نَعَمْ^(٥).

١. وما أخرجه مسلم بسنده عن ابن عمار بن ربيعة، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا". وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَلَتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ. قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُهُ بِالْمَكَانِ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ"^(٦).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب الاستئذان، حديث رقم ٥٦٢٨، ص ٩٥٨ - ٩٥٩.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النيات، باب جنين المرأة، حديث رقم (٦٩٠٥، ٦٩٠٩، ٩٦٠٧، ٦٩٠٨)، ص ١٣٦٩.
(٣) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨.
(٤) حسان، تنبئ الصحابة في الرواية، ص ١٥.
(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٦، ص ٧، وإسناده صحيح.
(٦) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم ٦٣٤١، ص ١٥١ - ١٥٢.

٢. وربما أجاب الصحابي بما يصل إلى درجة اليقين بما سمع فمن ذلك: ما أخرجه النسائي بسنده عن سيار بن سلامة قال: سمعت أبي يسأل أبا برزة عن صلاة رسول الله - ﷺ - قلت أنت سمعته قال كما أسمعك الساعة... الحديث^(١).

٣. وروى عروة عن أبي حميد حديثاً فقال لأبي حميد: "أنت سمعته من رسول الله - ﷺ - فقال: من في رسول الله إلى أنني"^(٢).

رابعاً: التثبت من الرواية بسؤال بعض أزواج النبي - ﷺ - عنها

ومثاله: ما أخرجه البخاري بسنده عن جرير بن حازم قال: سمعت نافعاً يقول: حدث ابن عمر أن أبا هريرة - ﷺ - يقول: "مَنْ بَعِ جَنَازَةً فَلَهُ قِرَاطٌ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَيْنَا فَصَدَّقْتُ يَغْنِي عَائِشَةُ أبا هُرَيْرَةَ وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُهُ... الحديث"^(٣).

خامساً: كتابة الحديث النبوي الشريف

ومثاله: ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله عن عمرو - ﷺ - قال: كان عند النبي - ﷺ - ناسٌ من أصحابه وأنا معهم، وأنا أصغر القوم فقال: النبي - ﷺ -: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٤). فلما خرج القوم قلت لهم: كيف تحدثون عن رسول الله - ﷺ - وقد سمعتم ما قال وأنتم تتهمكون في الحديث عن رسول الله - ﷺ -؟ قال: فضحكوا وقالوا: "يا ابن اختنا إن كل ما سمعناه منه هو عندنا في كتاب"^(٥).

سادساً: الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف

ومن أمثلة ذلك: رحلة جابر بن عبد الله الأنصاري التي استغرقت شهراً كاملاً إلى عبد الله بن أنيس - ﷺ - بالشام ليستوثق من حديث بلغه عنه، فعن عبد الله بن محمد بن عقيل: أن جابر بن عبد الله حدثه: "أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي - ﷺ - فابتعت بغيراً فشدت إليه رحلي... الحديث"^(٦).

وغيرها من الأمثلة التي يصعب حصرها، التي تدل على دالة واضحة على مدى تثبت الصحابة - ﷺ - من حديث رسول الله - ﷺ -.

المطلب الرابع: تثبت الصحابي من التابعي

إن الأصل في تحمل الصحابي للحديث النبوي الشريف يكون عن الرسول - ﷺ - مباشرة، ولكن للأسباب التي ذكرناها سابقاً في الفصل الثالث فإنه ليس لأحد منهم أن يحيط بالسنة النبوية إحاطة تامة، لذا كان يسأل ويسمع بعضهم من بعض، وربما سألوا التابعين عن

(١) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسند النسائي، كتاب المواقيت، باب أول وقت الظهر، حديث رقم ٤٩٥، ص ٧٠.

(٢) الذهبي، كتاب سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٩٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، حديث رقم (١٣٢٣، ١٣٢٤)، ص ٢٦٠.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله - ﷺ -، حديث رقم (٣)، ص ٥.

(٥) البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٨.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم، ص ٢٧، ووصله البخاري في الألب المفرد، باب المعانقة، حديث رقم ٩٧٠، ص ٧٦٦ - ص ٧٦٧.

ذلك فيكون من باب رواية الأكابر عن الأصاغر، ونجد أن الصحابة لا يحول بينهم وبين تطبيق السنة النبوية الشريفة إلا سماعها فإذا سمعوها سلموا تسليماً أو تحسروا على عدم سماعهم وعلمهم به من قبل^(١)، ومن أمثلة ذلك:

١. ما رواه الطبراني بسنده عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "كَلِمَتَانِ إِحْدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نَاهِيَةٌ دُونَ الْغُرَشِ، وَالْأُخْرَى تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ"، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَابْنِ أَبِي عَمْرَةَ: أَلَيْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ حَتَّى اخْتَضَبَتْ لِحْيَتُهُ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هُمَا كَلِمَتَانِ تَعْلَقُهُمَا وَتَأَلَّفُهُمَا"^(٢).

٢. وما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ الْأَزْرَقِ^(٣) كَانَ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ بِالسُّوقِ فَمَرَّ بِجَنَازَةٍ يُنْكِي عَلَيْهَا - قَالَ - فَقَابَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ وَاتَّهَرَهُنَّ قَالَ فَقَالَ سَلَمَةُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَشْهَدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ لَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِجَنَازَةٍ وَأَنَا مَعَهُ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - وَنِسَاءٌ يَبْكِينَ عَلَيْهَا فَرَبَّرَهُنَّ عُمَرُ وَاتَّهَرَهُنَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - : «دَعْنِي يَا عُمَرُ فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ، وَالنَّفْسَ مُصَابَةٌ، وَالْعَهْدَ حَدِيثٌ». قَالُوا: أَلَيْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ مَرَّتَيْنِ^(٤).

٣. وما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أيضاً يدل على مدى حرصه الشديد وتنبهته القوي وأخذه عن دونه فقد حدثه عطاء بن يسار^(٥) عن ابن مسعود عن النبي - ﷺ - قال: "يكون أمراء.... الحديث" قال عطاء: فحدثت ابن عمر فقال: أنت سمعته؟ قلت نعم، وهو سألني، فما يمنعك أن تعود؟ فأنطلق، فقال: حدثني هذا عنك، فقال: نعم حدثته، فلما خرجنا فقال: ما كان ابن أم عبد^(٦) ليكنذب على النبي ﷺ^(٧).

(١) حسبان، تثبت الصحابة في الرواية، ص ٢٣.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ١٦٠، وقال المنذري في "الترغيب والترهيب"، م ٢، ص ٤٣٤، "رواه إلى معاذ بن عبد الله ثقات سوى ابن لهيعة، ولحديثه هذا شواهد"، ومعنى "تعلقهما": أي تحبهما ونلزمهما، انظر المنذري: الترغيب والترهيب من الحديث، كتاب قراءة القرآن، م ٢، ص ٤٣٤.

(٣) سلمة بن الأزرق، حجازي، مقبول، من الثالثة. (س ق)، انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، رقم الترجمة ٢٤٨٣، ص ٢٤٣.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب سياق أخبار تدل على جواز البكاء بعد الموت، ج ٤، ص ٧.

(٥) عطاء بن يسار: الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة: ثقة فاضل صاحب مواظ وعيادة، من صفار الثانية، مات سنة أربع وتسعين، وقيل بعد ذلك، ٤. انظر ابن حجر تقريب التهذيب، ترجمة رقم ٤٦٠٥، ص ٤٣١.

(٦) ابن أم عبد هو: عبد الله بن مسعود.

(٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، كتاب التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ٥، ص ٣٤٨ - ٣٤٩، ونسب الكتاب إلى أبي محمد البخاري خطأ في مطبعتي دار الكتب العلمية ودار الفكر.

المطلب الخامس: مظاهر تثبت التابعي من الصحابي

لقد سلك التابعون مسلك التثبت والتحري من الراوي حتى لو كان صحابياً، وقد مر معنا كيف أن أبا موسى الأشعري وأبي بن كعب وغيرهما - رضي الله عنهم - غضبوا لتشديد عمر في خبر أبي موسى في الاستئذان، وهؤلاء صحابة يستثبت بعضهم بعضاً، فما بالك باستيثاق التابعين منهم؟!، لذلك كان جواب الصحابة - رضي الله عنهم - وردة فعلهم إذا استوتقوا من قبل التابعين ما يلي:

١. إما أن يستهجن السؤال ويغضب.
 ٢. أو يدعو على نفسه إن لم يكن سمع.
 ٣. أو يؤكد سماعه للحديث مرات عديدة.
 ٤. أو يجيب على قدر السؤال، أو غير ذلك مما لم يظهر لي.
- ومعروف ومعلوم - كذلك - أنه لما وقعت الفتنة الكبرى ظهر ما لم يكن موجوداً من خصال حادت عن الاستقامة كالكذب والتعصب لأشخاص وغيرها، وهناك من الصحابة - رضي الله عنهم - من أدرك هذه الفتن والحوادث كأنس - رضي الله عنه - حيث عاش حياته سنة ٩٣هـ، لذلك ربما أدى التثبت من الصحابي من قبل التابعي إلى إثارة غضب الصحابي^(١)، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك ما يلي:
- أخرج الحاكم بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه حدث بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رجل: أنت سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟. فغضب غضباً شديداً وقال: والله ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً، ولا يتهم بعضنا بعضاً^(٢).
 - وأخرج ابن المبارك أن رجلاً قال لأنس: أنت سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم، أو حدثني من لا يكذب، والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب!!^(٣).
 - وعن سهل بن حنيف قال: قال أبي قلت لأنس بن مالك: يا خال، إن الناس ليسوا بالناس الذين كنت تعهد؛ إنما هم الذئاب عليهم الثياب فاحذرهم، قال: أما والله لئن قلت ذلك لقد رأيتني منهم هنيهة أني أحدثهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديث فيقولون: أنت سمعته بأذنك!^(٤).

(١) حسان، تثبت الصحابة من الرواية، ص ١٨ - ١٩.
(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحيحین، کتاب معرفة الصحابة، ذکر أنس بن مالک الأنصاري رضي الله عنه، ج ٤، حديث رقم ٦٥٧٤، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، وسقط هذا الحديث من التلخيص.
(٣) ابن المبارك، مسند ابن المبارك، ص ١٤٤، وذكره الهيثمي في 'مجمع الزوائد ومنبع الفوائد'، ج ٥، ص ٥٢. وقال: رجاله ثقات.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٤.

- وأخرج الحاكم بسنده عن البراء - رضي الله عنه - أنه قال: "ليس كلنا سمع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس كانوا لا يكذبون يوماً فيحدث الشاهد الغائب"^(١).
- إذن فليس من الغريب أن يستهجن الصحابي على التابعي استيثاقه وثبته منه، لأنهم ما كانوا يكذبون أو يعرفون الكذب^(٢).
- وأخرج الإمام أحمد بسنده عن ثابت البناني قال: سألت ابن عمر: عن نبيذ الجر فقال: حرام. فقلت: أنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: زعموا ذلك! قلت: النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عنه؟ قال: زعموا ذلك! قلت: سمعته أنت؟ قال: زعموا ذلك! قال: فصرفه الله عني يوماً. وكان إذا قيل لأحدهم: أنت سمعته غضب^(٣).
- وما أخرجه البزار بسنده عن أبي مروان أنه دخل على أبي ذر في رجال من أسلم فيهم رجل من جهينة فسأله أبو ذر: ما جاء بكم؟ قالوا: جئناك لنسلم عليك، ونسمع منك، قال: أفلا أبشركم؟! قالوا: بلى! قال: من لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر له وإن كان عليه ملئ الأرض ذنوباً. فقال الجهني: أنت سمعته من رسول الله؟! فسبح أبو ذر، ثم قال: أو ينبغي لامرئ مسلم أن يقول على رسول الله ما لم يقل! ثم قال: السلام عليكم، ونهض^(٤).
- وحدث أبو سعيد الخدري يوماً بحديث فقال له رجل: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب غضباً شديداً، ثم قال: أحدثكم بغير ما سمعت! من كذب على رسول الله بني له أو نبأ مقعده من النار^(٥). شك فضيل (أي الراوي).
- وقال هسان بن كاهن: جلست مجلساً فيه عبد الرحمن بن سمرة ولا أعرفه، فقال: حدثنا معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما على الأرض نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً، وتشهد أني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر لها". قلت: أنت سمعته من معاذ؟ قال: فعنفني القوم! فقال: دعوه فإنه لم يسيء القول، نعم سمعته من معاذ، زعم أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦).
- ومنه ما أخرجه ابن حبان بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي قال: "سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أدركه الصبح جنباً

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، باب هذه أخبار صحيحة في الأمر بتوقيف العالم عند الاختلاف إليه والقعود بين يديه مما لم يخرجاه، ج ١، ص ٤٩، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال: على شرطهما.

(٢) حسان، ثبت الصحابة في الرواية، ص ١٩.

(٣) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤٧، وأبو عوانة في مسنده، ج ٥، ص ٦٣ واسناده صحيح.

(٤) البزار، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، ج ٩، ص ٤٣٦.

(٥) ابن الجعد، علي بن الجعد، مسند ابن الجعد، تحقيق عامر حيدر، مؤسسة نادر - بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠٢، سند حسن.

(٦) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب فض الإيمان، حديث رقم ٢٠٣، ج ١، ص ٤٣٢ - ٤٣٣. وقال شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح.

فلا صوم له) فانطلقت أنا وأبي فدخلنا على أم سلمة و عائشة زوجي النبي - ﷺ - فسالناهما فأخبرتانا أن رسول الله - ﷺ - كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم فدخلنا على مروان بن الحكم فأخبرناهما بقولهما ويقول أبي هريرة فقال مروان : عزمت عليكما إلا ذهبتما إلى أبي هريرة فأخبرتماه فلقينا أبا هريرة وهو عند باب المسجد فقلنا له : إن الأمير عزم علينا في أمر نذكره لك قال : وما هو ؟ فحدثه أبي فتلون وجه أبي هريرة وقال : هكذا حدثني الفضل بن العباس وهو أعلم قال الزهري : فجعل الحديث إلى غيره ^(١).

ومنها: التثبت من حفظ الراوي عنه

فلا يكفي عند الصحابي أن يكون ثبتاً في روايته، بل يحرص أن يكون الراوي عنه قد وعى وحفظ عنه ما روى، وههنا نموذج في غاية الروعة جرى بين تابعي وأعرابي، وقد رجحت أن يكون صحابياً لأنه حج ستين حجة ولو لم يكن كذلك فلا يعدم الخبر من فائدة ^(٢).

حيث أخرج الإمام أحمد بمسنده عن إسماعيل بن أمية سمعه من شيخ فقال مرة سمعته من رجل من أهل البادية أعرابي سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله - ﷺ - ومن قرأ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ (المرسلات:

١) فليقل ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات: ٥٠). ومن قرأ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ (التين:

١). فليقل ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٦). ومن قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِمَقْدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ

لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ (القيامة: ٤٠). فليقل بلى قال إسماعيل فذهبت أظنر هل حفظ وكان أعرابياً فقال يا ابن أخي أظننت أنني لم أخفظه لقد حججت ستين حجة ما منها سنة إلا أعرف البعير الذي حججت عليه.

وربما دعا الصحابي على نفسه إن لم يكن سمع ذلك من رسول الله - ﷺ - حتى يتيقن التابعي من ذلك: ومن أمثلة ذلك:

ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن سعيد بن المسيب ^(٣)، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ^(٤) عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ - «أَلَتِ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الصوم، باب صوم الخميس، حيث رقم ٣٤٩٩، ج ٨، ص ٢٧٠، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٢) حسان، تثبت الصحابة في الرواية، ص ٢.

(٣) هو الإمام أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أحد التابعين، فقيه أهل المدينة (ت ١٥٠هـ) على رأي أكثر المحققين. انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥٤ - ٥٦، وانظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) هو عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، كان ثقة، مات سنة (١٠٤هـ) انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٨٧.

بَعْدِي .» قَالَ سَمِعْتُ فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَضَافَ بِهَا سَعْدًا فَلَقِيتُ سَعْدًا فَحَدَّثَنِي بِمَا حَدَّثَنِي غَامِرٌ فَقَالَ أَنَا سَمِعْتُهُ . فَقُلْتُ
أَلَمْ تَسْمَعْهُ فَوَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى أُذُنِهِ فَقَالَ نَعَمْ وَإِلَّا فَاسْتَكْتَأَ .^(١) أي صمتا .

وربما أكد الصحابي سماعه للحديث الشريف بيان عدد مرات سماعه، ومن أمثلة ذلك:
ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي غالب قال: " رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على
درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة كلاب النار شرقتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم
قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ^(٢) . إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من
رسول الله ﷺ قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا حتى عد سبعا ما
حدثتكموه " ^(٣) .

وما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما: أن النبي - ﷺ - خطب فقال: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ
أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جَعَلَ غَايَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيَصِيبُ آخِرَهَا
بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْتَقِي بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي . ثُمَّ تَنْكَشِفُ
وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ . فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرْ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْيَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفَقَةً يَدِهِ وَتَمَرَةً قَلْبِهِ
فَلْيَطِغْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ » . فَذَنُوتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَشْذُكَ اللَّهُ أَلَمْ تَسْمَعْ
هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِي وَقَلْبِي بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعْتُهُ أَذْكَأَى وَرَوَّعَاهُ قَلْبِي .
فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَتَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا) قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطِغُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاغْصِيهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ^(٤) . ومن المعروف أن
الإنسان لا يسمع إلا بأذنيه، وإنما أراد تأكيد الحفظ والسماع .

وكان علي - عليه السلام - إذا سئل عن حديث سمعه، وأراد السائل أن يتوثق منه فإنه كان
يحلف، ومن ذلك لما روى الحديث الذي فيه ذكر الخوارج قال له عبيدة السلماني: أنت سمعته
من محمد ﷺ قال: " إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ " ^(٥) .

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب، حديث رقم ٢٤٠٤، ص ٦١٨، ومعنى
فاستكثنا: أي صمتا، انظر النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١، ص ٢٢٢ .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٦) .

(٣) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم ٣٠٠٠، ص ٤٧٩، قال أبو عيسى: هذا
حديث حسن، قال الألباني: حسن صحيح .

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، حديث رقم ١٨٤٤، ص ٤٨٦ .

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم ٦٦، ص ٢٥٤ .

ومنه ما ورد عن عبد الله بن سلمة قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: أوتي نبيكم مفاتيح كل خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٨٤). قال: فقلت: أنت سمعته عن عبد الله؟ قال: نعم أكثر من خمسين مرة^(١). فهذا يدل على مقدار تحديث ابن مسعود لهذا الحديث وتبليغه له.

وربما أجاب الصحابي التابعي من غير أن يغضب، ومن غير أن يؤكد بأكثر من الإجابة على قدر السؤال، وعلى الغالب يكون الصحابي غير مشهور بالرواية^(٢)، ومن أمثلة ذلك:

- ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن سماك عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَابَيْنِ". وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَسْمَعْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ نَعَمْ^(٣).

- ما أخرجه ابن حبان في صحيحه بسنده قال: "جلست إلى قوم أنا رابعهم، فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: سَوَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: سَوَايَ. قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا قَامَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ الْجَدْعَاءِ، أَوْ ابْنُ أَبِي الْجَدْعَاءِ^(٤).

- ومثله ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن شهاب بن مذلج أنه "نَزَلَ الْبَادِيَةَ فَسَابَ ابْنُهُ رَجُلًا فَقَالَ يَا ابْنَ الْأَدِيِّ تَعَرَّبَ بِهَذِهِ الْهَجْرَةِ فَأَتَى شِهَابَ الْمَدِينَةِ فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَمِعَهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَفْضَلُ النَّاسِ رَجُلَانِ رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَهْبِطَ مُوضِعًا يَسُوءُ الْعُدُوَّ وَرَجُلٌ بِنَاحِيَةِ الْبَادِيَةِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَيُؤَدِّي حَقَّ مَالِهِ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ فَنَجَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ قَالَ أَلَمْ تَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ لَهُ قَالَ نَعَمْ فَأَتَى بَادِيَتَهُ فَأَقَامَ بِهَا"^(٥).

(١) الشاشي، الهيثم بن كليب، مسند الشاشي، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ٢، ص ٣٠٧. وإسناده حسن.

(٢) حسان، ثبت الصحابة من الرواية، ص ٢٢.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأثرها الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل يتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٧٤٤٦، ص ١٣٩٢-١٣٩٣.

(٤) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب أخبار ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر البيان بأن الشفاعة في القيامة قد تكون لغير الأبناء، ج ١٦، حديث رقم (٧٣٧٦)، ص ٣٧٦ وإسناده صحيح.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٥٢٢، وإسناده حسن.

- ومنه ما أخرجه الترمذي عن أبي السفر قال: "دق رجل من قريش سنّ رجل من الأنصار... فقال الأنصاري: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال سمعته أني ووعاه قلبي. قال: فإني أنرها له. قال معاوية: لا جرم لا أخيك، فأمر له بمال"^(١).
- ومنه ما ورد عن نافع أنه قال: "انطلقت أنا وابن عمر إلى أبي سعيد فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: سمعته أني هاتان يقول: "لا تبيعا الذهب بالذهب... الحديث"^(٢).
- ومنه ما أخرجه مسلم بسنده عن خزيمة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال: "سَمِعْتُ مِنْهُ حَدِيثًا فَأَعْجَبَنِي فَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ فَأَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا لَمْ أَسْمَعْ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَا تَشْدُوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى... الحديث"^(٣).
- والأمثلة على ذلك كثيرة جداً اكتفيت ببعضها؛ لتسليط الضوء على مقدار تثبت التابعين للحديث من الصحابة - رضى الله عنهم - الذين أقروهم على هذا المظهر.

المطلب السادس: تثبت الصحابة عند السماع

قد يبدو الأمر غريباً أن يتثبت الصحابي من النص النبوي الشريف، خاصة ونحن نعلم أنه - رضى الله عنه - قد أوتي جوامع الكلم، وربما كرر كلامه على إيجازه، وتكلم مع كل أحد بلهجته، وغيرها من الأساليب النبوية الشريفة في التربية والتعليم.

لكن إنما يكون التثبت من الصحابي إذا دهش من الخبر، أو جاء الخبر على خلاف ما يظن، بل أن جبريل عليه السلام علم الصحابة التثبت من الخبر في حديثه المشهور في السؤال عن الإيمان والإسلام... حيث كان يسأل النبي - ﷺ - ثم يقول: صدقت، حتى قال بعض الصحابة فعجبنا له يسأله ويصدق^(٤).

وليس المقصود بتثبت الصحابي هنا أن أحداً من الصحابة شك بأداء النبي - ﷺ - للأمانة قرآناً وسنة، حاشا وكلا فهذا كفر؛ بل المقصود هو دهشة وتعجب الصحابي من الخبر مما يدعوه إلى السؤال، والاستفسار عن فحوى الخبر، أو ما يترتب عليه، وسؤال الصحابي للرسول - ﷺ - سؤالان أحدهما: سؤال مترتب على الخبر النبوي، والثاني: سؤال غير مرتبط بالخبر النبوي، والنوع الأول هو موضوعنا ومقصودنا في هذا المطلب^(٥)، وإليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في العفو، حديث رقم ١٣٩٣، ص ٢٤٥، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلى من هذا الوجه ولا أعرف لأبي السفر سماعاً من أبي الرداء، قال الألباني: ضعيف.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في العرف، حديث رقم (١٢٤١)، ص ٢٢٠. قال الألباني: صحيح.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب منفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم ٨٢٧، ص ٣٣٠.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى وبيان السدائل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، حديث رقم (٧)، ص ١٦.

(٥) حسان، تثبت الصحابة من الرواية، ص ٩ - ١٠.

حرص الصحابة - ؓ - عند أداء الحديث النبوي الشريف على أن يؤدوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان، ولكنهم حينما كانوا يشكوا في لفظة من اللفظات كانوا يقولون بعد أدائه عبارة تدل على كمال التحوط، وغاية التثبت والتحري، ومن أمثلة ذلك قولهم: "مثله، نحوه، شبيه به، أو كما قال رسول الله ﷺ" وغيرها من العبارات، ومن الأمثلة الكثيرة التي تدل على ذلك ما يلي:

١. ما أخرجه ابن ماجه بسنده عن عمرو بن ميمون ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا آتته فيه . قال لما سمعته يقول بشيء قط قال - ؓ - وسلم فلما كان ذات عشية قال : - قال رسول الله ﷺ (قال فنكس . قال فنظرت إليه فهو قائم محللة أزرار قميصه قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه . قال أو دون ذلك . أو فوق ذلك . أو قريبا من ذلك . أو شبيها بذلك" (١).
٢. وما أخرجه ابن ماجه أيضاً بسنده عن أنس بن مالك - ؓ - أنه كان "إذا حدث عن رسول الله - ؓ - حديثاً ففرغ منه قال أو كما قال رسول الله ﷺ" (٢).
٣. وما أخرجه الدارمي بسنده عن أبي الدرداء أنه كان "إذا حدث بحديث عن رسول الله ﷺ قال: هذا ونحوه أو شبيهه أو شكله" (٣). وفي رواية أخرى "كان أبو الدرداء إذا حدث حديثاً قال: اللهم إلا هكذا أو كشكله" (٤).
٤. وما أخرجه ابن حبان بسنده عن أبي هريرة - ؓ - عن النبي - ﷺ - أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب عنده: غلبت، أو قال: سبقت رحمتي غضبي، قال: فهي عنده فوق العرش" أو كما قال (٥).
٥. وما أخرجه البيهقي بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "رفعت امرأة ابناً لها في محفة ترضعه في طريق مكة فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر أو كما قال" (٦).
٦. وما أخرجه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري - ؓ - قال: قال رسول الله ﷺ ... وإن هذا المال خضر... أو كما قال رسول الله ﷺ" (٧).

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقنمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٣)، ص ٢١ وقال الألباني: صحيح.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقنمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٤)، ص ٢١ وقال الألباني: صحيح.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، باب من هاب الفتيا مخافة السقط، ج ١، ص ٨٣.

(٤) الدارمي، سنن الدارمي، باب من هاب الفتيا مخافة السقط، ج ١، ص ٨٣.

(٥) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، حديث رقم ٦١٤٤، ص ١٣، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط البخاري، رجاله رجال الشيخين غير أحمد بن المقدم، فمن رجال البخاري، أبو رافع: هو نافع الصائغ.

(٦) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحج، باب حج الصبي، م ٥، ص ١٥٥.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث رقم ١٠٥٢، ص ٢٤٩.

٧. وما أخرجه الطبراني بسنده عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى الغداة فله ذمة الله" أو كما قال^(١).
٨. وما أخرجه أبو يعلى الموصلي بسنده عن أبي برزة أن رسول الله - ﷺ - قال: "من صاحب الجارية؟ لا تصحبنا راحلة أو بعير عليها لعنة من الله" أو كما قال^(٢).
٩. وما أخرجه البيهقي بسنده عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أنطاك الله ذلك كله وأعطاك ما احتسبت أجمع أو كما قال"^(٣).
- وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي هي أصعب من أن تحصى التي تدل دلالة واضحة على تثبت الصحابي عند أداء حديث رسول الله ﷺ.

المبحث الرابع

الضبط أسبابه، ومقاييسه، وكيفية معرفته

تمهيد

كان سعي الصحابة على المعاش يشغلهم عن المدوامة على حضور مجالس الرسول - ﷺ - ولقائه فقد كانوا يسعون إليه إذا وجدوا أدنى فراغ مما هم في سبيله، وقد تفاوت تبعاً لذلك ما عندهم من الحديث^(٤).

يقول ابن تيمية: "إن الإحاطة بحديث رسول الله - ﷺ - لم تكن لأحد من الأئمة، وقد كان النبي - ﷺ - يحدث أو يفتي أو يقضي، أو يفعل الشيء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً، ويبلغه أولئك أو بعضهم لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثم في مجلس آخر قد يحدث أو يفتي أو يقضي أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس، ويبلغونه لمن أمكنهم، فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء، ما ليس عند هؤلاء، وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة، ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله - ﷺ - فهذا لا يمكن ادعاؤه قط"^(٥).

ولأجل ذلك كله فقد أدى هذا السبب وغيره إلى الوهم عند الصحابة - رضي الله عنهم - وإليك أهم هذه الأسباب:

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) أبو يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١٣، حديث رقم ٧٤٢٨، ص ٤٢٤.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب فضل بعد المشي إلى المسجد وما جاء في احتساب الآثار، م ٣، ص ٦٤.

(٤) زغلول، المسند والمختار في الحديث النبوي، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٥) ابن تيمية، أحمد، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، [ط: بدون]، ١٣٩٦هـ، ص ٦.

المطلب الأول: أسباب الوهم عند الصحابة

كان الصحابة -رضي الله عنهم- يسمعون الحديث ويتلقونه مباشرة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأحياناً يأخذونه عن بعضهم بعضاً؛ لأسباب عديدة ذكرت في الفصل الثالث، ونادراً ما يأخذونها عن التابعين. لذا، كانوا لا يخرجون من الأخذ عن بعضهم بعضاً، ونسبة ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- دون ذكر اسم الصحابي الذي كان واسطة في الرواية، أو الإشارة إليه إلا نادراً، وقد بحث العلماء مراسيل الصحابة وقبلوها؛ لأنَّ الصحابة كلهم عدول لا يهتمون في الكذب على رسول الله ﷺ.

وقد كان الصحابة شديدي التمسك بما سمعوه من النبي ﷺ، أو أخذوه من فعله مباشرة دون واسطة، إذ لا يداني هذه الرواية أية رواية أخرى، في قوة الثبوت والتأكد، وقد يقع للصحابي أن يسمع من صحابي آخر حديثاً عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيتوقف فيه، حيث لا يراه منسجماً مع ما فهمه من معاني القرآن الكريم، وما سمعه هو من الرسول ﷺ، وهنا إما أن يتوقف الصحابي في الرواية مجرد توقف، وإما أن ينكرها إطلاقاً، حملاً على سهو الناقل وخطئه ووهمه^(١)، ومن هنا فقد بدأ نقد المتن معتمداً على ما حدث عند بعض الصحابة من وهم في بعض نصوص الحديث النبوي الشريف^(٢)، وذلك لأسباب عدة.

ولقد عزا صلاح الدين الإدلي أسباب وقوع الوهم في رواية الصحابي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كتابه "منهج نقد المتن عند المحدثين" إلى الأسباب التالية:

١. أن يحدث بما سمعه من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يدري أنه منسوخ.
 ٢. أن يقع له انقلاب بين شيئين أو لفظين، فيجعل كل واحد منهما مكان الآخر، وهذا هو "المقلوب".
 ٣. أن يقول مع رواية الحديث قولاً من عند نفسه، متصلاً بنص الحديث، فيظنه السامعون أنه مرفوع، وهذا هو "المدرج".
 ٤. أن يروي الحديث في مورد يجعله يتحملة من المعنى أكثر مما يحتمل.
 ٥. أن لا يضبط لفظ الحديث بحيث يختلف المعنى.
 ٦. أن يروي الحديث على غير وجهه لغفلته عن سبب الورد.
 ٧. أن يقع له غلط فيروي وأهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما لم يسمعه منه^(٣).
- قلت: وقد ذكر الأدلي هذه الأسباب دون أن يذكر لها أمثلة تطبيقية، وكذلك فإن بعض هذه الأسباب لا يمكن أن تعد وهماً من الصحابي في ذات الرواية.

(١) الأدلي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ١٠٥.

(٢) زغلول، السند والمتن في الحديث النبوي، ص ١٠٨.

(٣) الأدلي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ١٠٦.

ومن الأسباب التي لا تعد وهماً من الصحابي في ذات الرواية السبب الأول، إذ أن الصحابي قد أدى الرواية كما هي دون زيادة أو نقصان ولم يخطئ فيها، أما كونها منسوخة فهذا أمر آخر خارج نطاق البحث، فالوهم شيء والنسخ شيء آخر، على أن الشحات زغلول ذهب إلى ما ذهب إليه صلاح الدين الأديبي، من أن النسخ وهم من أوهام الصحابة وعده فقال: "وربما غاب عن أحدهم خبر نسخ ما يحدث به، فتسمك به، فلما علم خبر النسخ ممن بلغه رجع عن قضائه، ولزم ما علم"^(١).

والسبب الرابع لا يتعلق بوهم الصحابي في الرواية، وإنما بفهمه لمعناها، وفرق بين الاثنين^(٢)، فاختلاف الإفهام وتفاوتها شيء وأداء الرواية شيء آخر. قلت: ويمكن أن يقع الوهم للصحابة - ﷺ - للأسباب التالية:

أولاً: النسيان وعدم الحفظ

إن الصحابة - ﷺ - يعترهم الخطأ، والوهم، والنسيان، لأنهم بشر والطبيعة البشرية تقتضي ذلك ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه مسلم بسنده إلى يزيد بن حيان قال: " انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله - ﷺ - وسمعت حديثه وعزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله - ﷺ - قال - يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله - ﷺ - فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوه"^(٣).

٢. وما ورد عن أنس بن مالك - ﷺ - أنه قال عندما سئل عن مسألة: "سلوا مولانا الحسن فإنه غاب وحضرنا، وحفظ ونسينا"^(٤).

٣. وقول عمر - ﷺ - في حق فاطمة بنت قيس في مسألة السكنى والنفقة: " لا تترك كتاب الله وسنة نبينا - ﷺ - لقول امرأة لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة"^(٥). قال

تعالى: ﴿لَا تَجْرُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١)، فعمر لم يكذب الصحابة، وإنما توقع نسيانها، والنسيان يعرض لكل أحد.

(١) زغلول، السند والمتن في الحديث النبوي، ص ١٠٨ - ١١٠.

(٢) الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٥١.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (٢٤٠٨)، ص ٦١٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ولا سكنى، حديث رقم ٣٧٠٣، ص ٧٥.

٤. وما أخرجه البخاري^(١) ومسلم واللفظ له، عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ" فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَوْ أَخْطَأَ.. إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى يَهُودِيَةٍ يُنْكِي عَلَيْهَا فَقَالَ «إِنَّهُمْ لَيَكُونُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ لِي قَبْرِهَا»^(٢). وفي رواية أخرى: "رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ وَهُمْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ «أَنْتُمْ تَكُونُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ»^(٣).

٥. ومنه نسيان الفاروق لحديث التيمم من الجنابة إذا لم يوجد الماء، وقد علمه عمران من حصين وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري -ﷺ- وقد ذكره عمار ولم يتذكر، فقد أخرج النسائي سنده عن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه "أن رجلاً أتى عمر فقال إني أجنب فلم أجد الماء قال عمر لا تصل، فقال عمار بن ياسر... الحديث"^(٤)، وفي رواية "قال عبد الله أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار"^(٥).

إذن كان هدف الفاروق ومقصده أن ينبه عماراً لئلا يذكر الأحكام إلا عن تحفظ، وفي الوقت نفسه فإنه لم يقطع بخطئه وإن لم يذكره، فجوز عليه الوهم، وعلى نفسه النسيان^(٦)، يقول ابن تيمية: "فهذه سنة شهدا عمر ثم نسبها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عماراً، بل أمره أن يحدث به"^(٧).

قلت: وهذا قمة الاحتياط والتثبت من عمر، إذ قضى على نفسه بالنسيان، ولم يمنع عماراً من التحديث به، خوفاً على عدم نشر سنة المصطفى -ﷺ- وإنما قال له: نوليكَ ما توليت.

وعند الصنعاني قال: "أما تذكر إذ أنا وأنت بأرض كذا نرعى الإبل فتعلم أنني أجنب، قال: نعم، فتمعكت في التراب، فنكرت ذلك للنبي ﷺ، فضحك، وقال: إن كان ليكيفيك من ذلك الصعيد، وضرب بيديه الأرض ثم نفخها، ثم مسح بها على وجهه وذراعيه إلى قرب من نصف الذراع؟ فقال عمر: اتق الله يا عمار، قال: فقال عمار: فيما عليّ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي -ﷺ- يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، حيث رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٧، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٢١٠١، ص ٤١٢.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه، حديث رقم ١٠٩، ص ٤١٤.

(٤) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب التيمم في الحضر، حديث رقم (٣١١)، ص ٤٨، وقال الألباني: صحيح.

(٥) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب تيمم الجنب، حديث رقم (٣٢٠)، ص ٥٠، وقال الألباني: صحيح.

(٦) زغلول، المسند والمتن في الحديث النبوي، ص ١٥٩.

(٧) ابن تيمية، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص ٢٦.

لك من حق يا أمير المؤمنين إن شئت إلا أنكره ما حييت، فقال عمر: كلا والله، ولكن أوليك من أمرك ما توليت" (١).

٦. ونسي عثمان رضي الله عنه (٢) وكان من أحفظ الناس للقرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ

تَلَثُّونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥)، فأمر برجم التي ولدت لستة أشهر، وهو حافظ للآية المذكورة حتى ذكر بها، فنكرها، وأمر ألا ترجم.

٧. وكان ابن عمر يقول: "اعتمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رجب، فسمعت بذلك عائشة، فقضت عليه بالسهو" (٣).

٨. ومنه ما أمر به الفاروق على المنبر بأن لا يزداد في مهور النساء على عدد نكره، فنكرته امرأة بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُنَّ إِحْدَهُنَّ وَقَطَّارًا﴾ (النساء: ٢٠) فاعترف بالحق، ورجع عن قوله، وقال: "كل أحد أفقه منك يا عمر، امرأة أصابت، وأمير المؤمنين أخطأ" (٤)، وقد كان الفاروق حافظاً لهذه الآية، ولكنه نسيها، لم يذكرها في ذلك الوقت" (٥).

وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تبين بشرية الصحابة - رضي الله عنهم - وأنه يجري عليهم ما يجري على الآخرين من الخطأ، والوهم، والنسيان. والله تعالى أعلم.

ثانياً: إساءة السمع وخطئه

ومن أمثلة ذلك:

١. ما نقدت به أم المؤمنين عائشة عمر وابنه عبد الله رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ" (٦).

فقالت: "إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ وَلَكِنْ السَّمْعُ يُخْطِئُ" (٧)، وفي رواية أخرى، قالت في ابن عمر: "وَهَلْ لِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ أَوْ بِذَلِيلِهِ وَإِنْ أَهْلُهُ لَيَكُونَنَّ عَلَيْهِ الْآنَ» (٨).

(١) الصنعاني، المصنف، ج ١، ص ٢٣٩.

(٢) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٦، ص ١٠٥.

(٣) الدهلوي، شاه ولي الله الدهلوي، الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، ضبط تحقيق وتقديم السيد الجميلي وأحمد السايح وسامي عفيفي حجازي، مركز الكتاب للنشر، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٨.

(٤) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ١٢٥.

(٥) ابن تيمية، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص ٢٨.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النواح من سنته، حديث رقم ١٢٨ - ١٢٨٧، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٢١٠٥، ص ٤١٣.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٢١١٢، ص ٤١٥.

٢. وما نقدت به أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أبا هريرة - ؓ - لما بلغها أن أبا هريرة قال: "إن رسول الله ﷺ قال: "لأن أفتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد الزنا"، وقال عليه السلام: "ولد الزنا شر الثلاثة"، وقال: "إن الميت يعذب ببكاء الحي"^(١) فقالت عائشة: "رحم الله أبا هريرة أساء سمعاً فأساء إجابة".

أما قوله "لأن أفتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد الزنا" إنها لما نزلت ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْعَقَبَةَ﴾^(١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكَرَبَةُ﴾^(١٢) (البلد: ١١-١٣). قيل يا رسول الله "ما عندنا ما نعتق إلا أن أحدنا له الجارية السوداء تخدمه، وتسعى إليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بأولاد فاعتقناهم". فقال رسول الله ﷺ: "لأن أفتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أمر بالزنا، ثم أعتق الولد". وأما قوله "ولد الزنا شر الثلاثة" فلم يكن الحديث على هذا إنما كان رجل من المنافقين يؤدي رسول الله ﷺ، فقال: "من يعذرني من فلان؟ قيل يا رسول الله "إنه مع ما به ولد زنا"، فقال: "هو شر الثلاثة"^(٢)، والله تعالى يقول: ﴿الْأَنْزِلُ وَالْأَرْزُلُ وَزَلَّتْ﴾ (النجم: ٣٨).

وأما قوله: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ" فلم يكن الحديث على هذا، ولكن رسول الله - ﷺ - مرّ بدار رجل من اليهود قد مات وأهله يبكون عليه، فقال: "إنهم ليبكون عليه وإنه يعذب"^(٣)، والله يقول: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

فهنا وصفت أم المؤمنين عائشة أبا هريرة - ؓ - بإساءة السمع، وفصله الحديثين عن سبب ورودهما مما نقلها من الخصوص إلى العموم وصوبت روايتهما^(٤).

ثالثاً: فوات سماع الصحابي للحديث النبوي الشريف من أوله

١. ما أخرجه الطيالسي بسنده حيث قال: "قيل لعائشة: أن أبا هريرة يقول: قال رسول الله - ﷺ - الشؤم في ثلاثة: في الدار والمرأة والفرس، فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة، إنه دخل رسول الله ﷺ يقول: قاتل الله اليهود يقولون: الشؤم في ثلاثة في الدار، والمرأة والفرس، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله"^(٥). وقد جاء الإنكار على وجه آخر في مسند الإمام أحمد^(٦) وهو أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: "إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله - ﷺ - كان يقول: "إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار، قال: فطار شقة منها في السماء وشقة منها في الأرض وقالت: "والذي أنزل القرآن

(١) الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركت عائشة على الصحابة، ص ١٠٨ - ١٠٩، بتحقيق رفعت فوزي.

(٢) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العتق، حديث رقم ٢٩٠٤، ج ٢، ص ٣٣٢ - ٣٣٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه: ووافقه الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العتق، حديث رقم (٢٩٠٤)، ج ٢، ص ٣٣٢ - ٣٣٣. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه: ووافقه الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٤) الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ٤٦٨.

(٥) الطيالسي، أبو داود، مسند أبي داود الطيالسي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، [ط: بدون]، ١٣٢١هـ، حديث رقم ١٥٣٧، ص ٢١٥، وقال محققه إسناده صحيح.

(٦) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤٣، حديث رقم ٦٨٨، ص ١٩٧، وقال محققه إسناده صحيح.

يقول الدكتور الشحات زغلول: "ملك الأمر إذا أن أبا هريرة، ومن شاركوه في الرواية الأولى لم يسمعوها آخر الحديث، فرووه ناقصاً، ولذلك جاء منته مبتوراً مما أحدث ما نراه من تعارض وقد قصدت عائشة في الواقع إلى: إكمال الحديث لا إلى رده"^(١).

خامساً: إرسال الصحابي

أو هو عدم سماع الصحابي للحديث مباشرة من فم رسول الله - ﷺ - إنما سمعه من صحابي آخر، أو ربما من تابعي، ومثاله:

- ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا هريرة يقص يقول في قصصه: "من أدركه الفجر جنباً فلا يصم" قال فنكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث، فذكره لأبيه فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك، فقال: فكلتاها قالت: "كان النبي - ﷺ - يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم" فانطلقنا حتى دخلنا على مروان، فذكر ذلك له عبد الرحمن، فقال مروان: "عزمت علي إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة، فرددت عليه ما يقول قال: فجننا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله؛ فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: "أهما قالتاه لك؟ قال: نعم، قال: "هما أعلم" ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن عباس، قال أبو هريرة: "سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمع من النبي - ﷺ -، قال: فرجع أبا هريرة عما كان يقول في ذلك؟"^(٢).

قال البزار في مسنده: "ولا نعلم روى أبو هريرة عن الفضل بن العباس إلا هذا الحديث الواحد وفي لفظ فقال أبو هريرة: لا علم لي بذلك، إنما أخبرني مخبر"^(٣). قال البيهقي^(٤): ورواه البخاري^(٥) مدرجاً في روايته عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، إلا أنه قال في حديثه: "قال: كذلك حدثني الفضل بن عباس وهو أعلم".

وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: ذكر ابن خزيمة أن بعض العلماء توهم أن أبا هريرة غلط في هذا الحديث الشريف، ثم رد عليه بأنه لم يغلط، بل أحال على رواية صادق إلا أن الخبر منسوخ^(٦).

(١) زغلول، السند والمتن في الحديث النبوي، ص ١٢٩.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم ٢٥٥٨، ص ٤٩٧.

(٣) البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالف العتكي، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج ٦، حديث رقم ٢١٦٦.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب من أصبح جنباً في شهر رمضان، ج ٤، ص ٢١٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنباً، حديث رقم (١٩٢٥ - ١٩٢٦)، ص ٣٧٤.

(٦) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٧.

سادساً: الرواية بالمعنى وإبدال كلمة بكلمة

ومثاله: ما نقدت به أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ابن عمر في سماع الموتى قال: "أطلع النبي - ﷺ - على أهل القليب فقال وجدتم ما وعد ربكم حقاً فليل له تدعو أمواتاً فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون" (١).

فقالت عائشة رضي الله عنها: "إنما قال النبي - ﷺ - إنيهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول لهم حق" (٢) وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل: ٨٠).

وفي رواية مسلم تصريح منها بتخطئة ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قالت عطفاً على تخطئتها إياه في حديث "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ" : وذلك مثل قوله: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَامَ عَلَى الْقَلْبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَذَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ إِيَّاهُمْ لَيْسَمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِيَّاهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ"، وقد وهل إنما قال «إِيَّاهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ». ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل: ٨٠)، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢)، يقول حين تبوءوا مقاعدكم من الثار. (٣).

فسبب نقد أم المؤمنين عائشة لابن عمر - رضي الله عنهما - ما تضمنته روايته من سماع الموتى لخطاب الرسول - ﷺ - إياهم وهو يتعارض مع ما في القرآن من التخصيص على عدم سماعهم. ونتج المعنى المستدرك عليه عن إحلال لفظة "ليسمعون" محل "ليعلمون"، وتغيير الجملة الواقعة بعدها، وعارضت أم المؤمنين - رضي الله عنها - المعنى الذي سمعته، ودعمت نقدها بأيتين تتصان على عدم سماع الموتى من يخاطبهم. وأرجعت سبب التغيير الحاصل إلى نسيان ابن عمر رضي الله عنهما (٤).

سابعاً: سقوط كلمة من الحديث

مثاله: ما وهمه بعض الصحابة ما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "صلى بنا النبي - ﷺ - العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد" (٥).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم ١٣٧٠، ص ٢٧٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم ١٣٧٠، ص ٢٧٠.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ١١٠، ص ٤١٤.

(٤) الجوابي، جهود المحققين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب قوله ﷺ تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منقوسة اليوم، حديث رقم ٥٣٧، ص ٦٤٨.

وفي رواية جابر عن النبي ﷺ "أَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ"^(١). وفي رواية أبي سعيد أنه قال: "لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ - مِنْ تَبُوكَ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ »"^(٢).

قال النووي: "هذه الأحاديث قد فسر بعضها بعضاً وفيها علم من أعلام النبوة والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة"^(٣). فلم يكن قصده - ﷺ - أن يحدد نهاية العالم؛ لأن الله وحده هو الذي يعلم ذلك وقوله "لا يبقى ممن هو اليوم" على ظهر الأرض أحد قد أوضح مقصوده، غير أن بعض الصحابة لم يفتنوا إلى تقييده - ﷺ - بمن هو على ظهرها "اليوم" فظنوه على إطلاقه، وأن الدنيا تنتهي بعد مائة سنة، فنبههم ابن عمر، كما نبههم جابر إلى القيد في لفظه - ﷺ - وبين لهم المراد والمقصود منه^(٤).

قال ابن قتيبة: "إن هذا الحديث قد أسقط الرواة منه حرفاً إما لأنهم نسوه، أو لأن رسول الله - ﷺ - أخفاه فلم يسمعه، ونراه بل لا نشك أنه قال: لا يبقى على الأرض منكم نفس منفوسة يعني ممن حضره في ذلك المجلس، أو يعني الصحابة فأسقط الراوي منكم"^(٥)، وقال ابن بطلال: "إنما أراد رسول الله - ﷺ - أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة"^(٦). ثامناً: أن يقع له انقلاب بين شيئين أو لفظين، فيجعل كل واحد منهما مكان الآخر، (المقلوب).

مثاله: ما رواه النسائي بسنده عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال: "إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم"^(٧).

وروى البيهقي بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قال: "قال رسول الله - ﷺ - إن ابن أم مكتوم رجل أعمى فإذا أذن فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال قالت عائشة وكان بلال يبصر الفجر قال هشام وكانت عائشة تقول غلط ابن عمر"^(٨).

فهنا نلاحظ أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ردت رواية ابن عمر - رضي الله عنه - وقدمت ما تعلمه صحيحاً في موضوعها وحجتها وسندها في ذلك: أن ابن أم مكتوم

(١) المصدر السابق نفسه، حديث رقم ٥٣٨، ص ٦٤٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، حديث رقم ٢٥٣٩، ص ٦٤٦.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ٨م، ج ١٦، ص ٩٠.

(٤) زغلول، السند والمتن في الحديث النبوي، ص ١٠٩.

(٥) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٦٧.

(٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٢٢.

(٧) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي، كتاب الأذان، باب المؤذن للمسجد الواحد، حديث رقم ٦٣٧، وقال

الألباني: صحيح.

(٨) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب القدر الذي كان بين أذان بلال وابن أم مكتوم، م ١، ص ٣٨٢.

أعمى لا يبصر ضوء الفجر في حين أن بلالا كان مبصراً، ففي وسعه ومقدرته أن يلحظ الفجر دون عناء ومشقة؛ ولذلك فهو أولى بأذان الفجر بخاصة حيث تبنى عليه أحكام^(١)، ويقوي ذلك حديث أنيسه قالت: "قال رسول الله - ﷺ - إذا أذن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا وإذا أذن بلال فلا تأكلوا ولا تشربوا"^(٢).

تاسعاً: أن يروي الحديث على غير وجهه لغفلته عن سبب الورود^(٣).

وهو أن يظن الصحابي بالحديث معنى، ويراد به شيئاً آخر لغفلته عن سبب الورود أو لظنه عدم أهميته فيقع بالوهم من حيث لا يدري، وهو غير النسيان، والله أعلم.

مثاله: ما وهمت به أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ابن عمر في حديث "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"^(٤). فبينت وجه الصواب وقالت: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله - ﷺ - على يهودية يبكي عليها، فقال: أنهم لي يكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها"^(٥).

فهنا نلاحظ بأن عائشة - رضي الله عنها - قضت على ابن عمر باختلاف ضبطه وبأنه وهم بأخذ الحديث على وجه، فظن أن العذاب معلول للبكاء وظن الحكم عاماً على كل ميت^(٦).

وقول أم المؤمنين "حسبكم القرآن" لا يعني أنها تكتفي بالقرآن عن السنة، هذا محال، لكنها تريد أن القرآن الكريم يكفي دليلاً على تخطئة راوي هذا الحديث الشريف بهذا اللفظ، ذلك أن ناقله لم يأت به كاملاً كما قاله النبي - ﷺ - بل روى بعضه مما أوقع في هذه المعارضة لكتاب الله تعالى، وجعل عائشة ترد عليه بيان النص الكامل الذي تلفظ به النبي - ﷺ - وبأن الحديث بذلك النص المنقوص يخالف كتاب الله تعالى، وما خالف كتاب الله تعالى فأولى بالمؤمنين أن يدعوه ويعلموا أنه ليس كلام رسول الله - ﷺ ^(٧).

قلت: ولعل الناظر في هذه الأمثلة يجد أم المؤمنين من أكثر الصحابة - رضي الله عنهم - انتقاداً؛ وذلك لكونها من الصحابة الفقهاء.

عاشراً: إختلاف الأفهام عن النبي ﷺ

مثاله: ما أخرجه أبو داود في سننه من رواية سهل بن أبي خيثمة - ﷺ - أن نفراً من قومه انطلقوا إلى خير، فتفرقوا فيها، فوجدوا أحدهم قتيلاً ... الحديث^(٨).

(١) زغلول، السند والمتن في الحديث النبوي، ص ١١٣ - ١١٤.
(٢) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسنن النعماني، كتاب الأذان، باب هل يؤننان جميعاً أو فرادى، حديث رقم ٦٤٠، وقال الألباني: صحيح.
(٣) الألباني، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ١٠٦.
(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٢٠١٠، ص ٤١٢.
(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٩٣٢، ص ٢٢١.
(٦) الدهلوي، الإتصاف في بيان سبب الاختلاف، ص ١٩.
(٧) الدائني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٤.
(٨) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب النيات، باب في ترك اللقود بالقسامة، حديث رقم ٤٥٢٣، ص ٤٩٥ وقال الألباني: صحيح.

وقد اعترض على روايته عبد الرحمن بن بجيد - رحمه الله - فقال: "إن سهلاً - والله - أوهم الحديث، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى يهود أنه قد وجد بين أظهركم... الحديث" ^(١). قال السهاني في: "والوهم في: أنه ذكر في رواياته: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأولياء المقتول: "تحلفون وتستحقون دم قاتلكم؟" هذا وهم من سهل بن أبي حشمة لم يسأل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحلفوا ويستحقوا دم المقتول، بل الصحيح من القصة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى يهود: "أنه قد وجد بين أظهركم قتيلاً... الحديث" ^(٢).

المطلب الثاني: مقاييس الصحابة - رضي الله عنهم - في نقد متن الحديث النبوي الشريف

تمهيد

إن الدارس لسيرة الصحابة - رضي الله عنهم - لاسيما العلماء والفقهاء منهم يجد أنهم قد ردّ بعضهم على بعض وغلط بعضهم بعضاً حينما وجدوا بعض نصوص رواها بعضهم مخالفة لبعض نصوص الكتاب العزيز أو مفاهيمه، أو أنهم وجدوا أحاديث نبوية شريفة حفظوها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مخالفة لهذا الذي يسمعون، أو أن يكون الصحابي يروي حديثاً منسوخاً، أو وجدوا ما يخالف ما فهموه من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو يخالف أفهامهم في تفسير كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومقاصده، هذا وهم العدول الانتقائية، الأمانة على سنته - صلى الله عليه وسلم - أفضل الخلق بعد الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ^(٣).

فلم يتقبل الصحابة - رضي الله عنهم - الأحاديث الشريفة إلا بعد النظر في صحتها، من حيث مخالفتها، أو معارضتها لكتاب الله العزيز، وما اشتهر بينهم من السنة الشريفة، أو أن لا تخالف تلك المرويات القواعد المعلومة في الدين، وأن لا يردّها القياس الصحيح، وقد يرجع الصحابة - رضي الله عنهم - ما يسمعون من الأحاديث إلى من كان أكثرهم علماً بالسنة أو بتلك الواقعة للتوثق منها، أو غيرها من القواعد والأسس التي اعتمدها، كما أنه قد يستدرك بعضهم على بعض، ويراد بالاستدراك تصحيح وهم قد حصل في رواية بعض الصحابة على غير وجهها، أو بيان لسوء فهم وقع فيها، لاختلافهم في الاجتهاد المستند على حديث ما، وقد يكون الاستدراك بسبب حصول النسخ في بعض الأحاديث، فمن علم النسخ منهم أبلغ من لم يكن عالماً به، وقد يكون سبب الاستدراك أن بعضهم قد سمعوا آخر الحديث، وفاتهم أوله إلى غير ذلك من الأسباب التي تدفع أحدهم لأن يستدرك على رواية غيره ^(٤).

ولما كان الوقوف على صحة الحديث مرتبطاً بمعرفة حال روايته من حيث العدالة والضبط، ومعرفة ألفاظ المتن للحديث النبوي الشريف وسلامتها من العلل والآفات، فقد عني

(١) السجستاني، سنن أبي داود، كتاب النيات، باب في ترك القود بالقسامة، حديث رقم ٤٥٢٥، ص ٤٩٥، وقال الألباني: منكر.

(٢) السهاني في: خليل أحمد، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، تعليق محمد زكريا الكاند هادي المنني، اعتنى به وعلق عليه تقي الدين الندوي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج ١٢، ص ٢٢٦.

(٣) الذابني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٢.

(٤) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٣١.

الصَّحَابَة - ﷺ - بألفاظ الروايات ومتون الأحاديث بعرضها على ما تقرر عندهم من الأصول الشرعية المقررة، والقواعد الثابتة، والقواطع المعلومة من دلائل الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية الشريفة، وكان استعمالهم لهذه القواعد إنما يكون عند ارتيابهم في صحة الحديث الشريف أو شكهم في سلامة مخرجه، لأن الأصل والقاعدة عندهم قبول الحديث الشريف، فإذا قامت أمانة، أو جاءت قرينة تدفع اليقين في صحة الحديث الشريف عارضوا هذا المتن بما عندهم من القواعد المعلومة، فلم يكونوا يقبلون حديثاً شريفاً يخالف كتاب الله العزيز، أو مناقضاً لما اشتهر من سنة المصطفى - ﷺ - أو معلوماً من الدين بالضرورة فإذا وقفوا على علة في متن الحديث النبوي الشريف أرجعوا ذلك إلى وهم في سمع الراوي، أو غلط ووهم في ضبطه^(١).

لذا فإنه يمكن للدارس والباحث لرد الصحابة - ﷺ - بعضهم على بعض أو نقد بعضهم لبعض أن يقف على الأسس والقواعد التي أسسوا عليها هذا النقد، واني بعون الله تعالى سأذكر هذه الأسس والقواعد التي استخدموها في نقد متن الحديث النبوي الشريف، دون التعرض إلى مدى صحة أو عدم صحة نقدهم حسب أقوال العلماء، وفيما يلي ذكر أسس وقواعد الصحابة - ﷺ - في نقد المرويات ومن أهم هذه المقاييس ما يلي:

١. عرض مسموع الصحابي على القرآن الكريم.

كان من منهج الصحابة - ﷺ - في توثيق متن الحديث النبوي الشريف، عرضه على القرآن الكريم، لذا يرى الصحابة - ﷺ - ومن بعدهم من التابعين وغيرهم، أن السنة النبوية الشريفة لا تتعارض مع القرآن الكريم، وإنما هي بيان له، كما قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

ويرى أن إذا جاءت مرويات فيها معارضة أو مخالفة للكتاب العزيز، فإن فيها الخلل الذي نتج عن الخطأ أو الوهم، أو النسيان، أو غير ذلك^(٢).

ولما كان الكتاب العزيز هو الأصل الأول في التشريع الإسلامي، والمرجع عند الاختلاف، وهو المحفوظ جميعاً والمنقول إلينا جيلاً عن جيل تواتراً، كان هو المقياس الأول، فلا يقبل ما خالفه من الأحاديث النبوية الشريفة أو بيانه من الروايات، بل يحكم على روايته بالوهم والغلط، والسهو، أو غير ذلك؛ وذلك لأنه لا يتصور إمكان وقوع حديث صحيح صريح مناقض لما دلَّ عليه الكتاب العزيز بوجه لا يمكن الجمع^(٣).

ويرى حمزة النعيمي: "أن القرآن الكريم هو المقياس الأول، فإذا ما وجد حديث يخالف ظاهر القرآن الكريم، اعتبر الحديث ضعيفاً مردوداً، وهذا ليس معناه أن تكون السنة النبوية

(١) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) فوزي، جيهان رفعت، السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، مكتبة الخاتجي - القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ١٢٩.

(٣) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥١.

الشَّريفة مخالفة للقرآن الكريم، لأن القرآن الكريم والسُّنة الصَّحيحة هما من عند الله، ولا يمكن أن يختلفا أو يتناقضا، وعلى هذا فيكون التناقض ناشئاً عن سبب آخر هو:

١. خطأ الناقل أو نسيانه.

٢. عدم النقل الكامل للمسموع.

٣. عدم فهم المراد من لفظ النَّبي ﷺ^(١).

إن: لا اختلاف بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فالكل جاء من مصدر واحد، ويمضي إلى هدف واحد، فإذا أدى الوهم بأحد إلى رؤية خلاف بينهما، فعليه أن يصدر في نظره إليه من موقف الواصل بأن لا خلاف بينهما، وعليه أن يبحث عن مخرج في واحد من وجوه الجمع بينهما^(٢).

يقول ابن تيمية: "لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد، ومنظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف، فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف، لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلم من غير اعتراض، فإن كان الموضوع مما يتعلق به حكم عملي فليلتزم المخرج حتى يقف على الحق اليقين، أو ليبق باحثاً إلى الموت ولا عليه من ذلك، فإذا اتضح له المغزى، وتبينت له الواضحة فلا بد له من أن يجعلها حاكمة في كل ما يعرض له من النظر فيها، ويضعها نصب عينيه في كل مطلب ديني"^(٣).

ومن هنا فقد كان الصَّحابة - رض الله عنهم - يعرضون نصوص السُّنة النبوية الشَّريفة على آيات الكتاب العزيز، فإذا وجدوا أن نصاً من نصوص السُّنة النبوية الشَّريفة قد عارض أو خالف نصاً من نصوص القرآن تركوا العمل بتلك السُّنة وعملوا بما دل عليه القرآن الكريم^(٤). على أنه ينبغي أن نتنبه إلى أمرين هما:

الأمر الأول: أن الصَّحابة - رض الله عنهم - لا يكذبون على رسول الله - ﷺ - وهذا أمر معروف من خلال الإستقراء والتتبع، لأنَّ الصَّحابة عدول بتعديل الله - عزَّ وجلَّ - لهم وبتعديل رسوله ﷺ^(٥).

الأمر الثاني: أن ردَّ الصَّحابي للحديث النبوي الشريف أو توقفه فيه لظنه مخالفة للقرآن الكريم قد تكون من موارد الاجتهاد الذي لا يسلم فيه قوله، فيحتمل أن يكون اجتهاده صحيحاً، ويحتمل أن يكون هناك وجه للجمع خفي عليه فقضى برد الحديث النبوي الشريف^(٦).

(١) النعمي، المنهج العلمي للتعامل مع السُّنة النبوية عند المحققين، ص ٩٢.

(٢) زغلول، الشُّحات السيد، السُّند والمُتن في الحديث النبوي، ص ١١٤.

(٣) الشاطبي، الاعتصام، ج ٢، ص ٣١٠.

(٤) الخزرجي، جهود الصَّحابة في نقل السُّنة والمحافظة عليه، ص ٢٣١.

(٥) جبهان، السيدة عائشة وتوثيقها للسُّنة، ص ١٢٩.

(٦) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥١.

قلت: ولا يهمني هنا أن نبحث عن مدى صحة نقد الصحابي وكيف أجيب عن اعتراضه، لكننا نبحث عن منهجه في النقد فقط^(١)؛ لأن هذا النقد يمثل وجهة نظره هو، فعندما يوجه نقداً إلى أحد الصحابة، ويرى أن هناك خطأ، نرى في كثير من الأحيان وجهة النظر الأخرى قوية وصحيحة، وأن الأمر لا يخلو من وجهات نظر أو أن الأمر لا يعدو أن يكون أمر اختلاف روايات يمكن الجمع بينهما، والكل صحيح. لكننا في النهاية نجني أسساً وقواعد في النقد الداخلي والخارجي في نقد السنة الشريفة وتوثيقها وتمييز صحيحها من ضعيفها، أو موضوعها^(٢).

لذا كان بعض الصحابة - ﷺ - ينكر ويعترض على بعض حينما يجد رواية عن النبي - ﷺ - مخالفة أو مناقضة لنص قرآني أو فهمه له، فالكتاب العزيز كان وسيبقى المقياس الأول لكل حكم ومسألة، فلم يقبلوا ما خالفه من أحاديث، بل حكموا على رواياتهم بالوهم أو الخطأ، وتركوا الأخذ والعمل بمقتضاها لمعارضتها لذلك النص القرآني^(٣).

وفيما يلي نورد بعض الأمثلة، والتطبيقات التي توضح استخدام الصحابة - ﷺ - لهذا المقياس في نقد متن الحديث النبوي الشريف والحكم عليه، وإليك بيان ذلك كله:

١. رد عمر - ﷺ - لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية - رضي الله عنها - في نفقة المبتوتة، فقد أخرج مسلم بسنده من حديث أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي كُنْتُ مَعَ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ وَمَعَنَا الشَّعْبِيُّ فَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سُكْنًى وَلَا نَفَقَةً ثُمَّ أَخَذَ الْأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصَى فَحَصَبَهُ بِهِ. فَقَالَ وَتِلْكَ تُحَدَّثُ بِمِثْلِ هَذَا قَالَ عُمَرُ لَا تَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا - ﷺ - لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَا تَدْرِي لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيتَ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١)^(٤).

فهنا نلاحظ أن الفاروق اعتبر ما ترويه فاطمة معارضا بنص القرآن الكريم الذي جعل للمطلقة السكنى، وهذه المعارضة التي رآها الفاروق ليست موضع تسليم عند الصحابة - ﷺ - ومن بعدهم، فإن هذه الآية إما أن تكون خاصة بالرجعية كما يدل قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١). وقوله ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْ مَمْلَأَتِهِمْ فَاتَّقُواهُمْ كَقَوْلِ اللَّهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١). فلا تعارض حينئذ لأن الحديث النبوي الشريف في البائن، وإما أن تكون شاملة

(١) بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ١٧٦.

(٢) جيهان، السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) الذائني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٢.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، حديث رقم ١٤٨٠، ص ١١.

للرجعية والباطنة، وعلى هذا فلا يكون حديث فاطمة منافياً للقرآن، الكريم، بل غايته أن يكون مخصصاً لعمومه^(١).

قال ابن حجر: "إنَّ الدَّارِقُطَنِي قَالَ: قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عُمَرَ "وَسَنَةُ نَبِينَا" غَيْرُ مُحْفُوظٍ، وَالْمُحْفُوظُ "لَا نَدْعُ كِتَابَ رَبِّنَا" وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ لَيْسَتْ فِيهَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ، لَكِنْ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ رَوَايَةَ النِّفْقَةِ، وَلَعَلَّ عُمَرَ أَرَادَ بِسَنَتِهِ - ﷺ - مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ مِنْ إِتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ، لَا لِأَنَّهُ أَرَادَ سَنَةً مَخْصُوصَةً فِي هَذَا، وَلَقَدْ كَانَ الْحَقُّ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ: "لَا نَدْرِي حَفِظْتَ أَوْ نَسِيتَ" قَدْ ظَهَرَتْ مُصَدِّقَةً فِي أَنَّهَا أَطْلَقَتْ مَعَ مَوْضِعِ التَّقْيِيدِ أَوْ عَمَتِ فِي مَوْضِعِ التَّخْصِيسِ"^(٢).

وخلاصة القول أنَّ الفاروق - ﷺ - قد رد خبر فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - ولم يأخذ به ولا عمل بما يستفاد منه لمعارضته للقرآن الكريم، ولا يهمننا بعد ذلك الاختلاف بين الفقهاء في هذا الأمر.

٢. ومنه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بردة عن أبيه قال: "لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ صُهَيْبٌ يَقُولُ وَإِذَا أَخَاهُ فَقَالَ عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِكُأَاءِ الْحَيِّ؟"^(٣)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ - ﷺ - ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذَّبُ الْمُؤْمِنَ بِكُأَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِكُأَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر: ٨). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهِ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم: ٤٣). قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا"^(٤). يقول ابن حجر: "وفيه إشعار بأنها لم ترد الحديث بحديث آخر، بل بما استشعرته من معارضة القرآن".

فقول أم المؤمنين: "حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ" لا يعني أنها تكتفي بالقرآن عن السنة هذا محال؛ لكنها تريد أن القرآن الكريم يكفي دليلاً على تخطئة راوي هذا الحديث الشريف بهذا اللفظ، ذلك أن ناقله لم يأت به كاملاً كما قال رسول الله - ﷺ - بل روى بعضه مما أوقع في هذه المعارضة للقرآن الكريم، وجعل عائشة - رضي الله عنها - ترد عليه بيان النص الكامل الذي

(١) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١١٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان التوح من سنته، حديث رقم ١٢٩٠، ص ١٢٩٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان التوح من سنته، حديث رقم ١٢٨٨، ص ٢٥٤.

تلفظ به الرسول - ﷺ - وبأن الحديث الشريف بذلك النص المنقوص يخالف القرآن الكريم، وما خالف كتاب الله فأولى بالمؤمنين أن يدعوه ويعلموا أنه ليس كلام رسول الله ﷺ^(١).
 إذن: فاستدلال أم المؤمنين - رضي الله عنها - على خطأ الحديث بمعارضته للقرآن الكريم دليل آخر على استعمال الصحابة - ﷺ - لهذا المقياس، وهذا المنهج في توثيق السنة النبوية الشريفة.

٣. وما رواه البخاري بسنده حيث قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرُو بْنُ قُلْتُ لَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - نَهَى عَنْ حُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبِي ذَلِكَ الْبَحْرُ بْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ مَأْوِيًّا إِلَيَّ مَحَرَّمًا﴾^(٢)^(٣).

فهنا نلاحظ أن ابن عباس - رضي الله عنه - استدل بالقرآن الكريم لرد حديث في مسألة معينة انطلق فيها من فهمه للآية الكريمة؛ وذلك لأن ظاهر هذه الآية يدل على أن ما عدا المذكور فيها حلال، وهي نفس الآية التي استدلت بها عائشة - رضي الله عنها - عندما سألوها عن الحمر الأهلية، فكانها تذهب إلى حليتها^(٤).

٤. وما ورد في رد علي بن أبي طالب - ﷺ - لخبر معقل بن سنان الأشجعي في مهر المتوفى عنها قبل الدخول، فقال: "لا نقبل قول أعرابي بؤال على عقبيه، فيما يخالف كتاب الله وسنة نبيه"^(٥).

٥. وما ورد من رد ابن عمر - رضي الله عنهما - لخبر أبي ثعلبة الخشني في أكل لحوم السباع حيث قال: "لا ندع كتاب ربنا لحديث أعرابي يبول على ساقيه"^(٦).

وغيرها الكثير من الأمثلة التي تدل على استخدام الصحابة - ﷺ - لمقياس عرض السنة النبوية الشريفة على القرآن الكريم يضيق المقام بذكرها.
 قال محمد بن يامين أروّل:

هذا هو أول مقاييس النقد، وأهمها في تثبيت صحة الأحاديث، إلا أن هذا المقياس ناقشه العلماء من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة، وهو مستند على عمل النبي - ﷺ - وتطبيق بعض الصحابة الكبار، والأحاديث المروية في هذا المجال عند بعضهم^(٧)، وهكذا نجد أن الصحابة - ﷺ - كانوا يعرضون كل حديث شريف على كتاب الله تعالى، فإن ذلك راجع لكون هذا القرآن العظيم محفوظاً بحفظ الله تعالى له لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

(١) الذائني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية (١٤٥).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الخمر الإنسانية فيه عن سلمة عن النبي ﷺ، حديث رقم ٥٥٢٩، ص.

(٤) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٧، ص ٤٠٧.

(٥) الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في أحاديث سيد الأخبار، ج ٦، ص ١٩٥.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١١٨.

(٧) مقدمة تحقيق كتاب الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة مراجعة وتقديم، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٥٢.

تنزيل من حكيم حميد، وكل آية فيه قطعية الثبوت، فيردون منها المخالف تمسكاً بنصوصه وأحكامه الشرعية، لا أن ذلك ردّ لكلام المصطفى - ﷺ - فهذا مما لا يمكن أن يفعله أولئك الأتقياء الأوفياء الأمناء، إذ لو علموا أن ذلك المنقول إليهم من كلام المصطفى - ﷺ - لما وسعهم مخالفته، لكنهم عندما يسمعون ما لا يعرفون، يشككون في حفظ ناقله أو ضبطه أو في دقة أدائه للحديث الشريف، أو في فهمه لمضمون الحديث ومقصده، وقدرته على التفقه فيه، ثم يجدون ما نقل إليهم معارضاً بنص من القرآن الكريم، يتأكد عندهم ذلك الشك فيصرحون به، ويجهرون ويتناقشون، إذ لو كان الذي شكوا فيه حقيقة كلام المصطفى - ﷺ - لما خالف القرآن، الكريم، يضاف إلى ذلك كله تفاوت أفهام الصحابة - رضوان الله عليهم - لكتاب الله العزيز، ثم تفاوتهم في الوقوف على كلام رسول الله - ﷺ - واستيعابهم له، إذ فيهم الفقيه العالم، وفيهم المكتر، وفيهم المقل، وفيهم من كان أشد اتصالاً بالمسألة من غيره، كل تلك الأسباب تؤدي إلى هذا النقد، والمهم في ذلك كله أن النقد الحديثي وعرض نصوص الحديث النبوي الشريف على القرآن الكريم كان منهجاً ثابتاً على عهد الصحابة - رضوان الله عليهم -^(١).

يقول مسفر الدميني: "وقد تبين بعد استقراء تلك المسائل أن القرآن الكريم كان عندهم المقياس الأول، فلم يقبلوا ما خالفه من أحاديث، بل حكموا على روايتها بالوهم والخطأ، وتركوا الأخذ بها والعمل بمقتضاها لمعارضتها لذلك النص القرآني، ويتبين هذا باستعراض المسائل التي جعلوا فيها معارضة الحديث لنص الكتاب كافية في رده على صاحبه، وهذا الرد ليس بحكم رسول الله ﷺ، فالقرآن والسنة الصحيحة لا يمكن أن يختلفا أو يتناقضا، ولعل الناقل أخطأ أو نسي، أو لم ينقل ما سمعه كله، أو فهم من اللفظ النبوي غير ما أراده ﷺ"^(٢).

٢. عرض مسموع الصحابي على السنة النبوية الشريفة

وكان من منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - في توثيق متن الحديث النبوي الشريف عرض الحديث الشريف على الحديث الشريف، ويعد هذا المقياس أحد أهم المقاييس في نقد الحديث الشريف الذي يتم به عرض الرواية على سنة رسول الله ﷺ أي: على أعماله أو أفعاله أو إقراره، وقد اعتمد بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - في نقد الروايات على السنن النبوية حيث إنهم لازموا الرسول - ﷺ - وشاهدوا سننه وأحواله طول صحبتهم معه ولا سيما أمهات المؤمنين عامة وعائشة خاصة رضي الله عنهن أجمعين^(٣).

لذا، فقد يرد الصحابي حديث الآخر حينما يجده مخالفاً لما يحفظ أو يعلم من سنة النبي ﷺ، أو يضطر حينما يجد خلافاً أن يسأل المختص، كسؤال بعض الصحابة لأمهات المؤمنين فيما يختص ويتصل بالأمور التي هي أكثر مساساً بهن أو بالنساء عموماً، أو ينتبث من عالم فقيه مختص، أو أن يسأل صاحب الحادثة والواقعة بنفسه، ونحو ذلك من المرجحات

(١) الذابني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٧ - ١٨.

(٢) مقدمة تحقيق الدكتور محمد بنيامين أرول على كتاب الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، ص ٥٣ نقلاً عن مقاييس نقد متون السنة للدميني، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٥٩.

التي كان الصحابة - ﷺ - يستعملونها مرجحات في نقدهم وتثبتهم من حديث ما يشكون بصحته، أو لم يصل علمهم إليه^(١). ومن أمثلة ذلك:

١. ما رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن حيث قال: دخلت على عائشة فقلت يا أماء إن جابر بن عبد الله يقول: "إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ"^(٢) فقالت: أخطأ، جابر أعلم مني برسول الله ﷺ؟ ويقول: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل"^(٣) أوجب الرجم ولا يوجب الغسل؟. فهذا عارضت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - رواية جابر بن عبد الله بما حفظته من سنة النبي - ﷺ - في إيجاب الغسل ممن جامع ولم ينزل وبنيت نقدها لمتن حديث جابر بن عبد الله بناءً على مباينته لمتن حديث آخر^(٤).

٢. ما رواه مسلم بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ - ﷺ - يَقُصُّ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ مَنْ أَذْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلَا يَصُومُ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْخَارِثِ - لَأَيِّهِ - فَأَلْكَرَ ذَلِكَ. فَأَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْطَّلَقُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنهما - فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ - قَالَ - فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ - قَالَ - فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا ذَهَبَتْ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ - قَالَ - فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ - قَالَ - فَذَكَرْتُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَهْمَا قَالْتَاهُ لَكَ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. قُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَقَالْتَا فِي رَمَضَانَ قَالَ كَذَلِكَ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ.... الحديث^(٥). فهذا الحديث من أوضح طرق النقد عند الصحابة - ﷺ - فعبد الرحمن لما أنكر ما ذكره وحدّث به أبو هريرة لما وقر في معرفته بأنه مخالف لفعل الرسول ﷺ، ولم يكن لديه ما يعارضه به، بادر إلى الاستنبات واتصل بأصحاب الاختصاص، وهن أمهات المؤمنين، لأنهن أعلم الصحابة بأحوال الرسول - ﷺ - وسيرته، فهن اللاتي عايشنه وشهدن منه هذه الأمور، فذهب إلى عائشة وأم سلمة فاستوثق منهما فكانت إجابتهما مؤيدة لما عرف وحفظ ووقر في علمه من فعل النبي ﷺ، ثم تبين من قول

(١) الذائني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٨.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان أن الجماع كان في أول الإسلام لا يوجب الغسل إلا أن ينزل المني، حديث رقم (٨١٢)، ص ١٢٦.

(٣) الأصبحي، الموطأ، كتاب الطهارة، باب واجب الغسل إذا التقى الختانان، حديث رقم ١٢٤، ص ٤١.

(٤) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٣.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم (١١٠٩)، ص ١٦٥.

أبي هريرة أن هذا ليس مما سمعه من النبي - ﷺ - مباشرة، بل سمعه من الفضل بن العباس، وما عاد يفتي بهذه الفتوى، ثم استقر الأمر بعد على حديث عائشة وأم سلمة في صحة صيام من أصبح جنباً من غير احتلام، وهذا المنهج اعتمدوا فيه سؤال المختص وهن أمهات المؤمنين لأنهن الأعلام بأحواله^(١).

يقول الخطيب البغدادي: "وكل خبرين علم أن النبي - ﷺ - تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين لأن معنى التعارض بين الخبرين أن يكون موجب أحدهما منافياً لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً ونهياً وإباحة وحضراً، أو يوجب كون أحدهما صدقاً والآخر كذباً إن كان خبرين، والنبي - ﷺ - منزّه عن ذلك أجمع ومعصوم منه باتفاق الأمة، وكل مثبت للنبوة، وإذا ثبتت هذه الجملة وجب أن يحمل النفي والإثبات على أنهما في زمانين، أو فريقين، أو على شخصين، أو على صفتين مختلفتين، هذا ما لا بد منه..."^(٢).

٣. عرض مسموع الصحابي على القياس.

ومن المقاييس المهمة التي استخدمها الصحابة - رضوا - في توثيق متن الحديث النبوي الشريف، عرض الحديث النبوي الشريف على القياس، ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو هريرة مرفوعاً في الغسل من الميت قال: "من غسله الغسل ومن حمّله الوضوء يعني الميت"^(٣). فبلغ ذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فأنكرت ذلك وقالت: "أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عوداً"^(٤). فأنكرت ذلك قياساً على غير الجسد الميت، مما يحمل فلا ينقض^(٥)، وفي رواية "سبحان الله، أموات المسلمين أنجاس، وهل هو إلا رجل أخذ عوداً فحمّله"^(٦). وأنكره عبد الله بن عباس أيضاً تطبيقاً لنفس المقياس، وقال: "لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة"^(٧). والأصح أن هذا موقوف على أبي هريرة، قال البيهقي: "الروايات المرفوعة في هذا الباب عن أبي هريرة غير قوية، بجهالة بعض روايتها وضعف بعضهم والصحيح أنه موقوف على أبي هريرة"^(٨).

هذه هي المقاييس المتعلقة برواية الحديث الشريف ونقله في عهد الصحابة - رضوا - من خلال إسناده ومنتها مهدت الطريق لمن أتى بعدهم، فقد وضعت البذور للمقاييس والضوابط التي توثقت بها السنة الشريفة، وتخلصت من الشوائب التي علقت بها عن قصد أو غير

(١) الذائني، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٩ - ٢٠، وانظر أيضاً البشير: أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٤.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٤٣٣.

(٣) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الغسل من غسل الميت، حديث رقم ٩٩٣، ص ١٧٨، وقال أبو عيسى: حديث أبو هريرة حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

(٤) الزركشي، بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدرّكته عائشة على الصحابة، تحقيق وتخريج رفعت فوزي عبد المطلب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص ١١٣.

(٥) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٤، وانظر جيهان: السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، ص ٨٠.

(٦) جيهان فوزي، السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، ص ٨٠ نقلاً عن كتاب الاتجاهات الفقهية، ص ١١٤.

(٧) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الغسل من غسل الميت، ج ١، ص ٣٠٣.

(٨) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الغسل من غسل الميت، ج ١، ص ٣٠٧.

قصد، كما تدل على أنَّ السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة قد وجدت العناية والتمحيص ما جعلها سليمة من التحريف والتبديل والتغير^(١).

وإنَّ تلك الأمثلة القليلة الماضية التي سقناها لها نظائر كثيرة في كتب الحديث الشريف، وهي تشير وتؤكد بلا شك أنَّ الصَّحَابَة - ﷺ - قد رد بعضهم على بعض، ووهم وغلط بعضهم بعضاً حينما وجدوا أنَّ متون هذه الأحاديث التي رويت به تخالف الظاهر من كتاب الله تعالى أو تعارض ما حفظوه من قول النَّبِيِّ - ﷺ - أو فعله أو تقريره، أو قد تكون منسوخة، أو أنها لا تتفق مع ما عرفوه من سنة المصطفى - ﷺ - وفهموه من مقاصدها العامة، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ الصحابي لا يمكن أن يكذب على رسول الله - ﷺ - ولكنه قد يخطئ في سياقة الحديث سياقة تامة، أو يروي قسماً منه دون آخر، أو يرويه بألفاظ قد يفهم منها شيء لم يفهمه الآخرون منه، لاسيما أنَّ بعض الأحاديث تروى بالمعنى، والصحابي كغيره من الناس ليس بمعصوم من الوهم أو الخطأ أو النسيان^(٢).

وبعد فإنَّ هذه المقاييس المتعلقة بالرواية ونقل الحديث الشريف وبالمتمن نفسه في بعض الأحايين، قد رجعت بكثير منهم إلى الصُّوَاب، فيما أخطأ أو نسي فيه، بالإضافة إلى أنه مهدت الطريق لمن جاء بعدهم من التابعين وغيرهم، فقد وضعت البذور للمقاييس والضوابط التي توفقت السنة الشريفة بها، وتخلصت من الدخيل الذي علق بها عن قصد أو غيره، كما أنها تدل على أنَّ السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة لم تؤخذ، حتى في عصر الصَّحَابَة - ﷺ - قضية مسلمة بها، وإنما محصت، ونظر إليها وإلى روايتها بعين النُّقْد^(٣).

وختاماً لعل ما تقدم بيانه في ذكر المقاييس ونقد المتون يعطي بوضوح حقيقة منهج الصَّحَابَة - ﷺ - والمحدثين، وأنه منهج قائم على أسس متينة، وأركان ثابتة، وليس منهاجاً ناتجاً عن ضرب من العبقريَّة، أو ميول وأهواء شخصية، كما أرجو أن يكون رداً عملياً على الطاعنين على منهج المحدثين عامة والصَّحَابَة - ﷺ - خاصة، المتهمين لهم بالقصور وأن أكثر قواعده إن لم يكن كلها موجهة نحو السند دون المتن^(٤). وما أحوجنا اليوم إلى الأخذ بهذا المنهج في النُّقْد أكثر من الأمس لفهم السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة فهماً صحيحاً ونقلها إلى الأجيال القادمة نقلاً سليماً^(٥).

وخلاصة ما يقال في هذا المبحث: إنَّ نقد متون السُّنَّة الشَّرِيفَة المطهرة، قد بدأ منذ عصر الصَّحَابَة - ﷺ - وليس كما يذاع ويقال، ويدعي المستشرقون والمستغربون من أبناء أمتنا الذين يدينون بديننا ويتكلمون بلساننا وبلغتنا من أنَّ المسلمين قد عتوا بنقد سند الأحاديث

(١) البشير، أصول منهج النُّقْد عند أهل الحديث، ص ٥٥.

(٢) الدَّانِي، أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ٢٨.

(٣) عبد المطلب، المدخل إلى توثيق السُّنَّة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلامي، ص ٤٤ - ٤٥.

(٤) النعيمي، المنهج العملي للتعامل مع السُّنَّة النَّبَوِيَّة عند المحدثين، ص ١٠٤.

(٥) الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصَّحَابَة، ص ٧٤، بتحقيق محمد بن يامين أُرُول.

فقط، دون النظر إلى متونها، وهو ما يسمونه بالنقد الخارجي للحديث، دون نقد المتن الداخلي^(١).

المطلب الثالث: أسباب اهتمام الصحابة - ﷺ - بضبط الحديث النبوي الشريف

لقد كان اهتمام الصحابة - ﷺ - بضبط الحديث النبوي الشريف محدوداً بعدة عوامل أبرزها^(٢):

أولاً: الاستجابة المباشرة لأمر الله تعالى في التثبت والتحري من الأخبار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ

تَدْرِيينَ﴾ (الحجرات: ٦).

فقد أوجب - الله عز وجل - التبيين والتثبت في خبر الفاسق قبل قبوله فيما ينبيء ويخبر به عن قوم آخرين، فكيف السبيل إلى معرفة فسقه إن لم يكن بإمرة علمناها منه دلت على فسقه؟ ولو ثبت فسقه لأحد ما، ما جاز له كتمانته على من يتضرر بخبره من الناس. فإذا كان هذا التبيين في الإخبار عن شخص أو قوم من سائر الناس ممن لا يلزم بخبرهم تحليل ولا تحريم ولا أمر ولا نهى، فكيف يجوز السكوت والإقرار لخبر من يحدث عن النبي - ﷺ - من غير دراية بأهلية أو عدمها^(٣).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق لاحتياط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه"^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ

مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ (البقرة: ٢٨٢). وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (الطلاق: ٢). فدللت

الآيات الكريمة على أن خبر الفاسق ساقط، ولو كان مقبولا لما احتاج إلى تبين وتثبت وتحري، كما دلت على أن شهادة غير العدل مردودة، وبناءً على ذلك فلا معنى للإشتغال بمروياتهما بحال، لذا فالاهتمام بأخبار الثقات فحسب هو المتعين^(٥).

قال الإمام مسلم بعد استدلاله بالآيات السابقة على التثبت والتبيين والتحري: "فدل بما ذكرنا من هذه الآية أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة،

(١) الخرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٣٧.

(٢) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٩ - ١٣.

(٣) التونسي، المهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، ص ١٨٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٥) حيّاتي، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، ص ١٧.

والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في أعظم معانيها، إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أن شهادته مردودة عن جميعهم^(١).

وحكاية الإجماع على رد خبر الفاسق وعدم قبول إلا رواية العدل سبق إليه الشافعي، وابن أبي حاتم الرازي، والحاكم، والخطيب البغدادي، وابن الصلاح، والنووي، وغيرهم من أئمة الحديث النبوي الشريف^(٢).

ومما لاشك في أن الصحابة - رض الله عنهم - أحق من طبق أمر الله تعالى، وامتنله قولاً وفعلاً.

ثانياً: الاستجابة لأمر النبي - ﷺ - بذلك

لقد نهى النبي - ﷺ - على تعدد الكذب عليه أولاً، منبهاً، على عظيم خطر هذه الجريمة بقوله - ﷺ -: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٣).

ثم أنه - ﷺ - نهى عن رواية ما يعتقد أو يظن كذبه عليه - ﷺ - منبهاً إلى خطورة هذه الجريمة فقال: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ"^(٤).

فقد نبه - ﷺ - إلى خطورة ما يظن كذبه ليدخل في النهي ما يحتمل أن يؤدي إليه سدا للزريعة، فالمحدث إذا تهاون في الرواية عن المتروكين والضعفاء وواهاياتهم ومناكيرهم فلا يستبعد أن يتهاون في الرواية عن الكاذبين كذبهم^(٥).

لذا أكد ذلك - ﷺ - بقوله: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".^(٦) قال ابن عبد البر في التمهيد: "إن كل من حدث بكل ما سمع من ثقة وغير ثقة لم يؤمن عليه أن يحدث بالكذب"^(٧). لأن الإنسان تسمع أنه الصدق والكذب فلو حدث بكل ما سمع لم يسلم من الكذب حينئذ.

ثم حذر - ﷺ - من الكاذبين عليه ليزيد الأمر حيلة وحذر فقال: "يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَيَأْسَاكُمْ وَيَأْهَمُّهُمْ لَا يُضِلُّوكُمْ وَلَا يَفْتِنُوكُمْ"^(٨).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، ص ٥.

(٢) حياني، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، ص ١٩ - ٢٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم (١٢٩١)، ص ٢٥٤.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، ص ٥.

(٥) حياني، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، ص ١٩.

(٦) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ص ٥.

(٧) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ١، ص ١٠.

(٨) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٧، ص ٦.

ثالثاً: حرصهم الشديد على حفظ السُّنة النبوية الشريفة ودفع التساهل في روايتها.

يعد الخلفاء الراشدين - ﷺ - أول من أرسى وأسس قواعد هذا المبدأ، كما وصفهم بذلك الإمام الذهبي ومن قبله ابن حبان، قال الذهبي في حق الصديق - ﷺ - معقباً على قصة أمر الجدة وتوريثها: "... مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لاسد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما نقوله الخوارج" (١). وقال: "وهو أول من احتاط في قبول الأخبار" (٢). وقال أيضاً: "وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول" (٣).

وقال الذهبي في وصف الفاروق - ﷺ -: "وأين مثل أبي حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر، وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ... وقد كان عمر من وجهه أن يخطئ صاحب على رسول الله ﷺ يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن" (٤).

وقد صرح عمر بذلك، فقال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "إني لَم أَتِهْنِكَ وَلَكِنِ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَدِيدَةً" (٥).

يقول ابن عبد البر معلقاً على فعل الفاروق: "فيمكن أن يكون عمر مع احتياطه في الدين يخشى أن يختلقوا الكذب على رسول ﷺ عند الرهبة والرغبة، أو طلباً للحجة وفراراً إلى الملجأ والمخرج مما دخلوا فيه لقلة علمهم بما في ذلك عليهم؛ فأراد عمر أن يريهم أن من فعل شيئاً ينكر عليه ففرع إلى الخبر عن رسول الله ﷺ ليثبت له بذلك فعله وجب التثبت فيما جاء به إذا لم تعرف حاله حتى يصح قوله فأراهم ذلك ووافق أبا موسى وإن كان عنده معروفاً بالعدالة غير متهم ليكون ذلك أصلاً عندهم" (٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وكان عمر بن الخطاب يستدعي الحديث من أبي هريرة ويسأله عنه ولم ينهه عن رواية ما يحتاج إليه من العمل الذي سمعه من النبي ولا توعده على ذلك، ولكن كان عمر يحب التثبت في الرواية حتى لا يجترئ الناس فيزياد في الحديث، ولهذا طلب من أبي موسى الأشعري من يوافقه على حديث الاستئذان مع أن أبا موسى من أكابرهم وتقائهم باتفاق الأئمة" (٧).

(١) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٥.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٦.

(٥) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان؟، حديث رقم ٥١٨٣، ص ١١١، وقال الألباني: صحيح.

(٦) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد بعد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٧) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط ١، ١٣٩٨ هـ، ج ٤، ص ٥٣٦.

ولم يكن علي - عليه السلام - بأقل تثبتاً منهما، وكان يستحلف من يحدثه بالحديث، يقول الذهبي في وصفه: "وكان إماماً عالماً متحريراً في الأخذ بحديث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث ... عن أسماء بن الحكم الفزاري أنه سمع علياً يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعتني منه وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفته فإذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر...^(١)، وقال ابن حبان: "عمر وعلياً أول من فتشاً عن الرجال وبحثاً عن النقل في الأخبار"^(٢)، قال الدكتور الأعظمي: "ويمكن أن يفسر قول ابن حبان بأنهما أول من وسعا في الكلام حتى يستقيم الأمر، لأن مما لا ريب فيه أن أبا بكر هو أول من فتش في الحديث"^(٣).

رابعاً: خشيتهم وخوفهم من خطأ الراوي لا تعمد الكذب على النبي ﷺ

ومن ذلك ما ورد عن عمران بن حصين - عليه السلام - أنه قال: "والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله - ﷺ - يومين متتابعين، ولكن بطاني عن ذلك أن رجلاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - سمعوا كما سمعت، وشهدوا كما شهدت، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون، وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم، فأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون"^(٤).

قلت: إذن هو الخوف من الوقوع في الخطأ الذي حصل للغير بسبب غلظه هو الذي دفعهم إلى الاهتمام بضبط الحديث النبوي الشريف. وهذا ما نصت عليه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - صراحة في ردها على عمر وابنه - رضي الله عنها - لما بلغها قولهما: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"، فقالت: إِيَّكُمْ لَتُحَدَّثُوْنِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ وَلَكِنْ السَّمْعُ يُخْطِئُ"^(٥).

خامساً: التأكد من ضبط من خالف علمه ما تلقاه الصحابي مباشرة من فم رسول الله ﷺ وتعد حادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم أصلاً في هذا الباب فقد أخرج البخاري عن الفاروق - عليه السلام - أنه قال: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأَهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَقْرَأَ بِهَا وَكَذْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبِيتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِهَا فَقَالَ لِي أَرْسِلْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ اقْرَأْ فَقَرَأَ قَالَ

(١) الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠.

(٢) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحققين، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) الأعظمي، مقدمة تحقيق كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ١٢.

(٤) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حديث رقم ٩٢٩، ص ٢٢٠.

هَكَذَا أُنزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِي أَقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنزِلَتْ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرُ^(١).

ومن هنا فإن الفاروق - ؓ - عندما قال كذبت لا يمكن أن يراد بها أن هشاماً رجل يقول الكذب وهو صحابي جليل لاسيما وأنه يخبر عن أمر منقول عن النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ بين ظهرائهم^(٢)، فيلاحظ أن الفاروق - ؓ - لما سمع علماً مخالفاً لما هو عنده مما تلقاه مباشرة من في رسول الله - ﷺ - أراد أن يتأكد من ضبط من خالفه في هذا العلم، فرجع به للمصدر الأول الذي تلقى عنه لمعرفة الضبط، ولم ينكر النبي ﷺ ذلك الصنيع والفعل^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: "وكان عمر شديداً في الأمر بالمعروف، وفعل ذلك عن اجتهاد منه لظنه أن هشاماً خالف الصواب، ولهذا لم ينكر عليه النبي - ﷺ - بل قال له أرسله، وقوله "كذبت" فيه إطلاق ذلك على غلبه الظن، أو المراد بقوله: كذبت أي أخطأت لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ، وقوله: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ أَقْرَأْنِيهَا" هذا قاله عمر استدلالاً على ما ذهب إليه من تخطئة هشام، وإنما ساغ له ذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته، بخلاف هشام فإنه كان قريب العهد بالإسلام فخشي عمر من ذلك أن لا يكون أتقن القراءة، بخلاف نفسه فإنه كان قد أتقن ما سمع، وكان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله - ﷺ - قديماً ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده، ولأن هشاماً من مسلمة الفتح فكان النبي - ﷺ - أقرأه على ما نزل أخيراً فنشأ اختلافهما من ذلك، ومبادرة عمر للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف" إلا في هذه الواقعة^(٤).

سادساً: خوفهم وخشيتهم من أن يدخلوا في الوعيد الذي توعد به النبي ﷺ في قوله: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ"^(٥) وفي رواية "فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ"^(٦).

فيشملهم الوعيد الشديد المصرح به في قوله ﷺ: "إِنَّ كَذِبًا عَلَى نَيْسٍ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ لَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٧).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا، حديث رقم ٥٠٤١، ص ١٠٣١ - ١٠٣٢.

(٢) أبو لاوي، علم أصول الجرح والتعديل، ص ١٨٩.

(٣) الحوري، تحقق المصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ١٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ٣٣.

(٥) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، حديث رقم ٢٦٦٢، ص ٤٣١، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٦) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ١٥٥، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النجاسة على الميت، حديث رقم ١٢٩١، ص ٢٣٤.

قال طاهر الجزائري في حق الصحابة رضي الله عنهم: "أما ترى تشديد القوم في الحديث وتوقي من أمسك كراهية التحريف أو الزيادة في الرواية أو النقصان لأنهم سمعوه عليه السلام يقول^(١): "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٢).

وقد أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان. قال: أما إني لم أفارقه، ولكني سمعته يقول: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(٣).

وأورد أبو نعيم بأسانيده حديث أبي هريرة وغيره "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذابون يكذبون على الله وعلى رسوله عليه السلام". وبعد ذلك قال: "وألفاظه - صلى الله عليه وسلم - في الوعيد لمن قال عليه ما لم يقل، فتوجه هذا الوعيد على كل قائل عليه ما لم يقل عامداً أو غير عامداً"^(٤)، قال مغراوي: فلم يفرق أبو نعيم بين المتعمد وغير المتعمد كما هو واضح من هذا النص^(٥).

فاستدلال هؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - بهذا الحديث النبوي الشريف ليس من باب خوفهم من الكذب المتعمد، الذي هو خطأ الراوي برواية ما يخالف الواقع، وهذا الخوف والحذر هو الذي حملهم على الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف^(٦).

قال ابن حجر معقباً على رواية الزبير - رضي الله عنه - بقوله: "والنقطة إذا حدث بالخطأ، فحمل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ، يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشرع، فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعدد الإكثار، فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث"^(٧).

إن من أسباب الاهتمام بضبط الحديث والحث على المبالغة، وشدة التوقي في الرواية، هو خوفهم دخول المقصر في حكم الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
سابعاً: ظهور الكذب في زمن ابن عباس - رضي الله عنهما - بعد الفتنة الكبرى.

إن الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد وقع في زمنه - أي زمن ابن عباس - وذلك من حيث التقدير الزمني حوالي منتصف القرن الهجري الأول، أي بعد وقوع الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -^(٨) فقد روى مسلم بإسناده عن ابن

(١) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص ٥٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٠٧، ص ٣٣.

(٣)

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٠٧)، ص ٣٣.

(٥) مغراوي، منهج النقد عند الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ج ١، ص ٢٣١، نقلاً عن مخطوط مقننة المستخرج، (٨ ٨).

(٦) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢٢.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨٨، طبعة مكتبة الرشد.

(٨) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية الشريفة عند المحدثين، ص ٢٤.

عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "إِنَّا كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصُّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ".^(١)

ثامناً: تعظيم حديث النبي ﷺ - وهيبته في نفوسهم^(٢) واستشعار عظم ومسؤولية رواية الحديث الشريف .

ومن ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه، أن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ، قال عمرو بن ميمون راوي الحديث: فنكس، قال: فنظرت إليه - أي إلى ابن مسعود - فهو قائم محللة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك أو قريباً من ذلك، أو شبيهاً بذلك^(٣).

تاسعاً: الخوف من أن يتخذ المنافقون الرواية مطية لأغراضهم الخبيثة^(٤).

لقد كان الصحابة - ﷺ - يرون أن رواية الحديث النبوي الشريف مسؤولية عظيمة وأمر في غاية الخطورة والدقة، لما يترتب على ذلك من نسبة أقاويل إلى الرسول - ﷺ - تنبئ عليها أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وخوفاً وخشية من رواية ما يمكن أن يبنى عليه حكم خاطئ، ولأجل ذلك كله كانوا يتدافعون رواية الحديث النبوي الشريف وكل واحد منهم كان يرد الحديث إلى الآخر لعله يكفيه تحمل المسؤولية إن كان هناك خطأ محتمل قد يقع أثناء الرواية^(٥).

وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت مئة وعشرين من الأنصار أصحاب محمد ﷺ، ما فيهم أحد يحدث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتي عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه"^(٦)، وروى ابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ. قال: كبرنا ونسينا؛ والحديث عن رسول الله ﷺ شديد^(٧).

فهذه الشدة التي أشار إليها زيد بن أرقم جعلت بعض الصحابة - ﷺ - ينتظر وقتاً طويلاً حتى يحدث عن رسول - ﷺ - فقد روى ابن عدي بإسناده عن ابن مسعود أن كان يأتي عليه الحول قبل أن يحدث عن رسول الله ﷺ^(٨)، وقال السائب بن يزيد: صحبت عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص والمقداد بن الأسود فلم أسمع أحداً منهم يتحدث عن رسول الله - ﷺ - إلا أنني سمعت طلحة بن عبيد الله يتحدث عن يوم أحد^(٩).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٢١، ص ٩.

(٢) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢١.

(٣) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٣، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٤) أبو زهرو، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، ص ٦٩.

(٥) النعيمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢٢ - ٢٣.

(٦) الدارمي، سنن الدارمي، باب من هاب الفتيا وكره التطوع والتبذع، ج ١، ص ٥٣.

(٧) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٥، ط ٢، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

(٨) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ١٨.

(٩) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٠.

ومن هذه الأسباب وغيرها يتضح لنا الأمر جلياً من أن الصحابة - ﷺ - قد تشددوا واهتموا بضبط الحديث النبوي الشريف ، بل وأمسك بعضهم عن التحديث بقصد حماية الحديث النبوي الشريف وضبطه مما قد يخالطه مما ليس منه، كما أن كثرة الرواية كانت في نظر كثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ، والكذب على رسول الله ﷺ^(١) وما أجمل كلام ابن قتيبة حين قال عن عمر ﷺ: "وكان يأمرهم أن يقولوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي"^(٢).

المطلب الرابع : كيفية معرفة ضبط الصحابي للحديث النبوي الشريف

كان للصحابة - ﷺ - في توثيق السنة النبوية الشريفة منهجٌ فريد وأسلوب رشيد، فهم أحياناً يستخدمون وسيلة المعارضة والمقارنة، وأحياناً يطلبون توثيق الرواية مثل وصف حالة الرسول - ﷺ - عند إلقاء الحديث النبوي الشريف، والمكان والزمان، وعدد مرات السماع، وأحياناً أخرى يرجعون إلى المصدر الأول والغائب، وأحياناً يتأكدون وينتبهون في الأداء، وفي ظروف أخرى يطلبون الإقرار والمواجهة، وفي أوقات أخرى يرتحلون من بلد إلى بلد طلباً للتثبت والتحري، إلى جانب وسائل ومناهج كثيرة استخدمها الصحابة - ﷺ - بغية الوصول إلى صحة الحديث النبوي الشريف^(٣)، وقد استفاد الصحابة - ﷺ - ذلك كله من هدي المصطفى - ﷺ - في قبول الأخبار أو ردها، فطبقوا هذه القواعد والطرق المستفادة من هدية وبنوا عليها.

ثم إن للعلماء في معرفة الضبط طرائق عديدة تتناسب والعصر الذي يفتشون فيه عن المرويات، وتتناسب ووضعية الشيخ الذي يريدون معرفة ضبطه، أما الصحابة - ﷺ - فكان التأكد من الضبط في مروياتهم يأخذ كفيات ووسائل متعددة^(٤).

وقد تمثل توثيق الصحابة - ﷺ - للسنة النبوية الشريفة في وسائل، تحقق لهم أخذ سنة المصطفى - ﷺ - أخذاً صحيحاً، ومن ثم أداءها أداءً سليماً، من غير زيادة ولا نقصان^(٥)، ومن هذه الوسائل والمناهج التي استخدمها الصحابة - ﷺ - ما يلي:

١. المقارنة والمعارضة:

لقد استخدم الصحابة - ﷺ - هذه الوسيلة لتوثيق الحديث النبوي الشريف، وأول من استخدم هذا المنهج أبو بكر الصديق ﷺ^(٦)، ومن أمثلة ذلك:

- (١) النعمي، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، ص ٢٠٤.
- (٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.
- (٣) خلف، تدوين وتوثيق السنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة ﷺ، ص ٣٦٨.
- (٤) حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دراسة منهجية في علوم الحديث، ص ٢٣٣.
- (٥) جيهان، السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، ص ٧٠.
- (٦) الأعظمي، مقنة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٢٤.

- ما أخرجه الترمذي بسنده عن قبيصة قال: "جاءت الجدة أم الأم أو أم الأب إلى أبي بكر: فقالت إن ابن ابني أو ابن ابنتي مات ... الحديث" (١). فقد استخدم الصديق - رضي الله عنه - مبدأ ومنهج المقارنة والمعارضة مع المغيرة بن شعبه، ليس تكذيباً له، وإنما ليكون مبدأ لغيره خوفاً على السُّنة النبوية الشريفة من أعداءها، وتوثيقاً لها (٢).

- وما أخرجه مسلم بسنده عن نافع حيث قال: "قيل لابن عمر: إن أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ بَعَّ جَنَازَةً فَلَهُ قِرَاطٌ مِنَ الْأَجْرِ". فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَكْثَرَ عَلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ. فَبَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ فَسَأَلَهَا فَصَدَّقَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَقَدْ فَرُطْنَا فِي قِرَارِيطٍ كَثِيرَةٍ" (٣).

فهنا نلاحظ أن ابن عمر - رضي الله عنهما - توقف عن قبول حديث أبي هريرة تطبيقاً لمبدأ وفهم المعارضة والمقارنة، لا تكذيباً للصحابي وإنما توثيقاً للسُّنة النبوية الشريفة (٤).

وغيرهم كثير من الصحابة - رضي الله عنهم - استخدموا هذا المنهج والمبدأ، وصولاً لصحة الحديث النبوي الشريف.

٢. طلب إعادة الحديث مع الفاصل الزمني

وهي من إحدى الوسائل الهامة التي استخدمها الصحابة - رضي الله عنهم - لتوثيق متن الحديث النبوي الشريف، وذلك بمعارضة الروايات للروايات الواحد في فترات زمنية متباعدة، والهدف من ذلك اختبار المرويات وذلك بالطلب من الصحابي إعادة ما سمع، من أجل التثبت والتأكد من ضبط الصحابي - رضي الله عنه - ومن أمثلة ذلك ما فعلته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مع عروة بن الزبير وعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهم - أجمعين.

أخرج البخاري في صحيحه عن عروة قال: "حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ يَعْلَمُهُمْ فَيَقْبِضُ نَاسَ جُهَالٍ يُسْتَفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَصِلُونَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ - ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَجَّ بَعْدُ فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَخِي اطْلُقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَنْبِثْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْهُ فَجِئْتُهُ

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة، حديث رقم ٢١١١، ص ٣٤٨، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) خلف، تدوين وتوثيق السُّنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة رضي الله عنهم، ص ٣٦٩.

(٣) التقييري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتيانها، حديث رقم ٩٤٥، ص ٢٢٤.

(٤) خلف، تدوين وتوثيق السُّنة النبوية في حياة الرسول - ﷺ - والصحابة رضي الله عنهم، ص ٣٦٩.

فَسَأَلْتُهُ لِحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتَهَا فَعَجِبَتْ فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ^(١). وفي رواية حرملة "قَالَتْ مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَّقَ أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ"^(٢).

قال ابن حجر: "وفيه التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول، ومراعاة الفاضل من جهة عائشة "أذهب إليه ففاتحه" حتى تسأله عن الحديث ولم نقل له سله عنه ابتداء خشية من استيحاشه"^(٣).

وبهذا تبين ضبط عبد الله بن عمرو عندما امتحنته واختبرته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومعنى امتحان الراوي هنا: "بأن يقصد الصحابي فيسمع منه الحديث الواحد عدة مرات حتى يتأكد هل غير فيه أو لم يغير"^(٤).

٣. مقارنة الصدر بما دون في الكتاب^(٥)

وهو تسجيل ما يروونه كتابة دون علمهم، ثم بعد مدة يطلب منهم التحديث بنفس الذي حدثوا به سابقاً^(٦)، ومن أمثلة ذلك:

ما فعله مروان بن الحكم مع أبي هريرة رضي الله عنه، وفي هذا يقول أبو الزعزعة - كاتب مروان: "أن مروان دعا أبا هريرة فجعل يسأله وأجلسني خلف السرير وجعلت أكتب عنه، حتى إذا كان رأس الحول دعا به، فأقعه من وراء حجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر، وقد شهد له بذلك الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم"^(٧).

وقد ظهر ذلك أيضاً فيما أخرجه الخطيب البغدادي بسند صحيح عن سعيد بن أبي الحسن، قال: لم يكن من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أبي هريرة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن مروان زمن هو على المدينة أراد أن يكتب حديثه فأبى، وقال: أرووا كما روينا، فلما أبى عليه تغفله فأقعد له كاتباً لقناً ثقفاً ودعاه، فجعل أبو هريرة يحدثه ويكتب الكتاب حتى استفرغ حديثه أجمع، قال: ثم قال مروان: تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال: وقد فعلتم؟! قال: نعم قال: فاقروه عليّ إذ، قال: فقرأوه عليه، فقال أبو هريرة: أما أنكم قد حفظتم وإن تطعني تمحه قال فمحاها"^(٨).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الراي وتكلف القياس، حديث رقم ٧٣٠٧، ص ١٤٤٩.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم ٢٦٧٢، ص ٦٧٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣، ص ٣٥٢.

(٤) عبد النبي، منهج الحافظ ابن عبد البر في الجرح والتعديل من خلال كتابه التمهيد، ص ١٦٢٥.

(٥) فكرة أستاذي الدكتور سلطان المكايلة حفظه الله ورعاه.

(٦) حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل دراسة منهجية في علوم الحديث، ص ٢٣٣.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٩٨.

(٨) البغدادي، تقييد العلم، ص ٤١.

فظهر من هذه الحكاية كيف فحص أبو هريرة - رضي الله عنه - صحة المكتوب بعرضه على حفظه فلما وافق المكتوب المحفوظ أقر بصحته^(١).

٤. المذاكرة

إن من أهم ثمرات المذاكرة، وأثارها الجليلة الواضحة، تمييز الأحفظ من الرواة، ومعرفة المتمكن منهم في حديثه، وموضوع الأحفظ والأضبط والأتقن بين نقلة الحديث النبوي الشريف، لا يمكن معرفته إلا بالمقابلة والمناظرة، التي كانت تقع بالمذاكرة، كما أن سعة العلم بالحديث النبوي الشريف كانت تظهر عند مذاكرة العلماء بعضهم بعضاً^(٢)، ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه أبو داود بسنده من أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين - رضي الله عنهما - تذكرا، فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله - ﷺ - سكتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْغَالِينَ﴾، فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران... الحديث^(٣).

٢. ما أخرجه مسلم بسنده عن مجاهد، وفيه أن عروة بن الزبير سأل ابن عمر - رضي الله عنهما - وكان جالسا إلى حجرة عائشة - فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ أَرْبَعُ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ. فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَكُرِدْ عَلَيْهِ وَسَمِعْنَا اسْتِئْذَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ. فَقَالَ عُرْوَةُ أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَرْبَعُ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ. فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ^(٤).

يقول أستاذي محمد عيد الصّاحب: "يبين هذا المثال، كيف كان الكشف عن خطأ الراوي حال المذاكرة، وكان عروة قد أدرك خطأ ابن عمر، هو ومن كان معه في المجلس عند سؤاله، والدليل على أن السؤال كان من قبيل المذاكرة، قول عروة: "فكرهنا أن نكذبه ونرد عليه"، حيث يرشد ذلك إلى علمهم بمسألة عمر النبي ﷺ، ولهذا ما كان منهم إلا التوجه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لبيان خطأ ابن عمر، لأنها تقابله في العلم والمكانة، والحاضرون دونهما في ذلك^(٥).

(١) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ١٨.

(٢) الصّاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥١.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانه، حديث رقم ١٢٥٥، ص ٣١٠.

(٤) الصّاحب، المذاكرة وأثرها في الرواية، ص ٥٥٣.

(٥) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، حديث رقم ٢١٠١، ص ٣٤٨، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: ضعيف.

٥. الشهادة

- ما أخرجه الترمذي بسنده عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها، قال: فقال لها مالك في كتاب الله شيء، وما مالك في سنة رسول الله ﷺ - شيء فارجعي حتى أسأل الناس ... الحديث^(١). فهنا نلاحظ أن أبا بكر لم يطلب شاهداً إلا من أجل التثبت والضبط من حديث رسول الله ﷺ.

- وما أخرجه البخاري بسنده عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع، فأرسل عمر في أثره، فقال: لم رجعت ... الحديث^(٢). فهذا عمر لم يطلب شاهداً على عدالة أبي موسى لأنه يتهمه، ولكن القضية في أساسها، هي صيانة الحديث النبوي الشريف، وتدريب الأمة على هذه الصيانة.

١. وما أخرجه البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال: مَرُّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ كُنْتُ أَشْهَدُ فِيهِ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ثُمَّ اتَّقَتْ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَشْهَدُكَ بِاللَّهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ قَالَ نَعَمْ^(٣).

فنلاحظ كيف استشهد المغيرة محمد بن مسلمة واستشهد حسان أبا هريرة لتثبيت صحة نقلهم وصدق ضبطهم^(٤)، وهكذا نرى مسلك الصحابة - في تحري الحديث النبوي الشريف، والتثبت منه كما أنهم كانوا ينقدون نصوص الحديث النبوي الشريف بعرضها على قواعد الدين، ومدى موافقتها لمبادئ التشريع فإذا ظهر خلاف في الرواية ردوها وتركوا العمل بها^(٥).

٦. القسم

ما ورد عن علي بن أبي طالب - أنه قال: "كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني غيره استحلقتة فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر ... الحديث^(٦)".

يقول الأدلبي: "أما علي بن أبي طالب - فقد كان يستحلف الذي يحدثه حديثاً عن رسول الله ﷺ، فإذا حلف له صدقه، والحلف على الحديث صعب، ويحتاج إلى جمع الهمة، ويقظة الذهن فيكون الحلف دليلاً على ثبات الحالف وضبطه لما يرويه^(٧)".

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه الطريقة والأسلوب إنما تصلح مع من اشتهر بالنقوى والصلاح دون الفساق^(٨)، يقول الخطيب البغدادي: "ومعلوم أنه كان يحدثه

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، حديث رقم ٥٦٨٢، ص ١٠٦١.

(٢) شلبي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلین، ص ٩١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٣٢١٢، ص ٦٤٣.

(٤) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٢٠.

(٥) عبد الغفار، دراسات في الحديث الشريف السند والمتن، ص ٢٥.

(٦) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، حديث رقم ٤٠٦، قال أبو عيسى، حديث علي

حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة، وقال الألباني: حسن

(٧) الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ص ٧٣.

المسلمون ويستحلفهم مع ظهور إسلامهم، وأنه لم يكن يستحلف فاسقاً ويقبل خبره، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين، وكذلك غيره من الصحابة روي عنهم أنهم ردوا أخباراً رويت لهم ورواها ظاهراً الإسلام فلم يطعن عليهم في ذلك الفعل^(١).

وتحليف الإمام علي - عليه السلام - للصحابي لا لأنه يتهمه بتعمد الكذب، لأنه لو اتهمه بذلك لا تهمه بالفجور ولم يصدقه، وإنما يحلفه ليتأكد من أنه ضابط متقن للرواية غير متساهل فيها، فمع يمينه يحصل التثبت من أنه متقن لما رواه حفظاً، ومع امتناعه من اليمين يعرف أنه غير حافظ ومتقن ولا مستيقن فتكون هذه علة في قبول حديثه^(٢)، فهو يستحلفهم وإن كانوا مأمونين من أجل أن يرتدع من لا دين له عن أن يدخل في السنن ما ليس منها^(٣).

٧. الرجوع إلى المصدر الأول وهو الرسول ﷺ

من الوسائل المهمة التي استخدمها الصحابة - عليه السلام - في توثيق الحديث النبوي الشريف، والتأكد من حفظ من حدثهم الرجوع إلى المصدر الأول وهو الرسول - عليه السلام - وذلك في حياته ﷺ، وقد جاءت عدة أحاديث في ذلك، ومن أمثلتها:

١. ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده حيث قال: " وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِيْذَنْ النَّبِيِّ -

ﷺ - فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ وَلَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاسْتَحَلَّتْ فَأَلْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا

فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مُحَرِّشًا عَلَيَّ

فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتُ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَلَيَّ أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا

فَقَالَ « صَدَقْتَ صَدَقْتَ مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتُ الْحَجَّ »^(٤). فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على

أن بداية التحري والتثبت عن الإسناد كانت في حياة النبي - ﷺ - وأن توثيق السلسلة

النبوية الشريفة إنما كان وبدأ منذ عهده ﷺ.

٢. وما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أبي سبيد الخدري قال: " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -

فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعَّظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا

فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّغْنَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ

إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ

فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْنَبُ فَقَالَ أَيُّ الزَّيَانِبِ فَقِيلَ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَمْ انْذَكُوا لَهَا فَأَذِنَ لَهَا

(١) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٢١.

(٢) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٨٣.

(٣) ابن الوزير، أبو عبد الله المؤيد محمد بن إبراهيم، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، المطبعة السلفية - القاهرة، [ط: بدون]، ١٣٨٥ هـ - ج ١، ص ٤٩.

(٤) ابن حبان، كتاب المجروحين من الثقات، ج ١، ص ٢٧.

(٥) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي خُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَرَزَعَمَ ابْنُ مَسْنُودٍ أَلَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ ابْنُ مَسْنُودٍ زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ^(١).

٣. وما أخرجه الإمام ابن حبان بسنده عن عمرو بن أمية قال: "مرَّ عثمان بن عفان - أو عبد الرحمن بن عوف - بمرط فاستغلاه، فمرَّ به عمرو بن أمية، فاشتراه وكساه... الحديث"^(٢).

٤. وما أخرجه الإمام ابن ماجة بسنده عن أبي بن كعب : - أن رسول الله - ﷺ - قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم . فذكرنا بأيام الله . وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني . فقال متى أنزلت هذه السورة . إني لم أسمعها إلا الآن . فأشار إليه أن أسكت . فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني ؟ فقال أبي ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت . فذهب إلى رسول الله - ﷺ - فذكر ذلك له . وأخبره بالذي قال أبي . فقال رسول الله - ﷺ - (صدق أبي)^(٣).

وهكذا نجد الصحابة - ﷺ - كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، يسارعون بالرجوع إلى الرسول - ﷺ - إذا شكوا في خبر مخبر من حيث الثبوت أو الفهم عنه - ﷺ - لعارض يظنون من سهو، أو خطأ، أو وهم، أو نحوه، فكانوا غاية في التثبت والتحري في قبول الأخبار.

٨. الرجوع إلى مصدر غائب

ومن الوسائل المهمة التي استخدمها الصحابة - ﷺ - في توثيق الحديث النبوي الشريف الرجوع إلى مصدر غائب؛ للتأكد والتثبت من ضبط الحديث النبوي الشريف، ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه مسلم بسنده عن طاووس قال: كنت مع ابن عباس، إذ قال زيد بن ثابت: تُفْتَى أَنْ تُصَدَّرَ الْحَائِضُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهَا بِالنِّبْتِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِمَّا لَا فَسَلْ فَلَانَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ هَلْ أَمَرَهَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ فَرَجَعَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ صَدَقَ^(٤). فنلاحظ هنا رجوع زيد بن ثابت - ﷺ - إلى المصدر الغائب وهو المرأة الأنصارية للتثبت من الحديث النبوي الشريف.

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم ١٤٦٢، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الرضاع، باب النفقة، ذكر البيان بأن كل ما يصطنع المرء إلى أهله من الكسوة وغيرها يكون له صدقة، ج ١٠، حديث رقم ٤٢٣٧، ص ٤٩.

(٣) ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإتصاف لها، حديث رقم ١١١١، ص ١٢٥، وقال الألباني: صحيح.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، حديث رقم ١٣٢٨، ص ٣٢٦.

٢. وما أخرجه مسلم بسنده عن يزيد بن عبد الله بن قسيط؛ أنه حدثه؛ أن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص حدثه عن أبيه أنه كان قاعدا عند عبد الله بن عمر إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة إنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد ». فأرسل ابن عمر خبابا إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت وأخذ ابن عمر قبضة من حصي المسجد يقبلها في يده حتى رجع إليه الرسول فقال قالت عائشة صدق أبو هريرة... الحديث^(١).

٣. وما أخرجه النسائي بسنده عن نافع: "أنه حدثه قال كان بن عمر يكرى أرضه ببعض ما يخرج منها فبلغه أن رافع بن خديج يزجر عن ذلك وقال هي رسول الله - ﷺ - عن ذلك قال كنا نكرى الأرض قبل أن نعرف رافعا ثم وجد في نفسه فوضع يده على منكبي حتى دفعنا إلى رافع فقال له عبد الله أسمعتم النبي - ﷺ - هي عن كراء الأرض فقال رافع سمعت النبي - ﷺ - يقول لا تكروا الأرض بشيء"^(٢).

٤. وما أخرجه ابن حبان عن نافع بسنده أنه قال: "أن رجلا حدث ابن عمر أن أبا سعيد الخدري يحدث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، قال نافع: فانطلق ابن عمر وذلك الرجل وأنا معهم حتى دخلنا على أبي سعيد الخدري فقال ابن عمر لأبي سعيد: رأيت حديثا حدثني هذا الرجل أنك تحدثه عن رسول الله - ﷺ - أسمعته؟ قال أبو سعيد: وما هو؟ فقال ابن عمر: بيع الذهب بالذهب والورق بالورق فأشار أبو سعيد بأصبعه إلى عينيه وإلى أذنيه فقال: بصر عيني وسمع أذني رسول الله - ﷺ - يقول: (لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها شيئا غائبا بناجر)"^(٣).
هكذا هم صحابة رسول الله - ﷺ - كانوا في غاية التثبت والاحتياط وأسوة لمن بعدهم في التحري والتثبت في قبول الأخبار.

(١) التفسير، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها، حديث رقم ٩٤٥، ص ٢٢٤.
(٢) النسائي المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي، كتاب الإيمان والنذور، باب ذكر الأحاديث المختلفة في النهي عن كراء الأرض بالثلث والربع واختلاف الفاظ الناقلين للخبر، حديث رقم ٣٩١٥، ص ٤١١، وقال الألباني: شاذ بزيادة شيء.
(٣) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البيوع، باب الربا، ذكر الخبر المدهض قول من زعم أن نافعا لم يسمع هذا الخبر من أبي سعيد الخدري، ج ١١، حديث رقم ٥٠١٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٩. الإقرار

ومن الوسائل المهمة التي استخدمها الصحابة - ﷺ - في توثيق الحديث النبوي الشريف، طلب الإقرار من الصحابي الراوي للحديث النبوي الشريف، ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن سماك عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ: " « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَابَيْنِ » . وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ قَالَ فَقُلْتُ لَسْتُ أَتَى سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ نَعَمْ " (١).

٢. وما أخرجه الإمام الترمذي في جامعه عن أبي غالب قال: رأي أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦) إلى آخر الآية. قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ...؟ الحديث (٢).

٣. وما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده من حديث سعيد بن المسيب، قال: "مرّ عمر في المسجد وحسان ينشد، قال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك بالله أسمع... الحديث" (٣).

١٠. المواجهة

لقد استخدم الصحابة - ﷺ - أسلوب المواجهة للتأكد من ضبط الحديث النبوي الشريف، حيث أنه وسيلة مهمة لا تقل عن الوسائل الأخرى التي تبين ضبط الصحابة - ﷺ - للحديث النبوي الشريف، ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن نافع، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَأْتُرُ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي رِوَايَةِ قُتَيْبَةَ فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ وَكَافَعَ مَعَهُ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ رُمَيْحٍ قَالَ نَافِعٌ فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَنَا مَعَهُ وَاللَّيْثِيُّ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَرِقِ بِالْوَرِقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ وَعَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ. فَأَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ بِإصْبَعِهِ إِلَى عَيْنِهِ وَأَذُنِهِ فَقَالَ أَبْصَرْتُ عَيْنَيَّ وَسَمِعْتُ أُذُنَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... الحديث (٤). وبهذا استوثق ابن عمر - رضي الله عنهما - الحديث النبوي الشريف بالمواجهة مع راوي الحديث النبوي الشريف.

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأثرها الساعة: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٧٤٤٦، ص ١٣٩٢ - ١٣٩٣.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة آل عمران، حديث رقم ٣٠٠٠، قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٣٢١٢، ص ٣٤٦.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الربا، حديث رقم ١٥٨٤، ص ٤٠٤.

٢. وما أخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُصُّ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلَا يَصُومُ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ - لِأَبِيهِ - فَأَلْكَرَ ذَلِكَ فَأَطْلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالطَّلَقُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ - قَالَ - فَكَلَّمَهُمَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ - قَالَ - فَأَطْلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ غَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا ذَهَبَتْ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ - قَالَ - فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ - قَالَ - فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَهْمَا قَالَتَاهُ لَكَ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ لِي ذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ فَارْجِعْ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. قُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَقَالَتَا فِي رَمَضَانَ قَالَ كَذَلِكَ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ^(١).

١١. عرض الحديث الذي يحفظه الصحابي على الصحابة

وهذا ما عُبِّرَ عنه فاروق حمّاده عند كلامه عن كيفية معرفة ضبط الصحابة - ﷺ - فقال في النقطة الثانية: "وأحياناً يحدث الصحابي بحديث أو واقعة كانت مع رسول الله - ﷺ - فيأتي صحابي آخر أو صحابة آخرون، فيؤيدون هذا الصحابي ويصدقونه، ويؤكدون سماعهم لما سمعوا"^(٢)، ومن أمثله ذلك:

١. ما حدث لعثمان بن عفان - ﷺ - وقد علا المنبر، وقال: أذكر الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ - قوله: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شافٍ" لما قام، فقاموا حتّى لم يحصوا، فشهدوا بذلك"^(٣).

٢. وما أخرجه الترمذي بسنده عن عكرمة قال: سمعت الحجاج بن عمرو الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من كسر أو عرج فقد حلّ، وعليه الحج من قابل" قال عكرمة: فسألت ابن عباس، وأبا هريرة عن ذلك فقالا: صدق^(٤).

٣. وما أخرجه الرامهرمزي بسنده عن سمرة بن جندب حيث قال: "سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: اثنا عشر قيماً من قريش لا تضرهم عداوة من عداهم، فالتفت فإذا عمر بن الخطاب وأبي في أناس، فأنبئوا لي الحديث، كما سمعت"^(٥).

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم ١١٠٩، ص ٢٦٥.

(٢) حمّادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ص ٢٣٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، حديث رقم ٢٤١٩، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

(٤) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في الذي يهل بالحج فيكسر أو يعرج، حديث رقم ٩٤٠، ص ١٧١، وقال الألباني: صحيح.

(٥) الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص ٤٩٤.

فهنا نلاحظ أن الصحابة - ﷺ - لم يكتفوا بمجرد السماع، وإنما كانوا ينتهون في هذا السماع، فيسألون من حضر مجلس النبي ﷺ.

١٢. الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف

ومن الوسائل المهمة التي استخدمها الصحابة - ﷺ - للتثبت والتوثيق مما يخبرهم به بعضهم عن رسول الله - ﷺ - الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١. رحلة ضمام بن ثعلبة إلى النبي - ﷺ - والذي أخرجه البخاري عن أنس بن مالك - ﷺ - أنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاقَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالتَّيْبِيُّ - ﷺ - مُتَكَيٍّ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ التَّيْبِيُّ - ﷺ - قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْهَدُكَ بِاللَّهِ أَلَّا أَمْرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ... الحديث^(١).

قال ابن حجر: مستتبطينا الفوائد المرجوة من هذا الحديث النبوي الشريف وفي هذا من الحديث من الفوائد غير ما تقدم العمل بخبر الواحد، ولا يقدح فيه مجيء ضمام متنبئاً لأنه قصد اللقاء والمشافهة كما تقدم عن الحاكم وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا كما وقع في حديث ابن عباس^(٢).

إذن أتى ضمام من أجل التثبت والتوثيق مما يخبرهم به رسله فلم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه إلى رسول الله - ﷺ - وسمع منه ما بلغه الرسول عنه^(٣).

٢. رحلة جابر بن عبد الله الأنصاري التي استغرقت شهراً كاملاً إلى عبد الله بن أنيس - ﷺ - بالشام ليتوثق من حديث بلغه عنه: فعن عبد الله بن محمد بن عقيل: أن جابر بن عبد الله حدثه: "أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي - ﷺ - فابتعت بغيراً فشددت إليه رحلي.. الحديث"^(٤).

وبذلك يتبين أن رحلة الصحابة - ﷺ - من بلد إلى بلد كان من أجل التثبت والعلو في الإسناد، والأمثلة على ذلك كثيرة فلترجع في فصل الوسائل التي استخدمها الصحابة - ﷺ -

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه، آية رقم

(١١٤)، حديث رقم ٦٣، ص ٢٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص ٥ - ٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ووصله البخاري في الأدب المفرد، ص ٣٣٧، حديث رقم ٩٧٠.

في إتباع منهجهم في مبحث الرّحلة في طلب الحديث النبوي الشريف، لان المقام يضيق بحصرها.

١٣. معرفة ضبط الحديث النبوي الشريف بعرض المحفوظ على الكتاب

ومن أمثلة ذلك:

ما أخرجه مسلم بسنده عن نافع بن جبير؛ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ خَطَبَ النَّاسَ فَذَكَرَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا فَنَادَاهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ فَقَالَ مَا لِي أَسْمَعُكَ ذَكَرْتَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَلَمْ تَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَقَدْ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا وَذَلِكَ عِنْدَنَا فِي أَدِيمِ خَوْلَانِي إِنْ شِئْتَ أَفْرَأُكَ. قَالَ فَسَكَتَ مَرْوَانُ ثُمَّ قَالَ قَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ ذَلِكَ ^(١).

فظاهر الحديث أن رافع بن خديج - ﷺ - قد كشف قصور ضبط مروان مستشهداً على ذلك بما هو مكتوب عنده ^(٢).

أو ربما يقوم الصحابي بكتابة الحديث النبوي الشريف ثم يرجع إليه عند الحاجة، أو عند ضعف الذاكرة ليتأكد من ضبطه وحفظه، ومن أمثلة ذلك:

- ما روي عن عمرو بن أمية الضمري أنه قال: تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره، قلت: أني قد سمعته منك فقال: إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله - ﷺ - فوجد ذلك الحديث، فقال: قد أخبرتك إلى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي ^(٣).

١٤. معرفة ضبط الراوي بالرجوع إلى من هو أعلم وأحفظ

ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن عبد الله بن رفاعة بن رافع قال: بينما أنا عند عمر بن الخطاب إذ دخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هذا زيد بن ثابت يفتي الناس في المسجد... الحديث ^(٤). ويعد قول علي رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين أنه ليس أحد أعلم بهذا من شأن رسول الله - ﷺ - من أزواجه من الدلائل القوية في "وجوب الرجوع إلى الأعم والأحفظ" ^(٥).

٢. وما أخرجه البخاري بسنده عن عائشة قالت: "دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أَصَدَّقَهُمَا فَعَرَجْنَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمة، حديث رقم ١٣٦٠، ص ٣٣٥.

(٢) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ١٧.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العمل وفضله، ج ١، ص ٩٠.

(٤) ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الطهارات، باب من قال إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، ج ١، حديث رقم ٩٤٧، ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم ٦٣٦٦، ص ١٢٧٢.

﴿فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ صَدَقْتَ إِنَّهُمْ يُعَذِّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ﴾.

فهنا نلاحظ أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عادت إلى النبي ﷺ - بوصفه الأعلَم في ذلك، والله أعلم^(١).

١٥. معرفة ضبط الراوي بموافقة الثقات له

ومن أمثلة ذلك:

١. ما أخرجه مسلم بسنده عن هشام عن أبيه قال: "كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ

الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ. وَعَائِشَةُ تُصَلِّي فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا

وَمَقَالَتِهِ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَذَهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ"^(٢). يقول

القاضي عياض: "وقول أبي هريرة حين حدث: 'اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ' يريد عائشة،

ذلك - والله أعلم - ليكون قوة في حديثه لإقرارها له ما يحدث به، ولم تتكرر شيئاً منه

سوى إكثاره كما قالت في الحديث: "كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَذَهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ"^(٣).

وقال النووي: ومعنى قوله: "اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ"، "يعني عائشة ومراده بذلك تقوية

الحديث بإقرارها ذلك وسكوته عليه ولم تتكرر عليه شيئاً من ذلك سوى الإكثار من

الرواية في المجلس الواحد لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه"^(٤).

٢. وما أخرجه البخاري بسنده عن جرير بن حازم قال: سمعت نافعاً يقول: حَدَّثَ ابْنُ عُمَرَ

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - ﷺ - يَقُولُ مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ فَلَهُ قِرَاطٌ فَقَالَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَيْنَا . فَقَالَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ

عَلَيْنَا فَصَدَّقْتَ يَغْنِي عَائِشَةُ أَبَا هُرَيْرَةَ وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُهُ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا: لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قِرَارِيطٍ كَثِيرَةٍ"^(٥).

وفي رواية الإمام أحمد: "فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ - ﷺ - أَبَا هُرَيْرَةَ الظُّرُ مَا تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -

ﷺ - فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ حَتَّى الطَّلَقَ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّكَ بِاللَّهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ

اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ فَصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِرَاطٌ فَإِنْ شَهِدَ دَفَنَهَا فَلَهُ قِرَاطَانِ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ

(١) الحوري، تحقق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ومسانله، ص ١٦ - ١٧.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابه العلم، حديث رقم ٢٤٩٣، ص ٧٥٧.

(٣) البحبهي، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بقوائد مسلم، ج ٨، ص ٥٥٤.

(٤) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٩، ص ٣٤٣.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل إتيان الجنائز، حديث رقم ١٣٢٣، و ١٣٢٤، ص ٢٦٠.

نَعَمْ... الحديث" (١). يقول ابن حجر مستتباً الفوائد من هذا الحديث: "وفيه استغراب العالم ما لم يصل إلى علمه، وعدم مبالاة الحافظ بإنكار من لم يحفظ، وفيه ما كان الصحابة عليه من التثبت في الحديث" (٢).

ففي هاتين الحكايتين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - نلاحظ كيف عمد أبو هريرة على عرض حديثه على النقات المتقنين ممثلين بأم المؤمنين عائشة طالبا لموافقهم يستدل بذلك على صحة روايته وصدق نقله والله أعلم (٣).

٣. وما أخرجه مسلم بسنده عن طاوس قال: "جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بشير بن كعب - فجعل يحدثه فقال له ابن عباس يحدث كذا وكذا. فعاد له ثم حدثه فقال له عُدْ لحديث كذا وكذا. فعاد له فقال له ما أدرى أعرفت حديثي كله وألكرت هذا أم ألكرت حديثي كله وعرفت هذا فقال له ابن عباس إنا كنا نحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والدلول تركنا الحديث عنه" (٤).

٤. وما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ خَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ" فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ (آل عمران: ١٠٦)، فجاء الأشعث فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن في أنزلت هذه الآية كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فقال لي شهودك قلت ما لي شهود قال فيمينه قلت يا رسول الله إذا يخلف فذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث فأنزل الله ذلك تصديقا (٥). فنلاحظ هنا من ابن عباس والأشعث تثبتا من حفظ المحدثين بموافقة حديثهما لما عندهما (٦).

١٦. بيان عدد مرّات سماع الحديث من النبي - صلى الله عليه وسلم -

١. ما أخرجه الترمذي في جامعه بسنده عن أبي غالب قال: "رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٨، حديث رقم ٤٤٥٣، ص ٢٠، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٩٥.

(٣) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ١٩.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي، عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، حديث رقم ٧، ص ٦.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، حديث رقم ٢٣٥٦، ص ٤١٨.

(٦) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله، ص ٢٠.

إلى آخر الآية. قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً... الحديث^(١).

٢. وما أخرجه مسلم بسنده عن عمرو بن عبسة بعد حديث حدث به: "لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي وَرَزَقَ عَظْمِي وَاقْتَرَبَ أَجَلِي وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى عَدْتُ سَبْعَ مَرَّاتٍ - مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"^(٢). فهنا نلاحظ كيف كان الصحابة -ﷺ- لا يملون من سماع الحديث من رسول الله -ﷺ- أكثر من مرة، ويروى بعضهم أنه لا يجيز لنفسه رواية الحديث النبوي الشريف إلا إذا سمعه أكثر من ثلاث مرات.

٣. وما رواه الشاشي في مسنده عن عبد الله بن سلمة بسنده أنه قال: "سمعت عبد الله بن مسعود يقول: أوتي نبيكم مفاتيح كل خمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

(لقمان: ٨٤). قال: فقلت: أنت سمعته من عبد الله؟ قال: نعم أكثر من خمسين مرة"^(٣). فهذا يدل على مقدار تحديث ابن مسعود -ﷺ- للحديث الشريف ونشره وتبليغه به.

١٧. التأكيد بسماع الأذن وبصر العين ووعي القلب من رسول ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَالِيقُ وَمَعَالِيقُ فَقَالَ لَهُ أَبِي يَا عَمُّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ. قَالَ أَجَلُ كَانَ لِي عَلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ الْخَرَامِيُّ مَالٌ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ ثُمَّ هُوَ قَالُوا لَا. فَخَرَجَ عَلَى ابْنِ لَهْ جَفَرٌ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَبُوكَ قَالَ سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَهُ أُمِّي. فَقُلْتُ اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَلْتَ. فَخَرَجَ فَقُلْتُ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي قَالَ أَنَا وَاللَّهِ أَحَدْتُكَ ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أَحَدْتُكَ فَأَكْذِبَكَ وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا. قَالَ قُلْتُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ. قُلْتُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ. قُلْتُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ. قَالَ فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ وَجَدْتُ قَضَاءً فَأَقْضِي وَإِلَّا أَلْتُ فِي حِلٍّ فَأَشْهَدُ بِصَرِّ عَيْنِي هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب التفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم ٣٠٠٠، ص ٤٧٩، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم ٨٣٥، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٣) الشاشي، مسند الشاشي، ج ٢، ص ٣٠٧.

عَيْنِيهِ - وَسَمِعُ أَذُنِي هَاتَيْنِ وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِقِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يَقُولُ « مَنْ أَلْظَرَ مَغْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ». قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَنَا يَا عَمُّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَاظِرِكَ وَأَخَذْتَ مَعَاظِرِيهِ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ فَكَأَنَّكَ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ . فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنِي هَاتَيْنِ وَسَمِعُ أَذُنِي هَاتَيْنِ وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا ... الحديث (١).

وما أخرجه مسلم بسنده عن أبي بكر بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ». يَغْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ آتَتْ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ نَعَمْ. قَالَ الرَّجُلُ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - سَمِعْتُهُ أَذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. " (٢).

١٨. وصف الحالة والهيئة التي كان عليها النبي ﷺ

- أخرج الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَالْخَلَاقُ يَخْلُقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ " (٣).

١٩. وصف القرب من النبي - ﷺ - عند سماع الحديث النبوي الشريف

ومثاله ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل قال قَالَ كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ - ﷺ - لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤَخَّرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ». قُلْتُ لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ... الحديث (٤).

- ومنه ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عندما رَجَّحَ أَنْ أَفْضَلَ الْحَجِّ هُوَ الْفُرَادِ، فَوَصَفَ قُرْبَهُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: "كُنْتُ تَحْتَ جِرَانِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلَعَابُهَا بَيْنَ كَتْفَيَّ" (٥).

٢٠. معرفة ضبط الراوي بالاختبار

وتظهر هذه الوسيلة للتأكد من ضبط الرواة وحفظهم لما يروون من خلال المثال التالي:

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جبريل الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم ٧٥١٢، ص ٧٥٨.
(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٤)، ص ١٥١ - ١٥٢.
(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب ﷺ من الناس، حديث رقم ٦٠٤٢، ص ٥٩٩.
(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم ٤٨، ص ٢٢.
(٥) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، باب تولي غير مواليه، ج ٩، ص ٤٧.

أخرج أبو داود بسنده عن محمد بن عمر بن عطاء قال: سَمِعْتُ أَبَا حُمَيْدٍ السَّاعِدِيَّ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْهُمْ أَبُو قَتَادَةَ قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالُوا فَلِمَ قَوْلُ اللَّهِ مَا كُنْتَ بِأَكْثَرِنَا لَهُ تَبَعًا وَلَا أَقْدَمَنَا لَهُ صُحْبَةً. قَالَ بَلَى. قَالُوا فَأَعْرِضْ... الحديث^(١).
فقولهم هنا فاعرض صريح في إرادتهم التثبت والتأكد من حفظه وضبطه للحديث النبوي الشريف بالاختبار والامتحان^(٢).
٢١. تأكيد السماع كأنه ساعة تحديته

مثاله: ما أخرجه النسائي بسنده عن سيَّار ابن سلامة قال سمعت أبي يسأل أبا ברزة عن صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت أنت سمعته قال كما أسمعك الساعة... الحديث^(٣).

فهذه الآثار وغيرها دلالة بيّنة، ومعلم واضح من معالم تحري الصحابة - ﷺ - وما كانوا عليه من التثبت والتدقيق، والتمحيص في قبول الأخبار صوناً لها من التحريف والتزييف، وصيانة لها من التبديل والتغيير، وليس في تدقيقهم وتمحيصهم للرواية وتشدهم في قبولها ما يفيد أنهم كانوا يكتفون ناقل الحديث النبوي الشريف، بل كانوا يخشون ويخافون الخطأ في النقل، والغلط في الحفظ، والوهم في الضبط، فلا يؤدي الحديث على وجهه^(٤). يقول عمران بن حصين - ﷺ -: "والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله - ﷺ - يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه كما شبّه لهم فأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون"^(٥).

المطلب الخامس: أسباب تفوق الصحابة - ﷺ - في حفظ الحديث

عرفنا فيما سبق بعض الأوهام النادرة التي وقعت للصحابة - ﷺ - وأن هذه الأوهام لا تضر بحفظهم وتثبتهم للحديث النبوي الشريف، وأنهم كانوا آية وغاية في الحفظ والتثبت بحيث أصبحوا أنموذجاً يحتذى به لكل من جاء بعدهم من التابعين، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وكنت قد بدأت الحديث عن الوهم؛ لأن الأصل فيهم الضبط والانتقان والوهم فيه عارض ونادر جداً، وقد تضافرت عدة عوامل وأسباب للصحابة مكنتهم من أن يحفظوا السنة النبوية الشريفة كما صدرت من النبي - ﷺ - ثم نقلوها سليمة نقية لمن بعدهم بأمانة لا نظير لها^(٦)، لذا فإنه يتحكم في مسألة ضبط الصحابة - ﷺ - للحديث النبوي الشريف عوامل عدة بعضها يعود

(١) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، حديث رقم ٤٣٠، ص ٩٩ - ١٠٠، وقال الألباني: صحيح.

(٢) الحوري، تحقيق الصحابة من ضبط الرواة أسبابه ووسائله ص ٢٢.

(٣) النسائي، المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي، كتاب المواقيت، باب أول الظهر، حديث رقم ٤٩٥، وقال الألباني: صحيح.

(٤) البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٤٧.

(٥) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٠.

(٦) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٦٥.

لشخص النبي ﷺ، وأسلوبه الحكيم في إلقاء الحديث، وبعضها الآخر يعود لأسباب خاصة بهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم، وسرعة استجابة ذاكرتهم لحفظ ما سمعوه من النبي ﷺ - وبعضها لأسباب عامة^(١).

أولاً: تفوقهم في الضبط من جهة النبي ﷺ

وتتمثل بما يلي:

١. تخولهم بالموعظة:

يمثل النبي ﷺ - المعلم الحكيم الحريص على إفادة أصحابه بشتى الوسائل التعليمية والتربوية المتاحة عند إلقاء الحديث النبوي الشريف عليهم، وكان - ﷺ - يسلك سبيل الحكمة كي يجعلهم أهلاً لتحمل المسؤولية، فكان من شأنه أن ينتهز فرصة نشاطهم وفراغ قلوبهم من أي شاغل قد يجعل من المادة الملقاة عليهم عبئاً يملهم أو ينفّرهم^(٢)، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا"^(٣)، ومعنى ذلك أنه كان - ﷺ - يراعي الأوقات في تذكيرهم ولا يفعل ذلك كل يوم حتى لا يملوه^(٤)، لأن الاستمرار في الوعظ، والتعليم وكثرة الإرشاد والتوجيه، يدخل الملل في نفوسهم فتقل الفائدة لذا فإنه من الحكمة تذكيرهم وتعليمهم بين وقت وآخر من أجل تثبيت ما يتلقونه من معلومات في أذهانهم، وقد اقتفى هذا الأسلوب الصحابة - رضي الله عنهم - من بعده ﷺ^(٥).

٢. تمهل الرسول - ﷺ - عند الأداء وعدم سرد النبي - ﷺ - حديثه:

عُرف عن النبي - ﷺ - تمهله في أداء الحديث الشريف، حتى أن العاد لو أراد أن يعد كلماته لأحساها، فهذه الصورة في التمهّل وعدم الاستعجال، كانت سبباً مهماً من أسباب تفوق الصحابة في الحفظ والضبط لما يلقى إليهم^(٦)، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "أَلَا يَعْجَبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أَسْبَحُ لِقَامِ قَبْلِ، أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي وَلَوْ أَذْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ"^(٧). ومعنى سرد الحديث: تتابعه، وتواليه، والاستعجال فيه^(٨).

(١) سلطان، العكايلة، والمصاحب، محمد عيد، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٢٥، العدد ٢، ١٩٩٨م، ص ٣٢٦.

(٢) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص ٣٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، حديث رقم ٦٨، ص ٢٥.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢١٥.

(٥) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٦) العكايلة والمصاحب، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، ص ٣٢٧.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، حديث ٣٥٦٨، ص ٧٠٨.

(٨) العظيم آبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٥٨.

فمن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: " كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ. وَغَائِشَةُ تُصَلِّي فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ آتِفًا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ غَدَهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ. ^(١)

ومعنى هذا: " لَوْ غَدَهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ " أي لو عد كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهم ^(٢)، فلم يكن حديثه - صلى الله عليه وسلم - متتابعاً بحيث يلتبس على المستمع فهمه، بل كان كلامه واضحاً أشد الوضوح ^(٣). وهنا نلاحظ أن أم المؤمنين لم تكن قد أنكرت شيئاً سمعته من أبي هريرة - رضي الله عنه - وإنما أنكرت عليه حديثه في المجلس الواحد، خوفاً من حصول السهو ونحوه بسبب سرد الحديث ^(٤).

٣. إعادته - صلى الله عليه وسلم - العبارة وتكراره لها

مما لا شك فيه أن تكرار الحديث، وإعادة العبارة من الأساليب التربوية التي اتبعها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تعليم أصحابه، وذلك بقصد حفظ الحديث، وفهمه، وعدم نسيانه، وبقصد التأكيد عليه إذا كان ذا شأن عظيم وأثر بالغ، أو كان من الأمور التي تحتاج إلى التنبية والتحذير، فالتكرار والإعادة يبرزان أهمية الموضوع وخطورة شأنه، ويساعدان في حفظ الحديث وضبطه بصورة لا يكون معها الوهم أو الخطأ ^(٥).

فهذا أنس بن مالك - رضي الله عنه - يصف أسلوب النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول: " أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا ^(٦) ".

وقد استنبط ابن التين من هذا الحديث قوله: "تبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث" ثم قال: "فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان" ^(٧). فإعادة الكلام ثلاثاً: إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه فيكرره لسيفهم، وإما أن يكون القول فيه بعض الأشكال فينتظر بالبيان ^(٨) أو أراد الإبلاغ في التعليم الزجر في الموعظة ^(٩). ومن أمثلة ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "تخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر سافرناه، فأدركناه وقد أرهقنا الصلاة، صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا. فنادى بأعلى صوته: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم (٢٤٩٣)، ص ٧٥٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٧١٧.

(٣) الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٥٨.

(٤) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٨، ص ١٢٩.

(٥) العكايلة والصاحب، أسباب تفوق الصحابة في حفظ الحديث، ص ٣٢٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه فقال: "ألا وقول الزور فما زال يكررها، حديث رقم ٩٦، ص ٣١.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٤٩.

(٨) العظيم آبادي، عون المعبود سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٥٨.

(٩) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٥٨.

النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا" (١). ويمثل له أيضاً بحديث النهي عن شهادة الزور وقوله " هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا (٢) .

٤. بركة النبي - ﷺ - وبركة دعائه:

لقد حاز بعض الصحابة - ﷺ - قوة الحفظ والذاكرة ببركة النبي - ﷺ - وبركة دعائه، كابن عباس رضي الله عنهما، الذي ضمنه الرسول - ﷺ - إلى صدره (٣)، وقال: " اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْحِكْمَةَ " (٤)، وكذلك ما كان لأبي هريرة - ﷺ - حيث قال: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَلَسَاءَ قَالَ ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ قَالَ فَعَرَفَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ ضُمُّهُ فَضَمَّمْتُهُ فَمَا كَسَيْتُ شَيْئًا بَعْدَ " (٥). وبهذا يظهر لنا أثر دعاء النبي - ﷺ - لبعض أصحابه في حفظ الحديث النبوي الشريف وضبطه والإكثار من حمله وروايته، ويتبين أنهم فاقوا من جاء بعدهم في الرواية ببركة دعاء رسول الله ﷺ (٦).

قلت: ويمكن أن يضاف إلى هذه الأسباب أسباباً أخرى وهي:

٥. مخاطبته للصحابة بلهجتهم:

لقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن عاصم الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ "لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ أَمْصِيَامٌ فِي أَمْسَفَرٍ" (٧). ومعنى ذلك أنه: ليس من البر الصيام في السفر، وهذه لغة الأشعريين، يقلبون اللام ميماً (٨). فبسبب اختلاف لهجات القبائل العربية كان - ﷺ - يخاطب أبناء كل قبيلة بلهجتها المعهودة، من أجل أن يفهموا حديثه على وجهه الصحيح (٩).

٦. سلوك النبي - صلى الله عليه وسلم - التواضع ولين الجانب مع الرفق والتيسير:

إن تواضع الرسول - ﷺ - ولين جانبه كما وصفه تعالى بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ لَوَكُنْتُ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُّوا مِنْ حَوْكٍ﴾ (آل عمران: ١٥٩). قد شجع الصحابة - ﷺ - على حضور مجالسه برغبة وشوق لاستماع حديثه ثم حفظه وتبليغه، فقد كان - ﷺ - دائماً يوصي أصحابه بالتيسير وعدم التشديد، فعن أنس بن مالك - ﷺ - قال: قال النبي ﷺ: " يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشَرُوا وَلَا تُنْفَرُوا " (١٠).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، حديث رقم (٩٦)، ص ٣٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه فقال "أي وقول الزور" فما زال يكررها، ص ٣٠.

(٣) العكايلة والصحاح، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، ص ٣٢٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم ٣٧٥٦، ص ٧٤٢.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٩، ص ٣٥.

(٦) العكايلة والصحاح، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٧) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٨٣.

(٨) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص ٥٠.

(٩) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٠٣.

(١٠) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعة، حديث رقم ٦٩، ص ٢٥.

٧. مراعاته لمستويات الصحابة - ﷺ - المختلفة:

كان من هدية - ﷺ - مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فكان يخص بعض أصحابه دون بعض بالعلم خشية أن لا يفهموا حديثه؛ ومن أمثله ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن أنس - رضي الله عنه - قال: "ذكر لي أن النبي - ﷺ - قال لمعاذ: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ لَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْفُرُوا" (١).

٨. اختباره معرفة أذهان الصحابة ﷺ:

وكان من هدية - ﷺ - أنه ربما طرح المسألة على أصحابه ليختبر، ما عندهم من العلم ويشحن أذهانهم للفهم، وذلك من أجل أن يشوقهم لاستماع حديثه (٢)، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - أنه قال: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا التَّخْلَةُ فَاسْتَحَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ التَّخْلَةُ" (٣).

٩. نشره لسننه - ﷺ - على أوسع نطاق (٤).

ثانياً: تفوق الصحابة - ﷺ - بأسباب خاصة بهم ومنها:

١. علو إسنادهم:

تعد طبقة الصحابة - ﷺ - أولى الطبقات في سلسلة الأسانيد (٥)؛ لكونهم ملازمين وملاصقين للرسول - ﷺ - في رواية الحديث النبوي الشريف ونقله، ولأن تلقيهم للحديث الشريف كان تلقياً مباشراً منه دون وساطة أحد، فالدارس للحديث الشريف، يجد أن الراوي إذا بعد عهده من عهد الرسول ﷺ؛ طال عليه السند ولحق به مشقة حفظ أسماء الرواة والفاظ الحديث الشريف، وغير ذلك من أمور الرواية، في حين أن الراوي إذا قرب عهده من عهد النبي - ﷺ - قصر عليه السند، ووفر ذلك عليه مشقة حفظ السند بكثرة الرواة واختلاف أحوال الرواية، فإذا كان الراوي ملازماً للرسول - ﷺ - فإنه لا يلحق به عبء حفظ الأسانيد، بل ينصب جهده على حفظ المتن فقط، وعلى ضوء ذلك فإنه كلما كانت طبقة الرواة أقرب إلى النبي - ﷺ - كان حديثها أقوى من حديث الطبقة التي تليها، وينبغي على ذلك أن طبقة الصحابة - ﷺ - تعلقوا على ما سواها من الطبقات جميعاً من حيث دقة الحفظ وقوة الضبط، لأن ما ذكره العلماء من تجويز الخطأ والوهم من جهة سند الحديث، لا يرد على رواية الصحابة ﷺ، بسبب كونهم رأس الأسانيد للأحاديث المتصلة كلها (٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من حض بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا حديث رقم (١٢٩)، ص ٣٧

(٢) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ١٠٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب شرح الإمام المسألة على أصحابه، حديث رقم ٦٢، ص ٢٣.

(٤) قد فصلت ذلك في عوامل انتشار الحديث في عهده ﷺ، في الفصل الرابع في البحث الثالث فلتراجع في موضعها.

(٥) الصالح، محمد عيد، الاسناد العالي وأثره في حفظ الصحابة وضبطهم، مجلة دراسات، عمان، الأردن، مجلد ٣، عدد ٢، ص ٢١٤، سنة ١٩٩٦م.

(٦) المكايلة والصالح، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

٢. اقتران تحملهم بوقائع ومشاهد حضروها:

من المعلوم أن الخبر إذا اقترن بحادث أو واقعه، أو قرنه سامعه بزمان أو مكان معينين، كان ذلك أدعى لحفظه، وسبباً لثباته في القلب، وكان المتحمل له أبعد عن الوهم والخطأ منه أو نسيانه، بل أن ذلك سبباً مهماً في استحضار دقائقه وتفصيلاته، ومن هنا فقد تميز تحمل الصحابة للحديث بهذه الميزة التي انفردوا بها عما جاء بعدهم، فحضروا وشاهدوا الوقائع والحوادث^(١).

يقول الزرقاني: "ارتباط كثير من كلام الله ورسوله بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تنثير الاهتمام، وتنبيه الأذهان، وتلفت الأنظار إلى قضاء الله ورسوله فيها وحديثهما عنهما، وإجابتهما عليهما، وبذلك يتمكن الوحي الإلهي والكلام النبوي في النفوس فضل تمكن وينتقش في الأذهان على مر الزمان"^(٢). ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم بسنده عن جابر - أن رسول الله - ﷺ - مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كُنُفَتُهُ فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيِّتٍ فَتَنَازَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ « أَتَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ ». فَقَالُوا مَا نُحِبُّ آلَهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ آلَهُ لَكُمْ ». قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْنًا فِيهِ لَأَكَلَهُ أَسْكَ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ « فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ ». «^(٣)».

٣. اقتران بعض الأحاديث بأمور خارقة حضروها:

من المعلوم أن الأمور الخارقة التي تخرج على نواميس الكون وقوانينه العامة، تثبت في الحافظة، وتسنقر في الصدر، وتتركز في الفؤاد فلا تكاد تنسى ولا يكاد يقع فيها الوهم أو يحصل لها النسيان، ومن أمثلة ذلك: ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة - ﷺ - قال: " قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ ثُبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِلَّتْ لَنَا فَتَحَرْنَا لَوَاصِحَتَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « افْعَلُوا ». قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتُ قُلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ اذْغُهُمْ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ثُمَّ اذْغِ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « نَعَمْ ». قَالَ فَدَعَا يَنْطَعِ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ - قَالَ - فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ - قَالَ - وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ - قَالَ - وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ - قَالَ - فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ « خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ ». قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَغَاءَ إِلَّا مَلَأُوهُ - قَالَ - فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَلَصِلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فَيُخَجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ ». «^(٤)».

فهذه الخوارق التي هي خلاف المألوف التي وقعت للنبي - ﷺ - وعابنها الصحابة، يستحيل أن ينساها من رآها منهم،

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٠.

(٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، م ١، ص ٢٦٣.

(٣) التشيرى، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، [يدون: باب]، حديث رقم ٢٩٥٧، ص ٧٤٨.

(٤) التشيرى، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم (٢٧)، ص ٢١.

ويبعد أن يخلط فيها أو بهم، بل على العكس من ذلك فإن هذه الخوارق تترسخ في نفس من شاهدها، وتبقى في عقله، فلا ينساها أبداً إلا إذا ذهب عقله، أو انفلتت نفسه^(١).

٤. سيلان أذهانهم، وصفاء فطرتهم، واستعدادهم الفطري، المتمثل بقوة الحافظة ونشاط

الذاكرة:

امتازت حياة العرب ببساطة العيش والبعد عن تعقيد الحضارة ومشاكلها، واقتصروا فيها على الضرورات التي تقوم بها هذه الحياة، وقد اشتهر الصحابة بالحفظ وسيلان الذهن، فقد تعلم زيد بن ثابت الأنصاري اللغة السريانية في سبعة عشر يوماً^(٢)، وابن عباس - رضي الله عنهما - فقد حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها: أمن آل ناعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمبكر يقال إنه حفظها من سمعه واحدة وهي تبلغ خمسة وسبعين بيتاً من البحر الطويل، وإن أصابك العجب من حفظ من تقدم ذكره من الصحابة فأعجب بحفظ أم المؤمنين عائشة، ولا أدل على ذلك حفظها لحديث أم زرع على ما فيه من غرابة الألفاظ، ناهيك عن استدراكها على كثير من الصحابة فيما يروونه^(٣)، يقول ابن الأثير: "كان اعتماد الصحابة أولاً على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر غير ملتفتين إلى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه محافظة على هذا العلم، كحفظ كتاب الله عز وجل"^(٤).

٥. تقواهم وورعهم:

عرف عن الصحابة - رضي الله عنهم وتقواهم، وقوة إيمانهم، وصدق يقينهم وشده حبهم لله تعالى، وقد وردت أقوال كثيرة عنهم في ذلك، ومن أمثلة ذلك: ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته"^(٥)، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله الله في القلوب"^(٦).

٦. توظيف ما تحملوه من الحديث قولاً وعملاً:

إن العلم ليس مقصوداً لذاته بل هو وسيلة للعمل الذي تزكو به النفس ويستقيم به السلوك، وإلا كان العلم وبالا على صاحبه، وقد وظف الصحابة ما تحملوه من الرسول - ﷺ - قولاً وعملاً، يقول أبو الدرداء - رضي الله عنه -: "أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت؟"^(٧). ويقول أبو ذر: "ويل لمن لا يعمل ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات"^(٨). "ولاشك في أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير ويؤكد فيه أقوى تأكيد وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس من أن التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أروع من العمل، ولا مثال أمثل من الإتيان خصوصاً المعارف الدينية، فإن النفس تزكو بتفنيها، وتزداد انضباطاً

(١) العكايلة والصحاح، أسباب تفوق الصحابة في حفظ الحديث، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠ وانظر العكايلة والصحاح، أسباب تفوق الصحابة في حفظ الحديث، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ١، ص ٤٠.

(٥) البغدادى، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ٣١٣.

(٦) الزمهرمزي، المحدث الفاضل بن الراوي والواعي، ص ٥٥٨.

(٧) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٥٧، وانظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٢.

(٨) المصدر السابق، نفسه، ص ٥٨، وانظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٤.

بإتباعها^(١). وهكذا كان توظيف الصحابة ما سمعوه من النبي - ﷺ - على نفوسهم الأثر الواضح في تفوقهم في ضبط الحديث النبوي الشريف^(٢).

٧. تثبتهم في رواية الحديث النبوي الشريف:

لقد كان الصحابة - ﷺ - مثالا راقيا في الأخذ بهذا المنهج السديد، وفي هذا يقول الزرقاني: "إن الناظر في تاريخ الصحابة ليروعه ما يعرفه عنهم في تثبتهم أكثر مما يروعه ما يعرفه عنهم في حفظهم"^(٣)، ثم جعل مرد ذلك أن التثبت فضله ترجع إلى الأمانة الكاملة والعقل الناضج، لذلك فلا عجب أن يرحد الصحابة المسافات البعيدة من أجل سماع حديث واحد، والتأكد من روايته عن راويه، ثم أنهم أقلوا الراوية ولم يكثرُوا خشية الوقوع في الخطأ، فكان الصحابة عامة، والخلفاء الراشدين خاصة، آية في التثبت والتحري، وغدوا أنموذجا يحتذى به كل من جاء بعدهم، وبناءً عليه فإنهم بحق، الأوائل في إرساء قواعد منهج المحدثين في الرواية وما يتبعها من علوم الحديث اللازمة^(٤).

٨. عناية بعض الصحابة - ﷺ - بأحاديث موضوعات خاصة

عرف عن بعض الصحابة - ﷺ - شدة الاهتمام بأحاديث ذات علاقة بموضوعات معينة لسبب من الأسباب، فهذا عدي بن حاتم - ﷺ - كان له مزيد اعتناء بأحاديث الصيد ذلك أن بلاد هذا الصحابي كانت بيئة صيد^(٥)، فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عنه قوله: "إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضُ صَيْدٍ... الحديث"^(٦)، وهذا أبو ذر - ﷺ - نجد له مزيد اهتمام وعناية بالأحاديث التي تتاسب خلق الزهد الذي كان يتحلى به، وهذا حذيفة بن اليمان - ﷺ - فقد كان شديد العناية أيضا بسؤال رسول - ﷺ - عن الفتن وعن المنافقين وعما سيكون من الأمور، فقد أخرج البخاري بسنده عنه: "كان الناس يسألون رسول الله - ﷺ - عن الخير وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني"^(٧).

٩. ملازمتهم لرسول الله ﷺ:

عرف عن الصحابة - ﷺ - حبهم الشديد لرسول الله ﷺ، وشدة ملازمتهم له، وقربهم من مجلسه، وهذه الملازمة مكنتهم من تحمل الكثير من الحديث النبوي الشريف، ومنحتهم قوة الحفظ والضبط حيث أنه من المسلم به عند المحدثين أن من أسباب ضبط التلميذ لأحاديث شيخه، وتفوقه على غيره في ذلك، شدة ملازمته لمن روى عنه، ومن أمثلة ذلك تناوبهم على مجلسه من قبل عمر بن الخطاب - ﷺ - وجاره الأنصاري وكذلك ما ورد عن أبي هريرة -

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، م ١، ص ٣٠٤.

(٢) العكايلة والمصاحب، أسباب تفوق الصحابة في حفظ الحديث، ص ٣٣٥.

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، م ١، ص ٣٠٩.

(٤) العكايلة والمصاحب، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، ص ٣٣٥.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٧.

(٦) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم ٧٠٨٤، ص ١٤٠٦.

ﷺ -قوله: " وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -عَلَى مِلءِ بَطْنِي... الحديث" (١). وهكذا كان شأن الصحابة ؓ، فقد كان لملازمتهم النبي ﷺ -الأثر الواضح في حفظهم وضبطهم وإتقانهم للحديث النبوي الشريف، وتفوقهم على من جاء بعدهم في ذلك (٢). قلت: ويمكن أن يضاف إليها سبباً آخر وهو:

١٠. الحمية الدينية المتمثلة بحب الصحابة العظيم للنبي ﷺ :

إذ قتموا حبه على حبهم لأنفسهم، فلما علم الصحابة -ﷺ - مكانة النبي ﷺ - وما يجب عليهم تجاهه عزروه، وانكبوا لاستماع ما يبلغهم به من الوحي، بنوعيه، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بشوق وتفان لحفظهما والعمل بما فيهما والدعوة إليهما. فنشطوا لحفظهما ونشرهما يدفعهم إخلاصهم وإرادتهم القوية. فأصبحت بذلك قلوبهم أوعية لحفظ آيات الذكر الحكيم وسنة المصطفى ﷺ .

ثالثاً: أسباب عامة

١. مذاكرة الحديث النبوي الشريف.
٢. كتابة الحديث النبوي الشريف.
- قلت: ويمكن أن يضاف لهذه الأسباب أسباباً أخرى هي:
٣. ظهور مجالس ومدارس الحديث النبوي الشريف.
٤. سهولة حفظ السنة النبوية الشريفة، لأنها التطبيق العملي للقرآن الكريم، وهي ليست معجزة بل هي وحي بالمعنى وليس باللفظ.
٥. كون السنة النبوية الشريفة أوسع من القرآن الكريم، لأنها بيان له، والبيان أوسع من المبين مما كان يكلف تدوينها المسلمين كثيراً، ويصرفهم عن القيام بأعباء الدعوة لدينهم والجهاد لنصرته، وأنه كونها بياناً يجعل حفظها ميسوراً.
٦. طبيعة دين الإسلام، من حيث كونه ديناً يدعو الناس إلى مبادئه وآدابه وعقيدته وأحكامه، وسؤال الناس عن ذلك (٣).
- هذه هي أهم الأسباب العامة، وقد كنت قد فصلت ذلك في الفصل الرابع من هذه الرسالة، عندما تكلمت عن وسائل الصحابة -ﷺ - في تطبيق منهجهم فلتراجع في موضعها.

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، حديث رقم ٧٣٥٤، ص ١٤٥٦.

(٢) العكايلة والصحاب، أسباب تفوق الصحابة في حفظ الحديث، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) الخزرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٩٧.

الفصل الرابع

شبهات رواية المنافقين للحديث النبوي الشريف والرد عليها

المبحث الأول: الشُّبه المثارَة حول مشاركة المنافقين في رواية

الحديث النبوي الشريف وأثر ذلك على الرواية

والردُّ عليها

المبحث الثاني: منهج الصحابة - ﷺ - في نقد الروايات وأثره في

منع رواية المنافقين

الفصل الرابع

شبهات رواية المنافقين للحديث النبوي

الشَّريف والرَّد عليها

تمهيد

لقد جاء هذا الفصل لرد بعض شبهات التي تثار هنا وهناك ضد رواية الحديث النبوي الشريف، وفي هذا البحث ركزت على دفع أحدث شبهاتهم، وبينت فيه منهجهم وأصولهم، ففندت فيه شبهات أعداء الحديث النبوي الشريف، وفندت شبهاتهم التي يفترونها على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وزكاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحاديثه، وعلماء الأمة سلفاً وخلفاً على إكبارهم وإجلالهم ودورهم الذي قاموا به في نصرة السنة النبوية الشريفة، وبينت قدر الصحابة - رضي الله عنهم - في تنقية السنة وما علق بها من وهم أو نيسان، وصيانة لها من رواية المنافقين والفاجرين وغيرهم.

لذلك قمت في هذا الفصل بذكر أهم الشبه المثارة حول مشاركة المنافقين في رواية الحديث النبوي الشريف وأثر ذلك على الرواية والرَّد عليها، وكذلك بينت منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في نقد الروايات وأثره في منع رواية المنافقين واثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع عدم وجود رواية للمنافقين، واليكم بيان ذلك كله:

المبحث الأول

الشُّبه المثارة حول مشاركة المنافقين في رواية الحديث النبوي

الشَّريف وأثر ذلك على الرواية والرَّد عليها

تمهيد

لقد حرص أعداء الإسلام عامة والسنة خاصة، من جميع الملل والنحل على الطعن في سنة المصطفى - ﷺ - عن طريق بث الأقاويل، وإلقاء الشُّبه والمزاعم على كل ما يتصل به مجتمع النبي - ﷺ - وصحابته - ﷺ - وفي كل مرة يلقون بالشبه الكثيرة التي قد تتطوي

على كثير ممن يدعي العلم والفضل، ليبرز لها الجهاذة النقاد الذين وهبوا أنفسهم للدفاع والذب عن سُنَّة المصطفى - ﷺ - وصحابته الأطهار - ﷺ - لتغدوا هذه الشبه كسراب بقية ليس لها في ميزان الحق شيئاً.

ومن هذه الشبه التي لا تزال موضع بحث وتفصيل مع خطورتها والحاجة الشديدة إلى ردها، الزعم الذي يحلوا لكثير ممن طمس الله على قلوبهم وأعينهم، من القدح في روايات السُنَّة النبوية الشريفة عموماً، بحجة أن مجتمع المدينة غير متجانس مليء بالمنافقين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين، ولاشك أن هذا الكيد يسير بهم إلى محاولة هدم هذا الصرح الكبير من الروايات النبوية من خلال مشاركتهم بالرواية، بهدف التحريف وإدخال ما يريدون من أفكار لتقييض هذا البنيان الراسخ، وخطورة هذه الشبه تتبع من عدة أمور هي:

١. أن هذه الشبه اتفق على ذكرها أعداء الإسلام في الداخل والخارج، فهي شبه المستشرقين وأعوانهم من أبناء المسلمين المستغربين الذين يدينون بديننا ويتكلمون بلساننا، بالإضافة إلى ذلك من فرح بها ممن ينسبون إلى الإسلام من الشيعة بهدف الطعن بصحابة رسول الله - ﷺ - ووصفهم بالمنافقين المرتدين ورد جميع رواياتهم أجمعين، وبالتالي هدم السُنَّة النبوية الشريفة.

٢. الطعن بكل الروايات التي وصلتنا بحجة أننا لا نستطيع أن نميز بين المنافقين من الصحابة - ﷺ - خلاف غيرها من الشبه التي قد تطعن في رواية صحابي واحد، أو زمن واحد، أو مصر واحد.

٣. أن هذه الشبه قادتهم للطعن في شخص النبي - ﷺ - تارة بحجة إخفاء أمر المنافقين وفي الصحابة - ﷺ - تارة أخرى بحجة التستر على المنافقين والعمل مهم.

٤. أن هذه الشبه مبنية على شبه أخرى تؤدي بالنهاية بالطعن في عدالة الصحابة - ﷺ - وبالتالي رد كل ما جاء من خلالهم من الروايات^(١).

٥. إن الشبه أمر اختلطت معالمه فأشكل على البعض، فراح يبحث المعنى بفكر معتدل، فإذا ما بُين له الأمر قبله، ومنكروا السُنَّة النبوية الشريفة ليسوا هكذا أو من هذا الصنف^(٢).

لذلك سأذكر أهم هذه الشبه ثم أردُّ عليها مباشرة، وإليكم بيان ذلك كله:

(١) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٠.

(٢) عبد الهادي، دفع شبهات عن السُنَّة النبوية، ص ٦.

المطلب الأول: شبهة كثرة عدد المنافقين وتأثيرهم الكبير على مجتمع المدينة

وأصل هذه الشبه مبني على تهويل وتعظيم أمر المنافقين في المدينة من حيث الكم والعدد، فهم الأكثرية الكبرى والسواد الأعظم، ويبداهم مقاليد كل شيء، والهدف من ذلك كله تصوير المجتمع الإسلامي عامة والمدني خاصة بعدم الاستقرار والطمأنينة، وعدم التفريق والتمييز بين المؤمن والمنافق، وبالتالي يجر هذا الأمر إلى الاعتقاد الجازم بأن مشاركة المنافقين كانت عامة في كل شيء بما يشمل تحملهم للحديث النبوي الشريف، وتبليغه للناس بصورة وطريقة غير منضبطة تؤدي في النهاية إلى فقد الثقة بالسنة النبوية الشريفة عامة.

فهاهو أبو رية إمام أهل الضلالة، يزعم كثرة المنافقين حتى يصور المدينة وأكثر أهلها من الأوس والخزرج بالمنافقين، حيث يقول: "ومن شاء أن يقف على أسماء المنافقين من الخزرج والأوس فليرجع إلى الجزء الأول من أنساب الأشراف يجد أسماءهم قد ملأت عشر صفحات كاملة من صفحة ٢٧٤ إلى ٢٨٣"^(١).

ويقول أبو مهدي الحسيني القزويني الشيعي: "وهذا يدل على كثرة أصحاب النفاق وتأثيرهم يوم ذاك في المجتمع الإسلامي على أن المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي"^(٢).

ومستند هؤلاء على دعواهم كثرة الآيات التي خصت الحديث والكلام على المنافقين وصفاتهم مقارنة بالكفار، وكثرة هذا الخطاب يدل دلالة مهمة على كثرتهم واستطالة شرهم، يقول ابن تيمية: "وسورة الفتح، والقتال، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافقين، بل عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقين"^(٣). قال لاشين: بل تردد ذكر النفاق ومشتقاته في القرآن الكريم كثيراً، فقد ورد ذكر المنافقين ووصف أحداثهم في ثلاث عشرة سورة من السور المدنية البالغ عددها ثلاثين، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، القتال (محمد)، الحديد، المجادلة، الحشر، المنافقون، وقد استغرق أحداث النفاق والمنافقين في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة آية"^(٤).

ثم إن عدد المنافقين قد بلغ في المدينة زهاء ثلاثمائة رجل وسبعين امرأة أحدثوا بها من الفرقة والشقاق والكيد أموراً كثيرة"^(٥).

يقول ابن بطة: "وقد جاءت الآثار تعبر عن كثرة المنافقين بين صفوف المؤمنين وحركتهم النشطة سعيًا وفسادًا، فشبههم ابن عمر بأنهم نئاب بالليل، ونئاب بالنهار، وأخبر

(١) أبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، دار المعارف، مصر، ط٣، [تاريخ نشر: بدون]، ص٣٥٩.

(٢) الغامدي: أحمد بن سعد حمدان، رسالة جوابية على منكرة أستاذ شيعي لثني عشري، المكتبة الشاملة، قسم العقيدة، ص٥٣.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، م٧، ص٤٦٣.

(٤) لاشين، لغة المنافقين في القرآن دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجه اللغوية والبلاغية، ص١٣.

(٥) عبد الغني، المنافقون وشعب النفاق، ص٣٨.

الحسن بأنه لولا المنافقين لاستوحشتهم في الطرقات، أي خالية من المارة فيتخوف السائر فيها»^(١).

وأخبر مالك بن دينار بأنه لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضاً يمشون عليها، وفي ذلك تعبير كما قلنا عن كثرتهم الكاثرة بين صفوف المؤمنين، وعن حركتهم الدائبة بين هذه الصفوف^(٢).

ومما يدل على كثرة المنافقين وخطرهم الكبير، أن الحديث عن النفاق والمنافقين لم يقتصر على سورة واحدة هي سورة البقرة، وإنما جاء في السور المدنية التالية: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، العنكبوت، الأحزاب، القتال، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، المنافقون، التحريم فالحديث عن النفاق والمنافقين ورد في ثلاث عشرة سورة من السور المدنية البالغ عددها "٣٠ سورة".

واستغرق موضوع النفاق والمنافقين ما يقارب من "٣٤٠" آيات من آيات القرآن الكريم البالغ عددها "٦٢٣٦" آية، فهذا الحجم الكبير من الآيات القرآنية يبين لنا خطورة النفاق والمنافقين في الصف الإسلامي^(٣).

*** الرد على هذه الشبهة

لقد حاول أعداء الإسلام عامة والسنة خاصة - تهويل وتعظيم عدد المنافقين الضخم الذي يسيطر على مجتمع المدينة بحيث يكون لهم مقاليد الحكم والأمر كله، وهذه مغالطة شديدة يعرفها كل من درس مجتمع المدينة جيداً وعلم حجم أولئك المنافقين ليدرك أنهم شرذمة قليلة لا وزن لهم البتة، ولهذا السبب لم يرعهم الرسول - ﷺ - أي اعتبار.

يقول المامقاني من الشيعة: "إن من المعلوم بالضرورة بنص الآيات الكريمة وجود الفساق والمنافقين في الصحابة بل كثرتهم فيهم وعروض الفسق بل الارتداد لجمع منهم في حياته والآخرين بعد وفاته...."^(٤).

فقوله: بوجود المنافقين في صفوف الصحابة - ﷺ - صحيح لكن زعمه كثرتهم من الكذب المحض، إذ لو كانوا كثيرين كما زعم هو وأسلافه لأحاطوا بالنبي - ﷺ - وصحابته - ﷺ - وقضوا عليهم، وأقاموا دولة لهم، لكنهم كانوا قلة حقيرة، وشرذمة قليلة، لا حول لهم ولا قوة، فكان - ﷺ - وأصحابه - ﷺ - لهم بالمرصاد، حيث وقفت قوتهم سداً منيعاً حالت بينهم وبين مخططاتهم، وسوراً عالياً منعهم من تحقيق مآربهم ومؤامراتهم، لذلك لم تصدر

(١) ابن بطّة، عبيد الله بن محمد بن بطّة العكبري، الأمانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق عثمان عبد الله أمم الأثيوبي، دار الرؤية - الرياض، ط٢، م١، ص١١٤.

(٢) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص١٣.

(٣) الثوسري، النفاق آثاره ومفاهيمه، ص١١٥.

(٤) الشهود، الفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام نقلاً عن تنقيح المقال للمامقاني، ج١، ص٢١٣.

منهم إلا أقوال يسيرة، دلت على أفئدتهم وما يعتمل في نفوسهم من حقد دفين نحو الإسلام ورسوله وأصحابه^(١).

وهذا الكلام يبين لنا التجني والكذب الذي وقع به أبو ريّة وغيره في تهويل وتضخيم أعداد المنافقين في المجتمع الإسلامي.

يقول الأعظمي: "وفي الواقع هذا القول تمويه محض، لأنّه يفهم من كلامه بأنّه لا يكون هناك أقل من خمسمائة اسم، إذ عشر صفحات من الكتاب المطبوع تشمل على مائتين وخمسين سطراً على وجه التقريب وإذا كان كل سطر يتضمن اسمين فقط فيكون المجموع حوالي خمسمائة اسم في حين ما ذكره البلاذري هو في حدود الأربعين، فإذا كان في المدينة أربعون أو خمسون أو مائة من المنافقين، فهل يمكنهم أن يختفوا في ظل الصحابة، وخاصة بعد أن كانت صفات المنافقين معلومة لديهم"^(٢).

قلت: إنّ الأحاديث النبوية قد حددت عدد المنافقين في إثنا عشر رجلاً، وإذا علمنا أنّ عدد الصحابة - ﷺ - قد زاد على (١١٤) ألف صحابي، فإنه نسبة المنافقين بالأرقام لا تساوي شيئاً فإين هؤلاء من هؤلاء؟!

ثم إنّه كان لسياسته - ﷺ - وكيفية معاملة المنافقين أثر كبير في إسلام معظم المنافقين، يقول علي معطي: ثم إنّه كان لسياسة الرسول - ﷺ - الفضلى تجاه المنافقين أثر حسن في نفوسهم، إذ أقدم عدد كبير منهم على الدخول في الإسلام عن إيمان وصدق ومن بقي منهم على النفاق فلم يعد الرسول - ﷺ - يصلي على موتاهم أو يقف على قبورهم وهكذا، وبموت زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، وبدخول أغلب المنافقين في الدين الجديد عن قناعة تامة، فلم يعد لمن بقي على نفاقه أي دور يذكر في حياة مجتمع المدينة، إن من الناحية السياسية أو العسكرية أو الفكرية أو الاجتماعية^(٣).

ويقول ابن تيمية: "وينبغي أن يعرف أنّ المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين، وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن، وغير ذلك"^(٤).

قلت: لم يبق من المنافقين في آخر حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عدد قليل جداً من المنافقين بلغ إثنا عشر منافقاً ماتوا كلهم في أثناء حياته إلا أربعة كما ذكر ذلك حذيفة - رضي الله عنه - وسيأتي الحديث عن ذلك بعد قليل وكذلك في الشبهة الخامسة إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على قلة المنافقين في أواخر العهد النبوي، بل وفي أواخر عهد الخلفاء الراشدين خاصة الثلاثة الأوائل أبي بكر وعمر وعثمان - ﷺ - ما أخرجه البخاري في

(١) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٧٤.

(٢) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٥٦.

(٣) معطي، علي، التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ إستراتيجية الرسول السياسية والعسكرية، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٤) ابن تيمية، المنهاج، ج ٨، ص ٤٧٤.

صحيحه في كتاب التفسير، باب: ﴿فَقَنِيُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢)، من طريق زيد بن وهب، قال: «كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ آيَةٍ إِلَّا ثَلَاثَةٌ وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ إِنَّكُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - تُخْبِرُونَا فَلَا نَذْرِي فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْقُروْنَ يَبُوتُوا وَيَسْرِقُونَ أَغْلَاقًا قَالَ أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ أَجَلُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَا وَجَدَ بَرْدَهُ»^(١).

ثم إن حذيفة - ﷺ - توفي بعد عثمان - ﷺ - بأربعين ليلة^(٢).
 إذن يتضح لنا بجلاء أنَّ المنافقين كانوا قلة قليلة، بخلاف ما يفهم من قول أبي ربيعة وغيره من الطاعنين بالصَّحابة - ﷺ - وبالرغم من ذلك فإن الصَّحابة - ﷺ - قد انتهجوا منهجاً فريداً في رواية الحديث النبوي الشريف لاسيما الفاروق، يقول ابن قتيبة: "وكان يأمرهم أن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع النَّاسُ فيها ويدخلها الشوب، ويقع التلليس، والكذب من المنافق، والفاجر، والأعرابي"^(٣)، وغيرها من القواعد والمناهج التي عرفناها والتي مررت سابقاً، والتي سنذكرها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: شبهة اختلاط المنافقين بالصَّحابة - ﷺ - اختلاطاً عظيماً بحيث لا يميز بين المنافق والصَّحابي وأثر ذلك على الرواية
 يقول طارق زين العابدين:

"إنَّ المنافقين ينقسمون إلى قسمين، قسم كان معروفاً بالنفاق، وقد تحدت شخصياتهم بالذات، وهؤلاء يسهل انتقاء شرهم وخطرهم. وقسم لم يكن معروفاً، ولم يكن أحد يعلم عنهم شيئاً، إذ لا يختلفون عن الصَّحابة العدول والمخلصين من حيث المظهر وإظهار الإيمان، ولهذا كانوا يحسبون من خيرة الصَّحابة بلا ريب، ولم يكن يعلمهم إلا الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١)، فهؤلاء لشدة تمرسهم وقدرتهم على النفاق اختفى أمرهم عن النَّاسِ، فلو منح الصَّحابة كافتهم العدالة والوثاقة بقضهم وقضيضهم فإنها ستشمل هؤلاء المنافقين المستورين بلا ريب، وبالتالي ينطبق عليهم حديث الاقتداء، فيجوز الاقتداء بهم، فهل تتحقق بهم عندئذ الهداية ١٢". إذن إنَّ هناك منافقين على عهد النَّبي - ﷺ - وهم مؤمنون ظاهراً فكيف يفرق بين المنافقين والصَّحابة وخاصة وقد ورد قوله تعالى السابق^(٤).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَقَنِيُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ سورة التوبة، آية رقم

(١٢)، حديث رقم ٤٦٥٨، ص ٩٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٣) ابن قتيبة، كتاب تأويل مختلف الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصَّحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢.

<http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١>

إذن فلا بد أن نصرف النظر عن اعتبار الصَّحبة معياراً للعدالة والهداية، وإلا فسنقع في شرك أولئك المرتكين الذين منعوا ورود الحوض وأخذوا إلى النار، مع العلم أنهم ليسوا معروفين وقد شملتهم الصحبة التي فرض أنها موجبة للعدالة، فالإنسان طالما هو المسؤول وحده عن أعماله، وهو الذي يواجه بنفسه مصيره في اليوم الآخر، فلا بد أن يحرص على أن يأخذ أمور دينه ممن عرفت عدالته بالدليل^(١).

ثم إنَّ أصل هذه الشبه مبني ومركب على الشبهة الأولى، فلما كثر المنافقون، وعظم شأنهم مع خفائهم واستتارهم، أصبح الصَّحابة أنفسهم لا يستطيعون التمييز بين المؤمن والمنافق، مما أدى إلى كثير من السلبيات، فمن ذلك اتهام الصَّحابة بعضهم بعضاً بالنفاق، مما يؤدي بالنهاية إلى عدم قبول رواية الصَّحابي، أو قبول رواية المنافق لانتباس الأمر وعدم التمييز والتفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

والشيعة جعلوا جمهور الصَّحابة الذين أثنى الله تعالى عليهم من المنافقين، بل وصفوا أعلام وكبار الصَّحابة ومن شهد لهم بالجنة بالنفاق؛ ويعتقدون أنَّ فيهم المسيء والمصلح، والطائع، والعاصي، والمؤمن، والمنافق....^(٢) متذرعين ومستدلين بعموم النصوص.

وهذا الأمر يحمل خطورة عظيمة إذ إنَّ الصَّحابي لا يميز أخاه عن المنافق مما يعني أن هذا المنافق يسهل عليه أخذ الحديث وتحمله، أو أدائه بما يريد مما سيشتك في كل الروايات والأحاديث التي وصلت إلينا.

ومما استدل به هؤلاء على شبهتهم التي أوردوها، ما جاء في الآثار من إطلاق لفظ النفاق من الصَّحابة على بعضهم بعضاً، وزعمهم أنَّ هذا يدل على خفاء أمر النفاق حتى اتهم الصَّحابة بعضهم بعضاً به^(٣).

قال أبو رية في تعريف الصَّحابي: "قال البخاري من صحب النَّبي - ﷺ - أو رآه من المسلمين فهو صحابي، فهل يدخل فيه المنافقون أيضاً؟"^(٤).

فهذا عمر بن الخطاب يقول للنَّبي - ﷺ -: "دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذْرِ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"^(٥).

هذا بالإضافة إلى كثرة سؤاله لحذيفة عن المنافقين، وأسمائهم وأعدادهم مما يدل على شدة خفائهم وعدم تمييزهم.

وبعد غزوة بني المصطلق - في قصة الإفك - يقول أسيد بن حضير لسعد بن عباد: "إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ"^(٦).

(١) الموقع السابق نفسه.

(٢) الورداني، صالح، عقائد السنة وعقائد التقارب والتباعد، نشر مدبولي الصغير، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص ١٩٨.

(٣) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٤.

(٤) أبو رية، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ص ٣١٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَدُوَّكُمْ وَعَدُوَّكُمْ

أُولَئِكَ سَوَاءٌ لَكُمْ أَسَاءُوا أَمْ نَجَاهُوا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي شِقَاقٍ مِمَّا عَمِلُوا وَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم (٣٠٠٧)، ص ٥٩٨ - ٥٩٩.

(٦) القشيري، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القائف، حديث رقم (٢٧٧٠)، ص ٧٠٤.

وخلاصة الشبهة قولهم: ألم يكن بين الصَّحابة - رضي الله عنهم - منافقون يخفون كفرهم؟ فكيف نميزهم عن الصَّحابة العدول؟^(١)
*** الرد على هذه الشبهة

هيا الله تعالى جميع السبل لحفظ دينه وبقائه كاملاً دون زيادة أو نقصان، أو تحريف أو تزيف، ومن هذه الأمور التي كان لها الأثر الواضح والأكبر في هذا الحفظ هو التمييز بين المؤمن والمنافق، فالمنافق هو الذي يظهر الإسلام ومتابعة الرسول - ﷺ - ويبتطن الكفر ومعاداة الله ورسوله^(٢)، والصَّحابي هو الذي آمن بالنبي - ﷺ - ومات على الإسلام^(٣).

إن بعد هذا البيان التعريفي لكلمتي "الصَّحابي والمنافق" نخلص إلى أنهما لا يتفقان لا من الناحية اللغوية ولا من الناحية الاصطلاحية، وبالتالي لا يتوافق أن يكون الصَّحابي منافقاً ولا المنافق صحابياً^(٤). لأنَّ الصَّحابة كلهم عدول وهم من أهل الجنة يخافون النفاق، بينما المنافقون لا يخافون النفاق^(٥)، ولأن النفاق مبني على الغش والخديعة. وتبين كذلك أنَّ المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، ليسوا من الصَّحابة قطعاً، ولم يكونوا مجهولي الأعيان والصفات.

ولما كان لا بد من الهجرة ودخول مجتمع جديد يختلف في صفاته وحاجاته عن مجتمع مكة ونشوء حزب باطني جديد وهم المنافقون، كان لا بد للصَّحابة من منهج يسبرون عليه في التعامل مع هذا الخطر العظيم، لذلك كان من رحمة الله تعالى أن يبين للصَّحابة - ﷺ - أحوال وصفات المنافقين الظاهرة والباطنة.

فلقد فضح الله تعالى المنافقين على رؤوس الأشهاد في مئات الآيات الكريمات وقد وصلت تقريباً إلى "٣٤٠" آية، والسور المدنية التي تحدثت عن النفاق بلغت ثلاث عشرة سورة من أصل ثلاثين سورة^(٦)، فسورة التوبة الفاضحة من أكثر السور فضحاً لهم، بل أنزل الله تعالى سورة كاملة باسمهم تحذيراً من سبيلهم، ومتقلبهم، وذكر صفاتهم الذميمة ليعرفهم المؤمنون، ويحذروا شرهم، وكيدهم، وخبيثهم.

يقول ابن تيمية: "وينبغي أن يعرف أنَّ المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين، وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن الكريم، وغير ذلك"^(٧).

(١) القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، ص ٦٦.

(٢) ابن القيم، طريق الهجرتين ولباب السعادتين، ص ٦٦٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) القنسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢.

(٥) <http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١>

(٦) الشتياب، محمد نايل محمود، الأحاديث الواردة في المنافقين في الكتب التسعة دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المفرق - الأردن، ٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م، ص ١٠٤.

(٧) الشري، النفاق آثاره ومفاهيمه، ص ١١٥.

(٨) ابن تيمية، المنهاج، ج ٨، ص ٤٧٤.

ويقول ابن كثير: "ولهذا نبه الله سبحانه، على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار، أن يظن بأهل الفجور خير" (١).
ويقول السعدي: "فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلّ أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، وينقمعوا أيضاً عن كثير من فجورهم" (٢).
إن بعض المنافقين كانوا معروفين بأعيانهم لرسول الله - ﷺ - ولصحابته - ﷺ -
لحديث حذيفة بن اليمان - ﷺ - ففي غزوة تبوك سمى الرسول - ﷺ - أربعة عشر منافقاً، همّوا أن يفتكوا به عند عقبة هناك، فقد عزموا أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها، وأوحى الله إليه أمرهم، وقد استودع - ﷺ - سرهم لحذيفة بن اليمان - ﷺ - الذي قيل عنه إنه علم من النبي - ﷺ - جميع المنافقين حتى إن الفاروق - ﷺ - كان إذا مات ميت دعا حذيفة - ﷺ - للاشتراك في جنازته، فإذا امتنع عن الصلاة عليه علم الفاروق أن المتوفى منافق، فلم يصل عليه، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ (التوبة: ٨٤)، ومع ذلك فقد كان منهم خفي أمره على الرسول - ﷺ - فلم يعرف أعيانهم، وإنما يعرف صفاتهم (٣)،
يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ بَلِّغْهُمْ رِسَالَاتُنَا وَلَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: ٣٠).

يقول ابن كثير ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: ٣٠)، أي فيما يبدو من كلامهم، الدال على مقاصدهم وغايتهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو، بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول.

وقال في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ظَنَّنَا نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١): لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ بَلِّغْهُمْ رِسَالَاتُنَا وَلَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: ٣٠)، لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل التفاف والريب على التعيين، وقد كان يعلم أن في بعض من يخالط من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساءً، وقال العلامة السعدي في تفسير هذه الآية: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١) بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في ذلك من الحكمة الباهرة، وقد وقع في السيرة ما يوضح ذلك عملياً، يقول ابن تيمية: "ولهذا لما جاء المخلفون عام تبوك، فجعلوا يحفلون، ويعتذرون، كان يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، لا يصدق أحداً منهم، فلما

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٧٧.
(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام لمان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ص ١٤٢.

(٣) لاشين، لغة المنافقين في القرآن دراسة تحليلية لآيات التفاف من الوجهة اللغوية والبلاغية، ص ١٣.

جاء كعب، وأخبره بحقيقة أمره، قال: أما هذا فقد صدق أو قال صدقكم^(١). ويقول عمر بن عبد الله المقبل: ثم إن الصحابة - ﷺ - وإن لم يعلموا بعض المنافقين بأعيانهم، إلا أنهم كانوا يعرفونهم بصفاتهم، وهذا متيقن، وفي السنة أمثلة كثيرة تدل على علم الصحابة - ﷺ - بصفاتهم، وعلاماتهم^(٢)، وإليكم بعض الأمثلة:

١. ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - وهو يتحدث عن صلاة الجماعة: " وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ " ^(٣).

قلت: المقصود به النفاق الإعتقادي والله تعالى أعلم.

٢. وما أخرجه البخاري عن كعب بن مالك بسنده وهو يحكي قصة تخلفه عن غزوة تبوك: " فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَطُفْتُ فِيهِمْ أَخْزِنِي أَلَيْ لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَعْمُومًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ مَا فَعَلَ كَعْبٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ " ^(٤).

٣. وما أخرجه البخاري بسنده أيضا عن أبي مسعود البصري - ﷺ - قال: أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَحْمَلُ فَبَاءَ أَبُو عَقِيلٍ يَنْصِفُ صَاعٍ وَجَاءَ إِنْشَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ فَقَالَ الْمُتَنَافِقُونَ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخَرُ إِلَّا رِنَاءً فَتَرَلْتُ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (التوبة: ٧٩). والشاهد من قوله: " فَقَالَ الْمُتَنَافِقُونَ "، فإنه ظاهر في معرفة الصحابة - لهؤلاء المنافقين بصفاتهم، وموافقهم، ولحن قولهم^(٥).^(٦)

وكما قال عمر المقبل: ولعل الحكمة من عدم تعيينهم هو: "أَنْ تَعِينِيهِمْ يَعْنِي الْحُكْمَ عَلَى أَعْيَانِهِمْ بِالْكَفْرِ الْأَكْبَرِ، وَهَذَا فِيهِ خَطُورَةٌ كَبِيرَةٌ، لِلدَّلِيلَةِ الْكَثِيرَةِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَكْفِيرِ

(١) المقبل، عمر بن عبد الله، هل كان المنافقون معروفين بأسمائهم في العهد النبوي؟ ٢٢/٠٦/٢٠١٠. <http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-77490.htm>.

(٢) المقبل، عمر بن عبد الله، هل كان المنافقون معروفين بأسمائهم في العهد النبوي؟ ٢٢/٠٦/٢٠١٠. <http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-77490.htm>.

(٣) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، حديث رقم ٦٥٤ - ص ١٥٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ حُتُّوا رُ سورة التوبة، آية رقم (١١٨)، حديث رقم (٤٤١٨)، ص ٨٦٥ - ٨٦٦.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رُ سورة التوبة، آية رقم (٧٩)، حديث رقم ٤٦٦٨، ص ٩٢٢.

(٦) المقبل، عمر بن عبد الله، هل كان المنافقون معروفين بأسمائهم في العهد النبوي؟ ٢٢/٠٦/٢٠١٠. <http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-77490.htm>.

المسلم بغير برهان ظاهر، وتأكد من انتفاء الموانع التي توجب الحكم عليه بالكفر، والحذر يكون أكثر خصوصاً في باب النفاق - الذي يخفى أمره على أكثر الناس - من جهة أن المنافقين معدودون في جملة المسلمين، وتجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر، كما هو هدي النبي - ﷺ - في ذلك، وإذا كان الله تعالى - وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء - لم يعينهم بأسمائهم، فكيف يطالب المخلوق - والله المثل الأعلى الذي يقصر علمه، وفهمه، وتتازعه أنواع الضعف البشري بحصرهم، وذكر أسمائهم؟، وهذا من تمام حكمة الله، إذ لو عينو لظن غيرهم أنهم ليسوا كذلك، بل بقي الأمر مربوطاً بصفات، وعلامات حتى يحذرها المؤمن، ويخافها^(١).

ثم أي بيان أوضح من هذا البيان في كشف حقيقة المنافقين وحالهم؟! كيف لا وقد تعهد الله تعالى بفضحهم وبيان ما تخفيه صدورهم؟!، يقول تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا اللَّهَ فَخُجِّجْ مَا تَمَحَّدُرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤)، فاخرج تعالى ما يحذرون وفضحهم، فلم يعد شأنهم خافياً - في الجملة - على الصحابة - ﷺ - فضلاً على أن يلتبس هؤلاء بهؤلاء ولا يميز بينهم^(٢).

أما قول أسيد بن حضير فمعناه: أنك تفعل فعل المنافقين، ولم يرد النفاق الحقيقي^(٣). إذن إن التمايز بين الصحابة - ﷺ - والمنافقين كان واضحاً وضوح الشمس، ولنضرب بذلك مثلاً واحداً على ذلك للتمثيل فحسب، ففي حديث الأفك حول عائشة رضي الله عنها حيث نسج خيوطه رأس وزعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول، ولذلك كان التمييز جلياً بين دوره الأثم المتعمد الناجم عن كفره المبطن، وخطأ الذين رددوه من المؤمنين دون تثبيت أو إدراك لخطورته^(٤).

المطلب الثالث: شبهة وقوع بعض الصحابة بشيء من النفاق وعدم ظهور ذلك لجملة الصحابة

إن الفرق بين هذه الشبهة والتي سبقتها، هو أن الصحابة - ﷺ - هنا يهتمون أنفسهم بالنفاق، وما دام أن النفاق أمر قلبي خفي فقد يقع الصحابي به ويكون من المنافقين دون علم بقية الصحابة، مما يشكل خطورة عظيمة وواضحة على الصحابة وتعديلهم له مع أنه من المنافقين، ومما لاشك فيه فإن هذا الأمر سيكون له تأثير بالغ على التحمل والأداء في الرواية^(٥).

(١) المقبل، عمر بن عبد الله، هل كان المنافقون معروفين بأسمائهم في العهد النبوي؟ ١٢/٢٢/٠٦/٢٠١٠. <http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-٦٠-٧٧٤٩٠.htm>.

(٢) الشايع، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات وشبهات وردود، ص ١٧.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٧، ص ١١٠.

(٤) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٦٩ - ٧٠.

(٥) محابين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٥.

ومن الأدلة التي يستدلون بها على شبهتهم هذه: أن الفاروق - ﷺ - كان يخاف النفاق على نفسه حتى دفعه هذا الأمر إلى سؤال حذيفة بن اليمان - ﷺ - صاحب سر النبي - ﷺ - في شأن النفاق والمنافقين: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟ فقال حذيفة اللهم لا، ولن أبرئ أحداً بعدك^(١)، ومنه أيضاً قول الفاروق: "ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى مثلاً أحد إلا ينزل فيه شيء"^(٢).

وكذلك ما استدل به هؤلاء بما يكون في أصله مدحاً للصحابة، لكنهم لسوء طويتهم لم يتركوا نصاً إلا بحثوا من خلاله ظاهراً أو باطناً على ما يؤيد بدعهم وشبههم، واستدلوا على ذلك بما ورد عن ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي - ﷺ - كلهم يخاف النفاق على نفسه"^(٣).

- وما أخرجه مسلم بسنده من حديث حنظلة الأسدي، وكان من كُتّاب رسول الله ﷺ حيث قال: "لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ تَأْفَقُ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ لَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ قُلُ وَالضَّيْعَاتِ فَتَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَتَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قُلْتُ تَأْفَقُ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَمَا ذَاكَ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَذَوُّمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »^(٤).

ومما خرج به هؤلاء الشريعة بعض النصوص التي أطلق فيها لفظ الصحابي على المنافق من باب اللغة، والدليل على ذلك: أن رأس المنافقين وهو عبد الله بن أبي بن سلول كما قال: أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقلل يا رسول الله هذا الخبيث يعني: عبد الله بن أبي سلول - فقال النبي ﷺ: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَلَهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"^(٥).

(١) ابن حزم، الإيصال في المحلى بالآثار، ج ١٢، ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١٢، ص ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، تعليقاً بصيغة الجزم، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ص ١٩.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والتفكير في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك تلك في بعض الأوقات والاشتغال بالندى، حديث رقم (٢٧٥٠)، ص ٦٩٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوى الجاهلية، حديث رقم

كذلك حديث الحوض الذي يذاد عنه أقوام ويطردون: "لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِّنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى غَرِقَتْهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَذِّكَ" (١). أي من النفاق والبدع.

ومن هذا قول أبي رية متحدثاً عن موقف أهل السنة: "ممن جعلوهم من الصحابة من لمز النبي - ﷺ - في الصدقات ومنهم من آذاه وقال: "هو أنن" ومنهم ممن اتخذوا مسجداً ضراباً ومنهم الذين اعتذروا في غزوة تبوك وكانوا بضعة وثمانين رجلاً حلفوا للنبي فقبل منهم علانيتهم فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿سَيَعْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْنُهُمْ لِعَرَضُوا عَنْهُمْ فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّمَا رِجْسٌ وَمَا وَنُهُمْ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وبحسبك أن تجد في القرآن سورة المنافقين" (٢).

*** الرد على هذه الشبهة

لقد وصف الله تعالى ورسوله - ﷺ - الصحابة - ﷺ - بكثير من الصفات الظاهرة والباطنة، وأنتى عليهم أبلغ الثناء، ومن هنا فكيف يخلط التاريخ بين من وقفوا حياتهم على نصرة الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم ينقضوا عهد الله تعالى من بعد ميثاقه، وبين الذين لم يعرفوا في تاريخ الدعوة إلا بالخيانة والتآمر والتثبيط؟.

إن نسبة النفاق إلى الصادقين المؤمنين أصحاب الرسول - ﷺ - بدعوى أن كان في المدينة منافقون فرية خسيصة لا تثبت لها قدم إلا على أساس التكذيب بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والجحد بحقائق تاريخ الأمة (٣).

إن التفريق بين الصحابي والمنافق من ناحية التعامل النبوي والنص القرآني واضحة جداً ولنضرب مثالا واحداً لذلك بقصة الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك، فقد برأ الله الثلاثة، وهم مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك من جملة المنافقين، قال تعالى: ﴿وَعَلَى

الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨). إذن كان موقفهم مختلف، لأنهم شعروا بتقصيرهم وكانوا مؤمنين حقاً، فلم يخلقوا الأعذار الكاذبة التي اصطنعها المنافقون، فنزلت توبة الله عليهم بعد أن هجرهم النبي - ﷺ - والمؤمنون خمسين يوماً (٤).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "وكنتم عليهم شهيذاً"، حديث رقم ٤٢٥٩، ص ٩٠٠.

(٢) أبو رية، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ص ٣٥٣.

(٣) الصاوي، منزلة الصحابة في القرآن، ص ٣٩.

(٤) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٦٩.

فهنا نلاحظ البيان الواضح في كشف حقيقة المنافقين وهتك أستارهم، والتميز بينهم وبين المنافقين، كيف لا وقد تكفل الله تعالى بفضحهم وبيان ما تخفيه صدورهم، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي أَخَشِي مَا تُحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤)، لذا أخرج الله ما يحذرون وفضحهم، فلم يعد أمرهم خافياً - في الجملة - على الصحابة رضي الله عنهم، فضلاً عن أن يلتبس هؤلاء بهؤلاء ولا يميز بينهم.

أما عن قصة الفاروق في سؤاله حذيفة عن النفاق وهل هو منهم؟ فقد أنكرها ابن حزم وقال: "وهذا باطل كما ترى، لأن من الكذب المحض أن يكون عمر يشك في معتقد نفسه حتى لا يدري أمانق هو أم لا؟، وكذلك أيضاً لم يختلف اثنان من أهل الإسلام في أن جميع المهاجرين قبل فتح مكة لم يكن فيهم منافق، إنما كان النفاق في قوم من الأوس والخزرج فقط فظهر بطلان هذا الخبر" (١).

قال ابن الوزير تعليقاً على هذه القصة: "ولم يخف عمر - رضي الله عنه - من النفاق الذي هو الشك في الإسلام، فإنه يعلم براءة نفسه منه، بل نحن نعلم براءته - رضي الله عنه - منه بما شهد له به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الفضائل الكثيرة، والمناقب الكبيرة، وإما خاف - رضي الله عنه - من صفات النفاق الذي هو: خلف الموعد، وخيانة الأمانة، والكذب في الحديث، فإن المؤمن الورع قد يدخل عليه من صفات بعض الخصال ما يدق ولا يتفطن له، وربما كان الغير أبصر بعيب الإنسان منه، وربما قصد عمر تنبيه ضعفاء المسلمين على تقصده أنفسهم، وجعل لهم بنفسه أسوة حسنة حيث أتهمها على أمر عظيم" (٢).

أرأيت إلى الفاروق الذي بشر بالجنة، ولا يسلك معه طريقاً، كيف يخاف على نفسه؟! (٣).

إن لا يعرف عمر - رضي الله عنه - عن نفسه أنه لا يبطن الكفر بل إنه مؤمن حقاً؟، أليس في سؤاله دليلاً على ورع عظيم وحس إيماني مرهف وليس نتيجة شك في يقينه المستقر في فؤاده وعقله وروحه؟! (٤).

أو لا يدري ويعرف أن في سجله تركيات وشهادات وبشارات نبوية لم يظفر بأكثر منها سوى الصديق؟!، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصدق المخلوقين كان يسأل الله لساناً صادقاً، فهل يفهم التائبون منها ما فهموه من سؤال الفاروق لحذيفة رضي الله عنهما والعياذ بالله!! (٥).

قلت: وعلى فرض صحته فإنه يكون معناه "بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكانه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل

(١) ابن حزم، الإيصال في المحلى بالآثار، ج ١٢، ص ١٦١.

(٢) ابن الوزير، الروض الباسم في الذنب عن سئلة أبي القاسم، ط ١، ص ١٨١.

(٣) عيد، النفاق والمنافقون في القرآن الكريم، ص ٢٧.

(٤) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٥٦.

المبالغة منهم في الورع والتقوى ﷺ. وقال ابن بطال: إنما خافوا لأنهم طالت أعمارهم حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه ولم يقدروا على إنكاره، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت^(١).

وبالتالي فإنه لم يجزم أحد منهم بعدم عروض النفاق لهم كما يجزم بذلك في إيمان جبريل، وفي هذا إشارة إلى أن المذكورين كانوا قائلين بتفاوت درجات المؤمنين في الإيمان، خلافاً للمرجئة^(٢)، قال الغزالي: "ولقد اشتد خوف الصّحابة من النفاق، وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أهل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً"^(٣).

إذن لما كان النفاق أشنع وأقبح الخصال التي يتصف بها الإنسان، كان الصّحابة - ﷺ - يخافونه على أنفسهم، ويتورعون من أعمال كثيرة ليست هي من خصال المنافقين، مخافة أن يقعوا في شيء من النفاق وهم لا يشعرون. ولعل المقصود بذلك كله أن الصّحابة - ﷺ - كانوا حريصين كل الحرص على أن يبلغوا كمال الإيمان وكمال الإسلام، وكانوا حريصين على أن يكون إسلامهم خالصاً لوجه الكريم، بريئاً من شوائب طلب الدنيا، لاسيما حينما يلاحظون أن أشد دوافع النفاق هو رغبتهم في الحصول على مطالب الدنيا الفانية^(٤).

وقد ذكر عبد الرحمن حبيكة احتمالات تخوف الصّحابة - ﷺ - على أنفسهم من النفاق ولخصها في أمور ثلاثة هي:

١. تخوفهم على أنفسهم من النفاق الأصغر، عن طريق ارتكاب صفاته في السلوك، أو ارتكاب بعضها.

٢. تخوفهم من أن يكون نقصان إيمانهم عن مستوى إيمان الرسول أو إيمان جبريل وميكائيل، هو من شوائب النفاق، وربما اعتبروا من نقصان الإيمان ما يعتريهم من الغفلات، بسبب انشغالهم بأهلهم ونسائهم وأولادهم، وأموالهم.

٣. تخوفهم من أن تكون رغبتهم في الحصول على مطالب الحياة الدنيا، وما يحبون منها، عن طريق أعمالهم الإسلامية، كالجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، هي من شوائب النفاق، فهي تؤثر على صدق إسلامهم، وكمال إيمانهم^(٥).

المطلب الرابع: شبهة المبالغة في تعديل جميع الصّحابة مع أن فيهم المنافقين والفاسقين

وأصل هذه الشبهة يقوم على السؤال التالي وهو أنه لماذا أهل السنة يقبلون رواية الصّحابي ولا يجري عليه الجرح والتعديل مثل غيره من الرواة، وكيف يميز الصّحابي عن

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ١٧٢.

(٤) حبيكة، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، ج ١، ص ٧٧ - ٧٩.

(٥) حبيكة، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، ص ٧٩.

غيره من المنافقين ممن كانوا على عهد النبي ﷺ^(١). ثم إن مسألة عدالة الصحابة أمر مقرر بكتاب الله تعالى وسنة نبيه - ﷺ - وقد بنى هؤلاء الشريعة في هذه الشبهة على جزء مما يتعلق بإثبات العدالة لجمهور الصحابة - ﷺ - بحجة ودعوى أن الإشكالية المحتملة في رواية المنافقين سببها التعديل العام للصحابة - ﷺ - وهو مدخل خبيث أراد أولئك أن ينفذوا منه، ليطبقوا قواعد الجرح والتعديل عليهم ليفقدوهم ميزة خير القرون^(٢). إذن لا يستطيع أحد أن يحددهم، ولهذا لا يمكن أن يأمرنا نبي الإسلام والهدى أن نفتدي بأي كان من الصحابة، ولا يمكن أن يجعلنا نلتمس سبيل الهداية بين صحابة ضموها في أوساطهم منافقين مخفيين، وصحابة مرتدين، وآخرين محدثين في الدين^(٣)، واستلوا بما ورد في البخاري بسنده عن العلاء بن المسيب، قال: "لَقِيتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْتُ طُوبَى لَكَ صَحِبْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَايَعْتَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْنَا بَعْدَهُ"^(٤).

يقول أبو ريّة: "أوجب العلماء البحث عن رواة الحديث لكنهم قد وقفوا دون عتبة الصحابة فلم يتجاوزوها، إذ اعتبروهم جميعاً عدولاً لا يجوز عليهم نقداً، ولا يتجه إليهم تجريح، ومن قولهم في ذلك: "أن بساطهم قد طوي"، ومن العجيب أنهم يقفون هذا الموقف على حين أن الصحابة أنفسهم قد انتقد بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً....."^(٥).

ويقول أيضاً في موضع آخر: "وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين من الخطأ والسهو والنسيان فإن هناك كثيراً من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة المطلقة لجميع الصحابة إن هم إلا بشر يقع منهم كما يقع من غيرهم مما يرجع إلى الطبيعة البشرية، وأن سيدهم الذي اصطفاه الله قد قال: "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ" ويعززون حكمهم بمن كان منهم في عهده صلوات الله وسلامه عليه من المنافقين والكاذبين، وبأن كثيراً منهم قد ارتدوا عن دينهم بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى....."^(٦).

ويؤيد قوله ذلك بقول طه حسين حيث قال: "ولا نرى في أصحاب النبي - ﷺ - ما لم يكونوا يرون في أنفسهم، فهم كانوا يرون أنهم بشر فيتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الخطايا والآثام، وهم تقاذفوا التهم الخطيرة، وكان فيهم فريق تراموا بالكفر والفسوق، فقد

(١) القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢
http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١

(٢) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٦ - ١٧.

(٣) القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢
http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١

(٤) البخاري، صحيح البخاري، باب غزوة الحبيبية وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ

مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٥٥﴾ سورة الفتح، آية رقم (١٨)، حديث رقم (٤١٧٠)، ص ٨٢٢.

(٥) أبو ريّة، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ص ٣٤٣.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

روى أن عمار بن ياسر كان يكفر عثمان ويستحل دمه، ويسميه نعل، وروي أن ابن مسعود كان يستحل دم عثمان أيام كان في الكوفة.....^(١)

فالاعتقاد بعدالة الصحابة يصطدم بما ورد في القرآن من ذم الصحابة، لأن منهم المنافقين والكذابين والذين كانوا يؤذون النبي - ﷺ - حتى نزلت في القرآن سورة باسم المنافقين.

لذا، فإنه يجب علينا أن نجتنب عن أحاديث الرواة إلا بعد الجرح والتعديل والعلم اليقيني بعدم كون الراوي من المنافقين، ومن هنا فإن الجرح والتعديل واجب في الصحابة كسائر الرواة، لكن أهل السنة يقبلون كل حديث صح عن كل صحابي بلا جرح ولا تعديل، فما جوابكم بهذا الإشكال ولم لا يجري الجرح والتعديل في الصحابة كما يجري في سائر طبقات الرواة؟^(٢)

ثم استدلووا بحديث الحوض الذي يقول فيه الرسول - ﷺ -: "يَرُدُّ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْتَلُونَ عَنِ الْخَوْضِ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أَصْحَابِي يَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَخَذْتُوا بِغَدَاةٍ إِيَّاهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى"^(٣).

*** الرد على هذه الشبهة

إن خلو صحيفة المنافقين السوداء القائمة كلها، من الكذب على الوحي، تبرهن وتشهد لما يعتقده المسلمون - يقيناً - من أن عدالة الصحابة - ﷺ - هي حفظ للدين، وليست مجرد شرف شخصي لهم، فالوحي محفوظ كتاباً وسنة فلا الصحابة يكذبون، ولا المنافقون قادرون على الكذب في هذا الميدان تحديداً، وكل الفرق أن ذلك للصحابة شرف عظيم ورفيع، أما المنافقون فلا كرامة لهم، لأنهم محجوزون عن هذا الميدان قسراً، ولو استطاعوا لما تردوا لحظة واحدة^(٤).

فالمنافقون كانوا يعيشون بين الصحابة، ومنهم من كان متخفياً لا يعلم نفاقه، ولكن إن جاز اشتباه الحال في بعض الأفراد فلا يعني اشتباه الحال فيمن علم إيمانهم قطعاً أو نفاقهم قطعاً، فلم يعد الالتباس موجوداً بينهم، فميزوا بين الصحابة والمنافقين^(٥).

ثم إن القرآن الكريم قد ميز بين الصحابة والمنافقين ودلل على وجود فئتين فقال: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِيُنْكِرُوا مَا هُمْ بِمُنْكَرُونَ﴾ (التوبة: ٥٦)، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَلِيُمَحْصِرَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤). ومن ثم إن الكتاب العزيز قد اثنى على

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٦١.

(٢) القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢ <http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١>

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٦٨)، ص ١١٣٨.

(٤) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٣٥ - ٣٦.

(٥) الشائع، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات، شبهات وردود، ص ٧.

الصَّحَابَةِ وَبَيْنَ صِفَاتِهِمْ وَتَفَاضُلِهِمْ فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) فبين أنهم كانوا في ضلال مبين، ثم حصلت لهم التزكية وعلم الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية الشريفة بصحبتهم للنبي - ﷺ - وأخذهم عنه، ومن ثم نقلوا القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة إلى من بعدهم، فكانوا هم الواسطة، ولو لم يكونوا عدولا لما حصلت الثقة بنقلهم للكتاب العزيز، ولا للسُّنَّة النبوية. ثم إنه قد ذم المنافقين وبين حقيقتهم وما تتطوي عليه نفوسهم، وميزهم عن المؤمنين، قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

ومن هنا فاي بيان أوضح من هذا البيان في كشف حقيقة المنافقين وحالهم؟ كيف لا وقد تعهد الله تعالى بفضحهم وهناك ستورهم وبيان ما تخفيه صدورهم؟! كما قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا اللَّهَ فَخُجَّ مَا تَحْذَرُونَ﴾. فقد أخرج الله ما يحذرون وفضحهم، فلم يعد شأنهم خافيا - في الجملة - على الصحابة - ﷺ -، فضلا عن أن يلتبس هؤلاء بهؤلاء ولا يميز بينهم^(١).

قلت: لقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - المنافقين بشكل شبه مؤكد، فقد كشفهم الله تعالى في مواطن كثيرة منها: يوم أحد وفي مسجد الضرار، وحادثة الإفك، وغيرها، كما كان لهم من الصفات ما يكشفهم^(٢).

أما الرد على بعض الشيعة الذين يستدلون بارتداد الصحابة أو بعضهم بحديث الحوض، فقد ردَّ الشيخ الشائع فأجاد وأفاد، وقال بيان ذلك من وجوه^(٣):

١. أن المراد بهم أناس ممن أسلموا ولم يحسن إسلامهم، كأولئك الذين في أطراف الجزيرة العربية وحصلت الردة منهم بعد ذلك، أو الذين منعوا الزكاة بعد وفاته ﷺ.

٢. إن لفظ الصحابي في اللغة - لا الاصطلاح الشرعي - يشمل المنافق، فيحتمل أن يريد الرسول - ﷺ - المنافقين الذين لم يعرفهم أو لم يظهر له نفاقهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى نَعْلَمَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١)، وإن كان يعلم غالبهم بالصفات التي

وصفها الله بها؛ ودليل ذلك: أن زعيم المنافقين لما قال: أقد تداعوا علينا؟ ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا

إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨)، فقال عمرُ أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

هَذَا الْخَبِيثَ لَعَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ " ^(٤).

(١) الشائع، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات شبهات وردود، ص ١٧.

(٢) القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣ - ٣٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٨)، ص ٦٢٣.

ففي هذه الرواية دليل قاطع وبرهان ساطع على أن مسمى الصحابة في اللغة يطلق على المنافقين ومن ثم يمكن حمل روايات الذم على هؤلاء، أي: يراد بلفظ الصحبة الوارد في حديث الحوض هؤلاء المنافقين، وليس الصحابة بالمصطلح الشرعي.

٣. أنه - ﷺ - لا يعلم من هم الذين بدلوا بعده إلا حين يردون عليه الحوض ثم يردون عنه، فإذا كان - ﷺ - لا يعلمهم، فمن الذي حددهم لكم وعيئهم بأسمائهم؟! فهل أنتم تعلمون ما لا يعلمه رسول ﷺ؟! وهل أنتم أعلم منه ﷺ؟!.

٤. أنه - ﷺ - قال: "فإذا رهط" ولم يقل: فإذا أكثر أصحابي، والرهط في اللغة من ثلاثة إلى عشرة، فدل على أن الذين يمنعون عن الحوض قليل ومثله يقال في قوله فإذا زمرة".

أما المقصود بتعديل الصحابي فإنه يقصد بها الصحبة المعتبرة شرعاً وهي المقترنة بالإيمان والتي تعرف بالسلوك والعمل، يقول التروبشتي: "صحبة النبي - ﷺ - المعتد بها هي المقترنة بالإيمان، ولا يصح أن يطلق الصحابي إلا على من صدق في إيمانه وظهرت منه إمارته دون من أغمض عليهم بالتفاق، فإضافتها إليهم لا تجوز إلا على المجاز لتشبههم بالصحابة وتستترهم بالكلمة وإدخالهم في غمارهم ولهذا قال: في أصحابي ولم يقل: من أصحابي، وذلك مثل قولنا إبليس كان من الملائكة، أي في زمرةهم ولا يصح أن يقال: كان من الملائكة، فإن الله سبحانه تعالى قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

﴾، وقد أسرَّ بهذا القول إلى خاصية وذوي المنزلة من أصحابه، أمر هذه الفئة المسومة المتأبسة لئلا يقبلوا منهم الإيمان ولا يقبلوا من قبلهم المكر والخداع. ولم يكن يخفى على المحفوظين شأنهم لاشتغالهم بذلك في الصحابة، إلا أنهم كانوا يواجهونهم بصريح المقال أسوة برسول الله ﷺ^(١).

والخلاصة: إن رواية الصحابي مقبولة ولا يحتاج إلى تعديل أو جرح؛ لأن من يعدل غيره يحتاج أولاً إلى من يعدله، فالصحابي هو الذي يحكم بالعدالة للتابعي ولا يمكن للتابعي أن يحكم بالعدالة للصحابي، ولقد كفانا تعديل الله ورسوله - ﷺ - لهم^(٢).

المطلب الخامس: شبهة أسلوب النبي في التعامل مع المنافقين وأثره على الرواية

وقد سجل هؤلاء بعض الملاحظات والمآخذ منها:

١. إخفاء الرسول - ﷺ - لأمر المنافقين وأسمائهم مع علمه بهم جميعاً وما لذلك من أثر سلبي في اغترار الصحابة بهم، وما يترتب على ذلك من آثار من حيث مشاركتهم في الرواية بعد وفاة النبي ﷺ^(٣).

(١) القاري، مرقاة المفاتيح، ج ١١، ص ٦٢.

(٢) القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة، ٢٠١٠/٠٦/٢٢
<http://olamaa-yemen.net/olamaa/index.php?ola=qadasi&baner=qadasi.jpg&o=٣&id=٣٨&w=١>

(٣) محادين، صيانة الحديث النبوي الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٧-١٨.

٢. هل كان الرسول - ﷺ - يعلمهم حقيقة بالوحي أم باجتهاده وصفاتهم، ولماذا نفى القرآن الكريم معرفته لهم بقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْتُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١).

٣. دفاعه - ﷺ - عن المنافقين ومحاجته عنهم، والستر عليه مع خطورة أمرهم، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده قال: "قَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - يُصَلِّي فَقَالُوا: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ فَقَالَ رَجُلٌ ذَاكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَا تَقُولُهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ" (١).

وهذا الفاروق يقول للرسول ﷺ: "أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَيْثَ يَعْنِي - عبد الله بن أبي سلول - فقال النبي ﷺ: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" (٢).

وكذلك عندما أراد - ﷺ - أن يصلي عليه، جذبته عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَلَيْسَ اللَّهُ تَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ أَنَا بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ (٣) قَالَ: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُكُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ هُمْ﴾ (التوبة: ٨٠). مضى عليه فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ (التوبة: ٨٤).

وهكذا تسير الشبه في الاعتراض على الأسلوب النبوي الذي سار عليه الرسول - ﷺ - في كيفية التعامل مع هؤلاء المنافقين دون النظر في الحكم التي ابتغاها الرسول - ﷺ - في هذا الأسلوب، علاوة على أن هذا المنهج هو منهج إلهي مصدره الوحي الرباني من الله تعالى.

*** الرد على هذه الشبهة

إن كثيراً من المنافقين كان معروفاً للرسول - ﷺ - وللمؤمنين وكان ينزل على النبي - ﷺ - بين أن وآخر ما ينبئه بأخبارهم، وقد روي أن بعض أسماء المنافقين ذكرت في القرآن ثم حذفت، وأورد القرطبي في تفسيره عن ابن عباس أنه قال: "أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلاً ثم نسخ تلك الأسماء من القرآن رافة منه ورحمة لأن أولادهم كانوا مسلمين والناس يعير بعضهم بعضاً" (٤). وقد ذكر القرطبي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (٥). قال: إنه عرف نبيه - ﷺ - أحوالهم وأسماءهم لا أنها نزلت في القرآن الكريم.

قلت: إن الرواية التي تقول إن أسمائهم نزلت في القرآن الكريم منقطعة، ثم إن هذه مبالغة من أصحاب هذا القول لأن نصوص القرآن الكريم واضحة وصريحة في أن الله تعالى

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (٥٤)، ص ٢٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المنافقين، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٨)، ص ٧٠١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف، حديث رقم ١٢٦٩، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١٩٦.

(٥) سورة التوبة، آية رقم (٦٤).

قد جعل التفاف موضعاً للاختبار والابتلاء والنظر، وهذا يدل على دلالة قاطعة على أن الله تعالى لم يكشف ضمائر المنافقين ولم يبرز أسرارهم لأن مشيئته اقتضت ذلك تقريراً للمبدأ العام الذي سنه الله تعالى في خلقه وهو اختصاصه تعالى بالضمائر وأسرار القلوب، وأنه لا يكلف النفوس إلا وسعها، وإنما وضع كثيراً من الطرق لاختبار القلوب وجعلها محلاً للنظر والتدبر واستعمال الفكر واكتساب العلم^(١).

ومن هنا فإن المنافقين لم يكونوا مجهولي الأعيان في كل مراحل البعثة النبوية في الفترة المدنية، إذ كان سلوكهم في مواقف الامتحان يفتضح حقيقتهم، إنفاذاً لوعده الله تعالى المكين: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا مَلَائِكَتَهُمْ فَتَعَرَّفَنَّهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنُفِهُوا اللَّهُ أَنْ يُؤَفَّكَوْنَ﴾ (المنافقون: ٤).

فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على صفات المنافقين، وتبين حالهم، وتفضح أمرهم، وأنهم كانوا معروفين إما بأسمائهم أو بصفاتهم. لقد جاءت الروايات عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - بأنه لا يوجد أكثر من اثنا عشر منافقاً، وإليك هذه الروايات مع بيان ما يستخلص منها:

١. فعن زيد بن وهب قال: "كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ آيَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ فَقَالَ أَغْرَابِي إِيكُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - تُخْبِرُونَا فَلَا نَذَرِي فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَفَرَّقُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْلَاقِنَا قَالَ أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ أَجَلَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَّا وَجَدَ بَرْدَهُ"^(٢).

٢. وعن حذيفة - رضي الله عنه - أنه قال: "إِنَّمَا كَانَ التَّفَاقُّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ"^(٣). وفي رواية أخرى: "فإنما هو الكفر أو الإيمان". وفي الثالثة قال: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ - كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون"^(٤).

(١) سالم، إبراهيم علي، التفاف والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ، الشعب، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ٣١٨.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَقَتِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَمْنَ لَهُمْ﴾ سورة التوبة، آية رقم (١٢)، حديث رقم ٤٦٥٧، ص ٩٢٠.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب إذا قال عن قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، حديث رقم (٧١١٤)، ص ١٤١١.
(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ٢، ص ١٥٩ - ١٦٠.
٣٦٨

٣. وما أخرجه مسلم بسنده من أن قيس بن عباد - رضى الله عنه - قال: " قلت لعمار أرايتهم صيغكم.... هذا الذي صنعتم في أمر علي أرايا رأيتموه أو شئنا عهدنا إليكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ما عهد إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شئنا لم نعهد له إلى الناس كافة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « في أصحابي اثنا عشر منافقا فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة وأربعة »^(١). وفي رواية: " ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم ".

قلت: هذا هو النفاق الإعتقادي ولقد كان حذيفة يعرف المنافقين بأسمائهم، وكان الصحابة والمنافقون يعلمون ذلك، مما جعلهم يخشون أن يكشفهم حذيفة - رضي الله عنه - إذا كذبوا في الحديث الشريف^(٢).

٤. وما أخرجه البخاري من حديث الأسود بن يزيد النخعي قال: " كنا في حلقه عند عبد الله فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم قال الأسود سبحان الله إن الله يقول ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥)، فبسم عبد الله وجلس حذيفة في ناحية المسجد فقام عبد الله ففرق أصحابه فرماني بالحصى فأتيت فقال حذيفة عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيرا منكم ثم تابوا فتاب الله عليهم^(٣) ".

قلت: يستخلص مما سبق ما يلي:

١. أن النفاق كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأما بعد ذلك فإما إيمان أو كفر.
٢. إن أقصى عدد ذكره حذيفة - رضى الله عنه - اثنا عشر منافقا منافقا، فأين يذهبون أمام الألوف المؤلفة من الصحابة رضى الله عنهم؟ .
٣. إن للمنافقين الذين كانوا أحياء في ذلك الوقت، علامات وأمارات تظهر على أبدانهم فنفضحهم وتهتك أستارهم.
٤. ثم إن أعداد المنافقين قد قلت، وذلك بسبب أن باب التوبة كان مفتوحا، ولموت رأس وزعيم المنافقين في السنة التاسعة للهجرة، وفتح مكة، ودخول العرب في دين الله أفواجا، قبيل انتقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى، كلها أسباب كانت تؤزر هذا

(١) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم ٧٧٩، ص ٧٠٧.

(٢) القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، ص ٦٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾، سورة النساء، آية رقم (١٤٥)، حديث رقم (٤٦٠٢)، ص ٩٠٦.

الخط^(١)، حتى قال ﷺ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَرَ أَنْ يُعْبِدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ " ^(٢).

أما عن أمر السرائر فليس من شأن البشر، ومن أظهر منهم الإيمان والإسلام، بأن اعتاد المساجد، ولم يرتكب ما ينقض الإيمان، نشهد له بالإيمان، أما حقيقته فأمرها إلى الله تعالى، علّام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض، ومن هنا فإنه لا يجوز لنا التشكيك فيه بالهوى، والظن، والرجم بالغيب.

ولو كانت أسماء المنافقين ذات صلة بإبلاغ الرسالة، فهل كان الرسول - ﷺ - المرسل رحمة للعاملين، يستأثر حذيفة بن اليمان ويستأمنه أن يكتمها؟!، فمن أجاب بـ: نعم، فقد كفر بالله تعالى؛ لأن الرسول - ﷺ - بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، ولم يكتم أمر الدين شيئاً وحاشاه ^(٣).

فالمنافقون لم ينقلوا شيئاً ألبته، فهم لا يتجرؤون على الرواية عن الرسول - ﷺ - ولا يستطيعون الكذب والافتراء في هذا الشأن، ولهذا فإن السور والآيات الكريمة التي توضح المنافقين وتعريهم كثيرة جداً، وليس فيها أية واحدة تدل على أنهم استطاعوا الكذب على رسول الله ﷺ.

ثم تأمل قوله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ قَوْلَ عَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ ثُمَّ لَقَطَعْنَا يَمِينَهُ ۖ فَمَا يَنْكُرُونَ أَعْمَا عَنْهُمْ حَزِينٌ﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٧)، فإذا كان هذا في شأن الرسول - ﷺ - لو نقول على الله تعالى، فكيف بغيره لو حاول أن يكذب أو يحرف؟!.

فالحماية ربانية وإلهية لا بشرية، والبشر إنما هم من الأسباب المسخرة لهذه الحماية، وهذه حقيقة ناصعة لا لبس فيها، فلا الصحابة يكذبون لعدالتهم، ولا المنافقون يقدرّون على الكذب في هذا الميدان تحديداً ^(٤).

ثم إن أعداد المنافقين قليلة جداً، فلو ظل المنافقون بعد وفاة الرسول - ﷺ - فئة كبيرة كثيرة العدد وذات شوكة ومنعة مثلما كانت من قبل، لما تردّدوا لحظة واحدة عن انتهاز الفرصة التاريخية لهم، ممثلة في ارتداد كثير من العرب، وقلة عدد المسلمين في مكة والمدينة، بل إننا لا نلمح ولا نلاحظ لهم أدنى وجود في الحوار بين الخليفة الأول والصحابة الذين كانوا يعارضونه في أول الأمر لما أراد قتال مانعي الزكاة!.

(١) الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، ص ٧٣.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، حديث رقم ٢٨١٢، ص ٧١٤ - ٧١٥.

(٣) الأسعد، منظر، براءة الصحابة من النفاق تنفيذ اتهامات يوسف أبو هلال للصحابة بالكذب والنفاق، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٥٦ - ٥٧.

(٤) الشايع، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات وردود، ص ٣١.

وفي الختام أقول: إنَّ الحكمة من جعل لائحة الأسماء مع حذيفة - ؓ - هي أنَّ المنافقين باتوا قلة لا يؤبه بها، فما كانوا لينكشفوا مثلما انكشفوا مراراً في الفترة المدنية، عندما كانوا يتخلفون عن الغزوات والسرايا، أو يرجعون وهم في الطريق إليها ليثبطوا من عزيمة المؤمنين، أو عندما يهيئون مسجد الضرار لتمزيق وحدة الصف المسلم، فوظيفة حذيفة أن يفتضح هؤلاء القلة إذا ما حاولوا إثارة الفتن والقلقل، أو التصدي لمواقع قيادية، أو ممارسة التحريف في أي شكل من أشكاله، ف قوة حذيفة - ؓ - المشتهرة بالجرأة في الحق، لم يكن ليست على أي منافق يختلق على الوحي أو يتسلم منصباً^(١)، وإلا لعدَّ غاشاً للامة - وحاشاه من ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه إلى أنَّ منهج القرآن بعامة، والسنة في الجملة عدم تعيين أسماء المنافقين؛ لفوائد منها: أنَّ الله يستر يحب الستر على عبادة، وأنَّ الأصل نقد القول والفعل لا الذوات، وحتى يربط الناس بالأقوال والأفعال لا بالذوات، وفي هذا جانب تعليمي تربوي مفيد، وهو أخذ الناس بظواهرهم، وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وهذا المنهج الفريد تميز به الإسلام عن سائر النظم والأديان، فمع أنَّ المنافقين أشد كفراً من المشركين فلم يؤاخذوا إلا بما ظهر منهم، مع علمه - ﷺ - بما هم عليه من التفاف الأكبر.

فالقضية قضية منهج، وليست قضية أفراد يتم القضاء عليهم، ثم ينتهي الأمر، لأنَّ المسألة أعمق من ذلك بكثير وأبعد، فجاء العلاج متوازياً مع حجم المشكلة وأبعادها وآثارها، وهذا المنهج قد حقق آثاراً إيجابية ضخمة، فهذا المنهج هو الذي قتلهم معنوياً، دون الحاجة إلى قتل أي فرد منهم حسيماً^(٢). وهكذا هتك: الرسول - ﷺ - أستار المنافقين، وكشف أسرارهم، وفضح أساليبهم وأوكارهم، وبين صفاتهم وأخلاقهم.

كما أنَّ القرآن الكريم حرص على هدايتهم إذ إنَّه عند الحديث عنهم لم يذكر أسماءهم، مع أنهم كانوا معروفين، فكان يعبر عنهم باسم الموصول فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرُونَ آمَنَّا بِمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨-٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي

الصَّدَقَاتِ إِن أَعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ بِسَخَطِكَ﴾ (التوبة: ٦١)، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك، ولعل السر في ذلك - أي الإتيان باسم الموصول، لأنَّ التعبير بالموصول يخفي تحته اسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته ما ليس في إفشاء سره وفضيحته^(٣). إذن القاعدة التي طبقها النبي - ﷺ - في محاسبة المنافقين، هي معاملتهم بالظاهر، والله يتولى السرائر، وهذا تعليم للبشرية بالأب يتعجلوا فيحكموا بغير الظواهر، لأنَّ مكنونات القلوب أمرها موكول إلى الله تعالى عالم السر والنجوى، ولذلك ورد عن عمر - ؓ - أنَّه

(١) الأسعد، براءة الصحابة من التفاف، ص ٧٦.

(٢) الداود، عبد العزيز بن حمد، السياسة الشرعية في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين، ٢٢/٠٦/٢٠١٠.

<http://majles.alukah.net/showthread.php?t=١٧٥٩٤>.

(٣) لاشين، لغة المنافقين في القرآن، ص ١٤ - ١٥.

قال: أيها الناس، قد انقطع الوحي، وإِنَّمَا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمَّناه، وقربنا، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه، ولم نصدقه، وإن قال لنا: إن سريرته حسنة^(١).

المطلب السادس: شبهة إخفاء حذيفة لأسماء المنافقين بعد وفاة النبي ﷺ وأثره السلبي على الرواية

من المعروف والمشهور أنَّ الرسول - ﷺ - قد استودع أسماء المنافقين وأسرَّ بأسمائهم للصحابي حذيفة بن اليمان ؓ، وذلك في غزوة تبوك حين سمَّى الرسول - ﷺ - أربعة عشر منافقاً هموا أن يفتكوا به عند عقبة هناك، فقد عزموا أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها، وأوحى الله إليهم أمرهم، ثم استودع سرهم حذيفة بن اليمان الذي قيل عنه إنَّه علم من الرسول - ﷺ - جميع المنافقين.

ولهذا كان يقال له إنَّه صاحب سر النبي - ﷺ - حتى أنَّ عمر - ؓ - كان إذا مات ميت دعا حذيفة للاشتراك في جنازته، فإذا امتنع حذيفة عن الصلَاة عليه علم الفاروق أنَّ المتوفي منافق، فلم يصل عليه^(٢)، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ (التوبة: ٨٤)، يقول حذيفة: "النفاق اليوم أكثر منه على عهد الرسول ﷺ"^(٣).

وتلقي هذه الشبهة اللائمة الكبرى على الصحابي حذيفة بن اليمان - ؓ - بسبب إخفاء أسماء المنافقين عن جملة الصحابة - ؓ - مع ما في إظهارهم من المصلحة العامة، خاصة بعد انتقال الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، وخطورة مشاركة هؤلاء المنافقين في الرواية عنه ﷺ، لاسيما أنَّ الصحابة الذين كان الرسول - ﷺ - قد خصهم بشيء من العلم كانوا يظهرونه قبل موتهم خشية من الوقوع في الإثم لكتبتهم هذا العلم^(٤). لقوله ﷺ "من سئل عن علم علمه ثم كتبه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"^(٥).

فهذا معاذ بن جبل عندما أخبره الرسول - ﷺ - أنَّ حق الله على العباد أن لا يعذَّب من لا يشرك به شيئاً، قال: يا رسول الله ألا أخبر النَّاس. قال: لا تخبرهم فَيَتَكَلَّوْا. وقد أخبر

(١) لاشين، لغة المنافقين في القرآن، ص ١٤.

(٢) لاشين، لغة المنافقين في القرآن دراسة تحليلية لأيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغية، ص ١٣.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، م ٧، ص ٤٧٠.

(٤) محابن، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ١٨.

(٥) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، حديث رقم ١٦٤٩، ص ٤٢٩، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

بها معاذ قبل موته تائماً، أي خروجاً من الإثم^(١). ومثله قوله أبو هريرة رضي الله عنه: "إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو وَلَوْ لَا آيَاتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ... الحديث" ^(٢).

*** الرد على هذه الشبهة

لقد طعن ابن حزم في هذه الرواية وأعلها بالوقف، يقول ابن حزم في تعليقه على هذه الرواية: "وأحاديث موقوفة على حذيفة فيها: أنه كان يدري المنافقين، وأن عمر سأل: أهو منهم....." ^(٣). وقال أيضاً: "وأما الموقوفة على حذيفة - فلا تصح ولو صحت لكانت بلا شك على ما بينا من أنهم صح نفاقهم وعادوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم، فتورع عن الصلاة عليهم، وفي بعضها أن عمر سأل: أنا منهم؟ فقال له: لا، ولا أخبر أحداً غيرك بعدك - وهذا باطل كما ترى، لأن من الكذب المحض أن يكون عمر يشك في معتقد نفسه حتى لا يدري أمانق هو أم لا؟" ^(٤).

قلت: وعلى فرض صحة هذا الخبر، فليس معنى هذا عدم معرفة باقي الصحابة بهم، فإن بعض المنافقين كانوا معروفين ظاهرين مثل عبد الله بن أبي ابن سلول مثلاً، ونزلت فيه عدة مرات العديد من الآيات الكريمت ^(٥)، ولكي لا يبقى المؤمنون في عمايه من أمر هؤلاء المنافقين، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بأن يميز لهم الخبيث من الطيب، وأن يهتك أستار المنافقين إما بأعيانهم كما حدث بالنسبة لبعضهم أو بأوصافهم كما هو الأصل ^(٦)، يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

يقول الأعظمي: "إنَّ المنافقين كانوا معروفين للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما كانوا معروفين لدى الصحابة بأعيانهم أو بأوصافهم، لأن آيات القرآن الكريم بينت كل حركاتهم وسكناتهم حتى خلجات قلوبهم" ^(٧).

ومما يدل على معرفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكثير منهم ما جاء في مسند الإمام أحمد حيث أخرج عن أبي مسعود عقب بن عمرو - رضي الله عنه - بسنده أنه قال: "خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خُطْبَةً فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ فِيكُمْ مُنَافِقِينَ فَمَنْ سَمِيتُ فَلْيَقُمْ ثُمَّ قَالَ قُمْ يَا فُلَانُ قُمْ يَا فُلَانُ حَتَّى

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته على توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم ٦٨٢٥، ص ١٤٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١١٨، ص ٣٥.

(٣) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأنلسي، الإيصال في المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ج ١٢، ص ١٥٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج ١٢، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٥) مجاهد، محمد مصطفى، التفاه والمناقون، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ١٠٧.

(٦) الصاوي، محمد صلاح محمد، منزلة الصحابة في القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون]، ص ٣١.

(٧) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٥٥.

سَمِي سِتَّةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ فِيكُمْ أَوْ مِنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ قَالَ فَمَرَّ عُمَرُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ سَمِي مُقَنَّعٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ قَالَ مَا لَكَ قَالَ فَحَدَّثَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ بَعْدًا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ اللَّهُ " (١).

وما رواه ابن سعد في طبقاته الكبرى حتى قال: أخبرنا الهاشم بن القاسم قال: حدثني سليمان بن ثابت يعني البستاني قال: اجتمع المنافقون فتكلموا فيما بينهم فقال رسول الله ﷺ: " إن رجالاً منكم اجتمعوا فقالوا كذا وقالوا كذا فقوموا واستغفروا الله وأسغفروا لكم، فلم يقوموا فقال: ما لكم؟ قوموا فاستغفروا الله وأسغفروا لكم، ثلاث مرات، فقال: لتقومن أو لأسمينكم بأسمائكم! فقال: قم يا فلان، قال: فقاموا خزايا متقنعين. " (٢).

وما كان يخبره به جبريل عليه السلام كما في حديث نبتل. وإنما كان إخبار الله تعالى عن أسماء كثير منهم وفعالهم للنبي - ﷺ - إنما كان هذا نوعاً من إكرام الله تعالى لرسوله ﷺ (٣).

أما الصحابة - ﷺ - فقد كانوا يعرفونهم عزَّ المعرفة، فقد ساق ابن إسحاق بإسناد صحيح إلى محمود بن لبيد، وقد سئل هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم، والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه، ومن أبيه، ومن بني عمه، ومن عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك (٤).

إذن كان المؤمنون يعظون المنافقين ويذكرونهم الله كما نطقت بذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (٥).

وأخرج أبو داود من حديث أبي بن كعب - ﷺ - أنه قال: "صلى بنا رسول الله - ﷺ - يوماً الصبح فقال: أشاهد فلان، قالوا لا، قال: أشاهد فلان، قالوا لا، قال: إن هاتين الصَّلَاتَيْنِ أَثَقَلَ الصَّلَوَاتِ... الحديث" (٦). فهذا يدلنا دلالة واضحة بينة على معرفة النبي - ﷺ - لهؤلاء المنافقين بأعيانهم، ثم علَّم أصحابه منهج الكشف عن صور النفاق، لهذا يقول ابن مسعود ﷺ: "وَلَوْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ" (٧).

ومما يدل ذلك أيضاً على معرفة الصحابة لهم حديث كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، حيث قال: فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنِي أَلِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ لِ النِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ مَا فَعَلَ

(١) الشيباني، مسند الإمام أحمد، ج ١، حديث رقم ١٦٦٧.

(٢) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) عبد الغني، المنافقون وشعب النفاق، ص ٥٦.

(٤) ابن هشام، ميرة ابن هشام، ج ٤، ص ١٧٧، وانظر ابن حزم: الإيصال في المحلى بالآثار، ج ١٢، ص ١٥٧.

(٥) حشادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل دراسة منهجية في علوم الحديث، ص ٢٢١.

(٦) المسجستاني، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في فضل الصلاة الجماعة، حديث رقم ٥٥٤، ص ٨٣ - ٨٤، وقال الألباني: حسن.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة وسنن الهدى، حديث رقم (٦٥٤)، ص ١٥٦.

كَتَبَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ ^(١). وانظر أيضاً بعض أقوال الصحابة في معرفة المنافقين في الشبهة الأولى.

أما بالنسبة لقبول الرسول - ﷺ - لأعداء هؤلاء المنافقين فلم يكن - ﷺ - يصدقهم، ويعتقد سلامة قولهم، ولكنه كان يوكل أمرهم إلى الله تعالى، يقول ابن تيمية: "وإن جاز أن يخفى على النبي - ﷺ - حال بعض الناس فلا يعلم أنه منافق، كما قال: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠١). فلا يجوز أن يخبر عنهم بما يدل على إيمانهم، ولهذا لما جاءه المخلفون عام تبوك، فجعلوا يحلفون ويعتذرون وكان يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، لا يصدق أحداً منهم، فلما جاء كعب وأخبره بحقيقة أمره، قال: أما هذا فقد صدق أو قال: صدقكم ^(٢).

ثم إن الصحابة - ﷺ - كانوا يعرفون الذين بنوا مسجد الضرار بأسمائهم، والصحيح أن معرفة المنافقين بصورتها الظاهرة الواضحة قد مرت بمراحل متعددة بحسب الحوادث والوقائع التي مرت بالصحابة - ﷺ - حتى نزلت سورة التوبة التي سميت "بالفاضة"، لأنها السورة التي نزل فيها الكثير عن المنافقين فلم يعد أمر هذه القلة بالسر الغامض ولا بالطمس المعقد الذي لا يستطيع معرفة كنهه، فلقد فضح الله تعالى هذه الطائفة وهتك أستارهم، وكشف ما انطوت عليه نفوسهم حتى أنه لم يعد بالعسير على الإنسان أن يتغرس في حركات الرجل وأعماله، وما يبدو من فلتات لسانه، وما يظهر على صفحات وجهه فيدرك خطورة أمره وسوء ما انطوت عليه نفسه ^(٣).

يقول ابن تيمية: "ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ صار يعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم؛ وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم، وإن كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم يعلمه؛ فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة بخلاف حالهم لما نزل القرآن، ولهذا لما نزلت سورة براءة كتبوا النفاق وما بقي يمكنهم من إظهارها أحياناً ما كان يمكنهم قبل ذلك ^(٤)".

فنزل هذه السورة هتكت أستارهم، وفضحت حالهم، وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها ^(٥)".

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿إِنَّا أَنْتَزَعْنَا النَّبِيَّ عَنْكُمْ﴾، وسورة التوبة، آية رقم (١١٨)، حديث رقم (٤٤١٨)، ص ٨٦٥ - ٨٦٨.

(٢) ابن تيمية، منهاج السئلة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١، م ٨، ص ٣٠١.

(٣) عبد الغني، المنافقون وشعب النفاق، ص ٥٦.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، م ٧، ص ٢١٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب فيمن نزلت سورة الحشر ٢، حديث رقم (٤٨٨٢)، ص ٩٩٠.

ومن هنا فقد نهى الله تعالى نبيه - ﷺ - من الصلاة عليهم، والوقوف على قبورهم والدعاء لهم، في الوقت الذي كمل فيه ذكر صفاتهم، وكشف نواياهم، ومن المعلوم أن هذا النهي يستلزم معرفتهم، إذ كيف يؤمر بعدم الصلاة عليهم وهو لا يعرف أعيانهم؟!.

وهذا ما قاله طه الدليمي في نقده لبعض طعونات الشيعة بقوله: "وقد تبين لنا أن المنافقين كانوا معلومين في الجملة، وليس لهم أي أثر في جهاد أو دعوة أو تبليغ للدين، وإنما فرسان ذلك هم الصحابة رضي الله عنهم، الذين قاتلوا مع النبي ﷺ، ثم قاتلوا بعد وفاته المرتدين، وفتحوا الأمصار، وبلغوا دين الله تعالى في الآفاق"^(١).

وإذا أردنا أن نزيد بيتاً من القصيد هنا، فلنرجع إلى كتب التراجم، لنذكر أن أمر التفاق ليس كما يصوره هؤلاء من الخفاء والغموض، فها هي كتب التراجم والسير تفصل في موضوع التفاق وتسم المنافقين بهذه الصفة في تراجمهم^(٢)، ولنضرب على ذلك بأمثلة ثلاثة:

١. قال ابن الأثير: ثابت بن وديعة بن جذام أحد بني أمية بن زيد بن مالك بن بني عمرو بن عوف من الأنصار ثم من الأوس يكنى: أبا سعد وكان أبوه من المنافقين عداده في أهل المدينة؛ قاله ابن منده عن محمد بن سعد كاتب الواقدي^(٣).

٢. قال ابن عبد البر: مخشي بن حمير الأشيجعي، حليف بني سلمة من الأنصار كان من المنافقين، وسار مع النبي - ﷺ - إلى تبوك حين أرجعوا برسول الله - ﷺ - وأصحابه، ثم تاب وحسنت توبته، وسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً، لا يعلم مكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر^(٤).

٣. عرابية بن أوس بن قبيط بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عروبن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الحارثي، كان أبوه أوس بن قبيط من رؤوس المنافقين أحد القائلين: أن بيوتنا عورة^(٥).

وفي الختام أقول: ما أروع من قال: "كان يمكن كشف المنافقين للمسلمين عن طريق الوحي فكان يمكن أن يقول الوحي لمحمد - ﷺ - أن فلاناً وفلاناً وفلاناً منافقون فاحذرهم ولكن براعة القرآن الكريم وإعجازه، تعدت ذلك إلى وضع قائمة دقيقة تتكون من مجرد أوصاف وتصرفات، تكون هذه القائمة منظاراً دقيقاً ينكشف أمامه التفاف في كل زمان ومكان"^(٦).

المطلب السابع: شبهة مشاركة بعض المنافقين في رواية الحديث النبوي

مما لا شك فيه أن الشبه السابقة وغيرها التي افترها وسطرها هؤلاء المغرضين، الذين بنوا قصوراً في الهواء لن تثمر أبداً إذ أنها نظريات جوفاء لا تصمد أو تثبت أمام الحق

(١) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ٣١.

(٢) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ٣١.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٣٧.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٩٢.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٨٣.

(٦) حنفي، أسلوب القرآن كشف التفاف، ص ٣٦.

المبين الذي لا مرية فيه ولا جدال عليه؛ لذا كان لابد لهم من أن يأتوا بالأمثلة الحية الواقعية التي تثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع مشاركة بعض المنافقين في الرواية، فلما نظروا ودققوا الفحص، ارتد إليهم الطرف خاسئاً وهو حسير، فكان من شؤم ما وجدوه مخرجاً أن يطعنوا بجملة من الصُّحابة، ويستندوا على ما كان واهياً من الروايات، فمن ذلك^(١):

١. طعنهم بكعب الأحبار واتهامه بالنفاق وإن إسلامه كان نفاقاً منه ليدخل في الدين ما يفسده، يقول أبو ريّة: "إنّ أبا هريرة والعبادلة ومعاوية وأنس وغيرهم، قد رَووا عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً وطوى قلبه على يهوديته - ويبدو أن أبا هريرة كان أكثر الصُّحابة انخداعاً به، وثقة فيه، ورواية عنه وعن إخوانه، ويتبين من الاستقراء أنّ كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينميه ليلقنه كل ما يريد أن يبنه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام، وكان له في ذلك أساليب غريبة، وطرق عجيبة"^(٢).

٢. طعنهم في رواية بعض الصُّحابة عن أحبار اليهود، يقول أبو ريّة: "كان من أثر وثوق الصُّحابة بمسلمة أهل الكتاب واغترارهم بهم أن صدقوهم فيما يقولون، ويروون عنهم ما يفترون"^(٣).

٣. الطعن بالكثيرين من الرواية من الصُّحابة - ﷺ - كابي هريرة وعبد الله بن عمرو، يقول أبو ريّة عن أبي هريرة ﷺ: "وكان أبو هريرة أكثر الصُّحابة وثوقاً به، وأخذاً عنه، وانقياداً له، كما تبين لك من تاريخه الذي نشرناه في كتاب خاص باسم "شيخ المضيرة" فيرجع إليه"، ويقول عن أبي هريرة وابن عمر - ﷺ -: "وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو من تلاميذ كعب الأحبار"^(٤).

٤. اتهامهم الصُّحابة بالأخذ من أهل الكتاب، يقول أحمد أمين: "اتصل الصُّحابة بوهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام"^(٥)، ثم قال أبو ريّة: "من أجل ذلك كله أخذ أولئك الأحبار يثبتون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات، يزعمون مرة أنها في كتبهم أو من مكنون علمهم، ويدعون أخرى أنها مما سمعوه من النبي ﷺ، وهي في الحقيقة من مفترياتهم، وأنّى للصُّحابة أن يفتنوا لتمييز، الصدق من الكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية.... وتلقى الصُّحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد أو تمحيص، معتبرين أنّه صحيح لا ريب فيه"^(٦).

(١) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ٢٠.

(٢) أبو ريّة، أضواء على السنة المحمّدية أو دفاع عن الحديث، ص ١٨٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٣٧.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ١٣٧.

(٥) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ١٣٩.

(٦) أبو ريّة، أضواء على السنة المحمّدية أو دفاع عن الحديث، ص ١٢٠.

٥. وبلغ الأمر بهم في وصف الصُّحابة - ﷺ - بالسذاجة والخديعة، وغيرها من الأوصاف، يقول أبو ريّة: "ويتبين من الاستقراء أنّ كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه...." (١).

*** الرد على هذه الشبهة

كان للمنافقين من خللهم وأفعالهم علامات وأمارات وميزات يتميزون بها، وكان الصُّحابة - ﷺ - يفرسون بهذه العلامات ليتحاشوا أعداءهم من المنافقين، وليعلموا مواطن التجسس، وليدروا عن أنفسهم شرورهم وكيدهم (٢). لذلك ما كان أحدٌ منهم يتجراً على رواية الحديث النبوي الشريف، ثم إنهم لم يهيؤوا التهيئة الربّانية للمشاركة في الرواية والتدخل بها لا من قريب ولا من بعيد (٣)، ثم إنّ وجود بعض المنافقين في المدينة شبهة أوهى من بيت العنكبوت، لأنّ المنافقين لم يكونوا شبحاً مجهولاً غير معروف في كيان الأمة، ولم يكونوا بالطبع هم سوادها العام وجمهورها الغالب، وإنّما كانوا قلة مرذولة معلومة قد آل أمرها إلى الخزي والعار والفضيحة فعلم بعضهم بأعيانه وبعضهم الآخر بأوصافه، ولم يكونوا هم صانعي الأحداث في تاريخ الدعوة، ولا قادة انتصاراتها وفتوحاتها، بل لم يعرفوا في تاريخها كله إلا الجبن والنكوص والتثبيط والتأمر (٤)، فضلاً عن أن يكونوا راويين للحديث النبوي الشريف.

يقول المزي: "إنّها لم توجد رواية عمّن يلزم بالنفاق" (٥)، ومن تتبع السير وعلم هؤلاء الملموزين، ونظر في الصُّحابة الرواة تأكد من صدق مقالة الإمام المزي رحمه الله. فالصُّحابة - ﷺ - كانوا يعرفون المنافقين إما بأعيانهم أو صفاتهم، وينبذونهم ويزدرونهم، ولم يكن لهم أي شأن بين الأبرار من أصحاب الرّسول ﷺ (٦). ومن ناحية أخرى يمكننا أن نطبق صفات المنافقين على أكثر الصُّحابة رواية للحديث النبوي الشريف من أصحاب الألف والمئين وهم:

١. أبو هريرة: روى ٥٣٧٤ حديثاً.

٢. ابن عمر: روى ٢٦٣٠ حديثاً.

٣. أنس بن مالك: روى ٢٢٨٦ حديثاً.

٤. عائشة أم المؤمنين: روت ٢٢١٠ حديثاً.

٥. ابن عباس: روى ١٦٦٠ حديثاً.

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١٨٠.

(٢) سالم، النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ، ص ٢٨٩.

(٣) محادين، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين، ص ٢٢.

(٤) الصّاوي، منزلة الصُّحابة في القرآن، ص ٣٠.

(٥) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٧٠.

(٦) حمّادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتّعنيل دراسة منهجية في علوم الحديث، ص ٢٢٣.

٦. جابر بن عبد الله: روى ١٥٤٠ حديثاً.
 ٧. أبو سعيد الخدري: روى ١١٧٠ حديثاً.
 ٨. عبد الله بن مسعود: روى ٨٤٧ حديثاً.
 ٩. عبد الله بن عمرو: روى ٥٣٧ حديثاً.
 ١٠. عمر بن الخطاب: روى ٥٣٧ حديثاً.
 ١١. علي بن أبي طالب: روى ٥٣٦ حديثاً.
 ١٢. أم سلمة أم المؤمنين: روت ٣٧٨ حديثاً.
 ١٣. أبو موسى الأشعري: روى ٣٦٠ حديثاً.
 ١٤. البراء بن عازب: روى ٣٠٥ حديثاً.
 ١٥. أبو زر الغفاري: روى ٢٨١ حديثاً.
- فسيرة هؤلاء الصحابة - ﷺ - مفصلة في كتب التراجم فمن شاء فليرجع ويطبق عليهم صفات المنافقين فإنه يرجع خاسراً، علماً بأن أغلبهم وجلهم من المهاجرين ولم يوجد النفاق إلا في شريحة من أهل المدينة والأعراب. وما ارتد هؤلاء بعد الرسول ﷺ، ولا زاغوا عن طريقته حتى يستدل بحديث: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك^(١).
- قلت: ثم انظر إلى أسماء المنافقين الذين ذكروا في كتب التراجم والسير، أو حتى الذين اتهموا بالنفاق هل يوجد لهم رواية؟. الجواب بالطبع لا.

المبحث الثاني

منهج الصحابة - ﷺ - في نقد الروايات وأثره في

منع رواية المنافقين

تمهيد

لقد كانت فترة الصحابة - ﷺ - قربية عهد بالنبي - ﷺ - وفي عهدهم لم تكن تنقص مادة الحديث النبوي الشريف بعد، لذلك كانت الشهادة على السماع في وزن العدالة والضبط، وكل ما تقدم به صحة الإسناد، ثم كان بعد ذلك الفاروق - ﷺ - أول من سنَّ للمحدثين التثبت في النقل، إذ كانت طائفة من الناس قد مردت على النفاق، وكانت الحاجة ملحة في الرواية، وكانت لها منزلة علمية عالية بين الناس، حيث بدأت الثقة في البعد بين النبي - ﷺ - وصحبه وسلسلة الرواة بعد ذلك^(٢).

(١) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٥٧.
(٢) عبد الغفار، دراسات في الحديث الشريف السند والمتن، ص ٢٠٨.

فمن هنا كان الصحابة - ﷺ - حراساً للحديث النبوي الشريف، إذ وقفوا بالمرصاد للمنافقين، وأهل البدع، والأهواء والضلالات، من أن يدخلوا فيه ما ليس منه، فمنعوا الرواية عنهم، وقاموا بكشف أحوالهم، وإظهار أمرهم، وهتك ستورهم، وتعنيفهم، والاستعداد عليهم عند الشرطة^(١).

وكان من شدة حرص الصحابة - ﷺ - في المحافظة على هديه وسنته نظرياً وعملياً، أن أثمرت حركة نشطة في مجال البحث والنقد الحديثي، حتى يتبين الصحابة أن ما يروى عنه - ﷺ - صحيح لا زيف فيه ولا افتراء على سنته، ومن ذلك التفتيش والسؤال عن أحوال الثقة حتى لا يتدخل في الرواية من صفته الثقة، أو المكر بهذا الدين، وكان استجابة الصحابة لأمر النبي - ﷺ - حيث قال: "تضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها مثل ما سمعها قرب مبلغ أوعى من سامع"^(٢).

والآن ساقف في هذا المبحث على أبرز مناهج الصحابة في حفظ السنة وصيانتها من رواية المنافقين، وذلك بما وضعوه من قوانين للرواية، وإليك بيان ذلك كله:
أولاً: احتياط الخلفاء الراشدين خاصة والصحابة عامة في قبول الرواية ونقد الأخبار، وهذا الأمر لم يدع مجالاً للمنافقين للدخول أو المشاركة في الرواية.

لقد اتخذ الصحابة - ﷺ - قاعدة التثبت في أخذ الحديث، وأدائه للآخرين، يقول الإمام الذهبي عن أبي بكر الصديق: "وهو أول من احتاط في قبول الأخبار"، وقال أيضاً: "وإليه المنتهى في التحري في القول والقبول"^(٣)، وقال الأعظمي: "وهو الذي دلنا على أهم قاعدة للنقد والتدقيق، وهي المقارنة بين الروايات"^(٤)، فغدا التثبت والتحري في قبول الرواية قاعدة عامة.

ثم جاء الفاروق فقال ابن حبان عنه: "أن عمرو وعلياً أول من فتشاً عن الرجال في الرواية وبحثاً عن النقل في الأخبار ثم تبعهم ناس على ذلك"^(٥). ثم كان علي - ﷺ - قال الذهبي: "كان إماماً عالماً متحرياً في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث" فقد جاء عنه أنه قال: "كنت إذا سمعت رسول الله - ﷺ - حديثاً فنعني الله عز وجل بما شاء الله أن ينفعني منه وإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف لي صدقته فحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر ... الحديث"^(٦).

قلت: والهدف من هذا التثبت هو: قطع الطريق على المنافقين من أن يدخلوا في السنة النبوية الشريفة ما ليس منها، فإن التثبت في قبول أخبار المأمونين يردع غيرهم^(٧).

(١) الخرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٤٨.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم ٢٦٥٦، وقال الألباني: صحيح.

(٣) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٩.

(٤) الأعظمي، مقدمة كتاب التمييز لمسلم بن الحجاج، ص ٣٠.

(٥) ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، ج ١، ص ٣٨.

(٦) الذهبي، كتاب تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠.

(٧) الكبسي، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، ص ٢٢٠.

ثانياً: نقد الصحابة - ﷺ - للمتون وأثره في منع رواية المنافقين

كان للنقد الحديثي المبكر من قبل الصحابة - ﷺ - أثر كبير في منع المنافقين من الرواية، بحيث لم يدع لهؤلاء المرجفين مكاناً في الرواية بل قصر الرواية على أصحاب الاختصاص من الصحابة ومن يتوثق من روايته. ومما يجدر التنبيه عليه أن الصحابة - ﷺ - لم يكونوا يهتمون بالتحقق من الرواية على النبي - ﷺ - ولا يقصدون منعهم من التبليغ، بل قصدوا عمل ذلك مع الصحابة النقات الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وأنكروا عليهم حتى لا يجترأ من بعدهم ممن ليس محلّه في الإسلام كمحلّهم^(١)، ففعلهم هذا ينزل منزلة الاحتياط والتثبت كما صرح عمر بن الخطاب، ولمزيد من إيضاح هذه الصورة انظر فصل الضبط والوهم من هذه الرسالة.

ثالثاً: تخصص بعض الصحابة بالرواية وأثره في منع رواية المنافقين

لم يتصدى كل الصحابة - ﷺ - للرواية بمعنى الإكثار، بل كانوا يتفاوتون في الرواية فمنهم الكثير، ومنهم المتوسط، ومنهم المقل، وهذا يدل على أنه ليس من السهل أن يأتي أحد المنافقين ممن لم يعرف بالرواية ومعرفة الحديث ليروي عن الرسول - ﷺ - فعن البراء بن عازب - ﷺ - قال: "ليس كلنا يسمع حديث النبي ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن كان الناس لم يكونوا يكتنبون فيحدث الشاهد الغائب"^(٢).

وكذلك كان لكل صحابي من صحابة النبي - ﷺ - قرب من ناحية معينة من نواحي العلم، فالمغيرة بن شعبة - ﷺ - كان من أكثرهم سؤالاً عن الدجال مثلاً، أما حذيفة بن اليمان - ﷺ - فقد كان من أكثرهم سؤالاً عن الفتن، وعن المنافقين، وقد خصه النبي - ﷺ - بخصيصة لم تتواجد لدى أي صحابي آخر وهي أنه أسرّ له بأسماء جميع المنافقين المتواجدين في المدينة المنورة على عهد النبوة الأولى، فكان الصحابي الوحيد الذي يعرف المنافقين بالاسم جميعاً، وليس معنى هذا عدم معرفة باقي الصحابة بهم، فإن بعض المنافقين كانوا ظاهرين معروفين للجميع مثل عبدالله بن سلول مثلاً، ونزلت فيه آيات كريمة في أكثر من موضع، ولكن حذيفة كان يعلم بأسماء المنافقين ممن لم يظهروا النفاق علانية، وأسروه في قلوبهم^(٣).

أربعاً: الإقلال من الرواية وأثره في منع رواية المنافقين

حرص الصحابة - ﷺ - على الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها استجابة لأمر الرسول - ﷺ - الذي قال فيه: "إياكم وكثرة الحديث عني فمن قال عليّ فليقل حقاً أو صدقاً ومن تقول عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"^(٤).

(١) خليل، التسهيل في علم الجرح والشعيل، ص ٢٠.

(٢) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ١، ص ١١٧.

(٣) مجاهد، النفاق والمنافقون، ص ١٠٧.

(٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب التغليظ في تعدد الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٥)، ص ٢١، وقال الألباني: هذا حديث حسن.

قلت: والحكمة من الإقلال هو: حفظ الدين، ومنعاً للمنافقين في أن يكون لهم مدخل في الرواية، يقول ابن قتيبة "وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه وكان يأمرهم أن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي"^(١)، ويقول المقدسي: "كله خوفاً من الزيادة والنقصان، أو السهو والنسيان، واحتياطاً للدين وحفظاً للشرعة، وحسماً لطمع طامع أو زيغ زائغ أو يجترئ، فيحكي عن رسول الله - ﷺ - ما لم يقله، أو يدخل في الدين مالمس منه، وليقتدي بهم من يسمع منهم ويأخذ عنهم"^(٢).

إذن هو خشية أن يتخذها المنافقون مطية لأغراضهم الخبيثة، ولمزيد من هذه الأقوال في شأن الحكمة من الإقلال وعدم الإكثار، ينظر مبحث الإقلال من الرواية وعدم الإكثار منها في هذه الرسالة.

خامساً: منع القصص من التحديث وطلب الشرطة إذا استدعى الأمر.

١. روي أن ابن عمر - ﷺ - قال لقاص يقص عنده: قم عتاً فقد أدبتنا، وفي رواية: دخل قاص مجلس قريباً من ابن عمر فقال: قم فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرطة، فأرسل إليه شرطياً فأقامه^(٣).

٢. وما رواه الطبراني بسنده عن عمرو بن زرارة قال: وقف علي عبد الله - ﷺ - يعني ابن مسعود - وأنا أقص فقال لي: يا عمرو ابتدعت بدعة ضلالة، أو أنك لأهدى من محمد - ﷺ - وأصحابه؟ قال عمرو بن زرارة، فلقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد^(٤).

٣. ومنه ما أخرجه الإمام أحمد حيث قال: "دخل رجل من أصحاب النبي - ﷺ - المسجد، فإذا كعب يقص فقال: ما هذا؟ قالوا كعب يقص، فقال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "لَا يَقْصُ إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُخْتَالٌ". قال: فبلغ ذلك كعباً فما روي يقص بعد^(٥).

٤. ومن ذلك أيضاً ما روي من أن سليم بن عنتر بن النجبي، كان يقص على الناس، وهو قائم، فقال له صلة بن الحارث الغفاري، وهو من أصحاب النبي - ﷺ - والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا^(٦).

وفي الختام أقول: إن تشدد الصحابة - ﷺ - بعضهم على بعض في رواية الحديث النبوي الشريف قد أدى إلى سد باب الرواية بوجه أهل الأهواء، والزيغ، والضلالات، والمنافقين من اتخاذ الرواية سوقاً ومطية لترويج ضلالاتهم، وانحرافهم، وأكاذيبهم^(٧).

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) الضاري، الإسناد نشأته وأهميته، ص ١٧، نقلا عن أطراف الغرائب والأفراد للدراطيني.

(٣) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصص، ص ١٧٨.

(٤) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصص، ص ١٧٨.

(٥) الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٦) السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصص، ص ١٧٨.

(٧) الخرجي، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، ص ٢٥٦.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة لجميع جوانب هذا الموضوع، يمكنني أن أذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال هذه الرسالة، وهي كما يلي:

١. إنَّ للصَّحابة بأسرهم خصيصة وهي أن لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم جميعهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله - ﷺ - لهم، لكنَّ العدالة لا تثبت لهم العصمة وعدم الوقوع في الخطأ.

٢. إنَّ الخلاف في تحديد مفهوم الصَّحابي خلاف في المعنى؛ لأنَّه ترتب عليه آثار وأحكام شرعية كثيرة.

٣. علم الإسناد ونقل الدِّين ثقة عن ثقة خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية، خصهم وأكرهم الله تعالى بها من دون سائر الأمم.

٤. تفاوتت مرويات الصَّحابة من حيث كثرتها وقلتها، لإختلاف درجات الحفظ عندهم، أولطول الملازمة وقصرها، أو لتقدم وفاة الصَّحابي وتأخره، أو لمعرفته بالقراءة والكتابة من عدمها، أو لتقد إسلامه أو تأخره، ولغيرها من الأسباب الأخرى.

٥. قررت نصوص الكتاب العزيز والسُّنة الشَّريفة أصولاً علمية لنقل الرواية في الإسلام، كانت المنارة والشعلة التي أضاعت للصَّحابة والتابعين من بعدهم الطريق القويم لصيانة الرواية وأداء الحديث على الوجه الصحيح المعتبر كما سُمع منه ﷺ.

٦. يعد السَّماع الطريقة الأولى من طرق أخذ الحديث وتلقيه، التي من خلالها أخذ الصَّحابة - ﷺ - الحديث الشَّريف عن النَّبي - ﷺ - ثم أدوا عنه بها.

٧. طرق الصَّحابي في تحمل الحديث الشَّريف هي: النَّبي - ﷺ - والصَّحابة - ﷺ - والتابعين على ندرة.

٨. كان من شدة حرص الصَّحابة - ﷺ - وثبتهم وتحريمهم على تحمل الحديث وعلى ألا يفوتهم شيء مما يصدر عنه - ﷺ - أنهم كانوا يلزمون ويتأوبون حضور مجلسه، بل إنَّ بعضهم ترك الأهل والولد، وزهد في الدنيا من أجل طلب العلم وحديث المصطفى - ﷺ - وبالتالي تبليغه للغائب.

٩. كان تثبت الصحابة - ﷺ - قائماً على ميزان النقد العلمي الصحيح، حيث منعوا الرواة من أن يحدثوا بما يعلو على أفهام العامة؛ لأنَّ في هذا التحديث مدعاة لتكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه، ومدعاة للشك والخطأ في هذا الدِّين، فامتنعوا عن التحديث خوفاً وخشية من أن يستغل أصحاب القلوب المريضة وأهل الأهواء ظاهر النصوص لدعم بدعهم وصالح أهوائهم.

١٠. إنَّ من شدة حب الصحابة - ﷺ - للنبي - ﷺ - وتمسكهم بهديه لم يكونوا ليقدموا أنفسهم على رسول الله - ﷺ - وقد بلغ من شدة اقتدائهم به أنَّهم كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك، دون أن يعرفوا أو يعلموا لذلك سبباً أو يسألوه عن علته أو حكمه.

١١. إنَّ منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في الإقلال من الرواية منهج عام وقد أثاره الصحابة - ﷺ - لنألا يتخذ المنافقون من شيوع الحديث سُلماً وذريعة لتزييف الحديث، ولئلا تنزل أقدام المكثرين فيسقطوا في هوة الخطأ والنسيان فيقعوا في شبهة الكذب على النبي - ﷺ - وهم لا يشعرون.

١٢. إنَّ إكثار بعض الصحابة - ﷺ - في الحديث كان له أسباب عديدة منها: ترغيبه - ﷺ - إلى الاستماع إلى سنَّته، وحفظها، ثم تبليغها كما صدرت عنه في أحاديث كثيرة له، كما أنَّهم كانوا على ثقة كاملة واطمئنان تام إلى صحة الرواية وصدقها، والبعد عن التغيير والتبديل والتحريف، بالإضافة إلى خوفهم من كتمان العلم والقيود عن تبليغه، وإلى غير ذلك من الأسباب.

١٣. إنَّ الصحف التي كتبها الصحابة - رضي الله عنهم - كانت النواة الأولى لما صنف في القرنين الثاني والثالث من الجوامع والمسانيد والسنن وغيرهما، وأنَّ الصحابة بجانب اعتمادهم على الحفظ والذاكرة، قد حفظوا السنَّة الشريفة كتابة وتدويناً وتوثيقاً.

١٤. تعد المذاكرة من أقدم الوسائل التي استخدمها الصحابة - ﷺ - لصيانة الحديث وحفظه، حيث صاحبت رواية الحديث منذ عهد الرسول - ﷺ - إذ إنَّ أهمية الشيء تكمن في أهمية نتائجه، فالمذاكرة سبب في حياة العلم تثبيتاً وتنمية.

١٥. جواز رواية الحديث بالمعنى إذ لو كان أداء الحديث بألفاظه هو المطلوب دون معناه لأمر النبي - ﷺ - الصحابة - ﷺ - أن يكتبوه كما كتب القرآن العظيم، وإنَّ الصحابة وإن رووا أحاديث بالمعنى إلا أنَّهم ضربوا مثلاً رائداً في الدقة والانتقان، والخوف من

- الزيادة والنقصان فاستخدموا ألفاظاً تعبر عن تلك الدقة التي منشؤها الورع وخشية الخطأ، فكان يقول أحدهم بعد تمام روايته أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
١٦. كان لاتساع الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي - ﷺ - على يد الصحابة - ﷺ - حتى عمت معظم أرجاء الأرض في ذلك الوقت، الأمر ما جعل الخلفاء والولاة من الصحابة يقيمون في هذه الأقاليم والأمصار المفتوحة دوراً، ومدارس، ومراكز للحديث النبوي يمدون بها أصحاب تلك الأمصار من سنة المصطفى ﷺ.
١٧. تعد الرحلة من إحدى الوسائل المهمة في الحفاظ على الحديث دون أن يضع منه شيء ودون أن يحرف، وأن يدخله ما ليس منه، إذ أنها من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي.
١٨. إن الصحابة - ﷺ - لم يكونوا زوامل أسفاراً أو عشوائيين كما يشاع هنا وهناك، بل كانوا نقاداً جهابذة، اصحاب فكر ومنهج.
١٩. إن النقد الداخلي للحديث قد بدأ مبكراً من قبل الصحابة - ﷺ ، قبل النقد الخارجي، فهو أسبق إلى الوجود.
٢٠. إن الصحابة كانوا على عناية تامة، واهتمام بالغ بالسنة، وذلك بفحص الروايات ونقدها باعتبار النظر إلى حال الراوي لاحتمال غلطه ووهمه وغفلته، وحيناً آخر باعتبار مخالفة المروي لما تقرر عندهم من القواعد المعلومة من الدين الحنيف.
٢١. لقد وهم بعض الصحابة - ﷺ - في بعض الأحاديث، ولكن الصحابة الآخرين ما كانوا ليسكتوا على الخطأ، بل كان بعضهم يصحح لبعض ما وهم فيه، ومن هنا فإنه ينبغي أن لا يفهم من نقدهم اتهام بعضهم لبعض بل حرصهم على حفظ الحديث، مما جعل بعضهم ناقداً للآخر في خبر، وشاهداً بصدقه في خبر آخر.
٢٢. حرص الصحابة على التثبت من بعضهم بطرق ووسائل عدة من أهمها: طلب القسم، والشهادة، والإقرار، والمواجهة، والرجوع إلى المصدر الغائب، والرحلة، والمقارنة.
٢٣. يثبت وهم الصحابي بطرق عدة منها: بإقراره، أو بسكوته، أو بأحد طرق الترجيح عند التعارض.

٢٤. إنَّ من أسباب اهتمام الصَّحابة - ﷺ - بضبط الحديث هو الاستجابة لأمر الله تعالى ورسوله - ﷺ - في حفظ السُّنة ودفع التَّساهل فيها، وخوفاً من الوقوع في الوعيد الذي توعده به النَّبي - ﷺ - ولغيرها من الأسباب الأخرى.

٢٥. إنَّ من أهم أسباب الوهم عند الصَّحابة مايلي: النسيان وعدم الحفظ، وإساءة السمع وخطئه، وفوات سماع الصَّحابي للحديث من أوله أو آخره، وإرسال الصحابي، والرواية بالمعنى، والغفلة عن سبب ورود الحديث، وغيرها من الأسباب.

٢٦. إتفاق جميع علماء المسلمين على جواز توهيم الصَّحابي إذا ثبت الوهم منه ولكن بقيود وضوابط محدده.

٢٧. إنَّ خفاء أسماء بعض المنافقين على النَّبي - صلى الله عليه وسلم - فضلاً عن دونه كحذيفة وبقية الصَّحابة - رضي الله عنهم - لا يعني خفاء علاماتهم، وصفاتهم بل هم معروفون إما بأعيانهم وإلا فبعلامتهم.

٢٨. إنَّه لم يثبت قطُّ رواية عنَّ لمز بالنِّفاق، ممن يعد من الصَّحابة ﷺ؛ لأنهم لم يهينوا التَّهينة الرَّبَّانية للمشاركة في الرِّواية والتدخل بها لا من قريب أو بعيد.

٢٩. تشدد الصَّحابة - ﷺ - بعضهم على بعض في رواية الحديث أدى إلى سد باب الرِّواية بوجه أهل الأهواء، والمنافقين من اتخاذ الرِّواية مطية لأهوائهم، وسوقاً لترويج ضلالتهم، وانحرافهم، وأكاذيبهم.

٣٠. إنَّ من أسباب عدم تتبُّع أسماء المنافقين هو أن أعدادهم بدأت بالتناقص في أواخر العهد النبوي، فضلاً عن عهد الخلافة الراشدة، وذلك لأمرين هما: موت كبارهم ورؤسائهم كابن أبي وأضرابه، وفضحهم بالآيات التي كشفت دسائسهم، وهتكت ستورهم وخبائهم.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل الإسلام والمسلمين، وأن يجعله امتداداً لعمل الصالح بعد انتقالي إلى جوار ربي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات

بعد هذا العرض الواسع لمنهج الصحابة - ﷺ - في تحمل الحديث وأدائه وأثره في رواية الحديث، توصي هذه الدراسة بما يلي:

١. دراسة أساليب الصحابة - ﷺ - في التربية والتعليم.
٢. دراسة منهج التابعين في تحمل الحديث وأدائه وأثره في رواية الحديث.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبادي، أبو الطيب محمد شمس الدين الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، لبنان - بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢. ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري:
 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة - مصر، دار الشعب، [ط: بدون]، ١٩٧٠م.
 - النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، [ط: بدون]، ١٤١٨هـ.
 - جامع الأصول في أحاديث الرسول، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٤. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر:
 - الموضوعات، دراسة وتحقيق محمود أحمد القيسية، أبو ظبي، مؤسسة الّداء، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
 - صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
 - نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر، عناية مهر النساء، مراقبة محمد عبد المعيد خان، الهند، مطبعة مجالس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، [ط: بدون]، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
 - تلقيح فهم الأثر في عيون التاريخ والسير، بيروت - لبنان، دار الأرقم، ط١، ١٤١٨ - ١٩٩٧م.
٥. ابن الصّلاح، أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري:
 - أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق عبد الله بن عبد القادر، المدينة المنورة - السعودية، مكتبة العلوم والعلوم، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
 - مقدمة ابن الصّلاح علوم الحديث، اعتنى به وعلق عليه إسماعيل زرمان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦. ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم، تحقيق محيي الدين الخطيب، بيروت - لبنان، مكتبة أسامة بن زيد، [ط: بدون]، ١٤٠٦هـ.
٧. ابن العماد، الخيلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت - لبنان، دار الآفاق الجديدة، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٨. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب:
 - أعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
 - طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، الدمام - السعودية، دار ابن القيم، ط٢، [تاريخ النشر: بدون].
٩. ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي، شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٠. ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي، المختصر في علم أصول الحديث النبوي، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، القاهرة - مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١١. ابن الوزير، أبو عبد الله السيد محمد بن إبراهيم، الروض الباسم في الذنب عن سنة أبي القاسم، القاهرة - مصر، لمطبعة السلفية، [ط: بدون]، ١٣٨٥هـ.
١٢. ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي البلنسي، شرح ابن بطل على صحيح البخاري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٣. ابن بطة، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الأبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق عثمان عبد الله آدم الأيثوبي، الرياض - السعودية، درا الرؤية، ط٢، [تاريخ نشر: بدون].
١٤. ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٥. ابن تغلب، أحمد بن علي بن الساعتي، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق سعد بن غرير مهدي، السلمي، مكة المكرمة، نشر جامعة أم القرى، [ط: بدون]، ١٤١٨هـ.
١٦. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني:
 - شرح العمدة في الفقه، تحقيق سعود صالح العطيشان، الرياض - السعودية، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٣هـ.

- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، المدينة المنورة، مطبوعات الجامعة الإسلامية، ١٣٩٦هـ.
- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي البخري، بيروت - لبنان، عالم الكتب، [ط: بدون]، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٩٨٠م.
- ١٧. ابن جزري، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عبد الله محمد الجبوري، بغداد، جامعة بغداد، [ط: بدون]، ١٤٠١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٨. ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم، المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٩. ابن حبان، محمد السبتي، كتاب المجروحين من المحدثين، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٠. ابن حجر، أحمد العسقلاني، التكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ودراسة ربيع بن هادي عمير، المدينة المنورة، منشورات الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢١. ابن حجر، أحمد العسقلاني:
 - شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، راجعه وقدم له محمد عوض، علّق عليه محمد غياث الصّبّاغ، دمشق - بيروت، مكتبة الغزالي ومؤسسة مناهل العرمان، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
 - الإصابة في تمييز الصحابة، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، حقق بعض أجزاءها عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض ودمشق، دار السلام ودار الفحاء، ط٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، اعتنى به عز الدين ضلي، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
 - نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تعليق إسحاق عزوز، مكتبة منارة العلماء لإحياء التراث الإسلامي، [ط: بدون]، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٥م.

- تهذيب التهذيب، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن، ط ١، ١٣٢٦هـ.
- تقريب التهذيب مجموعاً إلى الكاشف للذهبي، مراتب المرسلين، والفصل التاسع من مقدمة الفتح كلاهما لابن حجر، الكواكب النيرات لابن الكيال، شرح العلل لابن رجب، رواة المراسيل لأبي زرعة العراقي، وفوائد أخرى، تقديم محمد إبراهيم شقرة، اعتنى به حسّان عبد المثنان، بيت الأفكار الدولية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٢٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:
- الإيصال في المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
- جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد شاكّر، لاهور - باكستان، المطبعة العربية، [ط: بدون]، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المكتبة الأدبية، [ط: بدون]، ١٣١٧هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، إشراف أحمد شاكّر، مطبعة العاصمة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٣. ابن رجب، الحنبلي:
- شرح علل الترمذي، تحقيق همّام عبد الرحيم سعيد، الزرقاء، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق يوسف البقاعي، صيدا - بيروت، المكتبة بالعصرية، ط ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٤. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، كتاب الطبقات الكبرى، بيروت - لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، [ط: بدون]، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٢٥. ابن سلام أبو عبيد القاسم، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٦م.
٢٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي:
- الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه "الموطأ" من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، حققه وعلّق عليه حسّان عبد المثنان ومحمود أحد القيسية، أبو ظبي، مؤسسة النداء، ط ٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، الدمام، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٢٧. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، [ط: بدون]، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٨. ابن عدي، أبو أحمد عبد الله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق صبحي البديري السامرائي، بغداد - العراق، مطبعة سلمان الأعظمي، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، بيروت - لبنان، دار الفكر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٣٠. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، [ط: بدون]، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣١. ابن قانع، عبد الباقي، معجم الصحابة، ضبط نصه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراني، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط٢، [تاريخ النشر: بدون].
٣٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر:
- اختصار علوم الحديث، دمشق - سوريا، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
- البداية والنهاية، بيروت - لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٦٦م.
- تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٤. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، بيروت - لبنان، اعتنى به بيت الأفكار الولية، [ط: بدون]، ٢٠٠٤م.
٣٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط١٩، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٦. ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١٤١٥هـ.

٣٧. الأناسي، برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أيوب الشافعي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تحقيق أبو عبد الله محمد علي سمك، بيروت - لبنان، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٨. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [ط: بدون]، ١٩٨١م.
٣٩. أبو حسن، صديق عبد العظيم، وغنايم، محمد نبيل، دراسات في السّنة النبوية الشريفة، الكويت - الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤٠. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤١. أبو ريّة، محمود، أضواء على السّنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، القاهرة - مصر، دار المعارف، ط٣، [تاريخ النشر: بدون].
٤٢. أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمّة الإسلامية بالسّنة النبوية، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، [ط: بدون]، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤٣. أبو شهبه، محمد بن محمد، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، جدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٤. أبو غدة، عبد الفتاح:
- الإسناد من الدين صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الرّسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- لمحات من تاريخ السّنة وعلوم الحديث، حلب - سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤٥. الأثري، محمد رياض الأحمد، مصطلح الحديث، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٦. الآجري، محمد بن الحسين، أخلاق العلماء، تقديم وتخريج وتعليق بدر البدر، السالمية - الكويت، مكتبة الصّحابة الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٤٧. أحمد، قرشي بن عمر، تنبيه ذوي النجابة إلى عدالة الصّحابة، علّق عليه وخرّج أحاديثه، نبيل بن منصور بن يعقوب البصاره، الكويت، دار الدّعوة، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٨. الألبلي، صلاح الدين بن أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، طض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٩. أدلبي، ناصر مصطفى، الأساس في الخطب والمواعظ، مراجعة وتقديم محمود الحامد وعبدو الحريري، عمان - الأردن، دار البشير، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٥٠. الأزهرى، محمد أحمد، تهذيب اللغة، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة، [ط: بدون]، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٥١. الأسعد، منذر، براءة الصحابة من النفاق تفنيد اتهامات "يوسف أبو هلاله"، للصحابة بالكذب والنفاق، الرياض - السعودية، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٢. إسماعيل، شعبان محمد، مصادر التشريع الإسلامي وموقف العلماء منها، دار المريخ، [ط: بدون]، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٣. أسود، محمد بن عبد الرزاق، شروط الراوي والرواية عند أصحاب السنن دراسة تطبيقية، تقديم محمد عجاج الخطيب، دمشق، دار طيبة الدمشقية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥٤. الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمود أحمد القيسية، أبو ظبي، مؤسسة النداء، ط١، ١٣٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٥٥. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.
٥٦. الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، بيروت ودمشق وعمان، الكتب الإسلامية، [ط: بدون]، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥٧. أقالينة، المكي، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى، الدوحة - قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ.
٥٨. آل الشيخ، صالح مجموع رسائل ودروس في ذم البدع وخطر الابتداع لجمع من العلماء، القاهرة - مصر، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ - ١٩٨٠م.
٥٩. أمان، عاطف أحمد، منهج الرسول محمد - ﷺ - في التعليم، القاهرة - مصر، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٦٠. أمحزون، محمد، منهج النبي - ﷺ - في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، القاهرة - مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦١. الأمدي، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٦٢. امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث بن عمرو، ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، [تاريخ النشر: بدون].

٦٣. أمين، أحمد، فجر الإسلام يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية، دار الكتاب العربي، ط ١٠، ١٩٦٩م.
٦٤. الأهدل، حسن محمد مقبولي، مصطلح الحديث ورجاله، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط ٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٦٥. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، إحكام الوصول في أحكام الأصول، تحقيق ودراسة عبد الله محمد الجبور، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م.
٦٦. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦٧. برغوث، الطيب، منهج النبي - ﷺ - في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٦٨. البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالف العتكي، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٦٩. البستاني، بطرس: - محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، بيروت - لبنان، مكتبة لبنان، [ط: بدون]، ١٩٧٧م.
- معجم لغوي في مجلد واحد، مؤسسة جواد، [ط: بدون]، ١٩٨٣م. بيروت - لبنان، مكتب لبنان، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٧٠. البشير، عصام أحمد، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٧١. البغا، مصطفى ديب الكافي في علوم الحديث، دمشق - سوريا، دار العلوم الإنسانية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧٢. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: - تقييد العلم، صدره وحققه وعلق عليه يوسف العش، نشرته دار إحياء السنة النبوية، ط ٢، ١٩٧٤م.
- الرحلة في طلب الحديث، حققه وعلق عليه نور الدين عتر، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.
- شرف أصحاب الحديث، ضبط نصه وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- كتاب الكفاية في علم الرواية، المدينة المنورة، المكتبة العملية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرجه وعلّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧٣. البغوي، أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء الشافعي، تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م.
٧٤. بقاعي، علي نايف:
- الاجتهاد في علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المنهج الحديث في تسهيل علوم الحديث، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- دراسة أسانيد الحديث الشريف، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- مناهج المحدثين العامة والخاصة "الصناعة الحديثية"، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧٥. بلتجاي، محمد، بحوث مختارة في السنّة، القاهرة - مصر، مكتبة الشباب، [ط: بدون]، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٧٦. بنت الحسين، آمال قرداش، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، قطر، كتاب الأمة سلسلة دروية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (٧٠) الربيع الأول، السنة التاسعة عشرة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧٧. بني عامر، محمد راشد، التربية الإسلامية أهدافها وأسسها الفكرية وأساليبها، إريد - الأردن، مؤسسة حماد للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، ٢٠٠٨م.
٧٨. بوزير، سعيد، مدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، [ط: بدون]، ١٩٩٤م.
٧٩. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي:
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، بيروت - لبنان، دار الفكر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
- المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت - الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٨٠. التازي، مصطفى أمين إبراهيم، محاضرات في علوم الحديث، مصر، دار التأليف، ط ٤، ١٤٠١هـ.

٨١. التبريزي، أبو الحسن علي بن أبي محمد عبد الله بن الحسن الأردبيلي، الكافي في علوم الحديث، قرأه وشرحه وخرّج أحاديثه ووثق نصوصه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، عمّان، الدّار الأثريّة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٨٢. الترمذي، أبو عيسى بن سورة، الجامع المختصر في السنن عن النبي - ﷺ - ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بـ: جامع الترمذي، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
٨٣. الترمسي، محمد محفوظ بن عبد الله بن عبد المّان، منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٨٤. التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد، طبقات علماء إفريقية، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، طبع الجزائر، ١٣٣٢هـ.
٨٥. الثّونسي، طه بن علي بُو سريح، المنهج النقدي عند الحافظ ابن عبد البر من خلال التمهيد، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٨٦. الجامعة الأزهرية، كلية الشريعة، تاريخ الفقه الإسلامي كلمات في تاريخ التشريع الإسلامي، تريك نشأته وتطوره وتطالعك على مصادر التشريع ومذاهبه وتكشف لك عن مزاياه ومقاصده، أشرف على مراجعته وتصحيحه وتهذيبه محمد علي السائس، القاهرة - مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٨٧. جبار، سالم بن سعيد بن مسفر، الإقناع في التربية الإسلامية، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٨. الجبوري، أبو اليقظان عطية، مباحث في تدوين السنّة المطهرة، بيروت - لبنان، دار الندوة الجديدة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٨٩. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت - لبنان، مكتبة لبنان، [ط: بدون]، ١٩٧٨م.
٩٠. الجزائري، طاهر بن صالح بن أحمد الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، بيروت - لبنان، دار المعرفة، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٩١. جلال، عبد الفتاح، من الأصول التربوية في الإسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، ١٩٧٧م.
٩٢. جمّاز، علي محمد، محاضرات في علوم الحديث، دار القلم، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٣. الجوابي، محمد طاهر، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، تونس، نشر وتوزيع مؤسسات ع. الكريم بن عبد الله، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

٩٤. الجوزجاني، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عبد الجبار الفريولائي، الرياض - السعودية، نشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، ط١، ١٩٨٣م.
٩٥. الجوهري، أبو نصر إسماعيل حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩٦. الحاج، خالد بن محمد علي، السُّنة مفتاح الجنة، بيروت - لبنان، ابن حزم، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٩٧. الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى الهمداني، الاعتبار في النَّاسخ والمنسوخ في الحديث، دراسة وتحقيق أحمد طنطاوي جوهري مسدد، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٩٨. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري:
 - كتاب المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، تحقيق أحمد بن فارس السُّلوم، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
 - كتاب المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السُّلوم، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
 - المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، حلب - بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية ومحمد أمين دمج، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
 - معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، بتعليقات الحافظين المؤتمن السَّاجي والتقي ابن الصَّلَّاح، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السُّلوم، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٩٩. حبنكة، عبد الرحمن الميداني، ظاهرة النُّفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دمشق - سوريا، دار القلم، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٠٠. حسن، علي عبد الفتاح علي:
 - الحديث النَّبوي وروايته، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
 - المدخل للفقهاء الإسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، [ط: بدون]، ٢٠٠٢م.
 - المنافقون في القرآن الكريم، القاهرة - مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٠١. حسين، محمد الخضر، السُّنن والبدعة، تقديم وتحقيق محمد عمارة، القاهرة - مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، [ط: بدون]، ١٩٩٩م.

١٠٢. حسين، محمد مقبول، محاضرات في علوم الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٠٣. الحسيني، محمد أمين أمير باد بادشاه الحنفي الخراساني البخاري المالكي، تيسير التحرير شرح عن كتاب التحرير، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٠٤. الحصري، أحمد تاريخ الفقه الإسلامي، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٠٥. الحفناوي، محمد إبراهيم، دراسات أصولية في السنة النبوية، أبراج مصر للتعمير، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، [ط: بدون]، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٠٦. حمادة، فاروق، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل دراسة منهجية في علوم الحديث، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠٧. حمزة، عمر يوسف، الصحابة وجهودهم في حفظ السنة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ١٩٩٦م.
١٠٨. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروحي البغدادي، معجم البلدان، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٠م.
١٠٩. حميد الله، محمد الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، القاهرة - مصر، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٨م.
١١٠. الحميري، عبد الله بن بجاش بن ثابت، الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ.
١١١. حيان، محمد بن عبد الله، لمحات في دقة المحدثين المنهجية للحفاظ على السنة النبوية، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١١٢. الخزرجي، صفى الدين أحمد بن عبد الله، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق مجدي منصور الشوري، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
١١٣. الخزرجي، مشعان يحيى علوان، جهود الصحابة في نقل السنة والمحافظة عليها، أبو ظبي، إصدارات الساحة الخزرجية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١٤. الخزيم، محمد بن صالح بن سليمان، المصطلح الوجيز في علم الحديث، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١١٥. الخطابي، أبو سليمان سليمان حمد بن محمد البستي، معالم السنن وهو شرح سنن الإمام أبي داود، بيروت، المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١١٦. الخطيب، محمد عجاج: - السنة قبل التدوين، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، دمشق، المطبعة الجديدة، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١٧. خلف، عبد الوهاب، خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، دار القلم، ط٤، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١١٨. خلف الله، سلمان، منهج النَّبي - ﷺ - في التعامل مع الناشئة، بيروت - لبنان، بيت الأفكار الدولية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١١٩. خلف، جمال محمود، تدوين وتوثيق السُّنة النَّبَوِّية في حياة الرَّسُول - ﷺ - والصَّحابة، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط١، ٢٠٠٧م.
١٢٠. خلف، نجم عبد الرحمن، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٢١. خليفة، العجمي دمنهوري، دراسات في علوم الحديث، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٢٢. الخليفة، حامد محمد، العطر النُّقَاز في مُهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة، الشارقة - الإمارات، مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٢٣. خليل، إبراهيم السعيد إبراهيم، التسهيل في علم الجرح والتَّعديل، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٢٤. الخليلي، أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد بن عمر إدريس، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٢٥. خميس، قاسم عبد العزيز عبد الدَّائم، أقوال الصَّحابة ومدى حجيتها عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، المنصورة - مصر، مكتبة الإيمان، [ط: بدون]، ٢٠٠٢م.
١٢٦. الخولي، محمد عبد العزيز، تاريخ فنون الحديث النبوي، حققه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط ومحمد بدر الدين القهوجي، قدّم له عبد القادر الأرناؤوط، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٢٧. الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، علّق عليه وخرّج أحاديثه مجدي بن منصور بن سيعد الشوري، بيروت - لبنان، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢٨. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن ب الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي، سنن الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، نشرته دار إحياء السُّنة النَّبَوِّية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

١٢٩. الدّائني، عزيز رشيد محمد، أسس الحكم على الرّجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري،
دققه وراجعه بشار عواد معروف العبيدي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،
٢٠٠٦م.

١٣٠. الدميّاطي، شهاب الدّين محمد بن محمد البدرّي، صفوة الملح بشرح منظومة البيقوني
في متن المصطلح، تحقيق نور الدين طالب، دمشق - سوريا، دار النوادر، ط١،
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٣١. الدهلوي، شاه ولي الله، الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، ضبط وتحقيق وتقديم السيد
الجميل وأحمد السايح وسامي عفيفي حجازي، مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣٢. الدوسري، إبراهيم عبد الرحمن النّفاق آثاره ومفاهيمه، مكتبة دار الأرقم، ط١،
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٣٣. الدّينوري، ابن قتيبة، كتاب تأويل مختلف الحديث في الردّ على أعداء أهل الحديث
والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها التناقض والاختلاف والجواب عما أورده ومن
الشّبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادئ الرأي، بيروت، عالم الكتب، [ط:
بدون]، [تاريخ نشر: بدون].

١٣٤. الدّهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان:
- الأمصار ذوات الآثار، تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت - لبنان، دار ابن كثير، ط١،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
- سير أعلام النبلاء، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار
التأليف، ط١، ١٩٦٩م.

١٣٥. الراجحي، شرف الدّين علي، مصطلح الحديث وأثره على الدّرس اللغوي عند العرب،
الإسكندرية، ط١، [تاريخ النشر: بدون].

١٣٦. الرّازي، أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، كتاب
الجرح والتّعديل، بيروت، لبنان، دار الفكر العلميّة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

١٣٧. الرّاغب، أبو القاسم حسين بن محمّد الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت -
لبنان، دار الكتاب العربي، [ط: بدون]، ١٩٧٢م.

١٣٨. الرفاعي، جميلة عبد القادر والعزيز، محمد رامز عبد الفتاح، السّنّة النبويّة في التشريع
الإسلامي، عمّان - الأردن، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٣٩.الرمحي، سعيد بن حميد بن صقر، والرواحي، سالم بن محمد، والعتبي، محمد بن عبد الله، علوم الحديث، سلطنة عُمان - وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب دائرة إعداد المعلمين، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٤٠.الزاوي، محمد الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م.

١٤١.الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤٢.زرزور، عدنان محمد، السُّنة النبويَّة وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (مدخل ومقارنات)، عمّان، دارُ الأعلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٤٣.الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة - مصر، دار إحياء الكتب العلمية، [ط: بدون]، ١٩٥٢م.

١٤٤.الزركشي، بدر الدّين أبي عبد الله محمد جمال الدّين عبد الله بن بهادر الشافعي: - الإجابة لإيراد ما استدرّكته عائشة على الصّحابة، تحقيق محمد بن بنيامين أرول، تقديم شعيب الأرناؤوط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤م.

- البحر المحيط في أصول الفقه، قام بتحريره عمر سليمان الأشقر، مراجعة عبد الستار أبو غدة ومحمد سليمان الأشقر، الكويت، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

- الثّكت على مقدّمة ابن الصّلاح، تحقيق زين العابدين بن محمد بلا فريخ، أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٤٥.زغلول السيد الشحات، السند والمتن في الحديث النبوي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ٢٠٠٣م.

١٤٦.الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي:

- أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.

- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

١٤٧.الزهراني، محمد بن مطر:

- تدوين السُّنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٤٨. زيدان، عبد الكريم:

- علوم الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الوجيز في أصول الفقه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٤٩. الزيلعي، جمال الدين، نصب الرأية تخريج أحاديث الهداية، عناية أمين صالح شعبان، دار الحديث، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٥٠. سالم، إبراهيم علي، النفاق والمنافقون في عهد رسول ﷺ، دار الشعب، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
- ١٥١. سالم، إسماعيل، دراسات في علوم الحديث، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٥٢. السباعي، مصطفى، السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت، دار الورق للنشر والتوزيع والمكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٥٣. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، لبنان، بيت الأفكار الدولية، [ط: بدون]، ٢٠٠٤م.
- ١٥٤. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:
 - الإعلان بالتوضيح لمن ذم التاريخ، بيروت - لبنان، دار الجيل، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
 - فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
- ١٥٥. سعد، قاسم علي، مباحث في علم الجرح والتعديل، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٥٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، [تاريخ النشر: بدون].
- ١٥٧. سعيد، همام عبد الرحيم:
 - التمهيد في علوم الحديث، عمان، دار الفرقان للنشر، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٥م.
 - الفكر المنهجي عند المحدثين ضمن سلسلة كتاب الأمة، الدوحة - قطر، ط١، ١٤٠٨م.
- ١٥٨. السلوم، أحمد بن فارس، حفظ الله السُّنة وصور من حفظ العلماء لها وتنافسهم فيها، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٥٩. السمعاني، أبو سعيد، أدب الإملاء والاستملاء، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠١هـ - ١٨٩١م.

١٦٠. السنيكي، زين الدين أبي رحي زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، فتح الباقي شرح ألفية العراقي، تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٦١. السهاري نفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٦٢. سيف، أحمد محمد نور، من أدب المحدثين في التربية والتعليم، دبي - الإمارات العربية المتحدة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٦٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: - تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق محمد حسن إسماعيل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، ط٣، ١٤١٧هـ.
- شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، قديمي كتب خان، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٦٤. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي: - الاعتصام، تحقيق محمد رشيد رضا، بيروت - لبنان، دار المعرفة، [ط: بدون]، ١٤٠٥هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة، عناية عبد الله دراز ومحمد عبد الله دراز وعبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٦٥. الشافعي، محمد بن إدريس المطلبي: - الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت - لبنان، المكتبة العلمية، [ط: بدون]، ١٣٠٩هـ.
- اختلاف الحديث، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٦٦. شاكر، أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، جدة - السعودية، دار المؤيد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٦٧. الشاوي، محمد سمير، الخطب المنبرية إلى إرشاد البرية دروس وخطب جاهزة ومواعظ، تقديم صلاح الدين كفتار ورجب ديب، دمشق - سوريا، دار العصماء، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
١٦٨. الشاذلي، عبد الرزق بن خليفة، ونوح، السيد محمد السيد، مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٦٩. الشَّاعِر، عبدالله بن سليمان، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات شبهات وردود، تقديم صالح بن عبدالله الدرويش، إصدارات المكتبة الشاملة.

١٧٠. شعبان، عبد الله، التأصيل الشرعي لـ: لقواعد المحنَّثين، دار السلام، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٧١. شلبي، رؤوف، السُّنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، الكويت، دار القلم، ط٤، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٧٢. شلبي، محمد مصطفى، المدخل في الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، ط١٠، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٣. الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي صاحب مراقي السعود:

- طلعة الأنوار في علوم آثار النبي المختار منظومة اختصر فيها المؤلف ألفية العرافي في علوم الحديث ويليها شرح المؤلف عليها المسمى هدي الأبرار عن طلعة الأنوار، تحقيق محمد شايب شريف، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٠م.

- القول السديد في كشف حقيقة التقليد، الهند، نشر دارة البحوث السلفية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧٤. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، بيروت - لبنان، دار الفكر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

١٧٥. الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٧٦. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي أبو إسحاق:

- التبصرة في أصول الفقه، تحقيق محمد حسن هيتو، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ.

- طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، [ط: بدون]، ١٩٧٠م.

١٧٧. الصَّالِح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه عرضاً ودراسة، بيروت، دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٧٧م.

١٧٨. صالح، محمد أديب، لمحات في أصول الحديث، دمشق - بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٣٩٦م.

١٧٩. الصَّوَّاي، محمد صلاح محمد، منزلة الصحابة في القرآن، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].

١٨٠. الصباغ، محمد، الحديث النبوي، مصطلحه وبلاغته وكتبه، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٨١. الصديقي، ساجد الرحمن، المعجم الحديث في علوم الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.
١٨٢. الصغير، حصة بنت عبد العزيز، الحديث المرسل بين القبول والرد، بيروت، دار الأندلس الخضراء ودار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٨٣. الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
١٨٤. الضاري، حارث سليمان:
- أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ - دراسة حديثة تاريخية هادفة، تقديم عمر سليمان الأشقر، عمان - الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - الإسناد وأهميته، الكويت - الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
 - محاضرات في علوم الحديث، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٨٥. الطاهر، حامد أحمد، الوصايا النبوية، القاهرة - مصر، دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٨٦. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:
- معجم الطبراني الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، [دار النشر: بدون]، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
 - المعجم الأوسط، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة - مصر، منشورات دار الحرمين، [ط: بدون]، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٨٧. تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٨٨. الطهطاوي، علي أحمد عبد العال، أعجب العجب في بدع شهر رجب، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٨٩. الطيالسي، أبو داود، مسند أبي داود الطيالسي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، [ط: بدون]، ١٣٢١هـ.

١٩٠. الطيّبي، الحسين بن عبد الله، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٩١. عامر، عبد اللطيف محمد، علوم السنة وعلوم الحديث دراسة تاريخية حديثة أصولية، القاهرة - مصر، مكتبة وهبة، [ط: بدون]، ٢٠٠٠م.
١٩٢. عبد الحميد، صائب، تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاماً بعد الرسول ﷺ، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩١م.
١٩٣. عبد الحميد، محمد محي الدين، ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، اعتنى بها وعلق عليها أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام والقاهرة، دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٩٤. عبد الغفار، السيد أحمد:
- دراسات في الحديث الشريف السند والمتن، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ٢٠٠٠م.
 - محاضرات في علوم الحديث وجهود علمائه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ١٩٩٦م.
١٩٥. عبد الغني، حسن، المنافقون وشعب النفاق، الدوحة - قطر، دار الثقافة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٩٦. العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ضوابط الجرح والتعديل مع دراسة تحليلية لترجمة إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، الرياض - السعودية، مكتبة العبيكات، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٩٧. عبد المطلب، رفعت فوزي، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨١م.
١٩٨. عبد الهادي، عبد المهدي بن عبد القادر:
- دفع الشبهات عن السنة النبوية، المنصورة - مصر، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
 - السنة النبوية مكانتها عوامل بقائها تدوينها، القاهرة، دار الاعتصام، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
١٩٩. عبيدات، محمود سالم، تاريخ الحديث ومناهج المحدثين، راجعه ودققه محمود نادي عبيدات، عمان، دار المناهج لنشر والتوزيع، [ط: بدون]، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٢٠٠. عتر، عبد الرحمن، معالم السنة النبوية، الزرقاء، مكتبة المنار، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].

٢٠١. عتر، نور الدين: - السنة المطهرة والتحديات، دمشق، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- معجم المصطلحات الحديثية، ترجمة وصاغة إلى الفرنسية عبد اللطيف التيرازي الصباغ وداود عبد الله كريل، دمشق، جامعة دمشق، [ط: بدون]، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- منهج النقد في علوم الحديث، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٢. العثمان، حمد بن إبراهيم، المحرر في مصطلح الحديث، الدار الأثرية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٠٣. عثيمين، محمد بن صالح، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، مراجعة وإشراف المؤلف، بيروت - لبنان، المكتبة العلمية، ط١٠، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠٤. العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين. - التبصرة والتذكرة، تصدير محمد بن الحسين العراقي الحسيني، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٠٥. عزوز، محمد، مدرسة الحديث في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري عصر الأئمة ابن تيمية والمزي والذهبي والبرزالي، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ - ١٩٩٩م.
٢٠٦. العلاتي، خليل بن كيكلاي بن عبد الله صلاح الدين، - رسالتان في الصحابة، تحقيق محمد سليمان الأشقر، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد، نشر وزارة الأوقاف العراقية، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٠٧. علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، القاهرة - مصر، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٠٨. العلي، صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول ﷺ، بغداد - العراق، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٢٠٩. علي، عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، القاهرة، دار الحديث بالقاهرة، [ط: بدون]، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١٠. عليان، شوكت محمد، التشريع الإسلامي والقانون الوضعي، دار الشواف، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢١١. العمرى، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السُّنة المشرّقة، المدينة المنورة - السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢١٢. العمرى، محمد علي قاسم، دراسات في منهج النّقد عند المحدثين، عمّان - الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢١٣. العوني، حاتم بن عارف، المنهج المقترح لفهم المصطلح دراسة تاريخية تأصيلية لمصطلح الحديث وهي مقدّمة تمهيدية لكتابي المرسل الخفيّ وعلاقته بالتدليس، الرياض، السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢١٤. العيني، بدر الدّين أبي محمد بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢١٥. الغامدي، أحمد بن سعد حمدان، رسالة جوابية على مذكرة أستاذ شعبي أثني عشري، المكتبة الشاملة، قسم العقيدة.
٢١٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد المستصفي من علم الأصول، بيروت - لبنان، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١٧. فاطمة، محمد خير، إتباع لا ابتداع، دمشق - سوريا، دار العصماء، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٢١٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب عبد الحميد هندلوي، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢١٩. الفريابي، جعفر بن محمد بن الحسن، صفة المنافق، حققه وخرّج أحاديثه بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٢٠. فريد، أحمد، التربية على منهج أهل السُّنة والجماعة، الإسكندرية - مصر، الدار السلفية للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٢١. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، رواية عبد الله بن جعفر بن درستوي النحوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمرى، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ.
٢٢٢. فودي، عثمان، بن محمد، إحياء السُّنة وإخماد البدعة، تقديم محمد البهي، [مكان النشر، بدون]، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].

٢٢٣. فوزي، جيهان رفعت،
- السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلامي، مصر، مؤسسة الخانجي، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٢٤. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٢٥. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق عبد العظيم الثناوي، دار المعارف، ط٢، [تاريخ النشر: بدون].
٢٢٦. القاري، علي بن سلطان بن محمد الهروي، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، تقديم عبد الفتاح أبو غدة، دار الأرقم، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٢٧. القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، قدم له عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٢٨. القرشي، غالب عبد الكافي، أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء، المنصورة - مصر، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢٩. القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٣٠. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٢٣١. القريوتي، عاصم بن عبد الله، الإسناد في الدين ومن خصائص أمة سيد المرسلين ﷺ، المدينة المنورة - السعودية، مكتبة المعلا، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٣٢. القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٣٣. القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري،
- صحيح مسلم، الرياض، مكتبة الرشد، [ط: بدون]، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- كتاب التمييز، قدم له وحققه وعلق عليه محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

٢٣٤. القضاة، أمين مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٣٥. القضاة، شرف، المنهاج الحديث في علوم الحديث، عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٣٦. القطان، مئاع، مباحث في علوم الحديث، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٣٧. قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، بيروت - لبنان، دار الشروق، ط٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٥م.
٢٣٨. قنديل، إبراهيم محمد إسماعيل، حجية خبر الأحاد دراسة مقارنة لأراء العلماء، القاهرة - مصر، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٣٩. الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٤٠. الكبيسي، عيادة أيوب، صحابة رسول الله - ﷺ - في الكتاب والسنة، دمشق - بيروت، دار القلم ودار المنارة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢٤١. الكبيسي، محمد علي أحمد، مدرسة الحديث في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، صنعاء، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، [ط: بدون]، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٤٢. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير الأديس الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٤٣. كولن، محمد فتح، السنة النبوية تقييدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ترجمة أورخان محمد علي، القاهرة - مصر، دار النيل للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٤٤. لاشين، عبد الفتاح، لغة المنافقين في القرآن دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغة، بيروت - لبنان، دار الرائد العربي، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٤٥. اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، الرقع والتكميل في الجرح والتعديل، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٤٦. المتولي، صبري، علم الحديث النبوي، القاهرة - مصر، مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٤٧. مجاهد، محمد مصطفى، النفاق والمنافقون، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون]، ص ١٠٧.

٢٤٨. مجدي سليمان المشاعلة، وأمنة عوض الحمدان وحسن فرحان ربابعة وعزيزة صالح عليوه ويوسف عبد الله الشريفيين، دليل المعلم للثقافة الإسلامية المستويات الأولى والثاني للمرحلة الثانوية، نشر وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤٩. مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].

٢٥٠. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، سلسلة التراث للجميع، القاهرة - مصر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].

٢٥١. محجوب، عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عالم الكتب الحديث، [ط: بدون]، ٢٠٠٧م.

٢٥٢. محمود، علي عبد الحليم، التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٤م.

٢٥٣. محيسن، محمد سالم، السراج المنير في الثقافة الإسلامية، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٥٤. المحيلبي، بدر حمد، مقدمة في الفكر التربوي الإسلامي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٥٥. المرسي، كمال الدين عبد الغني.

- اتجاه مدرسة الرأي في نقد الحديث النبوي (أبو زرعة - أبو حاتم - ابن أبي حاتم)، دار المعرفة الجامعية، [ط: بدون]، ٢٠٠٣م.

- كتابة الحديث النبوي وجمعه وتدوينه، الإسكندرية - مصر، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥٦. مرعشلي، نديم وآخرون، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، [ط: بدون]، ١٩٧٠م.

٢٥٧. مزيد، علي عبد الباسط، مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، القاهرة - مصر، الهيئة المصرية للكتاب، [ط: بدون]، ٢٠٠٢م.

٢٥٨. معتوق، صالح يوسف، علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، بيروت - لبنان، مؤسسة الريان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥٩. معروف، بشار عواد، الأرئوط، شعيب، تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر بن علي العسقلاني، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م.

٢٦٠. معطي، علي، التاريخ السياسي العسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ، بيروت - لبنان، مؤسسة المعارف، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٦١. مغراوي، محمود، منهج النقد عند الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٦٢. المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي، أطراف الغرائب والافراد للدارقطني، تحقيق جابر بن عبدالله السريخ، الرياض - السعودية، دار التدمرية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٦٣. المقرئ، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت - لبنان، دار صادر، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٦٤. مكانسي، عثمان قدر، التربية النبوية، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م؟
٢٦٥. المناوي، عبد الرؤوف فيض القدير شرح الجامع الصغير، القاهرة - مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٦٦. موسوعة الفقه الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ولبنان، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، [ط: بدون]، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٦٧. الموسوي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن، نهج البالغة، شرح محمد عبده، حققه وزاد عليه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، [ط: بدون]، [تاريخ النشر: بدون].
٢٦٨. موسى، محمد. الثاني عمر موسى، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، تقديم محمد بن مطر الزهراني، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ.
٢٦٩. موسى، محمد يوسف، التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٧٠. الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٧١. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٧٢. ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر في كلية الشريعة، دبي - الإمارات العربية، ٢٠٠٥م.
٢٧٣. الندوي، تقي الدين، أعلام المحدثين ومآثرهم العلمية، نقله إلى العربية السيد جاويز أحمد الندوي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٧٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني.
- سنن النسائي، ضبط نصها أحمد شمس الدين، دار الحديث العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، بيروت - لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٧٥. النعيمي، حمزة أبو الفتح بن حسين بن قاسم، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، عمان، دار النفائس، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٧٦. النمر، عبد المنعم، أحاديث رسول الله - ﷺ - كيف وصلت إلينا، القاهرة - بيروت، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٧٧. نوح، السيد محمد، الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، المنصورة - مصر، دار الوفاء، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٧٨. نور، زهير عثمان، ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال، الرياض، مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧٩. الثووي، أبو زكريا محي الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح الثووي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، [ط: بدون]، [تاريخ نشر: بدون].
٢٨٠. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة - مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، [ط: بدون]، ١٩٧٥م.
٢٨١. هاشم، أحمد عمر.
- دفاع عن الحديث النبوي، القاهرة - مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- قواعد أصول الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، [ط: بدون]، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٨٢. هاشم، الحسيني عبد المجيد، أصول الدين النبوي علومه ومقاييسه، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٨٣. الهندي، علاء الدين المتقي بن حسان الدين البرهان فوزي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، [ط: بدون]، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٨٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٢م.
٢٨٥. الورداني، صالح، عقائد السنة وعقائد التقارب والتباعد، نشر مدبولي الصغير، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٨٦. الوريكات، عبد الكريم، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨٧. ياسوف، أحمد زكريا، الصحابة حُرَّاسُ الحديث النبوي، حلب - سوريا، دار اقرأ، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٢٨٨. اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض.

- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، المنصورة - مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت - لبنان، دار مكتبة الحياة، [ط: بدون]، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

الأبحاث العلمية

١. أبو حماد، زياد عواد، الضبط عند المحدثين وأثره في الراوي والمروي، مجلة جامعة دمشق، دمشق - سوريا، مجلد رقم (١٨)، عدد رقم (٢)، ٢٠٠٢م.

٢. حيان، محمد، مجلس المذاكرة عند المحدثين أهميته وأثره ومدى اعتماد المحدثين عليه، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م١، عدد/٢، ١٩٩٤م.

٣. الدقاسمة، محمد زهير عبد الله المحمد، المدارس الحديثية: الدلالة والمضمون، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م٢٤، العدد الثاني، ٢٠٠٨م.

٤. الصّاحب، محمد عيد، الاسناد العالي وأثره في حفظ الصحابة وضبطهم، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، عمّان - الأردن، مجلد ٣، العدد الثاني، ١٩٩٦م.

٥. الصّاحب، محمد عيد، المذاكرة وأثرها في الرواية، مجلة دراسات - الجامعة الأردنية - الأردن، مجلد رقم ٢٦، ١٩٩٩م.

٦. العكايلة، سلطان، والصاحب، محمد عيد، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، مجلد ٢٥، عدد/٢، ١٩٩٨م.

٧. القضاة، شرف محمود، والقضاة، أمين محمد، تعدد الروايات في متون الحديث النبوي، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، مجلد ٢٠، ملحق ١٩٩٢م.

الرسائل العلمية

١. أبو صعليلك، عبد ربه سلمان عبد ربه، منهجية التمييز بين المختلف فيهم من الصحابة دراسة نقدية، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة - قسم أصول الدين - قسم الحديث النبوي الشريف، جامعة اليرموك - الأردن، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢. الشباب، محمد نايل محمود، الأحاديث الواردة في المنافقين في الكتب التسعة دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، المفرق - الأردن، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، ٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م.

٣. الشيخ عيد، سليمان شحدة حماد، النفاق والمنافقون في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية - عمان - الأردن، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، شعبة التفسير، ٢٠٠٥م.

٤. الضامري، عبد الرحمن إبراهيم شريف، مجالس النبي - ﷺ - التربوية في العهد المدني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة - قسم أصول الدين، قسم التربية في الإسلام، جامعة اليرموك - الأردن، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥. الطوالة، إبراهيم محمد إبراهيم، الجوانب التعليمية في كتاب العلم من صحيح الإمام البخاري وشروح الحافظ ابن حجر العسقلاني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة - قسم أصول الدين، قسم التربية في الإسلام، جامعة اليرموك - الأردن، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦. مطابقة، أحلام محمود علي، أثر انتقال الصحابة إلى الأمصار في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رسالة ماجستير، كلية الشريعة - قسم أصول الدين، قسم التربية في الإسلام، جامعة اليرموك - الأردن، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

المجلات والدوريات

١. إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة العاشرة، العدد ٣٩، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢. الخالدي، صلاح أساليب المعلم الأول ووسائله في التربية والتعليم، رسالة المعلم، وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية، مجلد (٤٧)، العدد الثاني، سنة ٢٠٠٠م.

الشبكة العنكبوتية

١. الداود، عبد العزيز بن حمد، السياسة الشرعية في تعامل النبي - ﷺ - مع المنافقين، <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=١٧٥٩٤> ٢٠١٠/٦/٢٢م

٢. القدسي، أحمد مرداس، شبكة الشيعة العالمية، اختفاء المنافقين بين الصحابة،

http://olamaa-yemen.net/olamaa/index/php?ola=_____م ٢٠١٠/٦/٢٢

&baner = qadsi. jpg&o = ٣&id=٣٨&w=١ gadasi

٣. المقبل، عمر بن عبد الله، هل كان المنافقون معروفين بأسمائهم في العهد النبوي؟!،

<http://islamtoday.net/fatwa/quesshow-٦٠-٧٧٤٩٠.htm> م ٢٠١٠/٦/٢٢

البحوث غير المنشورة

١. حسان، خلود، تثبت الصحابة من الرواية.

٢. الحوري، محمد عودة أحمد، تحقق الصحابة في ضبط الرواة أسبابه ووسائله، بحث قابل للنشر بتاريخ ٢٩/٤/٢٠٠٩م.

٣. محادين، محمود، صيانة الحديث الشريف عن رواية المنافقين.

٤. مقبول، صديق، عناية الصحابة بالحديث.